

ديوان الأمير الصنعاني

للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني

طبع على نفقة حضرة صاحب السمو الشيخ

على ابن الشيخ عبد الله آل ثاني

وجعله وقفاً لله

أثابه الله خير المثوبة

قدم له وأشرف على طبعه

على السيد صبح المدني

مطبعة المدني

٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

ديوان الأمير الصنعاني

للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني

طبع على نفقة حضرة صاحب السمو الشيخ

علي ابن الشيخ عبد الله آل ثاني

وجعله وقفاً لله

أثابه الله خير المثوبة

قدم له وأشرف على طبعه

علي السيد صبح المدني

مطبعة المدني

٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن صاحب السمو الشيخ على ابن الشيخ عبد الله آل ثانى حفظه الله تعالى لما اطلع على هذا الديوان الجليل الممتع من نظم الأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى الشهير ، ورأى ماتضمنه من القصائد المتنوعة فى فنون عدة ، وهو يعلم ـ حفظه الله ـ حسن معتقد الإمام الصنعانى أمر بطبعه على نفقته ، وقفاً لوجه الله ، كعادته فى كل ماطبعه ، حتى امتلأت المساجد ودور العلم ومكاتب أهل العلم من مطبوعاته من المصاحف وكتب الحديث والفقه والتاريخ ودواوين الشعر .

ولما كان هذا الديوان من أجمع الدواوين وأتمها وأكثرها فوائد ، أصدر أمره الكريم بطبعه على نفقته .

وحيث إنه ـ حفظه الله ـ سليم الاعتقاد على طريقة السلف الصالح ، وربما مر طابعه على قلة فى بعض القصائد ، فيها التوسل بالجاه ، المسألة المشهورة وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن فى « فتح المجيد » أن ذلك من البدع المنكرة أمر صاحب السمو طابعه أن ينبه على مايمر عليه من ذلك ، حتى يحذره القارئ ،

والمصنف رحمه الله من أئمة التوحيد ، وقد أثنى عليه الشيخ سليمان بن سحمان وعبر عنه بالإمام وبين أن القصيدة الدالية التى مطلعها :

« رجعت عن القول الذى قلت فى النجدى »

ليست للأمير وإنما هى وشرحها لأحد أولاده فنسبها لأبيه كذبا وافتراء ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

محمد بن عبد العزيز بن مانع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم السيد : على صبيح المزلى

نحمدك اللهم ، أنزلت على عبدك أفضل كتاب ونصلى ونسلم على من آتيته الحكمة وفصل الخطاب ، سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار الذين كانوا خير خلف لرسولك الرءوف الرحيم .

وبعد : فمعلوم لدى كل من أوتى حظاً وافراً من أدب اللغة العربية بمختلف فروعه منزلة الشعر الذى وصفه حبر الأمة عبد الله بن عباس بأنه ديوان اللغة العربية، لذلك دأب القدماء بدراسة الشعر تحليلا ونقداً وعكفوا على النظم وتنافسوا فيه حتى تعاطاه جميع الطبقات بسبب أنه أكثر بقاء فى الذهن من الكلام المنثور ، لما أنه موسيقا الكلام .

لذلك نرى العلماء بمختلف اختصاصاتهم تسلطوا على الشعر فنظموا فى الفقه وأصوله والنحو والصرف والمنطق والتوحيد والحساب وغير ذلك .

فكثرت المطارحات الشعرية فيما بينهم فى مختلف المسائل .

وهذا الديوان الذى نقدم لهذه المقدمة قد اشتمل على مطارحات ومساجلات شعرية فى مسائل علمية هامة ، لذلك حرص العلماء على استنساخه يتداولونه فيما بينهم حرصاً على اقتناص ما تضمنه من شتى الفوائد .

قصة طبع هذا الديوان

فكان من حسن حظه وطالع سعده أن دخلت نسخة مخطوطة بحيازة رئيس الهيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحجاز ، سماحة الشيخ عبد الملك ابن إبراهيم .

وسماحته قام بإهدائها إلى حضرة صاحب السمو والعظمة الشيخ على بن عبد الله آل ثانى حاكم قطر المعظم ، وسموه قدم النسخة إلى سماحة الشيخ محمد بن عبد العزيز ابن مانع لأخذ رأيه فى الطبع والنشر وجعله وقفاً لله تعالى للمسلمين عامة فتصفحه سماحته واستحسن نشره فعرض هذا الرأى على صاحب السمو والعظمة فما إن علم سموه على استحسان سماحة الشيخ محمد بن مانع حتى كانت من سموه لفتة كريمة بتنفيذ هذه الرغبة فأصدر أمره الكريم بطبع هذا الديوان ونشره فيما بين المسلمين حسبة لله تعالى .

نسأل الله الكريم أن يزيد توفيق آل ثانى الأبرار ويبارك لهم فى أعمارهم ويجعلهم هداة مهديين وأن يملأ قلوبهم أمنا وإيمانا وإسلاما وإحسانا وأن يدفع عنهم كل مكروه إنه سبحانه خير مأمول وأعظم مسئول وصلى الله وسلم وبارك على خير الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هدايته إلى يوم الدين .

ترجمة صاحب الديوان

مقتبسة من نشر العرف ـ البدر الطالع ـ نفحات العنبر ـ طيب السمر ـ سلافة العصر .

اسمه : السيد محمد الأمير

اسم والده : إسماعيل الأمير

تاريخ ميلاده : ولد ليلة الجمعة فى منتصف شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩ﻫ تسع وتسعين بعد الألف من الهجرة النبوية .

محل ميلاده : ولد فى مدينة كحلان باليمن .

نشأته العلمية

أخذ فى مبادىء القراءة والكتابة بمدينة كحلان محل ولادته وشرع فى استظهار القرآن وحفظ منه قسما .

حياته الأولى فى صنعاء : ولما بلغ الحادية عشرة سنة من عمره ، انتقل مع والده إلى صنعاء سنة ١١١٠ ﻫ فأتم فيها حفظ القرآن الكريم .

شيوخه فى اليمن

أخذ عن والده النحو ، والبيان ، والفقه ، وعلوم الدين .

ومن شيوخه : السيد صلاح بن حسين الكحلانى ، والمولى زيد بن محمد ابن الحسن بن قاسم ، ولازم الأخير يوميا حتى فرق بينهما موت الشيخ ، والقاضى على بن محمد العنسى الصنعانى ، والسيد هاشم بن الشامى ، والسيد صلاح بن الحسين الأخفش ، والسيد عبد الله بن على الوزير الصنعانى ، والشيخ عبد القادر بن المزين المزجاجى الزبيدى .

وفى سنة ١١٢٨ ﻫ توجه إلى مدينة كحلان للقراءة على السيد صلاح بن حسين الكحلانى .

حجته الأولى

وحج أول مرة سنة ١١٢٢ ﻫ .

شيوخه بالمدينة

وفى هذه الحجة اجتمع بخطيب الحرم النبوى الشيخ عبد الرحمن بن الخطيب ابن أبى الغيث وبالشيخ طاهر بن إبراهيم بن حسن الكردى المدنى وأخذ عنهما حظاً وافراً من العلم .

حجته الثانية وبدا إنتاجه العلمى

وفى سنة ١١٣٢ هـ حج حجته الثانية واجتمع فى المدينة هذه المرة بالشيخ أبى الحسن بن عبد الهادى السندى ، وجرت بينهما مباحثات ومراسلات علمية وألف بسببهما رسالة سماها « الأنفاس الرحمانية على الإفاضة المدنية » فيما يتعلق بأفعال العباد .

حجته الثالثة وشيوخه بالحجاز

ولما كانت سنة ١١٣٤ هـ حج الحجة الثالثة واجتمع فى الحجاز بالعلامة الأشبولى والسيد عبد الرحمن بن أسلم وغيرهما وأخذ عنهما العلم .

وقرأ على العلامة محمد بن أحمد الأسدى (شرح عمدة الأحكام) لابن دقيق العيد وشرع فى تأليف حاشية على الشرح المذكور وسماها (العدة على شرح العمدة)

وقرأ على الشيخ المقرئ الحسن بن الحسين شاجور ، والشيخ سالم بن عبد الله ابن سالم البصرى .

ثم رجع إلى صنعاء . وباشر فيها إحياء السنن واستمر على التدريس فى علوم الدين .

عزوفه عن المناصب والوظائف :

وفى سنة ١١٣٦ هـ ، زار مسقط رأسه (كحلان) ورجع منها إلى صنعاء . وعرض عليه حاكم اليمن « المتوكل القاسم بن الحسين » ولاية القضاء فى ثغر (المخا) فامتنع ، ثم عرض عليه الوزارة ، فامتنع ، ثم القضاء العام ، فامتنع من قبول ذلك كله واستقر — على عادته — فى التدريس .

بلوغه الصدارة فى العلم :

حاز السيد محمد الأمير ثقة أئمة العصر ، ببلوغه فى شتى أنواع العلوم ، فأخذ يدرس فى صنعاء المؤلفات النافعة مثل كتاب « ضوء النهار » ويحضره الجم الغفير وفى أثناء قراءته للكتاب المذكور ألف عليه حاشية أسماها « منحة الغفار على ضوء النهار » فى مجلدين ضخمين .

حجته الرابعة

وفى سنة ١١٣٩ هـ رحل من صنعاء إلى الحجاز بسبب فتن ووشايات دبرها الحساد ضده وما ذلك إلا لأنه قام بنشر علوم السنة النبوية الصحيحة من غير تقليد . فوصل إلى مكة وأدى الحج ، فاجتمع بالمحققين من علماء الحجاز .

رحلته إلى شهارة

وفى سنة ١١٤٢ هـ بلغه أن الإمامة تمت لأصدقائه آل إسحاق وأن المنصور الحسين بن المتوكل بايع لهم ، عاد إلى اليمن فاجتمع بمن استقرت الإمامة له وهو الإمام الناصر محمد بن إسحاق فى شبام ورحل منها إلى شهارة فتلقاه فيها الإمام الحسن بن القاسم بن المؤيد محمد بن القاسم بالإجلال والإكرام ، ولازم التدريس والفتوى وتتلمذ عليه هنالك ناصر بن حسين المحبشى وأخوه إبراهيم ابن الحسين والفقيه أحمد بن يحيى الشامى والسيد أحمد بن الحسن وغيرهم . وفى شهارة ألف كتابه « التنوير شرح الجامع الصغير »

حياته الثانية فى صنعاء ووظائفه وإصلاحاته

وفى سنة ١١٤٨ هـ عاد البدر إلى صنعاء وعكف على التدريس والتأليف والإرشاد وعرض عليه الإمام المنصور بعض المناصب فامتنع عن الدخول فيها ،

وفى سنة ١١٦١ هـ ولاه المهدى العباس أوقاف صنعاء وبلادها فباشر أعمال الوقف بصدق وأمانة وعفاف ثم استقال منها ١١٦٢ هـ ، بحجة أن هذه الوظيفة عقوبة من الله على ذنب أسلفه يعلمه بعينه ، وأوصى بمبالغ ذكرها من تركته لفقراء بنى هاشم تورعا عن الوقف .

وقد قام فى هذه الحقبة بإصلاحات دينية ترتب عليها صلاح المجتمع ، وذلك بتحريضه للإمام المهدى العباس على إرسال معلمين للصلاة إلى جميع القرى والمدن المنعزلة والبوادى ولإزالة المنكرات فى المعتقدات الوثنية كالاعتقاد فى بعض الأشجار والأحجار والقباب ، فاستجاب المهدى لهذه الرغيبة ، فأزال تلك الأصنام والأوثان واستولى عمال المهدى على تلك الأموال الضخمة التى كانت مرصدة لتلك الأصنام التى تبلغ خمسين ألف ريال وأرسلت إلى صنعاء هى وأحد هذه الأصنام الذى كان فى صورة أنثى ، فأمر السيد محمد بكسر الصنم وديس بالنعال . وبالجملة فإصلاحاته كثيرة تضيق عنها هذه المقدمة .

مؤلفاته (مرتبة على حروف الهجاء) :

إجابة السائل . شرح بغية الآمل بمنظومة الكافل . وهو فى مجلد واحد على منظومة فى أصول الفقه .

الإحراز لما فى أساس البلاغة للزمخشرى من كناية ومجاز ألفه فى مكة فى مجلد لطيف .

الإدراك لضعف أدلة تحريم التنباك .

إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد .

استيفاء المقال فى حقيقة الإرسال .

الأنفاس الرحمانية على الإفاضة المدنية ، وهو جواب رسالة للشيخ أبى الحسن السندى المدنى فيما يتعلق بخلق أفعال العباد .

الأنوار : شرح (إيثار الحق على الخلق) للسيد محمد بن إبراهيم الوزير ، لم يكمل .

إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة : شرح به حديث « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه » رجح فيه أدلة الكتاب والسنة ؛ في مجلد .

بشرى الكئيب بلقاء الحبيب : منظومة وشرحها ـ في المعاد .

التحبير شرح (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) في مجلدين ، ولم يكمل .

التنوير شرح الجامع الصغير : في أربع مجلدات ألفه في شهارة قبل اطلاعه على شرح المناوي ، وجعله أولا كالحاشية لا يستوفي فيه المتن .

توضيح الأفكار على تنقيح الأنظار . في علوم الحديث والآثار في مجلدين نبه فيه على بدائع وحقق شروط أئمة الحديث ، وقد طبع في القاهرة من مدة عشر سنوات تقريباً .

ثمرات النظر في علم الأثر :

جمع الشتيت بشرح أبيات التثبيت للسيوطي ، تكلم فيه على عالم البرزخ والمعاد في مجلد . وضم إليه منظومته (بشرى الكئيب بلقاء الحبيب) وشرحها .

حاشية على البحر الزخار . وهي قولات جامعة من كتاب الطهارة إلى الزكاة .

حاشية على شرح الرضي على الكافية : كان يؤلفها أثناء تلقيه دروس العلم على شيخه السيد عبد الله بن الوزير وكان يعرض ما كتبه عليه فيعجبه جدا وقد بلغت هذه الحاشية إلى بحث المنادى ثم انقطعت لانقطاع الدرس .

الدراية شرح الغاية في أصول الفقه : لما قرأ على شيخه كتاب « هداية العقول شرح غاية السول » وكان شيخه ينظم درس كل يوم في المتن نظماً حلوا

جامعاً لفوائد الأصل مع سهولة وانسجام وسماه (العناية) والسيد محمد الأمير يشرحه . ولما وقف شيخه على الشرح سماه (الدراية) وقد بلغا فى نظم المتن وشرحه إلى بحث الإجماع ، وعاقت العوائق عن الإكمال بانقطاع القراءة .

ديوان شعره : جمعه ابنه السيد عبد الله بن محمد الأمير ، ورتبه على الحروف ، وهو أكثر من ٤٠٠ صفحة .

رسالة فى الرسالة . جواب سؤال : هل التحدى بالقرآن مستمر ، أم يرتفع إذا اختلف اللسان الخ ؟

رسالة فى المفاضلة بين الصحاح والقاموس . أبان فيها أن الصحاح والقاموس يشتركان فى الجمع بين الحقيقة والمجاز .

رسالة نفيسة ألفها للمهدى العباس فى وجوب إزالة أصنام الهند (البانيان) كانوا يعلنون شعائر عباداتهم فى ثغر المخا .

الروضة الندية : شرح التحفة العلوية ، فى مجلد .

سبل السلام شرح بلوغ المرام : اختصره من شرح شيخه القاضى الحسين ابن محمد المغربى الصنعانى الموسوم بـ « البدر التمام » وأضاف فى سبل السلام فوائد خلا عنها « البدر التمام » وحذف ما لا يرى فائدة فيه من الأصل .

« السهم الصائب للقول الكاذب » ألفها فى شعبان سنة ١١٥٣ هـ رد بها على جماعة تسموا بالشيعة وقالوا : إن تدريس القرآن بالجامع من المنكر .

« السيف الباتر فى عين الصابر والشاكر » اختصره من (عدة الصابرين) لابن القيم . فى أن المسلم إن رزق شكر ، وإن ابتلى صبر .

العدة ، حاشية على شرح العمدة ، لابن دقيق العيد وكان شروعه فى تأليفه وهو بمكة ١١٣٤ هـ عند قراءته شرح ابن دقيق العيد على العلامة محمد بن أحمد الأسدى وأشار إلى ذلك فى خطبة الحاشية .

فتح الخالق : شرح ممادح رب الخلائق فى مجلدين . والأصل للسيد محمد ابن إبراهيم الوزير .

منحة الغفار على ضوء النهار شرح الأزهار . فى مجلدين ضخمين .

منسك فى الحج ومعه قصيدة له فى المناسك عدد أبياتها ٢٨٣ مطلعها :

أيا عذبات البان من أيمن الحمى رعى الله عيشا فى رباك قطعناه

نهاية التحرير فى الرد على قولهم : ليس فى مختلف فيه نكير أبان فيه أن هذا القول ليس على إطلاقه وأن مدار ذلك على ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

اليواقيت فى المواقيت . فى بيان أوقات الصلوات بما دلت عليه الأدلة . ألفه فى شهارة وله مساجلات شعرية بينه وبين والده وعلماء وقته ونصائح لحكام زمنه وأشراف مكة أعرضنا عن ذكرها خشية الإطالة .

وفاته

توفى صاحب الترجمة يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ١١٨٢ هـ عن ثلاث وثمانين سنة من مولده ، ودفن بالحوطة التى فى الجنوب الغربى من منارة مسجد المدرسة المنسوبة للإمام شرف الدين بأعلى صنعاء .

رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة على إقامته للسنة المحمدية ونصره لها ، وأعلى درجاته فى الصالحين مع الأنبياء والمرسلين وصلى الله وسلم على سيد الخلق محمد وآله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

علي صبيح المدني



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد من أحكم نظام العالم بحكمته . وأقام دلائل وجوده ببديع صنعته . وأطلع بمخلوقاته شموس وحدانيته ، فى سماء معرفته ، فنطقت الموجودات بالإقرار بربوبيته ، وتجاهل العارف إذ لم ينزهه عن المشاكل فى ألوهيته ، فخاب وخسر إذ بنى على الشك مع اليقين فى عقيدته ، المنزه عن المماثل والمشارك فى مملكته ، المتفرد بالتصرف فى الوجود بإرادته ، على طويل إفضاله وكامل نعمته ووافر إحسانه وبسيط منته .

وأشهد أن لا إله إلا الله الذى جلّ عن التشبيه بالأجسام .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله واسطة عقد النظام . صلى الله عليه وسلم فى كل آن من الزمان ، وعلى آله الذين أعان بمدحهم القرآن ، وجعل محبتهم من فروض الأعيان ، ورضى الله عن أصحابه المتحلين بحلية الإيمان ، من ألبسهم الله فى كتابه حلة الرضوان .

أما بعد: فإنى أردت فى هذه الأوراق ، أن أجمع ما رق من الأشعار وراق ، وكان له فى سوق الأدب نفاق وأى نفاق ، إذ هو من درر أصداف البحر الدفاق ، والبدر الساطع نوره فى الآفاق ، وبقية المجتهدين على الإطلاق ، شيخ الإسلام والمسلمين وناصر سنة سيد المرسلين ، محيي مآثر الشريعة المحمدية ، ومقوم معوج الملة الحنفية مجدد المائة الثانية بعد الألف على التحقيق ، والقائم فى نصر الحق على قدم الصدق والتصديق[1] .

ماذا يقول الواصفــون له وصفاته جلت عن الحصر

---

(١) هذه الأبيات مدح بها شيخ الإسلام ابن تيمية ، فلتراجع فى ترجمته .

هو حجة لله قاهـرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية فى الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

العلامة العَلَم الشهير، و بدر العلوم المنير، محمد بن إسماعيل الأمير قدس الله روحه الطاهرة فى أعلى عليين، ورفع درجته مع النبيين والصديقين، ورضى عنه وأرضاه، وجعل فى جنة الفردوس مأواه.

فجمعت من بعض فضائله التى لا تحصى، وفوائده التى لا تستقصى، ما قاله من النظام، وما حرره من رقيق الكلام، إذ هو فى باب الأدب السحر الحلال، وفى بلاغته فى أعلى درجات الكمال لاشتماله على فنون جمة وفوائد من العلوم مهمة، فيشتاق إليه الأديب ليكسو ذهنه حلل معانيه المخترعة، والعالم ليرد بحر فوائده المتنوعة، فهو روضة الآداب والعلوم، وسقط زند القريض وجلاء الفهوم، مجمع بحار المعانى، ونهاية سلالة الألفاظ والمبانى:

هذا هو السحر الحلال فبينوا مع فعله هـذا أدلة حـله
إن كان حِلاًّ فالمدام أجل مِنْ قطر الغمام لشاربيــه ووبْله

وكنت فى هذا الجمع السالم أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، علماً منى بأن غيرى لمثل هذا الشأن أولى وأحرى، إذ أنا عار عن حلة ما يحتاج إليه من معرفة القوافى فى الترتيب فإن وقع خلل فيعذر الناظر فليس منى بعجيب:

تعجبين من سَـقَمِى صحـتى هى العجب

وقد بالغت فى جمعه من متفرق الأوراق، ولم آل جهدا فى استقصائه بحسب الإمكان والاتفاق، ورتبته على حروف المعجم ليكون أسهل للطالب، وأقرب تناولاً لنيل المآرب.

وكنت قد عرضت أوائل ما جمعته عليه، وألقيت زمام الإقـــدام والإحجام إليه.

فاستمنى أوائل الجموع ، وقطع عنى علائق النوع ورحل إلى دار السلام، قبل التمام ، رفعه الله تعالى فى أعلى مقام ، وبسط على سحائب الإنعام .

* * *

قافية الهمزة

قال قدس الله روحه فى منح بارى البرية وضمنها من شعر أبى الطيب المتنبى

القلب أعلم يا عذول بدائه	ما غير داء الذنب من أدوائه
والذنب أولى ما بكاه أخو التقى	وأحق منك بجفنه وبمائه
فوَمَنْ أحب لأعصيَنّ عواذلى	قسماً به فى أرضه وسمائه
من ذا يلوم أخا الذنوب إذا بكى	إن الملامة فيه من أعدائه
فوَحقِّ من خاف الفؤادُ وعيدَه	ورجا مثوبته وحسن جزائه
ما كنتُ ممن يرتضى حسنَ الثنا	ببديع نظمى فى مديح سوائه
من ذا الذى بسط البسيطة للورى	فرشا وتوّجها بسقف سمائه
من ذا الذى جعل النجوم ثواقباً	يهدى بها السارين فى ظلمائه
من ذا أتى بالشمس فى أفق السما	تجرى بتقدير على أرجائه
أسواه سوّاها ضياء نافعا	لا والذى رفع السما ببنائه
من أطلع القمر المنير إذا دجى	ليلٌ فشابه صبحه بضيائه
من طوّل الأيامَ عند مصيفها	وأتت قصاراً عند فصل شتائه
من ذا الذى خلق الخلائق كلها	وكفى الجميع ببرّه وعطائه
وأدرّ للطفل الرضيع معاشه	من أمه يمتص طيب غذائه
ياويح من يعصى الإله وقد رأى	إحسانه بنواله ونمائه
ورأى مساكن من عصى ممن خلا	خربت تصيح البوم فى أرجائه

ودع الجبابرة الأكاسرة الألى ... وانظر لمن شاهدت فى علوائه

كم شاهدت عيناك من ملك غدا ... يختال بين جيوشه ولوائه

ملأت له الدنيا كؤوسا حلوة ... وسقته مُرّ السم فى حلوائه

ما طالق الدنيا اختياراً إنما ... هى طلقته ومتعته بدائه

جعلت له الأكفان كسوة عدة ... واللحد سكناه وبيت بلائه

ويضمه لا مشفقا فى ضمه ... حتى تكون حشاه فى أحشائه

وهناك يملق لحده عن أهله ... بحجاره وبطينه وبنائه

ويزوره الملكان قصد سؤاله ... عن دينه لا عن سؤال سوائه

فإذا أجاب بما يطيب لحبذا ... ما بعده من رَوْحه وجزائه

وإذا أجاب بـ «لستُ» أدرى أقبلا ... ضرباً له فى وجهه وقفائه

ويرى منازله بقعر جهنم ... ويُقيم فى ضيق لطول عنائه

يارب ثبتنا بقول ثابت ... عند امتحان العبد تحت ثرائه

أنا مؤمن بالله ثم برسله ... وبكُتْبه وبعثه ولقائه

ثم الصلاة على الرسول محمد ... والآل أهل البيت أهل كسائه

* * *

وقال رضى الله عنه :

أسواك إن حلت بنا الأواء ... يُدْعَى لها إنا إذاً جهلاء

ندعوه فى غسق الدجى ولم يكن ... عن علمه فيما نقول خفاء

لكن تَعَبَّدَ بالدعاء عباده ... وأحبهم فيما أتى الدعاء

يبكى الموفق حين يدعو ربه ... شوقا له ومن السرور بكاء

وتسير من أفواهنا نحو السما ... ومسيرها فى الليل وهى ذكاء

هل غير حضرتك الرفيعة مقصد ... هل من سواها يطلب استجداء

وَسِعت عطاياك الخلائق كلها ... فالناس فيها فى يديك سواء

أوجدتهم فضلا وجُدْتَ عليهمُ ... وأنلتهم ما شئت مما شاءوا

فالكل يعجز عن ثنا ما ناله ... بل شكرهم فيه لك النعماء

يثنى بجارحة وأنت وهبتها ... وعبارة هى من لديك عطاء

لولاك ما نطق اللسان بلفظة ... ولكان أفصحنا هم البكماء

خوّلتهم نعما فقدرها كما ... قد قلت يحصر دونها الإحصاء

من ذا سواك أدرَّ كل سحابة ... بالماء فهى سحابة وطفاء

نسجت حواشيها الرياح فأصبحت ... فى الجو وهى على الثراء كساء

وحدا بها حادى الرُّعُودِ وساقها ... برقٌ فهذا النار وهى الماء

وتألف الضدين قدرة قادر ... إعدامه سِيَّانِ والإنشاء

وترى الثرى لم تبق فيه غبرة ... قد عاد وهى الروضة الغناء

بينا تراه هامداً متخشعاً ... ميتاً أتاه بالحياة حياء

فأعاده حيًّا وروضاً ناضراً ... وعليه تنسج حلة خضراء

يأتى بأرزاق العباد عجائباً ... شتّى هما صنفان فيه سواء

متخالفات خلقةً وطبيعةً ... والطعم مُرٌّ حامض حلواء

قل للطبيعى الجهول عَلامَ ذا ... والترب أصل جميعها والماء

وكذاك ابْنا آدمٍ هذا أنثى ... ذكراً وذا أنثى وذا خنثاء

فالكل مختلف كذاك صفاتهم ... فيهم غدا الشوهاء والحسناء

مثل اللغات يكون فيهم ألثغ ... ومُفَوَّهٌ خضعت له البلغاء

والكل من ماء مَهِين صُوِّروا ... فى باطن الأرحام كيف يشاء

هذا الدليل بأن ربك واحد ... يختار لا قسرٌ ولا إلجاء

فله الثنا والحمد منا دائماً ... يأتى به الإصباح والإمساء

وعلى الرسول صلاته وسلامه ... والآل ما ضم الجميعَ كساء

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله :

إلهيـــة

يارجائى وهـل سواك رجائى أنت سؤلى فى شدتى ورخائى

كل من فى الوجود يرجوك ممن حل فى الأرض أوعلا فى السماء

كيف أرجو سواك وهو نظيرى يترجى منى ومن سـوائى

كيف أدعو عنـد الشدائد مثلى إن مثلى يدعوك مثل دعائى

كلنا عالة على الملك الجبـا ر ذى المجد صاحب الـكبرياء

بل جميع الأشيـاء ملك لربى لم يخصص شىء من الأشياء

كل من فى الوجود عبد ولوفا د جميـع الأنام تحت اللواء

وله الناس والبلاد وما يسر ح بين الخضراء والغـبراء

وتناهى فى كل ما يتنـاهى فإلى الله غاية الانتهـاء

انتهى هـذه الحيـاة وإلا فالذى بعده من الأنبـاء

كل هول من برزخ وسؤال ونشور من بعـده وجزاء

خاف نوح وآدم وجميع الرسـ ل إلا محمداً ذا اللواء(١)

ومقام يهابه كل من فيـــــ ه من الأتقيــــاء والأنبياء

فإليه انتهى الخـلائق لما طالبوا فى الشفاعة العظماء

فأتى ربه وخـــر لديه ساجداً إذ أتى شريف النداء

ارفع الرأس ثم قل يسمع القو ل تشفع ياسيد الشفعـاء

وقال إلى ولده إبراهيم يوماً :

ولا تحسبن أنى أرى لى مزية على الناس فيهـا رفعة وثناء

فما أنا إلا نبتة حـل لبنة بحر ظلام ليس فيه ضياء

---

(١) هو نظير قول الشاعر :

إذا خاف الخليل وخاف موسى وآدم والمسيح وخاف نوح

ولم يتشفعوا للخلق خوفا فمالى لاأخاف ولا أنوح

وله رحمه الله مجيبا على ولده إبراهيم وناصحاً له

أشير وإن كنت لاتقبلا مقالى وشورى بأن تُقبلاَ
على طلب العلم فى رغبــــة بلا ملل لتسود المــلا
بحفظ المتون وجمع الفنون وإلقــــاء دَلْوك بين الدلا[1]
فما بالتمنى تنـــــال المنى ولا بالترجى تنــال العلا
ومن يزدرع فى سباخ المنى بـ «عَلَّ» سيحصد كلا ولا
أراك حويت الذكا كله فمن أفقه أنت فينا ذُكَاَ
ولـكنه ليس يجـدى الذكا أرى السيف فى الغمد لن يقتلا
ومن يربط الصافنات الجيا د فما النفع فيهـا بأن تصهلا
ولـكن بأن يعتلى ظهرها ويغزى عليها ببطن الفــلا
يصبح قوماً على غـــرة وقوماً يبـــاشرهم فى الملا
يحوط الدمار ويخلى الديا ر ويسبى ذراريهم والنـــا
ولا الرمح ينفـــع أربابه إذا لم يرى فى بطون الـكلا
فخض فى الفنون وجل فى المتو ن وكن رجلا رِجْلُه فى الثرى
وخلِّ الأمانى لأربابهـــــا فإن المنى رأس مالى الهبا
ومن زوج العجز أم المنى فلا شك تنتج ابن البلا
كثير الـكلام طويل المنا م شديد الخصام عدو العلا
خلوف الوعود نقوض العهو د كذوب اللسان عديم الوفا
كثير العناد جبـــان الفؤا د عريض الوساد عريض القفا
أعيذك بالله من وصفـــه وصانك مولاه عمـــا ترى

---

(١) نظيره .

وما طلب المعالى بالتمنى ولـكن ألق دلوك فى الدلاء

وقد كنت أرجوك طفلا بأن تسود الأنام وكل الورى
وقال الضيا جدك المعتلى بهمته فوق أفق السها
أبونا الذى نحن أبناؤه كفى الفخر أنك ابن الضيا
إمام العلوم مع رغبــة وزهد به فاق أهل الدنا
ولا يبلغ النظم أوصافه وهل يحصر النظم عد الحصا
يبشرنى بك فى نظامــه فياحبذا حبذا حبــذا
نظام أتانى بكل المنى روانى بقرة عين الهــدى
تفاءل فيه بما يرتجيــه وأثنى على الله كل الثنا
وكان الجواب عليه بما تراه سقى تربه بالرضا
فخذها وكن عارفا قدرها وجاوز أباك بكل الدعا
وقد كنت حافظها برهة أقول عسى ابنى عسى ابنى عسى
تصنها ولو فى سواد العيو ن وإياك تنبذها بالعرا
وقد نلت بعض الذى يرتجى وأرجو تنال جميع الرجا
فشمر فقــد نلت ما ترتجى وزد فى صعود مراقى العلا
وأشركنى فى النظام البديــع ومالى ياولدى والأسا
وماذا الذى نالنى منهم أما ألبسونى ثوب الجذا
غداً ستراني عند الإلــه وعند الرسول أنال المنى[1]
وتعلم أن الذى نالنى من الحبس أحسن مايقتنى
من الناس قد حجبوا طلعتى وماذا الذى يشتهى فى اللقا
فما القيل والقال مطلوبنا فهذا الذى عندهم لا سوى
وقل لى مانال من يتصل بهم غير أنواع كل البلا

---

(١) هذا الجزم ، فيه نظر فمذهب أهل السنة أنه لايجزم لأحد بالجنة ولا بالنار إلا ما أخبر به الرسول (ص) والناظم جزم لنفسه بالنجاة .

سباب الأنام وطول الملا م وحل الكلام إلى ذا وذا
فمن يعتزل يغتنم راحة وروحاً ويسلم من قد قلا
ويخلو بمولاه رب الأنا م وخالقهم وجزيل العطا
يجالس أعيان صحب الرسو ل وأعيان أعلام هذا الورى
أناس هم الناس لا غيرهم وقد نزلوا في بطون الثرى
ولكن أتى كل سفر بهم فأسفر عنهم فخذ ما ترى
ترى عالما فاضلا عادلا وملكا عظيما حوى ما حوى
وتلقى وزيراً حوى بسطة وتلقى فقيراً عظيم التقى
فما العيش إلا اعتزال الورى فيا حسرتا لزمان خلا
إلهي أقل عثرتي واغتفر وقل لي عفا الله عما مضى

☆ ☆ ☆

وله ــ رضي الله عنه

أحب الحديث وأهل الحديـ ـث وإن كنت منهم بعيد المدا
وأنشره في الورى طاقتي إذا ما وجدت له ملتقى
وقصدي إبلاغ ما جاءني من البينات لهم والهدى
وقصد الصلاة على المصطفى والآل والصحب بذل الدعا

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله : أنشد الذهبي لابن حزم في ترجمته له في النبلا :

أشهد الله والملائك أني لا أرى الرأي والمقاييس دينا
حاش لله أن أقول سوى ما جاء في النص والهدى تبيينا

☆ ☆ ☆

قال الذهبي : فقلت مجيباً عليه :

لو سلمتم من العموم الذي تم لم قطعا تخصيصه ويقينا
وترهتم فكم قد يبستم لرأينا لكم شفوفاً مبينا

قال مولانا البدر : فقلت أنا

ما أنصف الذهبي فيما قاله ... كم من عموم خصصوا فيما أتى
وانظر إلى كتب ابن حزم تلقه ... ما مال عن سنن الهدى ولا أبى

* * *

وقال رحمه الله – وقد اطلع على كراسة فيها من شعر ولده إبراهيم في مدح رب الأرباب :

صدقت فمدح الله أشرف ما يتلى ... وأسماؤه الحسنى أفضل ما يعلى
فليس سواه للمحامد موضع ... وليس سواه عنده البذل والإعطا
وليس سواه يملك الأمر كله ... له ملك هذى الدار والنشأة الأخرى
فقف قارعاً باب الرجا بأنامل الد ... عاء فربى سامع للذى يدعا
ينيلك ما ترجوه من أى مطلب ... فسل ما تشامن مطلب الدين والدنيا
فكم من هبات للعباد جزيلة ... خزاينه تبقى وما عندنا يفنى
فسله وقل يا رب ثبت قلوبنا ... على الصدق والإخلاص والبر والتقوى
وسامح مسيئاً طال فى سفر الهوى ... سراه وأضحى فى سراه كما أمسى
ولم ينهه شيب بفوديه قد غدا ... ولم ينهه ضعف تضاعف فى الأعضا
فما أنا عن ذنبى العظيم بتائب ... ولا شاكر شكراً على نعمة تترى
أتوب ولكن أنقض العزم بعدها ... وأندم فى نقضى وأطمع فى أخرى
وما زال ذا دأبى ولم أدر ما الذى ... يكون إذا وافى الرحيل إلى الأخرى
أسير أسيراً للذنوب وحملها ... ومن دونها أحد ولبنان مع رضوى

* * *

وله رحمه الله فى عصر من حفظ القرآن فى عصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم

ومن حفظ القرآن فى عهد أحمد ... فأربعة قال البخارى لا سوى
معاذ أبىٌ وابن مسعود ثالث ... وسالم المولى فخذ عنه ما روى

وقد زيد زيد ثم قال وعمه   أبو زيد المعروف عند أولى النهى

* * *

وله فى الرجا والخوف وأودعه حاشية الإيثار المسماة بالأنوار ولم يكملها

لولا الرجا ما انتهضت إرادة   للدين والدنيا وأعمـــال التقى

لولا رجا الإنسان أجر فعله   ما قام يوماً للصـــلاة أو مشى

أيضاً ولا حج ولا صام ولا   أعطى زكاة ماله ولا نوى

فإنه يأتى بهـــــذا راجياً   من ربه مثوبة كما أتى

وأن يفوز فى غد بعفوه   يسلكه فى سلك أرباب التقى

وطامعاً فيما مشى من الخطا   تكفيرها لمـا أتى من الخطا

ولا رأيت تاجراً مسافراً   أو غازياً مجاهداً من اعتدى

ولا رأيت فى الفلاة حارثاً   يدفن بذر ماله بطن الثرى

فإن هـذا كله أساسه   هو الرجا فهو أساس للبقـــا

وكل رجوى فى الذى يطلبه   لا ترتجى من غير خَلَّاقِ الورى

فكيف لا ترجوه فى غفرانه   لمـا جَنَيْتَ من قبائح الجنـا

فإنه ذو رحمـــة واسعة   صَرَّحَ به فى كُتْبِهِ بلا مِرَا

وهو غفور غافر غفار مـــا   يأتى به العبد إذا العبد عصى

فكن لمولاك تعالى راجياً   فى كل ما شئت شديد الالتجا

واحذر وخف فإنه سبحانه   عاق كل ما تشا بمــــا يشا

وقيد الغفران للذنب بهـــــا   فى آيتين قد أتتك فى النِّسا[1]

فكلما ترجوه فى الدارين لا   تخليه من خوف فوات المرتجى

فلا أمان فى الذى تطلبه   مهما بقيت فى منازل الفنـــا

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

ففى الخيارات يرجى ربحها	والخوف بالخسران نار فى الحشا
ومرتجى الزرع له مخـافة	من آفة تطرقه من السما
فلا أمـان لا أمان للفتى	بل أنت راج خائف طول المدى
ولست تخلو عنهما فى لحظة	بل من رجا خاف ومن خاف رجا
ممتزجان فطرة وشرعة	فى كل قلب من على الأرض مشى
والذكر مملوء بهـذا كله	ومثله فى كلمـات المصطفى
أن الأمـان ذقه وجله	يخص قوماً نزلوا دار البقا
فإنهـا دار الأمان لا سوى	به تحييهم أمـلاك العلا
فاعجب لمن رأى الرجا لا يرتجى	من ربنا للعفو عما قد جرى
وهو عليه دائمـاً معتمد	فى الدين والدنيا وفى شرب الدوا
يارب إنى أرتجى مغفـرة	تمسح بها عنى أدران الخطا
مصلياً على الذى أرشـدنا	ثم على أولاده أهل الكسا

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد إسحق رحمه الله أيام قراءته عليه وقد خرج إلى الروضة وأقام بها فى شهر رمضان فى أيام المتوكل لعلها سنة ١١٣٥هـ خمس وثلاثين ومائة وألف

أنا لا أشكو جنايات النوى	فبقلبى من نأى عنى ثوى
لم يفتنى منـه إلا منظر	هو للأحباب نور لا سوى

* * *

إنما يشكو النوى والبعاد من وداده مقصور على تواصل الأشباح ولا يتجرم من النوى إلا من لم تتعانق منه ومن أحبابه الأرواح

ما للنوى ذنب ومن أهوى معى	إن غاب عن إنسان عينى فهو فى قلبى

وأما ما قال فى طلبه لرؤية أحبابه

لِأَنْ أصبحت مُرْتَحِلاً بجسمى ... فقلبى عندكم أبداً مُقِيمُ

ولكن للعيان لطيفُ معنًى ... لذا سأل المعاينةَ الكليمُ

☆ ☆ ☆

فاستدلاله بطلب الكليم لرؤية العيان ، مبنى على أن طلب الرؤية لنفسه لا لقومه الذين توهموا أن ذلك داخل فى حيز الإمكان ، وذلك البناء رأى أشعرى لا يرتضيه من مال إلى الاعتزال ، واعتمد ما أفاده دليل المقابلة والموانع من كون ذلك فى حيز المحال ، فأقسم بمن حل وداده الفؤاد ، ونزل منه فى السويداء ، ومن العين فى السواد

إن لى من ذكركم ياجيرة ... سكنوا سُوحَ فؤادى لا اللِّوى

شغلة عن فقد قلبى وصلكم ... فكأن القرب والبعد سوى

فودادى ذلك الودُّ الذى ... منه يستجدِى أربابُ الهوى

☆ ☆ ☆

كيف لا ، وصفات مولاى التى هى نور لايهتدى إلا بها الكملا ، ولا يطمع فى الاقتباس منها إلا النجبا الفضلا .

لاعجيب فالذى فى مهجتى ... قد حوى من كل فضل ما حوى

فَرْعُ ساداتٍ نشا فى روضهم ... فاجتنى من كل فضل وارتوى

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله ، فى حصر مايلحق الميت بعد موته

يجرى لمن قد حل فى لحده (١) ... أجور عشر عدها المصطفى

الولد الصالح ، يدعو له ... وعلمه النافع بين الورى

أو صدقات قد جرت أو قضى ... مرابطاً أو مسجداً قد بنى

---

(١) قوله : لحده : أى قبره .

أو مسكناً لابن سبيل ومَنْ | لمصحف ورَّث أمّا سوى
وغرسه النخــــل وإجرائه | نهراً وبئرٌ حُفِرَتْ فى الثرى
وسنّةٌ أحْسَنَ فى بثّهـــا | فهذه عشر أتت لاسوى(1)

* * *

وله رحمه الله فى القول بالموجب ـ مع المراجعة البديعية

كم قطعوا قلبى بسيف الجفا | وكم رَمَوْهُ بسهام النوى
قالوا سلا ، قلت السكَرَى جفنُه | قالوا جَنَى قلت ثمر الهوى

* * *

قافية الباء الموحدة

وقال ـ تغشاه الله بواسع رحمته ـ وعظية فى شهر ربيع الآخر سنة ١١٧٣

خليليَّ هُبّا فالنسيمُ بكم هَبّــــا | وقد هتك الإصباحُ من ليلنا الحجبا
وأيقظ من زهر الرياض عيونَها | ورقّص من أغصانها تلكمُ القُضْبا
كأن عيونَ الزهر للشمس أكْؤُسٌ | ترى الطلَّ خمراً فهى تشرب به شُرْبا
كأن الدجى جيشٌ من الزنج قد أتى | على هذه الآفاق فابتزّها غصبا
فسار عليه الصبحُ فى جيش ضوئه | ومالَ عليه الفجرُ من أفقه عضبا
ألم ترفيه من دم الليل حُمْرةً | أتنكره واللونُ عنه به أنبا
وقد حمل الشمسَ المنيرةَ تُرْسَه | مخافةَ عودِ الليل فى ثأره حربا
فأدبر مهزوماً وللضوء صــولةٌ | تطارده حتى إذا بلغَ الغربا
فثار ظلامُ الليل وابتزّ تُرْسَه | فولّى هزيماً خائباً يلبس الجنبا

---

(1) لعله عد إجراء النهر وحفر البئر واحدة ، وإلا فهى إحدى عشر ا ه منه .

ومازال ذا دأب الجديدين دائماً　　　وقد أبنيا[1] من شاب منا ومن شبا

أرى كلنا يهوى الحياة لنفسه　　　حريصاً عليها مستهاماً بها صبا

وما هي إلا عارة بنت ساعة　　　كما يلتقي الهدب في الرقدة الهدبا

فتستلب الأرواح قدرة قادر　　　ومن بعده الأشباح تودعها التربا

ونحن جنود للظلام وللضيا　　　فمنا ترى من حربها الشيب والشهبا

صحبناها دهراً طويلا كأنما　　　قطعنا به أعوام أعمارنا وثبا

(ومن صحب الدنيا قليلا تقلبت　　　على عينه حتى يرى صدقها كذبا)

أرى هذه الدنيا تصيد أهلها　　　فكم نصبت فيهم حبائلها نصبا

وقد جعلت حب الغنى الجاه صقرها　　　وحب الثنا والمال قد جعلت كلبا

الى أن تراهم في حبائل مكرها　　　فتعرض عنهم كلما طلبت عتبا

وتسلب من أعطته منهم نعيمها　　　فيا دمع ما أجرى ويا قلب ما أشبا

وقد خدعتهم عند إسعادهم لها　　　كخدع قصير عند حيلته الزبا

أرى كلنا فيه بدال بضده　　　لها في بنيها كل آونة أنبا

فلا تثقن يوماً بشيء تناله　　　فما قريب قد رأيت لها سلبا

فكم لك من خل خلت عنه داره　　　ومن صاحب صاحت أحبته ندبا

وكم ملك ضاق الفضا بجيوشه　　　عياناً رأيناه وكنا له صحبا

أتاه الذي يهواه من كل مطلب　　　كما شاء لا طعناً يكون ولا ضربا

فما رامه من أي شيء يناله　　　فلو قال للسحب امطري أسكبت سكبا

بنى غرفاً مرفوعة ومنازلا　　　يكاد سمواً يرجم السبعة الشهبا

أقام بها في خفض عيش ورفعة　　　إذا ما دعا شيئا لدعوته لبى

ولما قضى من كل شيء مرامه　　　وزاد له حباً قضى عنده نحبا

---

(١) أبنيا : أفنيا .

وفارق ماقد شدَّ كرْهاً فأصبحت　　وكورٌ بأيور لايجدن بها الخَبْيا

فتمدوا حماصا منه تلتمس الغـذا　　وتأوى بطانا حيث تأتى به الحيما

تخر بها من كلِّ بهواه قائلا　　(فديناك من ربع وإن زدتنا كربا)

فيا عجباً هذا قصارى نعيمها　　فتبت يداه من نعيم بها تبّا

ويا عجبا يا عمرُو من غفلة بنا　　لقد مازجت قلبا وقد خالطت لُبّا

وقد ألبست هذى القلوب قساوةً　　وقد غُرِست فى كل جارحة ذنبا

وقد أذهلت عن كل مافيه نفعنا　　وقد جلبت ماضرّنا فيه فى العقبى

فما قَلْعُ هذا المرض إلا بتوبة　　محققة منا وتستغفر الربا

ونُلبس هذا القلب ثوبَ ندامة　　على ماأتانا من جناياته كسبا

وأسأله حُسْنَ الختام مقدِّما　　صلاة على المختار والآل ذى القربى

* * *

وقال رضى الله عنه : وصل إلينا جماعة من الأعراب الصالحين السائحين .

مثل الشيخ مريد بن أحمد التميمى رجل من نجد له معرفة حنبلى المذهب قد هاجر فى دمشق ثلاث سنين ومنهم السيد محمد العربى العياشى من أهل تلمسان مالكى المذهب له معرفة جيدة فى فقه المالكية ومنهم الشيخ أحمد بن صالح الرومى وهو حنفى وهؤلاء وغيرهم أقاموا لدينا وقرءوا علينا وكلهم قد ساح فى الآفاق من بلاد الهند والشام وبلاد حلب ومصر ومنهم الشيخ عمر التركى من حفاظ كتاب الله وأخبرونا بعجائب من البدع الدينية وطمس الطريقة النبوية أمورًا لاتتسع لها الصدور ومن جملة ذلك أن جماعة فى مصر يمشون عراة كاشفى عوراتهم بين الأمة ويعتقد فيهم عوام مصر ولا ينكر عليهم أحد كشف عوراتهم وهم طائفة كثيرة تلتمس العامة منهم الأدعية وذكروا عن كل أرض عجائب البدع التى تنتهى بصاحبها إلى الكفر .

فقلت هذه الأبيات إنكاراً للمنكر باللسان حسب الإمكان .

أما آن عما أنت فيه متاب　　وهل لك من بَعْدِ البعاد إياب

تقضّت بك الأعمار فى غير طاعة ... سوى عمل ترضاه وهو سراب
إذا لم يكن لله فعلك خالصاً ... فكل بناء قد بنيت خراب
فللعمل الإخلاصُ شرطٌ إذا أتى ... وقد وافقته سنّةٌ وكتاب
وقد صين عن كل ابتداع وكيف ذا ... وقد طبق الآفاق منه عباب
طغى الماء من بحر ابتداع على الورى ... ولم ينج منه مركب وركاب
وطوفان نوح كان فى الفلك أهله ... فنجاهمُ والكافرون تباب
فأنّى لنا فُلْكٌ ينجّى وليته ... يطير بنا عما نراه غراب
وأين إلى أين المطار وكلنا ... على ظهرها يأتيك عنه عجاب
نسائل مَنْ دار الأراضى سياحةً ... عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كلٌّ عن قبائح ما رأى ... وليس لأهليها يكون متاب
لأنهمُ عدّوا قبائحَ فعلهم ... محاسن يرجى عندهن ثواب
كقوم عُراة فى ذرى مصر ما علا ... على عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفى عوراتهم ... تواتر هذا لا يقال كذاب
يعدونهم فى مصرها فضلاءهم ... دعاؤهمُ فيما يرون مجاب
وفيها وفيها كلما لا تعده ... لسانٌ ولا يدنو إليه خطاب
وفى كل مصر مثلُ مصر وإنما ... لكل مسمى والجميع ذئاب
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت لها ... ذئاب وما عنه لهن ذهاب
فقد مزقته بعد كل ممزق ... فلم يبق منه جثة وإهاب
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى ... فهل بعد هذا الاغتراب إياب
فيا غربة هل يُرتجى منك أوبةٌ ... فيجبر من هذا البعاد مصاب
فلم يبق للراجى سلامةُ دينه ... سوى عزلة فيها الجليسُ كتاب
كتاب حوى كلَّ العلوم وكلُّ ما ... حواه من العلم الشريف صواب
فإن رمت تاريخاً رأيت عجائباً ... ترى آدماً إذ كان وهو تراب

ولاقيت هابيلا قتيل شقيقه — يواريه لما أن رآه غراب

وتنظر نوحاً وهو فى الفلك قد طغى — على الأرض من ماء السماء عباب

وإن شئت كل الأنبياء وقومهم — وما قال كل منهم وأجابوا

ترى كل ما تهوى فمن القوم مؤمن — وأكثرهم قد كذبوه وخابوا

وجنات عدن حورها ونعيمها — وناراً بها للمشركين عذاب

فتلك لأرباب التقاء وهذه — لكل شقى قد حواه عقاب

فإن ترد الوعظ الذى إن عقلته — فإن دموع العين عنه جواب

تجده وما تهواه من كل مشرب — فللروح منه مطعم وشراب

وإن رمت إبراز الأدلة فى الذى — تريد فما تدعو إليه تجاب

تدل على التوحيد فيه قواطع — بها قطعت للملحدين رقاب

وما مطلب إلا وفيه دليله — وليس عليه للذكى حجاب

وفيه الدوا من كل داء فثق به — فوالله ما عنه ينوب كتاب

وفى رقية الصحب اللديغ قضية — وقررها المختار حين أصابوا

ولكن سكان البسيطة أصبحوا — كأنهم عما حواه غضاب

فلا يطلبون الحق منه وإنما — يقولون من يتلوه فهو مثاب

وإن جاءهم فيه الدليل موافقاً — لما كان للآبا إليه ذهاب

رضوه وإلا قيل هذا مؤول — ويركب فى التأويل فيه صعاب

تراه أسيراً كل حبر يقوده — إلى مذهب قد قررته صحاب

أتعرض عنه عن رياض أريضة — وتعتاض جهلا بالرياض هضاب

يريك صراطاً مستقيماً وغيره — مفاوز جهل كلها وشعاب

تزيد على مر الجديدين جدة — فألفاظه مهما تلوت عذاب

وآياته فى كل حين طرية — وتبلغ أقصى العمر وهى كعاب

وفيه هدى للعالمين ورحمة — وفيه علوم جمة وثواب

فكل كلام غيره القشر لا سوى … وذا كله عند اللبيب لباب

دعوا كل قول غيره ما سوى الذى … أتى عن رسول الله فهو صواب[1]

وعضوا عليه بالنواجذ واصبروا … عليه ولو لم يبق فى الفم ناب

تروا كلما ترجون من كل مطلب … إذا كان فيكم همة وطلاب

أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم … تدرّ عليكم بالعلوم سحاب

وكم من ألوف فى المئين وكم بها … ألوفا تجد ما ضاق عنه حساب

وفى طىّ أثناء المثانى نفائس … يطيب لها نشر ويفتح باب

وكم من فصول فى المفصّل قد حوت … أصولا إليها للذكى مآب

وما كان فى عصر الرسول وصحبه … سواه لهدى العالمين كتاب

فلا فصلت لما أتاه مجادل … فأبلس حتى لا يكون جواب

أقر بأن القول فيه طلاوة … ويعلو ولا يعلو عليه خطاب

وأدبر عنه هائما فى ضلاله … يدبر ماذا فى الأنام يعاب

وقال وصىّ المصطفى ليس عندنا … سواه وإلا ما حواه قراب

وإلا الذى أعطاه فهما إلهه … بآياته فاسأل عساك تجاب

فما الفهم إلا من عطاياه لا سوى … بل الخير كل الخير منه يصاب

سليمان قد أعطاه فهما فناده … يجبك سريعا ما عليه حجاب[2]

وسل منه توفيقا ولطفا ورحمة … فذلك إلى حسن الختام مآب

☆ ☆ ☆

---

(١) وخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أعطيت مكان التوراة : السبع الطوال والمائة كل سورة بلغت مائة فصاعدا ، والمثانى كل سورة دون المائة فوق المفصل .

(٢) قال تعالى « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » منه :

وقال رضى الله عنه بمحروس جدة سنة ١١٣٥ هـ خمس وثلاثين ومائة وألف

آه ياقلبُ إلى كم ذا التَّصابى ... وإلى كم ذا التَّمادى والتَّغابى

لك فى كل صباح سكرةٌ ... من بد الآمال فى كأس السراب

ووساوس من الشيطان قد ... جمتها النفس جمهور الخطاب

كن معدياً وكن مخشوشنا ... لا تكن ظرف طعام وشراب[1]

راقت الدنيا لعينيك وما ... هى إلا جيفة بين كلاب

فاصحُ عن سكرك هذا وانتبه ... واقرع السمع بآيات الكتاب

واتله فى خلوة مع فكرة ... ساكبًا دمعا من خوف العذاب

واهجر النوم سوى تعريسة ... واقرع السنّ على عصر الشباب

وانفق الساعات فى العلم وكن ... آخذاً للعلم عن بحر عباب

سنة المختار فى تحصيلها ... قم بجد واجتهاد واكتساب

لا تقل قد درست آثارها ... فادرس الآثار تظفر بالصواب

صدق المختار فيا قوله ... كم خطا نبه عنه بالخطاب

قد بدا الإسلام فى غربته ... ولقد عاد بذاك الاغتراب

فلقد مات على غربته ... وقضى نحبا فجودوا بانتحاب

☆ ☆ ☆

---

(١) أخرج أبو الشيخ وابن حبان والطبرانى وابن شاهين وغيرهم مرفوعا « تمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا وأمعلوا وامشوا حفاة » من المقاصد الحسنة « منه ».

وقال رضي الله عنه لما تطاول معي عارض الإسهال وجاوز العام: بت ليلة الجمعة تاسع شهر ربيع الأول سنة ١١٧٣ هـ مهموماً فرأيت وقت السحر رجلاً من تلاميذي جاءني بكسوة عظيمة وقال: هذه من ناجي فانتبهت وقد اطمأن خاطري وقد جاءت أنها بشرى النجاة، فدعوت الله أن يعم النجاة في الثلاث الدور، دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الآخرة، وقلت:

بشرني بالنجاة يا ملكاً ... له الثنا من جميعنا يجب

يا صادق الوعد في بشارته ... والله ما حام حولها الكذب

عمم نجاتي مما أخاف بدنيـ ... ـاي ومما إليه أنقلب

من برزخ بعدها ومن فتن ... من بعده كلُّ شأنها عجب

بعث وحشر وموقف وبه ... صحف بها ما جنيت مكتتب

فعمّ في الدور بالنجاة وفي ... قبيح فعل تضمه الكتب

ولا تخص البشرى بعافية ... من وصب مشفي به النصب

بل عمّه في الجميع لا برحت ... سحائبُ الجود منك تنسكب

تغسل سقماً وتجتني نعما ... توزعنا شكرها وتحتسب

من شكرنا بدأنا الصلاة على المختار والآل من له نسبوا

* * *

وكتب - أسبل الله عليه سحائب الرضوان - إلى والده الزاهد العابد العلامة الفهامة القاضي الفاضل إسماعيل بن صلاح الأمير رحمه الله ملتمساً منه دعوة في شهر صفر سنة ١١٣٤ هـ أربع وثلاثين ومائة وألف.

عساه يرضى المغضب ... إن استقال المذنب

أم ليس لي من توبة ... يقبلها التوّاب

يا عجبا وكلما ... عشت يزيد العجب

من جيرة من حبهم　　قلب المعنّى يلهب
ما رُمتُ منهم مطلبا　　إلا وعــزّ المطلب
كم يبعدون كلمــا　　أريد منهم أقرب
وكلمـــا طالبتهم　　في الشرق يوماً غرّبوا
ناشدتهم في مهجتي　　رفقاً بها لا تذهب
فأرسلوا من الجفو　　ن أسهماً تنسكب
لولا تحولي في الهوى　　لكان فيها العطب
لكنه لم يبق فيّ　　ما يصيب الصيّب
يا برق زر سوح الحمى　　وسقّــه يا سحب
وأنت يا ريح الصبا　　إن صافحتك العذب
وابتسمت زهورها　　فيها ودار الشذب
فقبلي منه الثرى　　فذاك حقاً يجب
واهدي إليّ نشرها　　فهو الأريج الأطيب
عسى شذى برَوحه　　يذهب عني الوصب
فياله من منزل　　لثكــله يشيب
لبست أثواب الصبا　　فيه وهن قشب
وكنت في أيامه　　ألهو به وألعب
والآن كاد طيفه　　عن مقلتي يحتجب
لم يبق إلا طمع　　منه يغار أشعب
في أن أرى تلك الربى　　ترقص فيها القضب
من فوقها حمائم　　بكل لحن تطرب
تكاد تهتز لها　　وجداً هناك الكثب

والحبر في تصفيقه كأنه مشبب
ويح العذول قال لي في وصفه كم تطنب
فقلت من يعرفه أفقاده يتعجب
فقال مهلا كم فتى فارقه لا يندب
فقلت ما كل فتى من الرجال يحسب
قال ألم يجمعهم في الأصل أم أو أب
قلت بلى لكنه ليس يفيد النسب
فثم ومازن يجمع ذين يعرب
وذا سحاب واكف وذا جماد خشب
وليس مثل باقل سحبان حين يخطب
فذاك عي أبكم عن نفسه لا يعرب
وذا بليغ نحوه طوعاً تساق الخطب
ما كل سحب ماطر ما كل برق يسكب
ما كل بدر دجية ما كل نجم زينب
ما كل ماء كالعذيب كل حين يعذب
ما كل أرض طيبة ما كل مصر حلب
ما كل ما يعلو الشرا ب في الكؤوس حبب
ما كل شخص كالصبا وإن تساوى الحسب
قطب ولي زاهد تسمو إليه الرتب
يستنزل القطر به قوم إذا ما أجدبوا
وإن دعا المبتلى فهو الدوا المجرب
وفي العلوم شأوه لسنا إليه نذهب

بفطنة وفادة أخف لاتنسب
مع وقار كامل والله هـذا العجب
وشمره من رقة من الطروس يشرب
والزهد فى هذى الدنا الغـيره لاينسب
لقد تساوى عنـده ترابهـا والذهب
ومؤثراً خمـوله على ظهور يطلب
آثر خـدمة الذى إليه يدهى المطلب
على ملوك مالهم فى الدين إلا اللقب
فـلا تراه سائلا هل قعدوا أو ركبوا
ولا تراه شاكياً منهم إذا ما احتجبوا
لذاك وجهت إلى علياه ما لايكتب
من كلم أنقته من كل معنى يجلب
أطلب منه دعوةً بها تزال النُّوب
وأرتجى ممن إلى جنـابه ننقلب
يلحقنا به ومن رجاه لايخيب
قد قال ألحقنا بهم وقوله لا يكذب
ثم سلام نشرُه من كل نشر أطيب
من طيبه أرجاؤكم لابرحت تختضب

* * *

وله – رحمه الله – إلى المولى العلامة ، السيد ضياء الدين ، هاشم بن يحيى الشامي ، رحمه الله :

هل جرى مني لذا الهجر ذنوب   لا لعمري بل هو الحظ الكئيب
أم وشى واش بأمر مفترى   ليت شعري أنت للواشي تجيب
أم هي الأيام في أفعالها   إنما الواشي منها والرقيب
أم جرى مني ماعنى حقا   فعتاب الخل للخل يطيب
أم أرى طبعك حاشاك به   ملل عن غير شيء[1] يستريب
أين بشراك إذا لاقيتني   أين تفتيشك عني إذ أغيب
أين إطنابك إن خاطبتني   أين إدلالك قل لي ياحبيب
أين وجه باسم غيبته   لا لوجه ماله وجه قطوب
كن كما شئت فعهدي صادق   وودادي ثوبه ثوب قشيب
إن ذوى غصن ودادي عندكم   فودادي غصنه غصن رطيب
هب بأني مذنب ياسيدي   مثل ذنبي يسع الصدر الرحيب
إن أكن أذنبت في حبي لكم   فأنا والله عنه لا أتوب
ولقد أذهبت وعدي فكرة   ليت شعري ما الذي منه تعيب
لم أميز ما الذي أنكرته   حالكم في جفوتي حال عجيب
وسلام الله يغشى ربعكم   ما أقيلت عثرات وذنوب

* * *

وكتب إليه رحمه الله من « شهارة » أيام إقامته فيها :

حي الحمى ومنازل الحب   واسأل به الأحباب عن قلبي
وانزل بإزال فإنهم نزلوا   منها بسفح الجانب الغربي

---

(١) في نسخة « واش » بدل « شيء » .

نزلوا بها غرفاً قد اعترفت   بسموهن منازل الشهب

فسقى منازلهم دموع فتى   أغنت مدامعه عن السحب

صب إذا هبت بنشرهمو   ريح الصبا فاناته تصبي

والبرق أدرك من إشارته   معنى أفوز به على صحبي

وأراه مبتسماً فأحسبه   سراً يُسِرُّ إلىَّ عن سربي

وأخال أن الوُرْقَ إذ هتفت   فى الروض عن وجدى به تنبي

ياصاحبى أعندكم مقـــل   تهب الدموع لقلة الصب

قد كان يبذل دمعَ مقلته   هبةً ويسعد كل ذى حب

أيام عاملك الغرام بهـا   عقلى ولا أخـذ الهوى لبى

فدعا به داعى الغرام ومن   شأن الغـرام إذا دعا لبى

والآن أوجب لى الغرام أسى   إن طال أفضى بى إلى سلبى

قد رق لى كل سوى زمنى   فأراه يسعد فى الجفا حبى

لاتسمع الشكوى لديه ولا   يرثى ولا يصغى إلى عتبى

إن كان ذنبى فرط حبهمُ   فأنا المصر إذاً على ذنبى

حبى لهم فرض كمدحى للـ   ـمولى الإمام الفاضل الندب

بحر النـدى والعلم أفضل من   أقرى وَرَدْ من بحره العذب

علمٌ الذكا والحفظ فطنته   أست بسعد الدين والشدبي

كالقطب فى علم وفى عمل   لا بل سما قدراً على القطب

وتراه عيناً فى العلوم فمـا   يأتى له الكعبى إلى الكعب

علامة الدنيـا وزاهدها   فلديه تبر المـال كالترب

وخـلائق ما الروض يشبهها   فبلطفها لذوى النهى تسبي

ووفاؤه طبـع وكل فتى   فوفاؤه إن كان بالكسب

أشكو إليك نوى تطاول بى   وأطال فى همى وفى كربى

تَرَبت يدا دهري يمامنني بالبعد عن وطني وعن تربي
فكأنني كرة تقاذف بي كفـاه في شرق وفي غرب
قسراً بهذا البين قد رضيت نفسي لخوف الذل في القرب
وأنا إذا اشتـد الأسى ثقة بالله فهو على الأسى حسبي
منه أرجي الوصل عن كثب بالدار والأحباب والصحب
وبدعوة منكم تحـل بنا ما حل من عقد ومن خطب
لا زلت يارب العلوم على رغم العدا في الفضل من رب

* * *

وله ـ رحمه الله ـ إلى شيخه القاضي ، العلامة علي بن محمد العنسي رحمه الله

بالله ياريح الصبا مُرّي بها تيك الربى
معاهداً عهدي بها مذ الشباب والصبا
معاهداً كم حَنَّ قا بي نحوهن وصبا
معاهداً بها الأسو د خاضعات للظبا
فكم بها من أغيد عن العيون حجبا
إذا بدا حسبته بدراً يشق الحجبا
وخده قد جمع الـ ـماء به واللهبا
وقـــده كأنه غصن النقا منتصبا
ما اهتز لينا قده إلا اهتززت طربا
وكم أبيت في الدجى لطيفـــه مرتقبا
أيطرق الطيف فتى منامـــه قد غصبا
ولا يزال دمعـــه في خده منسكبا
لا لفراق غادة تريك ثغراً أشنبا
بل لفراق ماجد حاز العلى والأدبا
من طاب أصلا وسما فرعاً وإبناً وأبا

أخلاقه تحكى نسيماً صافحت زهر الربى

* * *

إمام معقول . . . .

قال فى الأم لم أجد بقيتها :

وله – رضى الله عنه – إلى السيد علامة الإسلام ، القاسم بن أحمد الميالى رحمه الله ، كتبها إليه من صنعا ، إلى المواهب

خليليّ سيرا بى إلى ذلك السرب فثمة ظبياء فيه نهبت لبى

وإلا فعوجا واسألا عن أحبتى وقولا لهم لِمْ بالجفا قطعوا قلبى

ولا تسألا عن مهجتى فأنا الذى سمحتُ بها لـكن سلاهم عن الذنب

على أنه ما كان ذنبى سوى الهوى فياعجباً إن كان ذنبى من الحب

وحق الهوى ما لذّلى بعد بُعدكم سوى ذكر ذاك الوصل فى ذلك القرب

فما بالهم لم يذكروا عهد وُدّنا ولم ينصفونا بالجواب عن الـكتب

ألم يعلموا أنى على حفظ وُدّهم مقيم ولو غُيّبْتُ فى باطن الترب

ألم يعلموا أن ادّكار ودادهم ألذ على قلبى من البارد العذب

ألم يعلموا أنى أكاد لذكرهم أطير ولـكن لا جناح لذى جنب

ألم يعلموا أنا اعتقدنا عقيدة فما أنا جهمىٌّ ولا أنا بالـكسب

وقد طالما فتشتُ كل دقيقة وسامات عنها كل ذى فكرة تدب

وأنفقت ريعان الشبيبة والصبا أفتش عن دُرّ الفوائد فى الـكتب

ولـكنّ طبع الدهر خفض ذوى العلى ورفع ذوى جهل وتعظيم ذى نَصْب

فإن كان ما بينى وبينك عامر فلست أبالى بالجفاء من الصحب

لأنك أعلى الناس عندى مكانة عليك سلام ما سرى البرق فى السحب

ولا زلت فى مجد وعز ورفعة يساق إليك الخير فى المنزل الرحب

ولا زلت فى أفق الـكمال مُصدّراً كتصدير اسم الله فى أول الـكتب

* * *

كتب السيد العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله من السجن إلى مولانا البدر رضى الله عنه وهو فى بئر المزيب مع السيد الضيا إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله وضمنها سؤالا فى أنه كيف طاب لأولئك الخروج إلى الرياض وإخوانهم فى السجن وكيف لاق ذلك للسيد إسماعيل بن محمد ووالده فى السجن فأجاب عليه مولانا البدر

إلام أرى عاذلى فى تعب ... ألم يدر أن الهوى قد وجب
وإن الشباب على حب مَن ... سبانى والروح منى سلب
جنون فدعنى ياعاذلى ... فشعبان أنت وسمعى رجب
فلم يخلق الله غصن القوا ... م وورد الخدود ودر الشنب
وتلك العيون وتفتيرها ... وتلك المحاسن ألا تحب
فما للعذول يطيل الفضو ... ل له الويل مما جنى والحرب
فلو نظرت عينه مهجتى ... ونار الغرام عليها تشب
لأجرى الدموع لها رقة ... وكان إلى الوصل أقوى سبب
ولكن لإفراط تغفيله ... وغفلته عن شروط الأدب
يصب إلى السمع مُرّ الملا ... م وقد شاهد الدمع منى يصب
وأقسم ما الخمر فى كأسها ... تدار ممزوجة بالحبب
ولا الوصل من بعد طول الجفا ... يكون بلا موعد يرتقب
ولا الأمن من بعد خوف أتى ... وحلو الرضا بعد مُرّ الغضب
ولا الروض رقّصَ منه الغصـون نسيمُ الصبا سَحَراً حين هب
ولا فرج عاجل منقذ ... لقلب غدا فى بحار الكُرَب
ألذ وأحلى إلى القلب من ... نظام سليل الملوك النجب
نظام تراه إذا ما أدير ... يُرقّصُ سامعه بالطرب
ويُزرى بقُسٍّ ومَن بعده ... ومَن قبل من فصحاء العرب
فيا ملكا شاد رَبْعَ العلى ... وأحياه من بعد ما قد ذهب
بعثت بنظم غدا مزريا ... بأزهار روضات بئر المزيب

فأغصانها راقصــــات به ... كما رقص الصب بنت العنب
وأنصت الورق لما أتى ... وكانت تغرد فوق العذب
وظلت عيون زهــور الريا ... ض إلى رده شاخصات عجب
وقال أفتنا في فتى ماجـــد ... كريم السجايا شريف النسب
صبا لنسيم الصبا إذ سرى ... ومالك مقوده من جـــذب
وأمسى وأصبح في راحة ... ووالده في أشد التعب
فقلت استمع لجواب السؤا ... ل فذلك حق علينا وجب
وقل ذا دليل بأن الفتى ... شديد الوفا بشروط الصحب
لطيف الطباع صبور لما ... قضاه الإله وما قد كتب
عليم بأن اصطبار الفتى ... سيعقبه الروح بعد النصب
وأما أبوه إمام العـــلى ... وما مسه من رهيج التعب
وما مسه من يد النـــائبا ... ت وتبا لها من يد ثم تب
وما مس إخوانه الراكبيـ ... ـن من المجد كل أغر أقب
فذلك عارض سحب أتى ... ليعرف مقدار من قد حجب
فإن السحاب تغطي الشمو ... س ويعلو الدخان شب اللهب
وعما قريب تجـــلى السحا ... ب وتجلى عن القلب تلك النوب
فكم من فتى بات في محنة ... وليس له فرج يرتقب
كيوسف صديق رب السما ... ء قد أقام لوهم الريب
ومن بعده صار أهل الثنا ... تقبل نعليه قبل الركب
وملك حقاً رقاب الرجا ... ل وذاق حلاوة عقبى الكرب
وخر له ساجداً من شدا ... يشب له قبل نار العطب
وهذا الذي مس منه الجفا ... علا كم أقام به واكتأب
وكابد ضيق مكان به ... وضيق المعاش وقبح الرتب

وعاد إلى ما ترى أيتــه … أقام لنا شرعه المنتخب

وأحيا رسوم الهدى والتقى … وجدد ما عمه قد خرب

ولكن من مال نحو الهوى … سيلقى غداً كل ماقد كسب

قصيراً على نائبات الزمان … إذا شئت تشرب كأس القُرَب

ولو علم العبد عقبي الجفا … سعى في اكتساب الجفا واجتنب

ستطلع شمس جزا الاعتقال … ونجم حسودكم قد غرب

وسامح فنظمي قريب النتاج … سريع ولادته مقتضب

فأنت بفضلك أعجلتني … وأخجلتني يارفيع الرتب

بعثتم لنا عقــــــد در النظام … فكان الجزا سبحة من خشب

ولازلت بدراً لعين العلا … وروحاً لجسم علوم الأدب

* * *

وله رحمه الله جواباً على السيد شرف الإسلام رحمه الله وقد وصل منه من سجن صنعا في شهر صفر سنة ١١٤١ ﻫ إلى حصن شهارة ورقة ورقة وعبارات رشيقة تعجب لمبراها وأني تخلصت إليه وباب السجن دونه مغلق ؛ فكتب في صدر جوابه :

أتى من أسير للغريب خطاب … وقد حال بَيْنٌ بيننا وحجاب

أتاه فأحياه وقد كان ميتاً … يكاد عليه أن يهال تراب

فكل شراب ليس في الذوق سائغ … وكل طعام فهو عندي َ صاب

وإني لأوفي بجان السجون أحبة … لديهم فؤادي في السجون مصاب

* * *

وله — رضي الله عنه ، ووجهها إلى أحد إخوانه

هو الهوى فاصطبر فيه لما يجب … من حر نار على الأحشاء تلتهب

ومن غرام ومن وجد ومن أرق … ومن دموع على الخدين تنسكب

ومن نحول لجسم كان في دعة … ترى السقام به يسري وينسحب

ومن عتاب عذول كله سفَهٌ … ومن فؤاد على أحبابه يجب

إن كان تعذيب قلبي في محبتهم ... يرضيهمو فالهم فيه الذي طلبوا

لقد تقرر في الأحشاء حبهم ... مكان عندي إن شطوا وإن قربوا

هم منيتي وأحبائي ومطّلبي ... عن حبهم ليس قلب الصب ينقلب

ياجيرة كلما زدتهم شغفاً ... زادوا بعاداً فأنى يدرك الأرب

هل في خيامكم من مهجتي خبر ... فإنها بعدكم في الأرض تضطرب

رقوا لها فهي في آثاركم رحلت ... ومالها غيركم في الأرض مطّلب

ويارياضاً تنزهنا بساحتها ... أغصانها كل قدّ هزه الطرب

قد أثمرت كل بدر لا نظير له ... من نوره تستمد الشمس والشهب

قاس على كل من رقت مدامعه ... مصدق كل واش قوله كذب

لا والهوى وليال بالنقا سلفت ... ماغير حبكم للقلب يجتلب

قد كنت أحسب أن الصبر يسعدني ... فخانني بعدكم ما كنت أحتسب

لم يبق لي غير آمال تشوقني ... إن المنى رقية تشفى بها الكرب

* * *

وله رضي الله عنه إلى السيد العلامة الضيا إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

أترى يعود من الحمى قلبي ... أم لا فهل عنه الصبا تنبي

عهدي به مذ ودعوا سحراً ... ونأوا عن الأجفان بالحب

تالله ما ارتحلوا مطيهم ... إلا وأرواح مقدم الركب

فبقيت آونة أعض يدي ... وأخط آونة على الترب

متعرضاً للبرق أنشده ... يابرق حيّ منازل السرب

واذكر يد الأنواء فما برحت ... تدنيك أدنى الصب للصب

فلقد حسدتك مانرى أبداً ... إلا وأنت معانق السحب

مازلت مبتسماً فهل فرح ... ذاك التبسم منك بالقرب

وأنا حليف ضنى يؤرقنى ذكراهم وأغص بالشرب

ماقير أصداه تجاوبنى صوتى وتندب فى الهوى ندبى

إن قلت واكربى سمعت لها رداً علىّ تقول واكربى

فاغتررت أحسبها تشاركنى فى حب من ملكتهم قلبى

والصبر أجدب بعد بعدهم وبقربهم قد كان فى خصب

وانهل طوفان الدموع تخذ ماشئت من خدى بأقرب

وسقى مكان الصبُّ منهملا لما رآه روى من الجدب

ولقد شجانى صوت صادحة غنت على الأغصان بالشعب

لله ما أحلى مواقعه فى السمع عند تضايق الكرب

باتت تطارحنى فهل عرفت مثلى يقدر مواقع الحب

ومعنّف وافى يعنفنى ويطيل فى التبكيت والعتب

متشبثا بالنصح يزعمه كتشبث الجبرى بالكسب

فطفقت أهزل فى الحديث به وأقابل الإيجاب بالسلب

لله ما أحلى مغالطتى إذ قال ماتخشى من الذنب

قلت النظام كتبت أحرفه نحو امرئ بصفاته يسبى

نحو الضيا صدرت أسطره وإلى رفيع جنابه كتبى

لم أرض جيداً غيره أبداً لعقود هذا النظم من صحبى

أنّى وليس فتى يشابهه وابحث وسائل كل ذى لب

مازال مذ شعرت مشاعره نحو العلى والمجد فى وثب

حتى أناف على معاصره وحوى العلى بالإرث والكسب

فالمكرمات عليه عاكفة كعكوفه بدقائق الكتب

قد صار عيناً فى العلوم فلا تعدل إلى التشبيه بالكعبى

والنظم إن أجرى اليراع به ... أنساك لطف رقائق الحبب
وله من الأوصاف أعذبها ... فاحذره من التشبيه بالمذب
لا يستطيع حسابها قلمى ... بتداده فإلى هنا حسبى

☆ ☆ ☆

كتب السيد ضياء الإسلام إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله إلى السيد العلامة الزاهد ضياء الدين إسماعيل بن صلاح الأمير رضى الله عنه أبياتاً من هجرة شاطب بائية موصولة بكاف الخطاب وأجاب عليه فلما اطلع مولانا البدر رضى الله عنه عليهما قال مقرضا لهما بنثر لم يكتبه ونظم هو قوله مخاطباً صاحب الابتدا .

ياضياء الدين يامن مجده ... من نضار المجد والعليا سُبِكْ
قرع السمع نظام منكم ... هو عندى نخبة من نخبك
رام فكرى صلة من عقلة ... أن يدانى رتبة من رتبك
ويجارى إذ يجاريك وقد ... عجز الماهر أن يلحق بك
قال دعنى من مجاريك وقف ... وأرحنى واسترح من تعبك
واستمع نظم جواب خلته ... بالمنيرات من الشهب حُبِكْ
أيها النظم الذى أدهشنى ... إن فكرى قد غدا من سلبك
قل لمن رام عراضاً لكما ... هذه أمنية من أشعبك

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه مهنئاً للسيد العلامة بن محمد بن إسحق رحمه الله بالقدوم إلى صنعا من شاطب بعد طول الغيبة عنها لعل ذلك فى رجب سنة ١١٤٩هـ ولعله رجب سنة ١١٣٩هـ .

لك البشارة هذا منتهى أربى ... من الزمان وهذا كل مطّلبى
وذا نهاية آمالى وجملة ما ... أرجوه من زمنى فى سالف الحقب

فليت شعري أصدق ما يقال لنا ... من اللقا واجتماع الشمل عن كثب
أفق أفق أيها القلب الذي عبثت ... به الصبابة بين اللهو واللعب
واعلم بأن الذي مازلت تطلبه ... قد نلته فاتئد من بعد في الطلب
وقل لدهرك لاعتب عليك وإن ... روعت بالبين قبل اليوم والتعب
فاذهب فإنا عفونا عنك ما كسبت ... كفاك من ألم التشتيت والنصب
فسيئات الهوى بالوصل قد محيت ... والذنب يغفر بالآتي من القرب
كسوتني حلل البشرى مطرزة ... بغنية القلب لا بالخز والذهب
فالحمد لله ما عيني بدامعة ... من الفراق ولا قلبي بمضطرب
أحييت لي روض أنس طال ما عبثت ... ريح الندى بالأغصان والعذب
هبت فأحرقت الروض النضير به ... وصيرت غصنه الخضر كالخشب
فالآن أغصان روض الوصل مائلة ... وللبلابل تغريد على القضب
فهن صنعاء ما نالت وسام بها ... مصرا وبغداد والمعمور من حلب
بمقدم الملك البحر الذي شرقت ... به المعالي إمام العلم والأدب
من حاز بالاجتهاد المجد مكتسبا ... وحازه بالتلاقي عن أب فأب
فإنه فرع آباء سموا شرفا ... واستوطنوا ذروة العليا من الرتب
حوى العلوم بتحقيق وحافظة ... إذا روى قلت هذا الحافظ الذهبي
أربى على السعد في علم البيان كما ... نال الذي لم ينله الفاضل الشلبي
أما المكارم فانسبها إليه فما ... لغيره نسبة فيها من النسب
هب أن عندك شكا في مواهبه ... فسله ماشئت من معروفه يهب
يجود بالنفس في يوم الكفاح وسل ... عنه الرماح تحدث عنه بالعجب
كأنه الجبل الراسي إذا اشتجرت ... سمر العوالي وجد الناس في الهرب
وكم عسى أنا أملي من محاسنه ... ومن يرم حصرها في النظم فهو غبي
فقابل النزر فضلا بالقبول ولا ... تكشف معانيه واسترها ولا تعب

وخذ من النظم مالا أرتضيه ولو   قارنت زينته بالدر والشهب

فإن حظك عندي لا يفي به   نظمي ولو كان معدوداً من النخب

بقيت فينا جمالاً للزمان به   تحيي العلا ورياض العلم والأدب

* * *

وله نفشاه الله برحمته جوابا على السيد العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله كتبها إليه من هجرة شاطب ولعله عاتب شيخه البدر فيها وجعل في الكتاب تربه جريا على عادة الخلفاء من بني القاسم في اليمن :

نحوي قد وجهتها كتائباً   مملوءة ألفاظها مقانبا

في كل لفظ أسد يخاله   سامعها الافتراس واثبا

كأنما ألفاظها آجامها   فعدّ عنها حذراً مجانبا

كأنها جيش أجش مغضب   سلّ على أقرانه القواضبا

كأنها صواعق محرقة   قرطاسها تحسبه سحائبا

ظننته من قبل فض ختمه   قد جاءني معاهداً مكاتبا

فراعني لما رأيت شكله   ملطخاً بحمرة جوانبا

أشعرني بأنه ما جاءني   مسالماً بل جاءني محاربا

رفقا بنا رفقا بدا فإننا   نميل عن سفك الدماء جانبا

لا فرقاً منها ولا تهيباً   فليس مثلي للمنايا هائبا

فإنني من عصبة تخالهم   من فوق هامات العلى عصائبا

كم قطّروا من بطل وكم وكم   قادوا على أعدائهم مواكبا

سل عنهم حصن ظفار ثم سل   مشارق الأقطار والمغاربا

كم حرروا للعلماء من كتب   وللعدى كم وجهوا كتائبا

لو كان لي مثلهم عصابة   لم يبق ربع الدين فينا خاربا

لكن أبى الدهر الخؤون أن يرى   فيه لأهل الحق سهماً صائبا

أظن فيه كل ظن حسن ... فلا يعود الظن إلا خائبـا
وكلما صادقته مصادقاً ... عاد عدواً خائنا مكاذبا
محاسنى يعدها مساوياً ... مما دحى يردها مثالبا
والى أناساً قد غدوا على الهدى ... وأهله بما أتوا مصائبـا
فيا ابن ودى قف تجد عجائباً ... واستقرئ من أخبارهم عجائبا
وابك على الدين الحنيف رائياً ... مما جنوا فقد ثوى وناديا
حاشا فريقا فارقونا خفية ... واستوطنوا بعد أزال شاطبا
لو كانت الدنيا سماً لأصبحوا ... وهم على أرجائها كواكبا
راحوا يردون الهدى إلى الصبا ... من بعد أن قد صار شيخا شائبا
فمالت الأقدار عن إسعادهم ... ولم تقد نحوهم المطالبا
والحكم للأقدار فاصبر قائلا ... سبحان من قدرها مواهبا
لكنهم لم يتركوا سجية ... بها عليهم لا أزال عاتبا
وهى أساليب ذويهم ليتهم ... لا يعرفون لهم أقاربا
وانظرا إلى نظم أتى مناديا ... إن القرابات غدوا عقاربا
أطال فيه شاكيا منهم كما ... أطال إذ خاطبنى معاتبا
يا راكباً يطوى الفلا إليهم ... مجاوزاً فى سيره السباسبا
قبل ألفاً للندى قد ألفت ... تحسبها قد خلقت سحائبا
واخصص ضياء الدين من بينهم ... لأنه قد خصنى مكاتبا
وقل له وافى النظام شاكيا ... وشاكراً ومادحاً وعاتبا
بلوم لم نصحته مخشنا ... وما بذا يعد لى مخاطبا
شننت نصحى تارة وتارة ... يكاد من لين يكون ذائبا
ولم أزل فى نصحهم مبالغاً ... مشافها حيناً وحيناً كاتبا
وقد قبلتم بعضه بقولكم ... والفعل للقول أرى مجانبا

ولم نخص فرقة نصيحتي　　فكم أناس قمت فيهم خاطبا
والنصح فرض لازم إن لم تطق　　أن تحمل الأرماح والقواضبا
هذا وقد شوقتني إلى ربى　　منازل كم لي بهسا مآربا
وقلت لي من ذا أراه مسعداً　　يحث نحو مكة النجائبا
من لي بها من لي بها ياليتني　　ضربت في أكنافها المضاربا
أرض إذا مرت بها ريح الصبا　　تمنح منها تربها الترائبا
تكاد أفلاك السما تلثمها　　وجداً وتلقي نحوها الكواكبا
سقياً لدهر سرني بقربها　　وساق لي ما كنت منه طالبا
يخدمني بالعين فيما أشتهي　　فلا أرى عما أروم حاجبا
أقمت فيها مقرئاً وقارئاً　　مطارحاً لأهلها مصاحبا
مطالعاً مؤلفاً وطائفاً　　حول الفناء من ذنوبي تائبا
لو ساعدتني النفس ما فارقتها　　ولا ارتحلت عن رباها غائباً
وإنما حب الفتى أوطانه　　بالطبع للقلب يكون غالباً
ما خطرت بقلبه إلا انثنى　　شوقاً إليها للدموع ساكباً
يذكر أيام الصبا وعيشه　　بطيبه مضمخاً ذوائبا
عسى القضيا يعيد لي سكونها　　مصفياً فيها لنا المشاربا
من حاز مجداً ما حواه غيره　　فلم يدع لغيره مناقبا
لا زلت عيناً للعلوم والعلى　　تحيي لنا ما كان منها ذاهباً

* * *

وله رضي الله عنه إلى والده رحمه الله بعد أن وصل منه تعريف وكان عند بعض الأصدقاء يتضمن أنه قد وصل إليه تعريف من بعض القضاة من أجل دعوة فأجاب بالإسعاد .

قد أصبتم ياسيدي بالجواب　　ورميتم والله عين الصواب
غير أنا في دعوة الفاضل الندب　　إمام الكمال في كل باب

وأراه لا يسعد اليوم هذا ... انقضا حتى أصدق الأصحاب
فاعتذر لى وإن يكن ذا وفاء ... جاءنا بالعشا إلى أحبابى
وإذا خاف شؤم حبس وقصر ... ودفاعا عنا من الحجّاب
فالفلوس الفلوس أنفع شىء ... فهى أقصى مطالب الطلاب
يبذل المال من أراد اتصالا ... أو يوافى على جناح الغراب
أو يؤخر عشاءه فهو أولى ... إن أحب الضياء ترك عتابى
وسلام عليكم وعلى من ... جاءكم فى المشى من أصحابى
فاعذرونا وإن جنينا فإنا ... قد جنينا محاسن الآداب
وأجب سيدى علينا بنظم ... رائق دونها كؤوس الشراب

* * *

وله رحمه الله إلى السيد العلامة الضيا إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله

هل يبـال القلب ما طلبا منكم ياجيرة نقبا ورد الدهر ما سلبـا
فيؤدى بعض مايجب

فجفونى بعدكم سفحت عبرة فى الخد قد عبرت لو إليكم وجهت لسقت
أرضكم واخضرت الكثب

ليت شعرى هل هم علموا أن نار الوجد تضطرم ودموع العين تنسجم
وفؤاد الصب يلتهب

ليت شعرى والحديث شجون هل إذا طال البعاد يهون ما بقلبى منكم ويكون
هجركم فيه هو السبب

قسما بالحجر والحجر وبكتب الله والسور وحديث الرسل والأثر
مالنا فى غيركم أرب

أنتم سؤلى ومطلبى وإليكم منتهى طلبى حاضر فى القلب لم يغب
ذكركم والقلب ينقلب

عاذلى خل اللام ولا تكثر التفنيد والعذلا لو عرفت الحال كنت إلى
وصل من أهواه لى سبب

يامطيل الخوض فى عذلى طامعاً أن سوف تحدث لى سلوة عن هم أملى
خوضكم عندى هو اللعب

أترانى سالياً لهوى رشأ كل الصفات حوى فلذا عنه الخيال روى
أن منه صار يجتلب

رب برق بالعقيق شرى فجرى من مقلتى وشرى من جفون الصب طيب كرى
منــه مابالعــ مكتئب

عبرت عنا النسيم وقد نفحت من نشرهم فوقد لهب لا يصطليه أحــد
فى فــؤاد مسه النصب

سائلى عن بهم شغفى وبهم إن أعرضوا تلفى أصبح لى معماً هنا وقف
إن شأنى كله عجب

الذى أهواه منفرد بصفات المجد متحد مثله فى الناس لا تجد
فإليــه ينتهى الطلب

الضيا نجل الكرام ومن حدثت عنه الرماح وعن علمه سراً لنا وعلن
كم تفاجينا به الكتب

ماجد قد أعجز الكبرا أن يدانوه فلست ترى فى بنى الدنيا له نظرا
ليس فيا قلته كذب

فهو فى علم اللسان إمام فاق فى تحقيقه ابن هشام وله فيما سواه مقام
دونه فى الرفعة الشهب

بحر جود رده مدرفا جوده بفسيك من سلفا من كرام الناس والخلفا
فإليه الجــود ينتسب

✡ ✡ ✡

وله رضى الله عنه جوابا على السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن إسحق رحمه الله عن أبيات وصلت منه إلى مولانا البدر إلى شهارة من قصر صنعاء وهو مسجون به في شهر المحرم سنة ١١٤٤ هـ .

مرحباً يامرحباً يامرحبا	بنسيم هب من تلك الربى
أرّج الأرجاء نشر دلنى	إنه من نشر سكان قبا
ذكّر الصب بأيام الصبا	فصبا وازداد منه وصبا
هات هل عندكم منهم خبر	شنف الأسماع عنهم بنبا
ليت شعرى ذكروا عهد فتى	مايرى غير هواهم مذهبا
كان من قبل الهوى مجتهداً	فارتضى في الحب تقليد الظبا
مالها مرعى سوى قلبى ولم	ترض إلا دمع عينى مشربا
أرتضى تعذيب قلبى في الهوى	ليس قلبى عنكم منقلبا
قسماً لو قطعونى إرباً	ثم لم أقض لديهم أربا
لم أزد إلا غراما وجوى	وفؤادا خافقا مضطربا
إنما أرجو وحسبى شرفا	أننى فيمن هوا كم أحسبا
كان قلبى وحده يهوا كم	فسرى حبكم واستحبا
فغدا كلى لقلبى في الهوى	كل عضو بكم قد شغبا
آه من ليلة وصل سلفت	ليتنى راقبت فيها الرقبا
أنا أشكو وصل من تيمنى	عكس ما يشكو منه الأدبا
وأذم الدهر إذ ساعدنى	بسعاد فرشفت الشنبا
فزمان الوصل لاسقياً له	كان في تعذيب قلبى سببا
ليتنى لم أر منه حاجبا	أسلب القلب منه حجبا
وعيونا ماضيات لاأرى	غير قلبى لظباها مضربا
وإذا هزت قواما مائلاً	فله أهتز كلى طربا

أرسلت ليلا من الشعر غدت ... فيه أقراط حلاها الشهبا

نغم الأوتار من منطقها ... فإذا ما شدت لحنا أطربا

ساعة قد أسعدتني باللقا ... وجفتني بعد هذا حقبا

أزمان الوصل سحقاً لك من ... زمن ما كنت إلا نصبا

أسفي ما كان أغناني عن ... ذورتي ليلي ووصلي زينبا

حزناً ياقلب قد أورثتني ... وملأت القلب مني كربا

إنما ألهبت نيران الهوى ... ثم وليت تشب اللهبـــا

وملأت القلب أطماعا بما ... لم يداخل قبل هذا أشعبا

أسأل الريح وأرتاح إلى ... رؤية البرق إذا ما التهبا

وأخال الورق في أوراقها ... هتفت شوقاً إلى أهل قبا

وأنا ذا وهذا هل لكم ... في فتى عن أهله مغتربا

كان في أرغد عيش ناعم ... لا يرى بين الورى مكتئبا

بين إخوان هم أهل الوفا ... وإليهم لاسوى قد نسبا

ما حسبت البين يدنو بيننا ... فأتى مالم أكن محتسبا

فاجتمعنا برهة في نعمة ... ثم صرنا بعدها أيدي سبا

سكن الأحباب قصراً شامخاً ... قصّروا عن كل نذل مجتبى

بل من الريح به قد قصروا ... فإذا وافى إليهم أدبا

يفزع الطاير إذا مر بهم ... فيولي عن هواهم[1] هربـا

هم عيون الناس لاغرو إذا ... حاجب عنهم لهم قد حجبا

وسكنا بعدهم سامي الذرى ... قد لبسنا من سناه الشهبا

ينشر البرق على أكتافه ... حين يعتم هنـاك السحبا

---

(١) وفي نسخة « رباهم » .

تحسب الجوزاء قنديلا به — بأعالي سقفه قد نصبا
قد فقدنا كل شيء حسن — غير ما أهدى إلينا الأدبا
مثل ما أهداه لي فخر الهدى — زينة الدنيا وتاج النجبا
فخر دين الله من أوصافه — أعجزت في عهدها من حسبا
مالك وابن مليك لم يكن — مجده بين الورى مكتسبا
بحر جود من أتى ساحله — عرف الدر به والذهبا
يشترى بالمال أنواع الثنا — فإليه كل مدح جلبا
بطل أبطل من صولته — في الوغى كل شجاع جربا
يعقد الطير على راياته — إن غدى للحرب منه عصبا
فهو يقريهن من لحم العدا — كل قرم روحه قد سلبا
وسباع الوحش تعدو خلفه — لتطفى من عداه السغبا
فتعود الطير والوحش وقد — نال كل منهما ما طلبا
وإذا هز يراعا وجرى — منه بالخط رأيت العجبا
ينثر اللؤلؤ من أنبوبه — بنظام معجز للأدبا
ولقد أهدى إلينا كلما — كاد من رقته أن يشربا
سال من رقته في رقه — خلته خمراً أتى أو ضربا
يخبر أن الرق مما ضمه — من شكاه جاءني ملتهبا
من زمان قد تناهى قبحه — لا أرى فيه لعيني معجبا
وأسد الأذن عن أخباره — فهي لا تتحف مهما ينبا
وشكا من جفوتي عمداً له — فأذاب القلب لما عتبا
أتناسى أنني حزت الوفا — لا أرى فيه لغيري نشبا
أم نسى أني في حبهم — راكب كل مهول صعبا
لا تعاتبني على طول الجفا — لست تدري كيف حال الغربا

يا أحبــائى رفقــاً إنما   مثلما أنتم مذنحــا الذوبا
لو عرفتم لعذرتم من غدا   لأبيه خيفـــة مجتنبا
كنت لا أصبر عنه ساعة   فتصبرت برغمى حقبا
ثم كلَّ الصبر إذ طال النوى   وانتهى إذ بلغ السيل الزُبا
فعسى الشـدة تأتى بالرخا   وعسى من فرج قد قربا
وعسى من دعوة قد رفعت   فلـكم قمت بها منتصبا
فابشروا لازلتم فى نعمة   كلما زال الصبا زهر الربا

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على الفقيه العلامة الزاهد إسماعيل بن محمد العبدى رحمه الله عن أبيات كتبها من صعدة وأرسلها إلى شهارة سنة ١١٤٢ اثنتين وأربعين :

أهلا بها فهى عندى غاية الأرب   يهتز شوقاً إليها الـكل من أدبى
وافت على ظمأ منى فازجها   روحى كما مازج المـاء ابنة العنب
إن كان يسكر قوما من كؤوسهم   خمر المدام فسكرى خمرة الأدب
كم بت مهران أشكو طول فرقة من   جعلت منزله فى القلب مثل أبى
تميمه من سما فى المجد مرتبة   تسمو على الفلك الأعلى من الشهب
عين الـكمال الذى أمسى ابن مقلتها   يراعه إن جرى بالخط فى الـكتب
كما بآدابه أمسى بأحمد من   له أقرت جميع العجم والعرب
يا رافلا فى ثياب الزهد من صغر   ما اغتر بالفضة البيضاء والذهب
وافى النظام ونار الشوق ملتهب   فى القلب مثل التهاب النار بالحطب
وشخصكم فى سواد العين مرتسم   مشاهد لى فى بُعـــد ومقترب
وذكركم فى فؤادى كل آونة   ذكر الشحيح لما يحوى من النشب
سقى بصعدة أياماً لنــا سلفت   فيها ندير كؤوس العلم والأدب

يا ليت شعرى هل أحظى بقربكم ... يوماً فقربك عند الله من قربى

عسى عسى والترجى روح كل فتى ... أن يجمع الله هذا الشمل عن كثب

وبالضيائين أرجو الله يجمعنى ... أبى ومن كأبى فى الحب والنسب

وإن تباعدت الأقطار بينهما ... بالشام شخص وفى صنعا مقام أبى

فهو القدير بتقريب البعيد وإن ... يحلو النوى يتخلى هذه النوب

وحسن ظنى فيه لايخيب وكم ... حلبت منه الذى أهوى فلم أخب

فابشر ضياء الهدى لازلت فى نعم ... ماغنت الورق أسحارا على القضب

ثم السلام عليكم من أبى ومن ... من عنه أكنى بطيب الاسم واللقب

* * *

وله رضوان الله عليه إلى الفقيه إسماعيل أيضاً كتبها إليه من حصن شهارة أيام إقامته فيها فى شهر المحرم سنة ١١٤١ هـ إحدى وأربعين

يامن إليه صبوتى تنسب ... مالى عن مذهبكم مذهب

إن قرر الناس هواى غيركم ... فلست أرضاه وإن ذهبوا

إن عبرت لى الروض ريح الصبا ... فإنها عن صبوتى تعرب

إن غنت الورقاء فى غصنها ... فلحنها عن ولهى معرب

إن طبع العاذل فى سلوتى ... فإنما أستاذه أشعب

إن خضت فى دمعى فدعنى وقل ... هذا الذى فى خوضه يلعب

إن حدث البارق عن صبوتى ... فصدقوه فهو لايكذب

فإنه وافى إلى مهجتى ... مستجديا من نارها يطلب

فراعه ضوء لهيب بها ... ففر عنها فزعا يرعب

شرائها لى فى الهوى قد أتت ... فصارت الأمثال بى تضرب

فياخليلى أما منكما ... من يسعد الصب بما يطلب

يسأل إن جاوز وادى اللقا عن جيرة فى سوحه طنبوا
محاذرا أعين تبين بهـا تنفذ فى القلب ولا تحجب
حشاشة القلب حشيش لها ومدمع العين لهـا مشرب
قد مر لى دهر بها حالياً والبين عنا نائم متعب
ونحن فى روض وصال فلا نخشى من البين ولا نرهب
كنا على حال يسر الهوى والدهر فيما نشتهى يدأب
فهب ريح للنوى عاصف من بعده روض اللقا مجدب
فليت شعرى والمنى ضلة هل بعدنا روض اللقا مخصب
ما للنوى عندى إلا يد بها جزيل الشكر يستوجب
فكم به لاقيت من فاضل إلى معاليه العلى تنسب
من عالم بحر ومن ناظم وناثر للدر إذ يكتب
ولا كإسماعيل من أصحب صفاته كالشمس لا تحجب
من خصنى بالود إذ عمنى إحسانه المتصل الأطيب
يامفرداً ضحت لسان الثنا فى جامع الفضل له تخطب[1]
تحسبنى أنسى أخاك الذى بالعلم والآداب يستجلب
وأنتسى الأيام فى صعدة سقى رباها مطر صيب
إذ كنت أجنى من ثمارها اللقا من روض آدابك ما يعجب
دونك تطفأ فى قصور غدت أبياته ما مثلها يكتب
ماذا به غير ثنائى لكم فهو به لا غير يستعذب
واعذر فتى صارت سهام النوى ترميه ما عنها له مهرب
وادع له فى كل حال عسى بفضلكم يقضى له المأرب

---

(١) استعارة بالكناية ، وذكر اللسان تخييل وقوله يخطب ترشيح له ـ منه

لا برحت موفوقة نحوكم تحييّ وهي به تعرب
وابق ودم في نعمة سالماً بنيلك الرحمن ماتطلب

* * *

وله رضوان الله عليه جوابا على القاضي علي بن إسماعيل بن محمد العبسدي عن أبيات كتبها إليه وتقاضى جوابها عند قدومه إلى شهارة أيام بقاء مولانا البدر رحمه الله فيها وهي :

إلى الله أشكو من زمان محارب ... معاد لأمجاد كرام أطايب
عفونا عن الأيام كل النوائب ... فلا تخش منا بعدها عتب عاتب
فقد حان لي منها الذي كنت أبتغي ... ووافق وبانا خير خل وصاحب
فإن كان هذا الدهر قد جاء تائباً ... قبلنا قبلنا منه توبة تائب
وأتحفني من صعدة بأحبتي ... وآنسني في غربتي بالأطائب
رأى أنه قد حال بيني أحبتي ... بصنعا وبيني بالنوى والنوائب
فأبدلني لما رثى لي ورق لي ... بخل كريم الأصل زاكي المناصب
سلوت به عن ذكر صنعا وأهلها ... وعديتها للدهر إحدى المناقب
نظامك وافاني فكان لمهجتي ... ألذ وأحلى من لقاء الكواعب
وصفت به حال الزمان وأهله ... ولا عجب فالدهر جم العجائب
وما هذه الأيام إلا مناهل ... مكدرة هيهات تصفو لشارب
إذا ماصفت يوماً تكدر صفوها ... شهوراً وأعواماً بهذي الشوائب
فصبراً على فقد الأحبة والنوى ... ستحمد عقبي الصبر من كل غائب
فما قريب تطلع الشمس بالهنا ... وتكشف عنا غيم هذي السحائب

* * *

وله رحمه الله جوابا على القاضي علي أيضا رحمه الله

نظم أرق من الشراب ... وألذ من زمن التصابي

قد كاد من لطف المعاني ... أن يسيل من الكتاب

كالسحر إلا أنه ... حلّ أراه بلا ارتياب

لا بل هو السحر الحلال ... أتى بأنواع العجاب

لا بل هو الدر النفيـ ... ـس أتى من البحر العباب

بحر الفصاحة واللطا ... فة والبلاغة في الخطاب

نجل الضياء ولا عجيـ ... ـب فالعجيب من النجاب

من سرني بقدومه ... وأزال لقياه اكتئابي

لله خطرتك التي ... ما كان تخطر في حسابي

إني بسفح ثهــازة ... أحظى بوصل واقتراب

ويعود لي زمن المسرة ... في بلاد الاغتراب

فلأنشرنْ له الثنا ... ولأطوينْ عنه عتابي

ولأغفرن له الذنو ... ب السالفات إلى جنابي

من غربتي عن سفح صنـ ... ـعا وابتعادي عن صحابي

من أرتجي من بعدهم ... ظفراً قريباً بالإياب

وخذ الجواب وإنه ... ينبي الجواب عن الجوى بي

وبلا حساب خذ تحيـ ... ـتنا إلى يوم الحساب

• • •

وله تغمده الله برحمته راثياً لوالده العلامة الزاهد ضياء الإسلام إسماعيل بن صلاح الأمير بل الله بوابل الرحمة ثراه .

لك الله هذا غاية الخلق ياقلبي … فدع عنك طول الهم والحزن والكرب
ألم تدر بأنا لاحقون بمن مضى … قريباً وأنا صائرون إلى الترب
وما هذه الأيام إلا منازل … فمن منزل ضنك إلى منزل رحب
ولا حظ فيها للسرور وإنما … يلوح ويخفى كالبروق مع السحب
وما هي إلا دار حزن وفتنة … وإن سالمت فالسلم يؤذن بالحرب
لقد سالمتنا برهة ثم آذنت … بحرب بلا طعن هناك ولا ضرب
ولكن بجيش الهموم والأسى … وقوس من الأحزان أصمت به قلبي
فلا تحسبن الدهر في السلم ساكناً … ولكنه في جمع جيش إلى الوثب
ومن صحب الأيام[1] أيقن أنها … بأفعالها في الخلق من أخبث الصحب
لها كل يوم غارة بعد غارة … تفرق ما بين المحبين والحب
وقد فرقت بيني وبين أعز من … على ظهرها عندي من العجم والعرب
أبي خير[2] من أمسى نزيلا لربه … يقابل بالتعظيم والبشر والرحب
إمام التقى والزهد من نال في العلا … بما ناله في الدين مرتبة القطب
له صبر أيوب وطول مقامه … ولم يشتك الأسقام إلا إلى الرب
تقضت له من نحو عشرين حجة … سقيماً فلم يرقد مناماً على جنب
ويصبح فينا كالمعافى بخلقه … وفي خُلقه عما يلاقيه ما ينبي
وعلامة لم يجعل العلم مكسباً … ولا عاش إلا بالحلال من الكسب
ولا وطئت رجلاه منزل ظالم … ولا مال يوماً للمناصب والنصب
له الأدب الحلو الذي فاق ذوقه … حبيب بن أوس والتهامي والهبي

(١) الأيام لا تفعل شيئاً والفاعل هو الله وحده .
(٢) هذا فيه غلو ، فمن أين علمت ذلك .

ويكفيه فخراً أنه لم يقله في   مليك لجدواه فيطرب بالكذب

فما شعره إلا جواب لفاضل   أو الوعظ أو ما بين نسب إلى خطب

إلى خلق منه النسيم تعلمت   وأنى لها حسن البشاشة للصحب

على خبرة والله لم أر مثله   ولا سمعت أذناى في الشرق والغرب

على مثله تجرى الدموع وتلهب القلوب بلا إثم يخاف ولا عتب

كذا قد غدا نومى لفقدك أدمعاً   لعل منامى صار جارك في الترب

فليلى نهار في السهاد وغيره الـنهار كئيب في سواد من الكرب

ومثلك لاينسى وإن حل في الثرى   فشخصك في إنسان عيني وفي لبي

تمثلك الذكرى فأنت محادثي
وإن كنت في الجنات والمنزل الرحب

نزلت بها ضيفاً لمن خالق الورى   عظيم القرى سبحانه غافر الذنب

هنيئاً مريئاً ما قدمت من الجزا   إليه بما قدمت من صالح الكسب

عسى ولعل الله يجمع بيننا   هنالك في دار النعيم على قرب

لبعدك لا أهوى الحياة للذة   وهل لذة للطعم بعدك والشرب

ولم يبق لى إلا احتساب لأجر ما   أصبت به أن احتسابي به حسبي

سلام على مثواك مسك وعنبر   يطيب به ما حول قبرك من كثب

* * *

ووصل من السيد العلامة إسحق بن يوسف بن المتوكل رحمه الله كتاب إلى المولى البدر رضى الله عنه سنة ١١٥٧هـ يطلب منه شيئاً من مؤلفاته فأرسل إليه بمجموع فيه رسائل ومسائل علمية وكتب إليه .

يا خاطباً مؤلفاتي راغباً   لأجل كفو أنت في الخطاب

زفت إليك رسائل ما مثلها   مما يزف إلى رفيع جنابه

لكن كرهت بأن تراني عاضلا   فأرد خطابا أتوا لخطابي

فاستجليها في عنفوان شبابها   لم تبتذل بتداول الأحقاب

وبنا كرائم إن أردت وصافها   سرحتها تحوي بحسن إياب

جمع الكرائم في نكاح محرم   لو جاز أرسلنا بكل كتاب

واسبل عليها الستر فهي صناعتي   لاصنعة الهروي والخطاب

* * *

وله رضي الله عنه إلى بعض من عاتبه من بعض إخوانه على انقطاع المكاتبة وهو المبتدي بقطع كتبه :

أصدود منكم ثم عتاب   إن هذا في الهوى شيء عجاب

ما سمعنا أن جان عاتب   أو بأن يجني عليه يستتاب

بالجفا أنتم بدأتم والنوى   ما أتانا مثل ما كان خطاب

بين أوراق إلينا ختمت   ففضضنا فإذا بكر كعاب

وحروف ككؤوس زوقت   نقطها في شكلها منها حباب

كنت أجني كل حين كلما   لفؤادي منه روض مستطاب

جرتني برهة أقلامه   ثم جاءت فإذا بحر عباب

تلطمت أمواجه دون فتى   فيه من أحداث أيامي حراب

فتجنوا كيف شئتم واجتنوا   أدبا مني وقولا لا يعاب

لستم أول جان إنه   قد جفانا قبلكم قوم صحاب

قد أنسنا بالجفا من كل من   قد عرفناه وقد لان الجناب

ما عرفنا للوفا إلا اسمه   ليت شعري هل له معنى يصاب

هذه نفثة مصدور فقف   يا يراعي إنما هذا التهاب

* * *

وله رحمه الله إلى السيد صفي الدين أحمد بن الحسين [illegible] الحرم سنة ١١٧٠ هـ

وحرمة ما بيني وبينك من حب   وإن حال عهدي [illegible]

لأنت أدل الناس عندي محبة   فشخصك في عيني وحبك في قلبي

أتحسبني أنسى المودة والإخا   وطيب اللقا دهراً [illegible]

أبى الله أن أنسى الذي كان بيننا   فودي ذلك الود في البعد والقرب

ولا زال ذكرى للقـــاء تحيـــله

سقى سوحها الهطال من وابل السحب

وإكرامكم إياي في كل ساعة   ولقياكم لي بالبشاشة والرحب

سلام على تلك الديار فذكرها   ألذ إلى قلبي من البارد العذب

سلام على أخلاقك الغر إنهـا   خلائق يسبي لطفها كل ذي لب

خلائق طابت فهي إرث لأحمد   من المصطفى خير الورى صفوة الرب

ولا غرو للأبناء إرث أبيهم   فياحبذا ما نلت من ذلك القرب

بفرض وردٍّ كان إرث محمـــد   لأحمد نجل القاسم العلم الندب

ومن خلق خير الرسل غفرانه لمن   أتى مذنباً فاغفر فإني ذو ذنب

جفائي لأحبابي وتركي عهادهم   كبائر يمحوها المتاب إلى الحب

وإني مما قـد جنيت لتائب   فهل غافر قبح الذي كان من ذنبي

عفا الله عنا أجمعين ذنوبنا   وأسكننا دار المقامة والقرب

وصل على خير الخلائق أحمد   وصل على الآل الميامين والصحب

ولا تنسني بالله يوماً من الدعا   سوى كنت حياً أو رحلت إلى ربي

فإني لا أنساك يوماً من الدعا   وذلك في حفظي لعهدكم حسبي

* * *

وله رضي الله عنه إلى صنوه الزاهد الورع حلى الإسلام أحمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله .

لما عزم للحج هو وولده إسماعيل بن أحمد وتأخر عن الوصول بعد وصول الحجاج فكتب إليه رحمه الله :

طال التأخر منكم أيها النجب ... فسارعوا سارعوا لا مسّكمُ نَصَبُ
شغلتمُ القلب بالأفكار بعدكمُ ... فالقلب لا زال في الأفكار ينقلبُ
حيناً نقول أقمتم بالمقام ولا ... تَغزو وحيناً نقول البحرُ مضطرِبُ
نسلي النفس والأشواقُ تقلقنا ... ونارها في صميم القلب تلتهب
وكلما مر أسبوع نقول عسى ... من بعده تبعث البشرى لنا الكتب
نسائل الركب عنكم كل آونة ... فلم نجد خبراً يشفي به الوصب
إن كان ألهاكم البيت الحرام فقل ... (يا مطلبًا ليس لي في غيره أرب)
فإنه كل مطلوب لمرتحل ... (إليه آل التقصي وانتهى الطلب)
وما إلى البيت والأستار مرتحلي ... لكن لمن إلى علياك ينتسب
إلى صلاة بأضعاف مضاعفة ... في أجرها وطواف نوعه يجب
وقد أخذتم بحظ منه متسع ... والأجر في البيت بعد البيت مرتقب
تؤنسون به من طال شوقهم ... فالقلب ملتهب والدمع منسكب
ما بين طفل ومثغور ومحتلم ... وكم عجوز من الأرحام تنتحب
وشيبة[1] لا يرجى غير قربكم ... فقربكم ولقاه كله قرب
يا حبذا حبذا قول البشير لنا ... استبشروا قد أتاكم هذه الكتب
أهلاً وسهلاً لقد تم السرور لنا ... وهزنا كلنا من قربكم طرب
وقرت العين باللقيا ووصلكم ... فالحمد لله حمداً دائماً يجب

(١) يريد نفسه .

وله رحمه الله وقد اطلع على سفينة لبعضهم فيها مراثى جماعة فى كلاب مات لبعض الشاذة فأمرنى أن أكتب فيها هذه الأبيات فكتبتها فيها بأمره وهى :

كان السفائن سابقاً   تأتى بأنواع الخطاب

وصف القدود والخدو   د أو الثغور أو الرضاب

أو مدح ملك قد سما   ورقى على هام السحاب

أو مدح من حاز العلو   م وصار كالبحر العباب

أو ذكر أيام الوصا   ل مع الأحبة والشباب

هذى المقاصد والقصا   ئد وروضهن المستطاب

وسفينة تولـــــد لديـ   ـك أتت بمرثاة الكلاب

فالشعر أولى بالرثا   ء وبالبكاء والانتحاب

إذ صار طوقا للكلا   ب الميتات على الرقاب

هذا هو الخسف الذى   وردت به آى الكتاب

خسف الشمس الشعر والـ   ـقمر المنيرة والشهاب

صلوا صلاة كسوفها   إن كان يشرع فى كتاب

فليحتسب أهل القريـ   ـض لما أتاهم من مصاب

* * *

وقال رضى الله عنه ينشد الناس كثيراً هذا البيت :

(ذهب الذين يعاش فى أكنافهم)

فقلت مضمناً له :

من كان غير إلهه مطلوبه   ويرى سؤآل سواه أسنى مطلب

ويلوم سكان البسيطة منشدا   فى ذمهم بيتاً بغير تأدب

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم   وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

فأنا الذى أرجو إلهى وحده   فى دفع ما أخشى ونيلى مأربى

فاكف عن كل الأنام ملامتى   إن شئت تقليدى فهذا مذهبى

وقال رضوان الله عليه قال الشاعر يخاطب ممدوحه :

فاصبر لعادتك التى عودتنا ... أولا فأرشدنا إلى من نذهب

٭ ٭ ٭

فقلت مخاطبا رب العزة العلى الغنى عز وجل :

فأدم علينا عادة عودتنا ... أأقول أرشدنا إلى من نذهب

هيهات أين وليس أين وما لنا ... والله يوماً عن جنابك مذهب

٭ ٭ ٭

وقال رحمه الله قال نشوان بن سعيد الحميرى العلامة مؤلف شمس العلوم :

آل النبى هم أتباع ملته ... من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته ... صلى المصلى على الطاغى أبى لهب

٭ ٭ ٭

فأجبت عليه بقولى :

إن الصلاة من الرحمن واجبة ... للآل من آمنوا بالله والكتب

فإن ترى الشرط مفقوداً فلست ترى ... إلزام يلزم بالطاغى أبى لهب

لقد تجاهلت شرطاً للصلاة وما ... جهلت إذ أنت بحر العلم والأدب

٭ ٭ ٭

وقال رحمه الله وهو فى السجن :

إذا كان حبى أحمداً وحديثه ... يعدونه ذنباً فلا زلت ذا ذنب

فلى أسوة بالمصطفى ووصيه ... فقد حبسا من قبل فى ذلك الشّعب

ولست أبالى أن جفتنى عشيرتى ... وربّى راض فهو من دونهم حسبى

٭ ٭ ٭

وله رضي الله عنه جواباً على السؤال الوارد في مسؤول [illegible]
جوابه وسيأتي السؤال والجواب الأول في حرف اللام :

وقفت على السؤال وما حواه ... وقوف محاول فصل الخطاب
فلما ذقت تحوي ما حواه ... وقفت على الجوابات العذاب
فيا لله ما أحلى معان ... وألفاظ أرق من الشراب
حلت لكن خلت عن كل معنى ... يسوغ أن يسمى بالجواب
أتصغون الفتى الظمآن منكم ... إذا استسقى بكأس من سراب
خذوا عني خذوا عني جواباً ... وذبّا عن بني أبي تراب
ودونك أيها الحبر فاسمع ... جواباً لم يكن لك في حساب
فمذهبنا إذا ما أطلقوه ... وقرره النجوم من الصحاب
وأطلقه المحقق في الفتاوى ... وعنونه بعنوان الصواب
وأضحى في يد الحكام سيفاً ... تشق به القضايا كالرقاب
وتبدو الرؤوس لدى دروس ... بلفظة مذهب طي الكتاب
وللتمييز يكتبها بحسن ... فقيه في المدارس لانتساب
فذلك مذهب الداعي ليحيى ... إمام القطر والبحر المهاب
هو المتبوع وهو لذاك أهل ... إلى المحراب يغدو والحراب
له عند اللقا الأبطال وجد ... وشغل بالطعان وبالضراب
وعند السلم أقلام تبارى ... بأقوال تؤيد بالكتاب
وسنة أحمد مهما رواها ... جهابذة الأئمة والصحاب
كذلك ما يسلسله ثقات ... إلى المولى الوصي أبي تراب
فإن فقدت أبيح له رجوع ... لتحصيل القياس بالاكتساب

فمهدي[1] حجة الأقوال فيما ... أتت فاشكر لما أهدى خطابي

وخرّج بعد ذلك له أناس ... من النظار فاطّرح التغابي

وقد جعلوا المخرّج شبه نص ... ليحيى داعي الحق المجاب

فإن يتعارض القولان نصاً ... وتخريجاً تخالف في الصحاب

فبعضهم يرجح نص يحيى ... وبعضهم مفاهيم الخطاب

فمن هذا يذهب ذاك قولاً ... وذاك إلى سواه في ذهاب

وكم خدمت مقالته أناس ... هم مثل المؤيد والشهاب

فهذا صنف التجريد قصداً ... لإظهار الأدلة والصواب

وهذا باقتصار واختصار ... أتى في ذاك بالبحر العباب

تعجب إذا ما خالفاه ... وتحسب أن ذلك من الخراب

لما قد أسساه لأصل يحيى ... سقى مثواه هطّالُ السحاب

فما المقصود إلا أن هذا ... قوي للمقلد في حساب

ومختاري يخالفه لأني ... عرفت الحق فيه فلا أحابي

فهذا أصل مذهبنا ولكن

ذوو التدريس في الكتب الصعاب

أجابهم ذوو التقصير فيما ... رأوه أو رووه في كتاب

فلم يدروا بمذهبنا يقيناً ... وقد خلطوا الخطاء مع الصواب

وذهّبوا الضعيف وقرروه ... وما خافوا مناقشة الحساب

وأوقعوا الذي يفتي لديهم ... كإيقاع الفراشة في الشهاب

فإن أصغى لفطرته قليلاً ... رأى الأقوال في موج اضطراب

كسائلنا الذي وافى برشد ... مريداً للنجاة من العذاب

---

(1) الإمام المهدي أحمد بن يحيى عليه السلام.

نخذ هذا جوابك عن سؤال ... نخذا منه فؤادك في التهاب
وإن ترد النصيحة بعد هذا ... وأتى ولاك في البحر العباب
علوم الاجتهاد إلى رباها ... تسامى واقتطف منها الروابى
وخص محمداً خير البرايا ... كذاك الآل طراً والصحاب
بتصلية وتسليم كثيراً ... تزورهم إلى يوم الحساب

٭ ٭ ٭

وله رحمه الله وقد حمل العصا في بعض زوايا الروضة أول ذلك سنة ١١٧٠هـ

ما حملت العصا لضعف ولكن ... نى رأيت الرحيل منى قريبا
لحملت العصا لتذكير نفسى ... أننى صرت فى الأنام غريبا

٭ ٭ ٭

وله رضى الله عنه ملغزا في سرق :

أى شيء يحتاج كل إليه ... وهو لا يعرف الخطا والصوابا
إسمـــــه مفرد ويأتيك جمعا
جاء فى الذكر حين تتلو الكتابا
وإذا ما عكسته فهو شيء ... سكن الأرض والسما والسحابا
وبه حرف علة فإذا زا ... ل فأمر فافهم هديت الصوابا

٭ ٭ ٭

وله رضى الله عنه وأرضاه :

آه من دهر له حال عجيب ... ما له قط من الخير نصيب
خابت الآمال فيما نشتهى ... والذى نكره فيه لا يخيب

كل يوم وله أحدوثة ... تشغل الأفكار عما يستطيب

كلما أملت صرفاً للجفا ... قال لى ثوب الجفا ثوب قشيب

وإذا أملت قرباً منكم ... قال إن البعد منهم لقريب

نقطع الأيام تسويفاً وإن ... مر يوم فإليها لا يؤوب

نحن فى الدنيا كركب كلما ... قطعوا أرضاً تلقاهم كثيب

وكذا الدنيا على من قبلنا ... ليس فيها أبداً عيش خصيب

فالزم الأشغال إن كنت ترى ... أن هجر الخل للخل يطيب

أو فدعها ثم زرنا تارة ... إن لداعى شوقنا أنت تجيب

لا تراقب لفراغ مقبل ... ففراغ المرء فى الدنيا غريب

وسلام من أخ فى الله قد ... أوثقته سيئات وذنوب

فأمدوا بالدعا فى غيبة ... فعساه بدعاكم يستجيب

* * *

وله رحمه الله وقد أضاف بعض أصدقائه لصبوح العنب والغدا فتراخوا عن الوصول فكتب إليهم :

قد قلقنا من تأخركم ... أيها الإخوان لا لسبب

وانتظرنا بالصبوح لكم ... واعترانا منه بعض سغب

عنب إن ذقته عسل ... وإذا أبصرت قلت ذهب

يدرك الرامون نشوته ... فإذا ذاقوه صار ضرب

والغدا قد أعدوه لكم ... وأتوا فيه بكل عجب

* * *

وله رحمه الله جواباً على كتاب وصل إليه من الخوجه الأفندي سعد الدين بن علي لولي رحمه الله وذلك في شهر ذي القعدة سنة ١١٨١ هـ

مرحباً يا مرحبا يا مرحبا … بكتاب من صديق مجتبى

فاض دمعي عند فكي ختمه … إشتياقاً للذي قد كتبا

ونشرناه فخلناه نشره … كان مسكاً بل أزاد أطيبا

شرحت أسطره صدري فهل … هو بلقيس أتتنا من سبا

أم هو الهدهد وافى موجفا … وأتانا من سباء نبأ

نبأ من أطيب الأنباء يا … حبذاه نبأ ما أعذبا

خبر عن قرة العين ومن … هو في القلب مقيم محجبا

من قريب بعدت أوطانه … وهو عندي لا أخاف الرقبا

إنما يخشاهم من حبه … عنده داء ويرى مقتربا

وعذولا يعذل الصب إذا … صار من نار الهوى ملتهبا

كلما هبت له ريح الصبا … زال عنه وصبا ثم صبا

منطوي القلب على حبكم … نشر الفم أنشاه طيباً

لأخي سعد العلى والدين من … هو أنس القربا والغربا

من أتى منزله نال به … كل ما يرجو ونال المطلبا

يتلقاه بوجه باسم … قائلا أهلا وسهلا مرحباً

دام في عافية في نعمة … في سرور يترقى الرتبا

رتب المجد بجود هاطل … من يديه دائماً منسكبا

بهبات صيرت ما وهبت … كل كف غير كفيه هبا

دام في خفض من العيش يرى … قدره مرتفعا منتصبا

وسلام الله يغشى سوحه … كلما هبت جنوب وصبا

وصلاة الله تغشى أحمدا ‏ ‏ ‏ وبنيه العظماء النجبا
وصحابات له قد هاجروا ‏ ‏ ‏ ثم أنصاراً بأوطان قبا

* * *

وقال رضى الله عنه أيام ظهور أبو علامة وذلك فى شهر رجب سنة ١١٦٣ هـ وأطاعه أكثر الناس وأخرب حصون حاشد وبكيل لعلها تبلغ أربعين حصناً أو تزيد قالها قبل أن تتبين حقيقة حاله .

أديرت على حى بكيل وحاشد ‏ ‏ ‏ رحى الويل والإدبار من كل جانب
وصب عليهم سوط ذل ونقمة ‏ ‏ ‏ فتى ماجد يعزى إلى آل غالب
وخرب ماشادوه من كل معقل ‏ ‏ ‏ فلست ترى حصناً لهم غير خارب
وقد ضربت فى كل سوق عليهم ‏ ‏ ‏ صوائح ذل صار ضربة لازب
وأنجد سكان المغارب منهم ‏ ‏ ‏ وكانوا عليهم من أشد المصائب
يسومونهم سوء العذاب كأنهم ‏ ‏ ‏ عبيد لهم قد سخروا فى المطالب
عجائب أبدتها المقادير بعدها ‏ ‏ ‏ عجائب تتركها أخف العجائب
يسير بها السفار فى كل بلدة ‏ ‏ ‏ ويحدو بها الركبان تحت الكواكب
واخذ خفاش وهو أرفع رتبة ‏ ‏ ‏ وأعلى منالا من حصون المغارب
ومن بعده الحصن الذى سار ذكره ‏ ‏ ‏ عمائمه فى الجو غير السحائب

* * *

وقال رضى الله عنه أخرج ابن السنى وأبو نعيم فى الطب ويض له الديلمى من حديث أنس « إذا رأيتم الرجل أصفر الوجه من غير مرض ولا علة فذلك من غش الإسلام فى قلبه » فقلت فى معناه

جاء عن المختار خير الورى ‏ ‏ ‏ كما حكاه الثبت فى كتبه
إن من اصفر بلا علة ‏ ‏ ‏ فهو لغش الدين فى قلبه

* * *

وله رضي الله عنه في الجناس المركب

وكم من صحيح الجسم يحسب أنه	معافى وقد أضحى على القلب ذنبه
علامات قلب المرء في حب ربه	فعظه وقل مهما علامات ذنبه

* * *

وله تغشاه الله برضوانه راثياً للسيد العلامة الفاضل جمال الدين علي بن الحسن المدلة الذماري رحمه الله توفي في شهر ذي القعدة سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف

ماذا أتتنا به الأخبار والكتب	ماذا الذي منه دمع العين ينسكب
ماذا أتتنا به الركبان من خبر	يكاد تخسف منه الشمس والشهب
هذا الذي كنت أخشاه وأحذره	ياليتها غيبتني قبله الكثب
ففي الجوارح ضعف كاد يقعدني	وفي الجوانح منه النار تلتهب
يا ناعياً عالم الدنيا وفاضلها	تأنّ حسبك قد أوهاني الغضب
ندبت ندباً فريداً في محاسنه	رفقاً فمن ندبه قلبي إذا يجب
ندبت من حلل التقوى ملابسه	وقلت لم بدمع العين أختضب
لهفي عليك جمال الدين من علم	قضيت نحباً فها نحن ننتحب
قضيت عمرك في التدريس مجتهداً	فليبكك العلم والتدريس والكتب
من للمدارس التدريس بعدك بل	من للمحاريب في الأسحار ينتدب
من للسؤالات إن وافت محيرة	من للتلاميذ للتدريس إن طلبوا
من للعلوم علوم الآل ينشرها	من بعد طيّك هذا الحادث الكرب
طوبى لقبرك ماذا ضم من كرم	ومن علوم ومن زهد هو العجب
وافيت ربك في أثواب طاعته	يهنيك أنك بالرضوان تنقلب
يلقاك روح وريحان ومغفرة	هذا النعيم الذي ينسى به النصب
صبراً ذويه فإن الموت غايتنا	وكلنا تحت حكم الموت ننسحب

صبراً أولى العلم فالدنيا حقيقتها عند الإله تعالى اللهو واللعب
مافاز منها سوى من كان همته تقديم زاد فإن السير مقترب
ثم السلام على السادات كلهم لاتاليهم بعد هذا الحادث الترب

وقال رحمه الله ملغزاً

ما اسم يرى ممتنعـاً وماله من سبب
وقد أتى منصرفاً عند جميع العرب

* * *

وله رحمه الله فى مليح لابس شالا أزرق وهو يصلى صلاة غير مستكملة وفيه تورية

يا قمراً فى قبـاء أزرق يغنى عن الطالع والغارب
ما ارتكب المحظور فى عمره لكنـه يعبث بالواجب

* * *

وقال رضى الله عنه لما وقف على كتاب « عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين » تأليف الشيخ العالم الأجل محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية رحمه الله فنظم هذه الأبيات وأودعها صدر مختصره منه المسمى
بـ « السيف الباتر فى عين الصابر والشاكر » وهى :

عدة الصابرين إن ناب خطب وزمان الفتى كثير الخطوب
جمعت فى غصونها كل معنى فهو نعم الجليس للمكروب
كم بها من فوائد فاغتنمها فنكات العلوم كنز القلوب
فارتشفها ثم اقتطف من رباها وتضمخ بعطرها والطيب
ثم سرح أجفان فكرك إن كنـ ـت فتى ناظراً بفكر اللبيب
تلق فيها دواء جهلك بالصـ ـبر وبالشكر من حكيم طبيب
واضعاً للهى فى موضع النقـ ـب مزيلا للبس والتنقيب
جالبا للتحقيق من كل فن فتنعم من ذلك المجلوب

يا له من مؤلف حاز علماً ... وأتانا بكل معنى غريب

فالأديب الأديب من أشعر القلـ ... ـب من الصبر كل ثوب قشيب

حاملاً للدثار أثواب شكر ... نسجت بالترغيب والترهيب

ولعمري لم أختصره لحشو ... قد حواه ولا لأمر مريب

ولئن كان بعض ذاك فيه ... كان لي حاملاً على التهذيب

غير أني طالعته ورحيلي ... هاتف بالنوى أمامي الحبيب

والصبا ترحم اليراع بكفي ... وتنادي قم يا مطيل المغيب

فالتقطت الجواهر التي قد حواها ... وتتبعت كل معنى عجيب

آخذاً زبدة الحقائق منه ... ولباب اللبـاب المطلوب

فهو لا شك سلوة لحزين ... وغذى الروح فيه أوفى نصيب

فتمسك به إذ شئت تلقى ... كل خطب بكل سيف ضروب

* * *

وله قدس الله روحه هذه الأبيات قالها بعد الواقعة الغريبة من الاعتراض الذي نعق به جهال جبل برض كما سيأتي شرحه(١) :

هذا بلا ريب لكل أريب ... عين الجهاد لمعتد ومريب

هذي سهام قد أصابت كل من ... أخطأ الصواب فكان غير مصيب

زوراً وبهتاناً أتوا وتهددوا ... وجهالة بالرب والمربوب

أو ليس ربي كافياً لعباده ... من كيد أهل الريب والتكذيب

---

(١) في حرف الذال وكتب هذه الأبيات بعد اطلاعه على أبيات لبعض أهل العصر في هذه الواقعة .

قد شابهوا الكفار فى أفواهم   للرسل بالتهديد والترهيب
ولنخرجنك ياشعيب ومثله   قالوا للوط وهو غير مريب
فلنا برسل الله أحسن أسوة   ولهم بأهل الشرك شر نصيب

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله لما اطلع على التشبيه الذى ابتكره المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله للمصطكى عند علوة على القهوة وما يتبعه :

شبهت مادارت به   بقهوة مثل الضَّرَب[1]
فنجانها بالمصطكى   إذ جاء فى لون عجب
بوردة قد فتحت   رُشَّتْ بمحلول الذهب

☆ ☆ ☆

وله فيه أيضاً :

قهوتنا رقت وقد[2]   راقت لكل شارب
فنجانها بالمصطكى   جاء بلون عاجب
مثل زباد نقشت   به خدود الكاعب

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فيه أيضاً :

بمصطكى القهوة فى   فنجانها المذهب
مطرز لاذ فوقها   بُرَادة من ذهب

☆ ☆ ☆

---

(١) من المنظومات لآل إسحاق وغيرهم .
(٢) قوله : « وقد » وفى نسخة « إذا » .

وله رحمه الله ولعلها جواب على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

عجباً يعاتبني بلا ذنب	من سار عن عيني إلى قلبي
بحر الندى والعلم من ظهرت	أوصافه في الشرق والغرب
رفقــاً فــاذا عسى	إن لم تزر أوطانكم كتبي
فلقد نزلتم في الفؤاد وهل	كتب الفتى يوماً إلى القلب
شرط المهاد كما عرفت به	عـدم اتحـاد الحب بالحب
وأنا الذي أهوى وأنت أنا	فعتاب نفسك عنده عتبي
فإذا أجبت عليك كنت إذاً	غيري وهـذا غاية الذنب
ولقد عجبت لطول عتبك لي	أجهلت أنك ساكن القلب
أظننت أنك صرت منفصلا	لمـا نأيت كسائر الصحب
قـد ساء ظني في مودتـكم	لمـا أطلت علىّ في العتب
أوهمتني أني سواك به	وبمثل هـذا كتبـكم تُنْبي
هـذا يدل بأن ودكمُ	خلق ترقع خرقه كتبي
كن كيف شئت فأنت أنت أنا	وأنا وأنت أنا فما ذنبي
أوجب واسلب أينما صفـة	أنا أنت في الإيجاب والسلب
أجهلت ماقد كنت تعلمه	أيام سربك في الهوى سربي
أيام نجنى كل فائـدة	من يانع التحقيق والرطب
وأنا أبثك كل شاردة	وأريد أن ترقى على القطب
فاذكر فدتك النفس مجلسنا	في الدرس تذكر كنه ما أنبي
واجعل مكافأتي دعاءك لي	إن سرت منفرداً إلى ربي
ورحلت عن وطني وعن سكني	وحللت في الأكفان والترب

فهناك تحقيقي يضيع ولا يجدي إذا نوقشت في ذنبي
وعساه يغفرلي ويرحمني حسبي به دون الورى حسبي

☆ ☆ ☆

وله بل الله ثراه بوابل رحمته :

قسماً بآيات الكتاب وربنا منشى السحاب
أن العزيز هو أنه وعذابه في الاغتراب

☆ ☆ ☆

وله رضى الله مجيباً على المولى العلامة شرف الآل الحسن بن إسحق بن المهدى أحمد بن الحسين رضى الله عنهم .

يا عاتباً لي ما الذي إلى عتابي ندبك
وأي شيء قد جرى مني حتى أغضبك
إن كان حبي لكم ذنباً فقل ما أذنبك
فيا فؤادي هل سوى هواه قد غلبك
ويامنام ناظري بالله قل من سلبك
وأنت يا جسمي من ثوب السقام ألبسك
وأنت يا بالي أبن من بالغرام خلبك
نخذ شهود الحب من جوارح أن تلد بك
واستقص منها كلا ترى لديها عجبك
ودع خيالا كاذباً ولا تصدق رِيَبَكْ
إني على عهد الوفا يطربني ما أطربك
وما أرى لي مشرباً أرضاه إلا مشربك
وما تركت كتبي ولا كرهت كتبك
ملامة مني فلا تلزمني تَعَتُّبك

لكن كل حاسد بويته قد رقبك
يسعى ليسعى بي كي يكسبني ما أكسبك
فيازماني هل قضيـ ـت من جفائي أربك
كم ذا لمال اشتهى نمشي فيه خببك
إذا اصطفيت صاحباً أنشبت فيه مخلبك
تمتقل البعض على رغمى كأن قد أحربك
والبعض قد شردته لقد أسأت أدبك
أسأت في عصابة كذا تراهم قربك
عسى تتيب بعد ذا فيشتفى من أتعبك
ثم يعود منثياً عليك من قد ترَّبك
مولاى خذ نظمي وقل للفظه ما أعذبك
وخذ سلامى قائلا لنشره ما أطيبك

☆ ☆ ☆

قافية التاء

وله رضى الله عنه وعظة قالها في يوم الأحد رابع ربيع الآخر سنة ١١٧٣ هـ ثلاث وسبعين ومائة بعد الألف .

عسى توبة تمحى بها كل زلة وتغسل أدران القلوب المريضة
عسى أوبة من سفرة الجهل والهوى فقد طال في أقطارها تين غربتى
رحلت صغيراً نحوها فأنا بها إلى أن ألمَّ الشيب فيها بلمتى
ولم أر فيها ما يروق بلى بها تريق دم الأعمار أسياف غفلة
ونسقيك خمراً عتقت من غباوة فياشربة غطَّتْ على كل فكرة
تنادمه فيها الندامة بعدها إذا حصلت منه إفاقة صحوة

وهيهات لا يصحو وفي كل ساعة ... تدار عليه شربة بعد شربة

فلست تراه الدهر إلا معربداً ... إلى أن يرى في الكف كأس المنية

أفق أيها القلب الذي قاده الهوى ... وليس له غير المنى من أزمة

شربت الأماني بالحقائق ضلة ... وبعت نفيساً ناجزاً بالنسيئة

أجدك ما الدنيا وماذا نعيمها ... وهل هي إلا دار بؤس وحسرة

إذا أدركت فيها مسرة ساعة ... أتتك إساءات تنسيك بأنتي

وإن عطفت فالعطف عطف توهم ... فإياك أن تغتر منهـــــا بعطفة

رأينا أناساً قد أناخت بدوحهم ... وقالت خذوا من زهرتي كل منية

فغرتهم حتى استباحوا حريمها ... وحطوا بها الأثقال من كل شهوة

فما هي إلا أن أرتهم نعيمها ... ومدوا أعناقاً إلى كل لذة

أتتهم فأجلت عنهم كل شهوة ... أرادوا وأخلت عنهم كل غرفة

فصاروا أحاديثاً لكل محادث ... وهم سمر السمار في كل سمرة

وللعين كانوا قرة ثم أصبحوا ... وهم عبرة تجري بها كل عبرة

تبدل منها كل شيء بضده ... فإياك أن تغتر منهـــــا برتبة

فصحتها والعز والمال بعدها ... سقـــــام وذل وافتقار بقلة

كذا عكس ذا فارفق بنفسك إنما ... لها ما قضاه الله رب البرية

وامح نقوش الجاه عن لوح خاطر ... يرى الجاه عند الناس خير مزية

فما هو إلا مثل مقلوب اسمه ... يهيج قليلاً ثم يطفى بسرعة

أرى هذه الأعمار أحلام نائم ... ولذتهـــــا طيفاً ألم بمقلتي

وكنا نظن الطيف ما زار بالكرى ... فصرنا نراه ما نراه بيقظة

خليلي هبا كيف طاب كراكما ... وقد هب في الأرواح روح لمنية

تطير بأرواح العباد فتنتهي ... إلى دار إسعاد ومنزل شقوة

ألست ترى الأتراب قد رحلوا إلى الـ ... تراب وحلوا في منازل وحشة
مقيمين فيها ينظرون متى متى ... تروح إليهم في عشيّ وبكرة
وتقبل في جيش قصارى مرامهم ... نزولك فرداً حفرة أي حفرة
ويحثو عليك الترب كلُّ مشيِّع ... ثلاثاً وهـذا من فعال الأحبة
فتنزل داراً لا أنيس بهـا ولا ... خليل بـهـا تفضي إليه بخلة
سوى رحمة الرحمن يا خير راحم ... أسأنا فقابلنا بعفو ورحمـة
نزلنا ضيوفاً للكريم ومن يكن ... مضافاً له يلقاه كل عناية
فحاشاه من تضييق لحدي وضمه ... لجسم ضعيف لا يطيق لضغطة
لك المثل الأعلى فلو نزل امرؤ ... على بشر لقاه أحسن ضيفة
فكيف بمن يأوي إلى خير منزل ... وخير كريم بعد أشرف دعوة[1]
أيدعو وحاشاه ولا يكرم الذي ... دعاه بغفران وعفو ومنـة
بلى إنه يلقاه بالروح والرضا ... يقال له ادخل في عبادي وجنتي
يجاور فيها المصطفى سيد الورى ... فيا حبذا في جنة الخلد جيرتي
وصل على المختـار والآل إنها ... لحسن ختام في نظام القصيدة

* * *

وله رحمه الله جواباً على السيد العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله عن أبيات وجهها إليه وإلى عمه المولى الحسن بن إسحق وأرشده أن يستجيب مولانا البدر في الجواب .

كل أخبار الهوى قد رويت ... عن غرامي وإليه عزيت
نقلوها عنه لا عن غيره ... فإليه في الهوى قد أنهيت
وعليه نشرت أعـــــلامه ... وأحاديث سـواه طويت
وإليـــــه ملكه منتقل ... ومقـاليد الهوى قد ألقيت

(١) إشارة إلى قوله تعالى « والله يدعو إلى دار السلام » .

قد رقى صبابة فى فنـــه ... ما أراها قبــله قد رقيت
وعليـــه أنزلت آياته ... وبمحراب هـــواه تليت
لا تلومونى على حمل الهوى ... فوساد اللهو بى قد ثُنيتْ
فاقتدوا بى فى الهوى إن شئتم ... تدركوا ما فيه نفسى قنيت
واقتفوا آثارها فهى التى ... يهدى أهل التقى قد هديت
كما دعا داعى الهوى أربابه ... لم يجبه غيرهـــا إذْ دعيت
بايعت داعى الهوى حين دعا ... أنَّها رقٌّ له مـــا بقيت
ليت شعرى هل لأهل المنحنى ... خبر عن مهجتى ماالقيت
إنهـــا من بعد أن جد النوى ... بلظى هجرهم قـــد صليت
وقفت فى الدار من بعدهم ... تندب الأطلال حتى عميت
ألصقت حر حشاها بالثرى ... علَّها تطفى لظى مـــا صليت
تلثم الأقـــدام للريح إذا ... قيل من نشرهم قد عديت
كم رعت عهداً لهم ياليتهـــا ... مثلما ترعاهم قد رعيت
إن جفوها أو رعوا فهى التى ... لهم فى كل حـــال هويت
عجباً من منهل الحب إذا ... شربت نفسى منـه ظميت
أين أيام اللقـــا ياليتهـــا ... بفؤادى وبروحى فديت
أم جفاها المُزْنُ بعدى مثلما ... قد جفانى زمنى لا جفيت
يا أحبـــاىَ بسفح المنحنى ... هل غصون البان بعدى رويت
إن جفـــاها فكفاها عبرتى ... فبها تلك الربى قد سقيت
وأظن المزن إذ شاهدهـــا ... قال هذى مؤنة قد كفيت
فاسألو البارق عنى إن شرى ... فأحاديثى إليـــه نميت
فهو يرويها لكم عن خبرة ... فعليـــه قصتى قد قريت
والهوى إن حل فى نفس فتى ... علة ما عنه نفس بريت

ليس يجدى فيه تعليق الرُّقَى ... أى نفس من هواها رقيت
ليس يشفيها سوى وصل الذى ... بمناها فى هواها رضيت
ملك العليا ضياء الدين من ... يكشف الظلماء إذا ما غشيت
ملك وابن مليك فإلى ... بيته كل المعالى حديت
فهو بحر وابن بحر فلذا ... بشمائم أبحر قد عليت
لا أطيل النظم فى أوصافه ... فهى شمس فى الورى قد جليت
إنما الوصف وتطويل الثنا ... للذى أوصافه قد خفيت
كيف يخفى وصف من جدّد مِنْ ... حلل العليا برودا بليت
وأعاد النظم روضا ناضرا ... بعد ما قيل رباه ذويت
وإلينا منه نظم قد أتى ... منه أزهار المعانى جنيت
مادحاً الملك الفرد الذى ... بمعاليه المعالى حَلِيَتْ
طالباً منه جواباً وأرى ... صنعة الشعر لديه قليت
أو عرا فطنته من دهره ... جيش شغل فعليه سبيت
فهو فى بحر اشتغال عنكم ... سفن الشعر لديه أرسيت
والذى تذكر من آدابه ... بعد أن جد نواكم نسيت
ثم قلتم واستتب بدر الهدى ... فأجابت فطنتى إذْ دُعِيَتْ
بنظام لم يدعى زمنى ... أصطفى أبياته إذ بنيت
كيف يرتاح إلى النظم فتى ... فى زمان عينه قد عميت
فلهذا حال الفضل على ... لابسيها عنده ما رويت
إن جلبنا حلية الفضل إلى ... سوقه نبتاعها ما شريت
فاكس أبياتى ثياب الستر إن ... خلتها عن كل حسن عَرِيَتْ

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه ـ قالها فى السجن وقد خرج الذميون إلى بيوتهم لسبت وكان مكانه الذى هو مسجون فيه قريباً من دار الضرب :

وجاورت دار الضرب كرها وبئس ذا جوار يهود مالهم فى الهدى ثبت
مطارقهم من الطوارق تتقى فما لنام الدين فى قربهم بخت
فأنشدت بيتاً قد تقادم عهده ولا عوج فيه تتلى ولا أمت
ومن أعجب الأشياء أنى مسلم حنيف ولكن فى خير أبنائي السبت

٭ ٭ ٭

وله رحمه الله :

طعمت حلاوة الأشياء طراً فلا شىء ألذ من السكوت
وخير مجالس الدنيا جميعاً مجالسة الدفاتر فى البيوت

٭ ٭ ٭

وله رضى الله عنه وأودعها رسالة فى الاستعاذة :

لو الثقلان الإنس والجن أجمعوا يريدون إيلاماً لأصغر نملة
وكان لها رب السموات ناصراً لما ظفروا منها بأدنى مضرة

٭ ٭ ٭

وقع فى ليلة الثلاثاء وصبحه وهى ليلة ١٩ شهر شعبان سنة ١١٨٠هـ ثمانين ومائة وألف ـ ثلج فى صنعا وماحولها لم يعهد مثله فى الكثرة فأصبحت الأرض والسطوح ممتلئة منه متراكماً بعضه على بعض وقد كان تقدمه برد شديد من أول شهر رجب فقال رحمه الله تعالى فى ذلك :

كسا الله وجه الأرض حلة زاهد وألبسها الآفاق أحسن لبسة
وعما قريب يكسها ثوب خضرة يعيد بقاع الأرض روضة جنة
تبارك ربى ثم جل جلاله يرينا من الآيات فى كل لحظة

عجائب دلت أنه الواحد الذى ... له وحده فى الكون أعظم قدرة

* * *

وله رضى الله عنه راثياً لوالده العلامة الفهامة الزاهد الورع إسمعيل بن صلاح الأمير رحمه الله قال مولانا البدر رحمه الله كانت وفاته يعنى والده الضيا ضحوة الجمعة ثالث شهر ذى الحجة الحرام سنة ١١٤٦ هـ بصنعا ودفن بجربة الروض وشيعه أمم لا تحصى ووصل إلينا كتاب وفاته هجرة شهارة بعد العصر من يوم عرفة واتفق لوفاته من المواقع ما أراق دموع الأعيان وألهب فى كل قلب نيران الأحزان انتهى كلامه .

أحقا جرى ما يسيل العبرات ... ويجرى دماء العين لا الدمعات
وحق له شق القلوب تأسفا ... إذا شقت الأثواب بالنكبات
وأن ينحر السلوان فى كل مقلة ... ويجرى دم السلوان فى الوجنات
لقد كاد روحى أن يفيض من الأسى ... ويسلبنى حزنى ثياب حياتى
فيا عين قد أسعدت بالدمع فارفقى ... ولا تحرقى الأكوان بالزفرات
وهل نافع دمع يسيل ومهجة ... تذوب وعضى حسرة لشفاتى
وأقسم لو كانت جميع جوارحى ... عيونا وجاد الكل بالعبرات
لما بردت من نار حزنى جذوة ... ولو غرقت من دجلة وفرات
بلى فى مقام الصبر لو كان ممكنا ... غنى عن دموع العين والحسرات
ولكنه قد عيل كل تصبرى ... وما كل صبر فى الخطوب مؤاتى
لقد ضاق ثوب الصبر عن شر ما جرى ... وكان قديماً ساتر النكبات
ولكن لى فى المصطفى ووصيه ... وسبطيه والزهر أو ذى الثفنات[1]
مجال لترويد التأسى وسلوة ... فإن التأسى مرهم العثرات

---

(١) لعله يريد « زين العابدين » و « الثفنات » أثر السجود فى جبهته ــ منه .

أتى خبر أجرى الدموع وألهب الـ … قلوب عقيب العصر من عرفات
فكذبته من هوله ثم ردني … رسائل أعلام أتت وثقات
رسائل مثل الشهد لفظا وفعلها … بقلبي فعل السم والسمات
رقوم كأمثال الأراقم سمها … ورب قتيل كان باللفظات
أتى من أزال قاصم الظهر ليتها … أتت قبل أن يأتي إلىّ وفاتي
بأن قد ثوى من لا يقاس به الورى … وقد حل التقوى إلى الحفرات
فيا عجبا هل يدفن الزهد والتقى … يهال عليه الترب بالحثوات
ضياء الهدى من قد سما بفعاله … إلى الملأ الأعلى ذوى الدرجات
به تكشف البلوى و يندفع البلى … وتستنزل الأمطار فى الأزمات
حليم حكيم حافظ للسانه … وأفعاله إلا عن القربات
أليف التقى خدن الهدى صاحب العلى … حليف كتاب الله فى الخلوات
سيبكى عليه كل محراب مسجد … ويلبس سربالا من الظلمات
فقد كان قنديل المساجد فى الدجى … ينورها بالذكر والصلوات
وَصُولٌ لأرحام قطوع المظالم … لطيف السجايا طيب الحركات
وأزهد خلق الله فى زينة الدنا … وأطمعهم فى الخير والحسنات
ذكى يحل المشكلات بذهنه … وَقُورٌ وُقُورَ الصخر فى الفلوات
مضى طاهر الأثواب مثر من التقى … فقير من الزلات والهفوات
صفات علاه الشمس فى رونق الضحى … وهل منكر للشمس فى الصحوات
ووالله ما بلغت فيما وصفته … بلى ما بلغت العشر فى كلماتى
وكل على ظهر البسيطة شاهد … بصدق الذى قامت به نفثاتى
وخير الرثا ما كان حقا وشره … كلام أتى بالزور والكذبات
وما كل من يرثى حقيق بوصفه … ولا كل راث صادق اللفظات

إلى الله أشكوا فقده وفراقه ... شتات أنى من بعد طول شتات
وموت أتى من بعد بين وغربة ... تقضت بها ميع من السنوات
وقد كنت أشكو فقده فى حياته ... وأرجو لقاه قبل حين وفاتى
فما راعنى إلا الرحيل بداته ... إلى منزل كل إليه سيأتى
رحلت إلى جنات عدن مكرما ... وخلفتنى للحزن والزفرات
فوالله لا أنساك حتى يضمنا ... وإياك رب العرش فى الغرفات
وإنى لأرجو الله يلحقنى به ... سليما من الزلات والتبعات
وبعدك لا آسى على فقد فائت ... أبعدك شىء موجع فوات
وخفف حزنى أننى مذ عرفته ... مطيع له فيما يقول ويأتى
وما الفضل لى فى بره بل أعاننى ... على بره بالعفو عن هفواتى
فياقبره حييت وابل رحمة ... تزورك فى الآصال والغدوات
وجادك هطال من الروح والرضا ... يبل ثراه طيب النفحات
وطوباك قد ضميت فى بطنك العلى ... وواريت كل الخير والبركات
فزارك منى كل حين تحية ... تصير بها أحجاره عطرات
وصل على المختار والآل أسوة الـ ... مصابين فى ماضى الزمان وآتى

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جوابا على السيد العلامة محمد بن أحمد الجلال رحمه الله .

أتانى فأحيانى وحيا أحبتى ... نظام أخ إن غاب حل بمهجتى
أراه بعين القلب إن غيب النوى ... محياه عنى فهو عندى بحضرتى
أحب إلى قلبى من الناس كلهم ... صحبت هواه من زمان طفولتى
وصاحبته شابا وكهلا ولم تزل ... مودته تنمو إلى آن شيبتى
سلايل الأولى حلوا من المجد والعلى ... محلا سما فوق السماء برتبة

هم آل يحيى بن يحيى وحبذا ... أناس هم في الناس صفوة صفوتي

وقد أنجبوا عين الأنام محمداً ... فياحبذا فرع الأصول الزكية

وفاء وخلق كالرياض وهمة ... تناطح آفاق السماء العالية

أتاني نظام منك لا زلت ناظماً ... لشمل المعالي خصلة بعد خصلة

فإنك قد حزت الكمال جميعه ... وصرت إماماً في الوفا والمروءة

ومازال ذكري كل يوم وليلة ... سجاياك لما نلت كل فضيلة

فسامح أخاً لا يخلق الدهر وده ... وهل تخلق الأيام ثوب مودتي

على أنه قد مازج القلب حبكم ... فأنت غدا روحي وغاية منيتي

وحبكم في القرب والبعد واحد ... ولكنني أهوى أراك بمقلتي

وهنأتني بالعيد لا زلت عائداً ... على الكل في خير وأكمل صحة

وعذرك مقبول وحاشاك لم تكن ... تعاملني ما عشت يوماً بجفوة

فإن الوفا طبع لذاتك خلقة ... وخلق وهذا لم يكن في الخليقة

بقيت بقاء الدهر ياطيب الإخا ... ودمت قرير العين في خير نعمة

☆ ☆ ☆

وله رضي الله عنه ملغزاً في « إلا »

أي حرف تراه وصفا لجمع ... لم يوافق موصوفه في الصفات

لم يكن مفرداً ولا هو جمع ... لم يعرّف وليس في النكرات

وهب الإعراب جوداً سواه ... واكتفى بالبنا عن الحركات

إن تلوت القرآن لا فيته فيـ ... ـه مقيماً في معجز الآيات

☆ ☆ ☆

وكتب المولى العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله إلى مولانا البدر رحمه الله هذه الأبيات ملغزاً فى «باب» .

يامن له الذهن الشريف والذكا   فسّر لنا اسماً أتاك نعته
أحكامه الفتح لدى المضاف هل   تحكم بالفتح إذا أضفته
وليس ممنوعاً من الجر بلا   شك فإن أردت ذا جررته
يرفعه ينصبه يجره   يكسره الفعل إذا أردته
والجاهل الصرف يرى جنس الذى   أفردت فى الوصف الذى وصفته
ليس له قلب ولا عين على   أن له رجلين إن شاهدته
وحرفه الأول ثلثاه وإن   حذفته يبقى الذى أحببته
ومن عجيب شأنه أراه إن   قطعته تعمداً وصلته
فى جوفه النار ، وإن أخرجتها   من جوفه ياسيدى أحرقته
بصاحبه البرد ولا ينفع من   برد شديد هاك ما أضمرته

* * *

فأجاب مولانا البدر رحمه الله

مولاى خذ نشر الذى طويته   ودونك الباب الذى أغلقته
بفتح المضاف إكراما له   وفتحه بالجر إن أردته
ملازم للرفع حقاً والبنا   وقابل للفتح إن قصدته
يحفظ ما فى الدار حفظ حاذق   وجنسه صرف كما ذكرته
أصم لكن إن أتاك طارق   ناداك إن أجبته أدخلته
تنام إن أحببت وهو قائم   يدفع عنك كل أمر خفته
وهو ثلاثى خماسى وإن   طردته فهو كلو عكسته
وصدره البا كما آخره   أب إذا أحببته أكرمته
قلتم لنا ومن عجيب شأنه   أن إذا قطعته وصلته

أعجب من هذا أن يُرَى ... أقرب شيء منه في نظارته

وليس يدنو للعناق معشوقه ... إليه لكن إن دنا خصمه

ما أشتكى الدار في خلوته ... إلا من الجانب الذي جاره

إن يصلح الصدر منه [illegible] ... [illegible] بالتقى [illegible]

أهل لقمرنا [illegible] ... [illegible] إذا [illegible]

* * *

وله رضي الله عنه جواباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمهم الله لما أرسلها إليه بعد أن أرسل إليه الأبيات التي في تشبيه [illegible] عند عثوره على القهوة :

وشمت مطايبة التي حطها ... ما سمعت أذني ولا قد رأيت

معلم بما قرأت فكرى الذي ... [illegible] واحداً كل بيت

وأسكتني ثانياً بعد أن ... [illegible]

نظم كمثل الروح أحببته ... كأنما قد [illegible]

وشبهت بالفعل التشبيه ... وهكذا كل كمال [illegible]

دل شقة أو كرة قد أتت ... [illegible]

فشبهت عنها خصمها بعد أن ... [illegible]

فأبرزت كأسين [illegible] ... [illegible]

أو حقة من بانة قد علقت ... [illegible]

أو نجم [illegible] على [illegible] ... [illegible] من قبلي [illegible]

قد كتب [illegible] ... في باطن الفنجان [illegible]

أدرت فيها قهوة حلوة ... أحييت من النشوة لي كل ميت

وأبرزت تلك الصفات التي ... تضمن التشبيه في كل بيت

صدقت عيني ما كذبت ... إذ ذكرت من لونها ما نسيت

أسائل السلطان عن قربها — فانبرت من شوقي مدامع [illegible]

شيبت سلطان الهوى فوقها — من قومه لم أمر [illegible] وأبيت

تبسمت حين رأت ما عرتني — وقالت الآل بها [illegible]

واستبدلت عشرين سلب الهوى — قالت من بعد ذا لا أمين

واعذر فقد كرم جاهي بالندى — مذ ذاك ما فيه للشعر [illegible]

دمت قرير العين في نعمة — تحسدك الأيام فيها [illegible]

* * *

وله رضي الله عنه منادياً للجناب الأعلى جل وعلا .

كل ما في الأكوان من آياتك — دليل على كمال صفاتك

كله صادر عن العلم والحكـ — ـمة من قبل خلقه من بداياتك

قلت للعقل حين أعجزني التفكـ — ـر عن العالمات من آياتك

سرح الطرف طرف فكرك وانظر — وتأمل إلى عجائب ذاتك

كنت من قبل نطفة ذات أمشا — ج فمن ذا سواك في ظلماتك

صرت عظماً من بعد هذا ولحماً — صامتاً ناظراً إلى مبصراتك

فلسان معبر عن فؤاد — مظهر للمراد من كلماتك

طاعماً ذائقاً لكل لذيذ — وكريه أتاك من أقواتك

جعل السن مطحناً لك في الفم — ويغطي حافاته بشفاتك

وجمالاً إذا ابتسمت أو رمـ — ـت كلاماً أعان في لفظاتك

جعل الجفن للعيون غطاء — يدفع الواردات من آفاتك

من غبار ينشاها ودخان — ويقي العيون من حرماتك

جعل الأنف زينة لك في الوجـ — ـه بها تهتدي لشموماتك

من أياديه إن حباك بأيد — وهداها إلى منافع ذاتك

فبها تدخل الطعام إلى فيـ — ـك وهذا من بعض حسن صفاتك

ثم نقص اليدين يقصر عنه *** كل عقل تراه في كلماتك

وتأمل إلى الأصابع وانظر *** نفعها في الجميع من حركاتك

آه من غفلة أقامت على القلـ *** ـب فأضحى في التيه من غفلاتك

يا فؤادي أفق وقف وتأمل *** فيك لا في سواك في أوقاتك

لو تأملت طول عمرك لم تحـ *** ـصر نفعاً حواه عضو بذاتك

فأطل شكر نعمة الواحد الفر *** د جزيل الهبات طول حياتك

* * *

وله رحمه الله مجيباً على السؤال المشهور الذي أورده بعض الذميين ذكره المقبلي رحمه الله في «العلم الشامخ» وقد أجاب عنه عدة من العلماء رحمهم الله .

نعم قد قضى ربي بما هو كائن *** بهذا أقام الله جل الأدلة

وكفرك مما قد قضاه كما قضى *** بأفعاله في خلقـــــه للبرية

وما سد عنك الباب كلا وإنما *** أتاك اختياراً وهو أعظم حجة

فأنت سددت الباب جهلاً وضلةً *** كما صنع الضُلاَّلُ في باب حطةٍ

كذبت بأن الله قال ارض بالقضاء *** أيأمر أن ترضى بكفر وضلة

بلى قال لا تكفر بأمر بالذي *** نهى عنه هذا منك أعظم فريَةَ

وصرّح في الذكر المبين بنفيه *** رضاه به فانظره في خير سورة

وسبق القضا(1) لا يقتضي الجبر هل ترى *** إلهك مجبوراً لسبق القضية

فإن قضاه سابق كل كائن *** لأفعــاله قطعاً وفعل البرية

وما أحد ينفي اختيار مكلف *** سوى جهْمٍ الآتي بكل عجيبة

ومن قال فعل العبد كسب فقد نجا *** وإن كان هذا الكسب في بطن خفية

---

(1) وفي نسخة : لسوق القضا .

ولكنهم فازوا جهاراً بالذي ... يقول بأن العبد كالشمس التي

أشياءً بريح تجيء بقوتها ... تحول بها الأفعال في كل حركة

فلا تنعيم جبرية بعد هذه ... وأنصف وجانب كل ذي عصبية

ولو كان حتماً السبق عذراً لكافر ... إذا عذر الكفار يوم البرية

وما العلم منك الكفر قطعاً وإن قضى ... به فالقضا ليس اختيار المشيئة

فهو إلا الذي أنت ترتضي الضـ ... ـلالة اختياراً منك أقبح قالة

وما العلم إلا سابق غير سائق

كذلك القضا فاعرف أصول الشريعة

قضى ثم آتاك اختياراً وقد هدى الـ ... ـعباد إلى نجدي رشاد وشقوة

فأنت الذي اخترت الشقا على الهدى ... فخذ لوم ما قدمت من كل زلة

وعلم قديم من المصطفى في جوابه ... على سائل وافى ينادي البلية

بما هو كل الحق فانظر جوابه ... تجده شفاء القلب من كل علة

ومن لم يكن بالله والرسل مؤمناً ... فقد فاز بالخسران في كل ملة

وصل على المختار والآل إنها ... ختام بمسك في تمام القصيدة

وله رضي الله عنه ملغزاً

أي صلاة بطلت ... من أجل ستر العورة

وهي أيضاً لا تصـ ... ـح إلا بستر العورة

قافية الثاء المثلثة

وورد إليه رحمه الله سؤال لفظه

بأي حديث كالأريج دنا وملحها ... فهات فلم تلحق صداقاً ولا إرثاً

وليست بذي قتل ولا ذي جناية ... فأخبر لنا يا صاح عن هذه الأنثى

فأجابه رضي الله عنه

هذه مملوكةٌ زوجها مالكٌ حاز صداقًا وتراثا

وهي لم تحو سوى الحزن الذي أورث القلب انكسارًا وانتراثا

فمنها الحمد والشكر لمن جعل المالك لا يحوي أثاثا

قافية الجيم

وله رضي الله عنه جوابًا على المولى العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله عن أبيات أرسلها إليه من السجن حين قصد صنعا أظنه في سنة ١١٥٥ هـ خمس وخمسين ومائة وألف .

وافت بلا وفق احتياجي — تلتمس تبغي انفلاجي

جئتُ فلم تر ما يدل — به على ضوء السراج

فقالت انثني أي سقـ — ـم لا يكون بلا العلاج

ذاب به داء العدا — [illegible]

فقلت ترديده انما — [illegible] حراج

جاءت دون العدا — [illegible]

أنا [illegible] — أدبي وأعرف بالمداجي

[illegible] — [illegible] الشجاجي

ونجوم الضحى تهتدي الـ — ـسائل في ظلم الدياجي

حتى عرفت بين ترما — ن بالاختلاط والامتزاج

فالقوم [illegible] — [illegible]

فشربت كأس [illegible] من — أرجوه من [illegible]

[illegible] — [illegible]

[illegible] — فوجدته عين العلاج

دهـــــــر بنوه تراهم خُشُباً فمن ساجٍ وعاج
ماقى المدارس والمجا لس والمنازل والفجاج
غير الذئاب مع الشيا ه أو الثعالب والدجاج
قد كان لَذَّتنا بالحصو ن نسيم برق الانفراج
ونديرُ من كأس المعا رف كل صافية الزجاج
فعـدى الزمان بخبثه حسداً على طيب ابتهاج
فالأرض صارت كلها ذات اضطراب وانزعاج
وتغير للماء الفرا ت فطعمه دون الأجاج
ضربت على هذى القلو ب همومها ضرب الخراج
فى كل يوم غـارة لأنهم تدعو للهياج
ياقلب ويلك كل هـ ـم مؤذن بالانفراج
ذنبى إلى أهـل البسيـ ـطة مادح منهم وهاج
والقيم بما قال الإمـا م أبو العلى من لايداجى
شمس العلوم ومن له يه البدر من دون السراج
وصف الزمان وأهله وصف السراب من الزجاج
وفتحت من باب الملو ك معانياً ذات ارتياح
وعلى الخبير سقطت عنـ ـدى من معانيهم يواجى
سلنى أبيّن حالهم من دون غىّ وارتياج
القـــبح يعدلك عنهم تجد القطيع من النتاج
قد كنت منهم ناجياً من عين أعيان النواجى
ومضى الشباب ولم أقبـ ـل كف ذى ملك وتاج
دار الخـلافة لم أقف بالباب منه ولا المدراج
ولكل شىء آفـة تأتيه بالأمر المفاجى

قف عن تفاصيل الحديـ ... ـث إذا عجزت عن التناجي

واثن العنان إلى الثنا ... ء على بديع الانتساج

عقد على جيد الثنا ... لى للزفاف وللزواج

قد حدثت أمن ... اثما لى هيئت للازدواج

جئت قصيدتك التي ... جاءت على نظم السراجي

أممت قصدي مصلياً ... فعثرت في أثر العجاج

أبيات شعرى فى سما ... بها سراب فى لجاج

مثل الزجاج وهل يجـ ... ـتنى جوهر منكسر الزجاج

فاستر بفضلك ما ترا ... ه من الخباط والاعوجاج

* * *

وله رضي الله عنه مجيباً على الفقيه النبيه الكامل الأديب عبد الوهاب بن محمد داد رحمه الله عن أبيات وصلت منه في شهر صفر سنة ١١٨١ هـ .

عذلُ العذول لباب السمع ما ولجا ... أبابُ سمعي عن عذل العذول حجا

كأنه خاف من نار الغرام ومن ... درى بأن لنا منها يخاف رجا

لا تنكرن على أهل الغرام ولا ... تنوف إن وردوا من بحره لججا

يرون عذباً عذاب العشق أنهمُ ... لا يطلبون لهم من ضيقه فرجا

شأن المحبين فيما نالهم عجب ... فظلمة الهجر أضحت عندهم سرجا

قد سافروا فى مفازات الهوى طرقا ... فما يرون بها أمتاً ولا عوجا

ذق ياعذول الذى ذاقوه تدر بما ... جهلته وترى مدح السلوّ هجا

لا تسل لا تسل عمن قد شغفت به ... فما سلا سيد إلا عديم حجا

أتحسب العذل شعراً قد أتى ولجا ... مسامع القلب قد وافى بغير حجا

شعر لطيف يكاد السمع يرشفه ... كأنه الراح بالأمواه قد مزجا

وأتيته بنظم منثور فصرت أرى ... من بعده كل منظوم غدا سمجا

إن يذكر الأدباء قصراً جسرت به ... فقد أتيت بما أهديته البلجا

فإن نظمك قد أزرى بمنثور ... فكل نظم سوى ما قلته سمجا

بالفضل أنت عرفت الفضل ممتدحاً ... لي فانشرحت بما أهديت مبتهجا

ومن شأننا كما قلت فلا عجب ... هل فاضل من لسان الحاسدين نجا

إن الدراهم لقاها مشددة ... في كل عصر فسل من دب أو درجا

وقدرهم ما له في الناس تذكره ... كأنه ما رأى في الدنيا ولا حرجا

فالحمد لله حمداً دائماً أبداً ... إذ صرت في حلق كل الحاسدين شجا

غنام لي بهم شأن وما بهم ... وبت أكثرهم بالقهر منفلجا

وأسلم ودم طالباً للعلم مغترباً ... تنال بجدك في التحقيق كل رجا

لا زلت لا زلت بدراً ترتقي رتباً ... من المعالي إليها السلك داعرجا

وله رضي الله عنه جواباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد إسحق رحمه الله على أبيات معاتبة أتاه ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١١٤٦ هـ سنة وفاة والده .

أراك يا ذا العصر تزري المعرجة ... أهدى السبيلين من المحجة

أما عرفت أنني في لجة ... في قلق لا حيلتي بحجة

تسمع لي من الشكاة رجة ... تحسبه بحراً أتى بالموجة

فابنه من شيخ الزمان شجة ... في رأسه حتى يعيد مرجة

فلا تساعده على ما رجه ... فما له فيما أتاه حجة

وأتيت فوق ذلك كل سمجة ... ونفذ من النظم الذي تروجه

قافية الحاء المهملة

وله رحمه الله تعالى برداء الرحمة والغفران .

كم قد بذلنا النصح لكننا ... لم نر في الإخوان منتصحا

بل منهم مبتدع لم يعتقد ... منكراً من بدعته ما تحتا

ومنهم مستكبر لا يرى ... لنفسه أن يتبع الأصلحا

يقول مثلي لا أُرى تابعاً ... لغيره لست إذاً مفلحا

ومنهم الناقل لكنه ... ينكر من عرّفه الأرجحا

فلا تراه شاكراً ذاكراً ... يوماً لمن صار به مفلحا

بل ليته يتركه تاماً له ... فضلاً بأن تسمعه مادحاً

* * *

وقال رحمه الله : اتفق لنا خروج إلى بئر العزب إلى بيت سيدي العلامة عبد الله ابن أحمد بن إسحاق رحمه الله فلم يخرج معنا فكتبت إليه ارتجالاً أستدعيه سنة ١١٧١ هـ إحدى وسبعين ومائة وألف هجرية .

قد تركنا في سوحكم أيها الحب السكن ... نحو جسم وأنت لا شك روحه

أي روح لنا بجسم بلا رو ... ح فعجل بالوصل تشرق سوحه

وله تغمده الله برحمته

قلب بداء ذنوبه مجروح ... يغدو بما لا يرتضي ويروح

أعمى بصيرته وصمّ مسامعاً ... منه الذي به النصيح يصيح

شيب وتنقص في الحياة عمره ... أبداً أصاب المحنتين ويريح

قد ضم أحبابي رثائي ودني ... عاينت عند المانعات تنوح

كلٌّ أتى الأحباب يشرح قلبه ... قلبي بذا فرح ولا مشروح

والقلب مات وصار صار في قبره ... فمتى يعود له بذا الإله روح

ونفس الحيا يحييه لكن فاته ... يسقيه صوباً دمعها المسفوح

لكن أصابته القحط دمع محاجري ... فاشرب من سفح العيون سفوح

يا رب تبكي خالص الشوق الجاري ... بجوده يقوى للذنوب تروح

عزمت جيوش السيئات فلم تزل ... كل سائل جيوشه مذبوح

لو تعلم الأحجار أن بمهجتي حجراً لنادت كالحمام تنوح
لا بل أشد من الحجارة قسوة والنفس فيها أدّعيه صريح
ماذا الذي يحييك يا قلبي وهل غير المسيح إذا طالبت يسيح
ما غير من يحيي العظام من الثرى وله الدوام التقديس والتسبيح
رب العباد وخالق السبع الشدا د بفضله يغدو الورى ويروحوا
يارب يا علّام كل خفية ما الجهر ما الأسرار ما التصريح

* * *

وله رضي الله عنه في المغايرة

مذ سمعوا مدحي لدهر أهله يستبدلون ذمه عن مدحه
قالوا لم تمدح ما نذمه فقلت قد غايرتكم في قدحه
لأن من يحقر فهو حاقر هذا قريب ظاهر بمدحه

* * *

وله رحمه الله في الموازنة

قال خليلي إننا لي جيرة عدوا على جار لنا يصلح
قد رجموا عمداً إلى داره فقلت من يرجمه لا يفلح

* * *

قال المعري

أخذتم السابح في لجة وزعمتم في الجو ذات الجناح
هذا وأنتم عرض للردى فكيف لو خلدتم يا قباح

* * *

فقال مولانا البدر رحمه الله

يا برهمي[1] الشرع ربيَّ الذي ... لصيد بر ولبحر أباح

لو كنت تقرأ الذكر والسنة الـ ... ـغراء ما قلت لهم يا قباح

فما على من صاد حوتاً ولا ... ذات جناح ما عليه جُناح

* * *

وأجابه أيضاً بقوله

حرمت أكل اللحم يا جاهلاً ... وأنت من جهلك أهل الصلاح

وربنا منَّ علينا بما ... نصيد من حوت وذات الجناح

تفضُّلاً بالشكراً تفضله ... فما علينا في مباح جناح

قاربت أهل الكفر لكننا ... نتبع آيات الكتاب الصحاح

* * *

وله رضي الله عنه في الغزل بالزنجي

وشادنٍ وافى إلى منهلٍ ... فلم يزل مبتهجاً يمزح

وقال هل أسبح يا مالكي ... قلت نعم في أدمعي أسبح

* * *

وله رحمه الله كتبها في آخر إجازة الفقيه العلامة أحمد بن يحيى الشامي رحمه الله

فاروِ عني يا صفيَّ الدين ما ... أنا أرويه على الوجه الصحيح

من علوم المصطفى خير الورى ... خاتم الرسل وذي القول الرجيح

من أتانا بالهدى من ربنا ... وأرانا الحق بالنص الصريح

---

(١) البراهمة فرقة لا تأكل اللحم ولا تجيز ذبح الحيوان ، وكان المعري لا يأكل اللحم ولا يبيح ذبح الحيوان ولذا قال من رثاه بعد موته :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة ... فلقد أرقت عليك من عيني دما

فالهدى فيما أتى عن أحمد ... خذهُ ما من قول ذي قول جريح

فاتبعْ وجهاً صحيحاً وجهه ... واطّرح ماجاء بالوجه الفسيح

دع متوناً وشروحاً جلّها ... عند ذي التحقيق أمثال القروح

خلِّ أقوال رجال أصبحت ... عندنا بين قتيل وطريح

وتمسك يا ابن يحيى بالتُّقى ... إن ترد تظفر بالأمر الربيح

واخلص النية لها تبتغى ... إنما النية للعمل كروح

واصطبر الحق فالأعدا له ... أم تدعو إلى غير الصحيح

واترك الدنيا ولا تحفل بها ... إنما الراحة في زهد المسيح

واطلب الفتح من الله فما ... غيره يأتي بأنواع الفتوح

سله من إفضاله ما رُمتهُ ... كلَّ حين في غبوق وصبوح

واقرأ في «فاطر» ما يفتح من ... وتأمل قصَّتَيْ هود ونوح

وادع يا أحمد لي في مدتي ... وإذا صرت إلى بطن الضريح

عند نصحنا كل من تعرفه ... قال جزاه الله خيراً من نصيح

وابذل العلم ولا تبخل به ... ما الثنا والأجر إلا للسميح

يلجم الباخل بالعلم غداً ... بلجام النار فاربح بالشحيح

وصلاة الله تغشى أحمدا ... وذويه ما سرت ريحٌ بروح

[قافية الطاء المعجمة لم أجد فيها شيئاً]

* * *

قافية الدال المهملة

وقال رضي الله عنه لما نزغ الشيطان وسول لجماعة أن يقتلوه وتجمعوا لذلك وحال الله ـ وله الحمد كثيراً ـ بينهم وبين ما يريدون وحبسوا وأعاد الله كيدهم في نحورهم فقلت :

شكراً لربي دائماً   أبداً وسرمدا

شكراً لما لا أستطيـ   ـع أعده حصراً وعدا

جاء العدا وتجمعوا   لأذيتي بغياً و[illegible]

وأرادوا الأمر العظيـ   ـم جهالة منهم وحقدا

سفك الدم المعصوم بالـ   ـ[illegible] عدواناً وعمدا

[illegible] ربي شرهم   فله الثنا ما عشت [illegible]

يا أيها الإخوان إني   لم أجيء إمراً وإدّا

لم آت إلا عن هدى   [illegible] النبي [illegible]

المصطفى خير الأنا   م وآله [illegible] [illegible]

قوم النجوم لمهتد   وهم الرجوم لمن تعدّى

[illegible] عن جمع الصلا   ة [illegible] الأوقات [illegible]

[illegible] عن بدع القبو   ر [illegible]

[illegible] النجوم وأن في   [illegible]

قال المنجم ما الذي   [illegible] النجم إذا تردّى

عرفتكم سنن الهدى   وأثبتها رسماً [illegible]

وعلى المنابر والكرا   سي لم أدع للنصح جهدا

أقري الكتاب وسنة الـ   ـمختار تفصيلاً وسردا

وتفسيراً لكتاب ربي   [illegible] به [illegible]

أوردت فيه نقائلاً   [illegible]

وزجرته بالوعظ حـ — ـتى لان قلب كان صلدا

ومبلغاً عن أحمد — خير الورى علماً وزهدا

حتى ملأت بسنة الـ — ـمختار أغواراً ونجدا

تبع السعيد طريقتي — فنجا ونال هُدًى ورشدا

كان الحديث بأرضكم — مستغرباً والله جدا

حتى نشرت فنونه — وجلوت منه ما تصدى

لدرسه ولأخذه — من بعدنا كل تصدى

وتنافس العلماء في — كُتْبِ الحديث هوًى ووجدا

هذا بنسخ وذا — بشرائها بالمال نقدا

ما قلت ذا فخراً ولا — أرجو بنشر العلم حمدا

بل قلته متحدثا — بنعيم من أعطى وأجدى

رب السموات العلى — من كلنا آتيه عبدا

بالله قل لي يا عدو — لي علام تعذلني مجدا

أعلى الرسول وصحبه — وهدايتي حراً وعبدا

أم لِمْ نشرت حديثه — وعلى سواه طويت بردا

أم لِمْ نهيت عن القبا — ئح من بها جهلاً تردى

أم لِمْ أزهد في الدنا — وأصد عنها الناس صدا

أم لِمْ نهيت عن ابتدا — ع هدَّ ركنَ الدين هدًّا

قل ما تشاء فقد سددْ — تُ مسامعي عن فيك سدًّا

كانوا بسترك مذمتي — إن لم تكن شكراً وحمدا

من لامني من بعد ذا — كافيه عكساً وطردا

بيني وبين عواذلي — إنا إلى الرحمن وفدا

ويساق من هو مجرم — لجهنم والله وِردا

فبه يجتمع الإسلا	م وكل خائف منه يهدى
وبذاك ألقى أحمد الـ	ـمختار أوفى الخلق عهدا
فابث شكوى ما لقيـ	ـت لأجله ممن تعدى
صلى الإله على الرسو	ل وآله الراكعين سجدا
ما صافحت نسمات نجـ	ـد في الربى وردا ورندا

☆ ☆ ☆

وللشيخ العلامة عبد الله بن محيي الدين العراسي رحمه الله إلى مولانا البدر رضي الله عنه

ما قول مولانا الإمام البدر من	بعلومه شهد العدو الحاسد
فيما يقال يجوز تأمين لدى الـ	إشراك وهو لمن يراه جاحد
كالبانيان ونحوهم من عابد	غير المهيمن بئس ذاك العابد
هل سنة دلت عليه وآية	في الذكر أنزلها الإله الواحد
أم هل قياس يستدل به وإن	كان الكتاب على سواه شاهد
فالأمر في الذكر المبين بقتلهم	نص جلي للقياس معاند
فسوى الكتابي ليس يقبل منه غيـ	ـر القتل والقرآن فيه وارد
أو أن يتوب ومن يتب عن شركه	فإلهنا بالغفر عنه واعد
وإليه قد ذهب الكثير وإنه	بالذكر معتضد ونعم العاضد
إن القياس إذا أتاك مصادما	لكلام بارينا قياس بارد
بل في جزيرتنا أتانا النهي عن	إبقاء من هو للشريعة جاحد
من ذي كتاب أو سواه فليتهم	عملوا بما قال الحميد الحامد
فأبن لنا ما ذاك عندك راجح	يا أيها المولى الأمير الماجد

صلى عليك الله بعد المصطفى ... والآل ما مال القضيب المائد

* * *

فأجاب مولانا البدر رحمه الله :

يا ناصر دين الله يا من نقده ... بكماله في كل فن شاهد

وافى السؤال وفيه منك نفائس ... ومسائل وشوارد وفوائد

عن حكم أهل الشرك في أقطارنا ... كالبانيان ومن سواهم جاحد

أيجوز بين المسلمين بقاؤهم ... أبداً فأين دليل ذا والشاهد

فاعلم ظفرت من المعارف بالمنى ... غيظاً يموت بما ظفرت الحاسد

إن الأولى قد صنفوا أنواعهم ... بثلاثة ما ثم صنف زائد

أهل الكتاب وحكمهم أن يسكنوا ... خططاً لهم عن أرضنا تتباعد

ثم المجوس وحكمهم في حكمهم ... فالكل في التحقيق قسم واحد

ثانيهم العرب وهذا حكمه ... أمران بالتخيير فيه وارد

السيف أو إسلامه ياحبذا ... إن كان للتوفيق منه مساعد

والثالث العجمي كبشرام ومن ... للعجل والشمس المنيرة عابد

قالوا يجوز لنا بجزية تأمينه ... أبداً بجزيته إذا ما ساعدوا

هذا الذي قد صنفوه وبعد ذا ... قلنا هنا بحث يراه الناقد

قلنا لهم هاتوا لنا برهانكم ... إن كان للإنصاف فيكم قاصد

قالوا القياس على الكتابي الذي ... تأمينه أبداً عليه شواهد

قلنا لهم شرف الكتاب أجارهم ... عن قتلهم إلا إذا ما عاندوا

قلنا ويلزمكم بغير تردد ... إلحاق من هو للشريعة جاحد

فتجعلوا الأقسام قسماً واحداً ... بقياسهم في ذا وهذا واحد

قالوا إذا لم ترض ماقد صنفوا   هات الصواب وأنت فيه مساعد

قلنا أتانا في براءة حكم من   جحد الإله وبئس ذاك الجاحد

فبراءة ببراءة قد آذنت   منه لكل مُعاهَدٍ قد عاهدوا

فمنحوا بذلك أشهراً معلومة   فإذا انقضت فالسيف فيكم وارد

إلا الذين وفوا بعهد منكم   فإلى انقضاء العهد منكم ساعدوا

أو جاءكم رجل يريد سماعه   لكلام خالقه ونعم القاصد

أن يهتدى مالم فإن أمانه   حتم كما في الذكر قال الواحد

حتى تبلغه محصل أمانه   واسمع هُديتَ وأنت شخص راشد

إن الكتابيين حكمهم الذى   قد مر لكن ثَمَّ شيء زائد

إخراجهم حتما بغير تردد   عن أرضنا فالنص فيه وارد

ما ثَمَّ شيء للنصوص معارض   إلا اعتذار وهو شيء بارد

بمصالح وفوائد وعوائد   والكل إن حققتهن مفاسد

هذا وتأبيد الأمان لكافر   لم يأت فيه من الأدلة واحد

ما في براءة غير ما قد سقته   قسمين ليس سوى وأنت مشاهد

تأبيد تأمين الكتابى الذى   وافى بجزيته وليس يعاند

أو ضرب عهد مدة معلومة   من بعدها لا عهد فيما عاهدوا

ويجوز صلح محارب في قوة   إن كان للإسلام ضعف زائد

عشراً من السنوات إذ خير الورى   لبنى أبيه لمثل ذاك مساعد

نبذ الجواب كما تراه محبّراً   فيه مصادر للهدى وموارد

والنظم مفتقر إلى توضيحه   نثراً ففيه فوائد وفرائد

ثم الصلاة على الذى بعلومه   يهدى إلى نهج الرشاد القاصد

والآل من بعلومهم وبهديهم   هُدِىَ الأنام وضل عنه الحاسد

وله ـ رضي الله عنه ـ جواباً على والده رحمه الله عن أبيات كتبها إليه من «صنعاء» وكان البدر ـ رحمه الله ـ مقيماً بـ«كحلان» لقراءة «الأزهار» وشرحه يحرضه على العود إلى صنعاء وذكر شيخه العلامة زيد بن محمد بن الحسن رحمه الله.

قال مولانا البدر: أظن ذلك في سنة ١١٢٨ هـ ثمان وعشرين ـ بل ذلك سنة ١١٢٢ هـ اثنين وعشرين ومائة بعد الألف.

بروقٌ بأكناف الحمى تتردد ... تقيم فؤاداً للمعنّى وتقعدُ

تُنجي فؤادي أن شرخة الهوى ... تكاليف منها إن توملت يُقعدُ

وظلت تُضحي سائل الدمع سائلاً ... عن الربع هل فيه الذي كنت أعهد

فقال أخذ عني حديث هواهمُ ... فذلك مرفوع إليهم ومسندُ

روت مهجتي عن مقلتي عن جفونهم ... بأن لهم سهماً إلى القلب يوردُ

وإن النوى قد فل جيشُ اجتماعنا ... فأتهمَ عنهم تارةً ثم أنجد

وخفف ما بي من غرام وغربة ... نظام هو الدر النفيس المنضد

ترشف ذهني من رحيق بديعة ... كؤوساً فأضحى وهو منها معربدُ

خرائد فكر في حلى بلاغة ... مشت في رياض الطرس وهي تأودُ

يحرضني فيه على العلم والتقى ... ويدعو إلى العليا ويهدي ويُرشدُ

لعمري لقد أيقظتني وهديتني ... فلا زلت بالقول السديد تُسدّدُ

على أنني بالعلم صب متيم ... وذهني إلى روضاته يتردد

وأطنبت في صنعا وطيب سكونها ... وأن ربوع العلم فيها تُشيّد

صدقت هي الدار التي ليس لمثلها ... إلى سوحها من رام ما شاء يقصد

ففيها شيوخ للعلوم وللهدى ... وكل ذكي ذهنه يتوقد

كفاها افتخاراً أن زيداً بربعها ... تتيه به الدنيا وتزهو وتسعد

إمامٌ بتاريخ العلم أضحى مجدداً ... فلا عجب فهو الإمام المجدد

وقد جمعت فيها الكمالات كلها ... ومن جمعت فيه غدا وهو مفرد

كسا ذهنه ذهنى ثياب دقائق ... غدا وهو مختال بهـــا متأود

وكم لِيَ من شيخ بهـــا متبحر ... له فى العلى مجـد أثيل وسؤدد

فلم أغترب عنها لتفضيل غيرها ... وقد كان لى فيها عهاد ومعهد

ولـكن أرى للاغتراب فضيلة ... تخفف نار الأشتغال وتخمـــد

ومن يرتضى طول الْمُقَامِ بأهله ... فذلك عن نيل المعـــالى مُقَيَّدُ

لعل النوى يُدْنِي إلى رتبة العلى ... ويشكر بعـد الاجتماع ويحمد

وأرجو من الرحمن نور هـداية ... تضىء إلى الحق القويم وتُرْشِدُ

فإنا لفى دهر تَلَفَّعَ أهـــلُه ... بأثواب جهل فالهدى فيه مكمد

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً على والده رحمه الله عن أبيات كتبها إلى شبام أيام إقامته فيها فتعذر الجواب لأشغال ، ثم لما انتقل رحمه الله إلى شهارة لأسباب أجاب على والده رحمه الله بقوله :

تجدد البَيْنُ فاستأنفتُ فى العدد ... وكان ما مرّ عندى غايةَ الأمد

فـكيف غاية ما وصّى لبيد[1] به ... يثنيه فى العد لم ينقص ولم يزد

لـكنه حين كان الْبَيْنُ فى سَفَرٍ ... يرضى به رَبُّنا ما فَتَّ فى عضدى

فإنه هجرة عن كل منكرة ... قد أحدثتها ملوك الجور فى بلدى

مثلى يقيم بأرض لا تقام بهـا ... شريعة المصطفى والواحد الصمد

مثلى يقيم بأرض لا إيمان بهـا ... ما ثَمَّرَ المرء من مال ومن ولد

إن كنت أرضى بحمل الذل فى بلد ... [إذاً فلا رَفَعَتْ سوطى إلى يدى]

---

(١) يريد قوله : إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر عنه

ولا يقيم[1] على ذل يراد به ... غيرُ الأذَلَّين عَيْرُ الحيّ والوتد

لا كنتُ لا كنتُ من نسل الرسول إذا ... أقمت بين ذوى الشحناء والحسد

الحر يرضى بحمل الصخر من جبل ... عالٍ وفى جيده حَبْلٌ من المسد

وليس يرضيه حمل الذل فى بلد[2] ... قد فاز فيه بعيش ناعم رَغَـــدِ

الله يعلم أنى ما رحلت عن ... أوطانى إلا ونار الفقد فى كبدى

ولا سمحت بلقيا والدى وأخى ... لله من والدٍ بَرٍّ ومن ولد

الآخذين صفات المجد عن كمل ... والفائزين بخلق كالرياض ندى

هذا وإنى بحمـــد الله فى بلد ... ظفرت فيها بشخص سيد سند[3]

إمام عــلم ومعروف ومكرمة ... وسابق فى المعـــالى غير مقتصد

أعنى به شرف الإسلام خير فتىً ... عند النوائب أضحى خير معتمد

قصـــدته فتلقتنى مكارمه ... وصرت فى بيته المأنوس كالولد

إن غبت عنكم فروحى فى منازلكم ... سبحان من صيَّر الروحين فى جسد

ما غير فقدكم أشكوا تطاوله ... إلى الإله ولا أشكو إلى أحد

الله أرجوه بعد البَيْنِ يجمعنا ... فهو المرجّى لنا فى حل ذى العقد

ما زلت أعرف منه اللطف متصلا ... مهما رحلتُ ومهما كنت فى بلدى

إنى لأرجو قريباً جمع فرقتنا ... والاتصالَ على خـــير يداً بيد

ودُرّ نظم أتى لم يأت من صدف ... ولا روى مثله فى غيثه الصفدى[4]

قابلته بالحصـــا فاقبله مغتفراً ... وقل عفا الله عما جاء من ولدى

---

(١) تضمين مع تغيير يسير .

(٢) قوله : فى بلد ، وفى نسخة « فى وطن »

(٣) يريد سيدى الحسن بن القاسم رحمه الله .

(٤) يريد به « الغيث المسجم شرح لامية العجم » للعلامة الصفدى »

واستقبل العيد عيد النحر فى دعة	ونعمة وسرور دائم الأبد
دامت عليكم تحيات مكررة	لا تنقضى بانقضاء الدهر والأمد
بعد الرسول ومن بعد الوصيّ ومَنْ	بعد البتول وأهل البيت ذى الرشد

* * *

وله رحمه الله جواباً على والده الضيا أيضاً عن أبيات كتبها إليه بعد وصوله إلى حصن شهارة وذلك فى شهر ذى الحجة سنة ١١٤٥ هـ .

إلىَّ أحاديث الصبا تُسْنَدُ	وعنّى رُوَاةُ الحب فى الوجد أسندوا
ومرسل دمعى قد رووه لأنه	لما أرسلوا من غرامى يشهد
وكم أخذ العشاق من نار صبْوتى	وكم وردوا من نهر دمعى وأوردوا
ولى فى الهوى العذرىّ أرفع رتبة	إلى مثلها أهل الصبابة تقصدُ
هنيئاً لأحبابى تنام جفونهم	وجفنى إذا جن الظلام المسهدُ
أقلّب أجفانى فلا الليل ينقضى	ولا النوم يأتينى ولا الدمع ينفدُ
فيادار أوطانى ومنزل صبْوتى	ومَرْبع أُنسى هل بك الدهر يسعد
وهل لى بأحبابى وسكان مهجتى	وقرة أجفانى وصال يجدد
ويا نسمة الروض التى عبرت ضحى	فرقّصت الأغصان فهى تأوّد
قفى فاحملى عنى تحية وامق	إلى جيرة بالبعد جاروا فأبعدوا
ويابرق خذ من نار وَجْدىَ جَذْوَة	وَزُرْ أرض من تَهْوَى لعلك تسعد
وقف بأزال سائلا عن منازلى	فقد كان لى فيها عهاد ومعهد
بعيشك قُلْ كَمْ أفضل عالم	ومن هو بحر المعارف يورَدُ
ومَنْ كأُوَيْس فى تقاه وزهده	ومثل إياس فى الذكا يتوقد
ومن هو نور فى المساجد ساطع	إذا قام ليلا خاشعاً يتهجد
جنابك بيوت الله تزهو بنوره	وهذا هو الفخر الذى يتأبد

كما أشرقت نوراً بدورٌ نظامه   شهارة بل كادت لما قال تُنشِدُ

أعاد لها عصر الشباب بمدحها   وذكرها إذ كان فيها المؤيد

إمام الهدى من شيد العلم والعُلَى   وخلَّف أبناء لما شاد شيَّدُوا

قد أشرف الإسلام أحيا مآثرا   بها بين أرباب الفضائل يحمد

كريم لطيف حالَفَ الجود والنَّدَى   فليس له ندٌّ من الناس يوجَد

كذا كعبة للفضل نحو فنائه   يحج جميع العارفين ويقصدوا

أتيت إليه لا أريد إقامة   فقيَّدَني إحسانه المتعدد

إلى أن تناسيتُ الرحيل وصرت في   رُبَاهُ لتدريس المعارف أَقْصِدُ

وذكَّرني صنعا وما كنتُ ناسياً   رباه ولكن لوعة تتجدد

أينسى الفتى أوطانه ودياره   إذاً فهو من بين العوالم جَلْمَدُ

قطعتُ بها عصر الشباب مدرساً   بها كل فنٍّ وللمدارس تشهد

وقد كان طرف الدهر وَسْنانَ نائماً   ونحن بروضات الهنا نتردد

وكان لنا فيما نريد مساعداً   ويا حبذا دهر بما شئت يسعد

فما باله أبدى الجفاء لمغرم   أحسداً له فالدهر قد قيل يحسد

أبعد سكوني حرَّكتني عوامل   وبعد اجتماعي بالأحبة أُفْرَدُ

عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينهم   إلى مَ أرام يتهمُونَ وأُنْجِدُ

إذا ما قربنا منهم أقبل النوى   يُبَعِّدُنا عن دارهم ويشرد

فقل لاجتماع الشمل سقياً لعصره   وحقَّ له مني الثناء المخلَّدُ

ويا دهرِيَ الجافي أما منك عَطْفَةٌ   يفوز بها الصبُّ الغريب المشرَّد

ويا دمعِيَ الهتانَ هل أنت مقلع   ويا نوم أجفاني أما لك موعد

ويا قلبي الولهانُ صبراً فإنه   إذا لم يكن صبر فأين التجلُّدُ

ويا من أقاموا في الفؤاد ترفَّقوا   بنا ولنا بالكتب منكم تعهَّدُوا

ولا تتركونا من نظامكمُ الذى ... بأمثاله جيد الزمان يقلّدُ
لقد سرّنى إذ قلت فيه بأننى ... حويت الذى أمّلتُ لازلت ترشد
وذكرنى ما كنت من قبل قائلا ... بنظم له الأفواه تملى وتنشد
وإنى لأرجو أن تفوز بنيله ... وتدرك مجداً ذكره يتخلد
وكل الذى أدركتُ أو أنا مدرك ... بفضلك ما لى فيه فضل ولا يَدُ
فما زلتَ تدعونى لكل فضيلة ... وما زلتَ تدعو لى الإله وتحمد
ودونك نظماً طال لفظاً وإنه ... لقصير منشيه بذلك يشهد
عليك سلام بعد طه وآله ... على رَبْعِكم فى كل حين يُردّدُ

* * *

وله ـ رضى الله عنه جواباً على شيخه العلامة الفهامة الزاهد الورع صلاح الإسلام ابن الحسن الأخفش ، بل الله بوابل الرحمة ثراه ، وقد كتب إليه مولانا البدر رحمه الله اعتذاراً عن حضور قراءة فى « شرح على الكافية نثراً فأجاب شيخه نظماً فأجابه نظما بقوله:

غصن شوق علاه قلبى وغرد ... وتثنّى فى روضة وتأود
قائلا والأكيد من حرمة الو ... د وعهد الوداد عهد مؤكد
ونظام وافى إلىّ بديع ... هو كالدر فى الطروس منضّد
كل بيت حوى قصوراً من الحسـ ... ـن فلله من بناه وشيّد
ما سلونا عن روض علم نظير ... فى رباه التحقيق نهر مطرد
كم تحسّنا من نهر تحقيقه الذ ... ذ وكم انتشى ومال وعربد
كم هصرنا فيه ثمار المعانى ... ورقلنا فى سرح بحث ممرد
جنة أزلفت تجلّت عن الوصـ ... ـف فحاشا نعيمها أن يعدد
أنت رضوانها فيا ليت إنى ... كنت ما عشت فى رباها أخلد

كنت طيراً ممكناً من رباها … طائراً فى فنونها يتردد

غير أن الزمان مذ شبّ كا … وأتتنا أشغاله تتصيّد

فغدونا لنا الشواغل أصفا … د وكم بين مطلق ومقيد

يا إماماً جمعت كل كمال … وعجيب إذ أنت فى الجمع مفرد

أنت كشاف البحث إن دقّ معنا … ه ومفتاحه إذا الباب موصد

لو تقدمت فى الزمان لأضحى … من تلاميذك الخليل بن أحمد

وتلقّى منك الإمام الجُوَينى … ووافاك ثعلب والمبرد

لا تخالى أميل عن طالب العلـ … ـم وفى مهجتى هواه تمهد

هو والله بغيتى ومرادى … وفؤادى فى حبه قد تعبد

إن سجى الليل كان خلى يراعى … وكتابى لا ذات خد مورد

وسميرى دفاتر طاب فيها … كل معنى يجنيه ذهنى فيسعد

ولعلى أفوز منك بوقت … ليس فيه بالبحث من يتنكد

إن ذهنى قد كان يدرك شيئاً … هو والله ذاته ليس يفقد

غير أنا فى دهرنا قد بُلينا … بأناس على الخيالات حُشَّد

كل من خاله خيالا أتتنى … خلةٌ بالخيانة تشهد

ثم أنهى إليك أنّ زمانى … ساد فيه من وجهه سيسود

كل كأس من الخلاعة والجهـ … ـل وعار من الكمال مجرد

فولاة الأنام سود طغاة … أو جهول أو ظالم قد تمرد

تقبض الواجبات من فقراهم … وعلى الأغنياء منهم تردد

عكس ما أنزله الإله من الحق … وما قاله النبىُّ محمد

ثم هذا تحسر ليس أخبا … راً ولكن شواظ نار توقّد

وابق طوقاً فى جيد دهر تسمى ... بمعاليه كل قدم ومبتلد
وابق فى رفعة وعزٍ ومجد ... وسلام عليكمُ يتجدد

* * *

وله رضى الله عنه إلى شيخه صلاح الدين أيضاً يطلب منه قرأه فى الكشاف أو فى البحر سنة ١١٢٩هـ تسع وعشرين ومائة بعد الألف .

لعل زماناً بالوصال يجود ... ودهراً مضى بالرقتين يعود
تزيدون بعداً والهوى ذلك الهوى ... وتبلى الليالى والغرام جديد
وإن نقل الواشى سُلُوّىَ عنكمُ ... فدمعى على ما أدعيه شهيد
دوت مهجتى لكن غصن تشوق ... يطيب به ريح الغرام تميد
على غصن شوقى حمائم ذكركم ... تنوح فتبكى القلب وهو عميد
سحائب بَيْن أمطرت روض وصلنا ... لهن بروق حوله ورعود
فما ودقها إلا رغاء قلائص ... لهن بما يهوى الفؤاد وخيد
عسى عطفة للدهر لى تهدم النوى ... فيصبح ربعُ الوصل وهو مشيدُ
إذا الدهر وافى بالسعادة خادماً ... فكل نحوس الكائنات سعود
وإن لم يكن للدهر عونٌ على الهدى ... فكل قريب تشتهيه بعيد
ولا أنا بالباكى العقيق ولا اللوا ... ولا أنا ممن هيجتْهُ زرود
ولكن دياراً للعلى شادها الألى ... عفتْ فبكاها جازع وجليد
عليه يشق المرء حزناً ثيابه ... وأولى علبها أن تشق جلود
مدارس تدريس خلت وتعطلت ... فأصبح روض العلم وهو حصيدُ
إذا أنت لم تبك العلوم وأهلها ... وقد غيبتها فى التراب لحودُ
فأنت بهيمىُّ الطباع وإنما ... قصاراك ثوبٌ ناعمٌ وثريد
ستبكى العلى قوماً تسامو لقيتها ... كأن لهم دمع العيون يجود

يعيدون منها ما تعفّتْ رسومُه　　فتضحى عليها للفخار برود

كمثل صلاح الدين أحيا رياضها　　فأورق من روض المعارف عود

إمام علوم لا يُشَقّ غباره　　وبحرٌ إليه الطالبون وُرود

غذاني وربّاني صغيراً بعلمه　　وما زال يغذوني به ويفيد

ترعرع ذهني في رياض علومه　　وغذاه بالتحقيق وهو وليد

وإني لأرجو أن يتمم فضله　　فمن يسعد الملهوف فهو سعيد

أريد عبور البحر في فُلْكِ درسه　　فقد راقني دُرٌّ حواه نضيد

وكم عابرٍ في زورق فيه ما درى　　أبحر لديه أم لديه صعيد

وكشاف جار الله لي نحو أخذه　　وتحقيقه شوق إليه شديد

كنوز من التحقيق فيه وإنما　　يفوز بها من في العلوم وحيد

وذهنك قد أعطى أقاليم بحثه　　عليه لواء خافق وبنود

أفيضوا علينا من بحور علومكم　　وجودوا علينا فالكريم يجود

ودونك شكوى في فؤادك مثلها　　لها في قلوب المؤمنين وقود

رياح ضلال أفسدت روض ديننا　　وصقر لأديان الرجال يصيد

وقوم لهم في هدم شِرْعَةِ أحمد　　مآرب سوء ما لهن عديد

وداد بجسم الدين إن طال مكثه　　حوته ثياب لِلْبِلَى ولحود

كأن كتاب الله ليس بزاجر　　ولا فيه وعد صادق ووعيد

كأنْ لم يكن يوم يشيب وليده　　يقال به ذا ما لَدَيَّ عتيد

كفى غربةَ الدين هذا الذي نرى　　فليس على ذا الاغتراب مزيد

ألم تبق في أهل الديانات همة　　ألم يبق شخص للطغاة يذود

ألا غاضب لله إذ ضاع دينه　　يسوق جنوداً إثْرَهُنَّ جنود

فيا حزنا هذي شريعة أحمد　　تلعب جهال بها وعبيد

لعل الليالى أن تمن بماجد　　　يقيم رسوماً للهدى ويُشيد

ونفثة مسطور أتتك فلا تلُمْ　　　إذا لم تزنها بالبديع عقود

ودم وابق فى مجد أثيل ورفعةٍ　　　تحفُك من كل الجهات سعودُ

* * *

وله رضى الله عنه إلى شيخه العلامة جمال الدين على بن محمد العنسى رحمه الله كتبها إليه من كحلان بعد أن أقام فيها للقراءة وكان قبل خروجه من صنعاء يقرأ على القاضى المذكور .

لِيَ الله ما قلبى هو الحجر الصَّلْدُ　　　فحتّامَ يرمينى بأسهمه البعد

أحبّاىَ لا صبر على الهجر والنوى　　　وقد عبثتْ فينا الصبابةُ والوجد

سلبت الكرى من بعدكم وتعوضت　　　جفونى دماً إذ عوضت منكم السهد

لقد ظلمتنى واستطالتْ يدُ النوى　　　وقد تركتنى لا أقر ولا أهدو

وبالكره بُعدِى عن أزال وأهلها　　　وفيها إمام العلم من لا له نِدُّ

ولِيٌّ علا مجداً وعلماً وسؤدداً　　　وكل أديب عند آدابه عبد

أخذن العلى أشكو الزمان وفعله　　　يقابلنى منه التجافى والصد

يشردنى عن دار لهوى وصبوتى　　　إلى بلد أهل الذكاء بها بُلْدُ

إلى بلد لا يرتضى فيه منظر　　　ولا ماؤها عذب ولا عيشها رغد

أقمت بها كرهاً والدهر حكمه　　　وحكم الليالى لا يطاق له رَدُّ

ولا زلت فى الدنيا جمالاً لأهلها　　　فأنت إمام العلم والعالِمُ الفرد

بقيت إماماً للعلوم وللعلى　　　تُشَيِّدُ ركناً شاده قبلك السَّعْدُ

* * *

وله رحمه الله مكاتباً للسيد العلامة عز الإسلام محمد بن إسحق ابن أمير المؤمنين المهدى أحمد بن الحسن بعد وصول أبياته التي أجازبها قصيدة مولانا البدر رحمه الله تعالى التي أولها .

* شكت بلسان الحال طوله جفاها *

وأول أبيات السيد محمد بن إسحق :

* أتبلغ نفسي من سعاد مناها *

فقال البدر رضي الله عنه :

صبابة حلت وفرط وجد	في مهجتي قبل حلولي مهدى
فيها أقاما وبها قد كمنا	والنار تخفى في غصون الرند
فاقدح إذا ما شئت منها قبساً	من الغرام تذر كنه وحدى
شبّا فشبا النار في جوانحي	وشيبا بعد فؤادى فودى
ونسمه مذ عبرت بي سحراً	أهدت أريج عنبر ونـــدّ
دلت بما قد ضمخت أن لها	بساكنى نعمان قرب عهد
ياساكنى نعمان في ربعكم	ظبيٌ له فينا فعال الأسْدِ
أقطعته قلبي على تحريمه	وللغرام شرعة لاتهدى
فسامه سوء العذاب طاعناً	وضارباً بكفه والقـــد
يثمر الصبر وقد أحصده	بمنجل الهجر وطول البعد
فهو هشيم ورياح هجره	تذروه في الأرض بكل نجد
وبصرف الدمع إلى محاجرى	وقد حشاهـــا مبلة بالسهد
وإن أتيت قال هذا توبتى	فاضرب بها إن شئت تحظى عندى
أحكامه جارت كذا حكامنا	لاغرو في ذا فالملوك تعدى
كم بينه وبين خود سمحت	بوصلها عفواً بغير وعـــد

لله ما أحلى زمانَ وصالهـــا ما هو إلا قطعةٌ من شهد
كأنها من الرياض خُلِقَتْ لا بل أتتنا من جنان الخلد
فثغرها من كوثر وطرفها من نرجس وخدها من ورد
وعند ما أهويت أجنى خدها أهوى لقطع الوصل كفُّ الصَّدِّ
فقلت يا نفس اثبتى تجلداً ولا تبدِى جزعاً عن جلدِى
وَلْتَصْعَدِى بالنظم نحو ماجد فى قصيدى هو بيت القصد
بدر بأفلاك العلى منازل لذاته وهـــالة من مجد
فى العلوم قد سما فى رتبة ما الهمينُ حازهـــا والهندى
كم مشكلٍ قـــد حَلَّه بذهنه ورب نثر زانه بالعِقْـــدِ
فذاك أهل الحل والعقد بلا ريب وسائل هل له من نِدّ
وإن أدير نظمه فى موقف قلت نجومٌ سُبِكَتْ فى عِقْدِ
وكم أعُدُّ من صفات مجده هيهات لا أستطيع عد العد
دونك يا بدر المعـــالى كَلِماً ما هو نظمى بلا نظام ودى
أرسلته مؤكداً مـــودة مؤسساً عذرى فيما أبدى
وقد أتى المرجوح فيه راجحاً والنظم للممنى الظريف يهدى
وطامعاً فى دُرَرٍ من عندكم فهـــذه حِبَالَةٌ لصيدى
ملَحِّن إذ لَمَّحَ فى تشبيهه إلى أمور بدويها تردى
على مغانيك ســـلام طيِّبٌ تُقَبِّلُ الأقدام بعد الأيدى

* * *

وله رحمه الله تعالى إلى المولى عز الإسلام أيضاً على منوال قصائد دارت بين سيدى إسمعيل بن محمد بن إسحق وأخيه الحسن والمولى الزاهد إسمعيل بن صلاح الأمير والمولى عبد الله بن إسحق رحمهم الله .

قلب المتيم كم يذوده ... عمن تملكه صدوده
وإلى متى لهب الفؤا ... د بهجره يقوى وقوده
ما آن أن يرثى لطر ... ف من نواه ناىء هجوده
وأبى المهاد كأنه ... ظمآن من دمعى وروده
أعيى الهوى قلبى المُعنّى ... والغرام أتى يقوده
والسُّقم وافى زائراً ... سُحقاً له ولمن يريده
وارحمتا لمتيم ... وافت عواذله تعوده
فرأوه جِلْفَ ضنًى بضيـ ... ق عن الخطاب بما يفيده
لا يستطيع تأوُّهـاً ... لكن تئنُّ له بروده
جسَّ الطبيب فلم يجد ... من نبضه ما يستفيده
فرنى وقال أرى الفتى ... ما فيه من ألم يؤوده
هذى جنايات الغرا ... م عليه قد قامت شهوده
ترياقه وصال الذى ... فى الحب أسقمه صدودُه
أو طيفه إن زاره ... فالطيف قد يجدى وروده
قالوا وأنى بالمنا ... م وما يواصله رقوده
قال التناسى للهوى ... قالوا وهل بأسى شديده
قال التذكر للبلى ... قالوا وهل يَبْلَى جديدُه
قال التسلِّى بالصَّبا ... قالوا وذا مما يزيده
قال الرياض يزورها ... قالوا وهل إلا خدوده
قال التشاغل بالمديـ ... ح لماجد قد فاق جوده(١)

(١) وفى نسخة « فاض » بدل « فاق » .

يزداد وجداً بالندى ... والبذل إن زادت وقوده
قالوا عسى عز الأنا ... م أردت قال فمن أريده
إنسان عين زمانه ... فى كل مكرمة فريده
درّاكُ كل خفيـة ... لم يبق شىء يستزيده
أما العلوم فإنه ... فى كل تأليف وحيده
مفتاح بحث مغلق ... كشاف مشكلة مقيده
برصانـة ورزانة ... والذهن ملتهب وقوده
بحر الندى والعلم قد ... ظفرت بما تهوى وروده
ذو الرأى فى كل الأمو ... ر فمنه يُلقى سديدُه
قـد طاب آباء وأبـ ... ـناء كما طابت جدودُه
فالفرع مثل الأصل يأ ... بى أن يرى شخصاً يسودُه
قد أحرزوا كل الكما ... ل فمِنْ علاهم نستفيده
والنظم أضحو مالكيـ ... ـه وفيهِمُ يحلو قصيدُه
وإليك أبيات النظـا ... م أتت لخدمة من يجيده
رقت لرقة خُلْقِ مَنْ ... فى مدحه نُظِمَتْ عقودُه
فيكاد يرقص رقها ... من رقه ويهز جيده
ويكاد يُذْرِكُ نشوة ... مِنْ حاله أيضاً بريدُه
يغدو يهيم فى الطرو ... ق بذا الختام ويستعيده
لا زال مَنْ فى مدحه ... نُظِمت طالعـةً سعودُه

☼ ☼ ☼

وله رضي الله عنه مجيباً على المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله عن أبيات كنى[١] بها عن معنى أراده متكلا على فهم المكتوب إليه الارادة .

قال مولانا البدر رحمه الله وذلك أنه وصل إلينا من الخليفة المنصور رحمه الله خط أمان إلى حصن شهارة ، وأشهد عليه الحكام ، وطلب وصولنا إلى صنعاء، وهذا لعله كان في شهر محرم سنة ١٠٩١ هـ .

فوصل من المولى الحسن رحمه الله ، من القصر ـ وهو مسجون ـ الأبيات ، يحذر من الوصول والاغترار بالأمان .

فأجبت بما ذكرناه ولم يقض الله لنا بدخول صنعاء ، في تلك المدة .

مثلي يغر بنقش كف الغيد	هيهات أن أغتر بالتسويد
ما خلت ذاك النقش إلا حيلة	في الاقتناص لقلب كل عميد
مثل الشباك رأيت نقش أكفها	أقصدت بالتشبيه صيد الصيد
إياك إطلاق اللحاظ فإنه	سبب لأسر القلب بالتقييد
كم من أسير في سلاسل حبها	يعتاض طيب النوم بالتسهيد
ولقد خبرت الغانيات فما لها	عهد فلم نقضت سعاد عهودي
سحقاً وبعداً للغواني إن غدت	كسعاد في إخلافها لوعودي
أنا قد أطعتك يا عذولي في الهوى	ورأيت رأي سواك غير سديد
قد صنت طرفي أن يكون مسهداً	وحفظت عن جرح الدموع خدودي
لو أدلك العشاق مثل طريقتي	لم يشتكوا هجراً وقبح صدود
تابع فدتك النفس كل نصيحة	واهد القريب برأيك المحمود

٭ ٭ ٭

(١) في الأصل كنايا وما أثبتناه هو الصحيح بدليل ما بعده .

وكتب رضى الله عنه إلى السيد العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله يعاتبه على تأخر المعاهدة نثراً فأجاب بأبيات عنه البدر قدس الله سره يقول .

ما طرق الطرف سوى سُهْدِه   مذ غاب من يقتدى بـوده
ولا سلا عنه فؤادى وهل   يضل بعد البعد عن رشده
وداره ذاك الوداد الذى   يقتبس العشاق من وجده
إليه ينهى أمر أهل الهوى   فى مبدأ الحب وفى عوده
قد قام فى اللهو بأعيانه   فكل من فى الكون من جنده
وكل نار للهوى أضرمت   فإنما تقدح من زنده
ما غير البين له صَبْوَةً   ولا ثناه البعد عن وُدّه
تشابهتْ أحواله فى الهوى   فى قرب مَنْ يهوى وفى بعده
مضطرب القلب كثيرُ البكا   لا تقلع الأدمع عن خده
مشوّشُ البال فلا هَزْلُه   يُعْرَفُ إن حدّث من جِدّه
يسائل الريح إذا ما سرت   عن نرجس الروض وعن ورده
ويسأل البارق ماذا الذى   جرّدهُ فى الأفق عن غمده
لا غَرْوَ فى استعذاب تعذيبه   فراحة الولهان فى كده
يستغفر الله جراءى على   تنزّل ما كان من قصده
دعا إليه ذكر عهد الصبا   حيّا الحيا ما مر من عهده
وذكر من حاز العلى فى الصبا   بل كاد أن يكمل فى مهده
إمام أهل المجد مَنْ تعتزى   كلُّ الكمالات إلى مجده
بحر من الجود وحاشاه أن   يخاف منه الجزْرُ من مدّه
يخبرنا الركبان عنه بما   يعجز مَنْ يرويه عن عدّه
أنسى بأهل الجود من قبله   وأعجز اللاحق من بعده
علّامةٌ كلُّ ذكىٍّ غدا   يسأله التحقيق من رِفْدِه

فاق بنى الدنيا فقل صادقاً لا تقع العين على نِدِّه
تأتى القوافى طائعات له تمدُّ فى اجلة من وفده
يعقد منها كل معنى كما يحل ما أشكل من عقده
وقد حبانى عقد در فيا لله ما أهداه من عقده
كالشهد والسكر فى ذوقه جاء من النحل ومن قنده
مستفصلاً عتبى له فى الجفا وخاف ما أعهد من وده
وطول عهدى بكتاب به يشفى الفؤاد الصب من فقده
هيهات لا يشفيه إلا اللقا فرسْلُكمْ والكتْبُ لم تُجْدِه
فكيف يستنكر عتباً لمن يراكم الغاية فى قصده
ما غير ذكراكم له راحة فذكركم قد صار من وِرْدِه
يتلوه سراً وعلانية لا ينتهى بالشغل عن سرده
أقسم لولا كتبكم قد غدت تمائماً كالعقد فى نضده
فارقه من بُعدِكُمْ عقلُه وصار لا يطمع فى رَدِّه
يا أيها المولى الذى نظمه أشرف ما يهدى إلى عبده
دونك ما لا يرتضى ناظم تصديره نحوك من عنده
لا يصدق النظم عليه ولا يدخله المنصف فى حده
أبياته تنهد أرجاؤها إن نظر الناقد فى نقده
فسامح المملوك فى نظمه فإن هذا منتهى جهده
لا زلت غصناً فى رياض العلى ما فاح فى الروض شذى رنده

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً على المولى الضيا أيضاً عن أبيات كتبها إليه وهو إذ ذاك معتقل فى قصر صنعا سنة ١١٥٠هـ خمسين ومائة بعد الألف .

هذا النسيم أتاك من نجد ... متفصلا من صورة الصد
وطوى المهامه لا يخاف بها ... برقًا يلوح كصفحة الهندى
والشوق أقوى ما عليه طوى ... ذو الاشتياق مسافة البُعْدِ
حيًّا فأحيانى تحيته ... وتلا علىَّ صحائف الود
ولثمت أقدام النسيم ومن ... إسباله لم ألثم الأيدى
وحللت من لبانه عقداً ... فتساقطت بلآلىء العقد
وسألته هل ثَمَّ من خبر ... تهديه عن سعدى وعن سعدى
فتبسمت شفتاه قائلة ... أنت الغبىّ جهلت ما عندى[1]
عندى عتاب لو يُصَبُّ على ... صَلْدٍ أذاب صلابة الصَّلْدِ
فالبس لديه السابغات عسى ... تنجيك أن سهامه تردى
وخذ السلاح ولا أراه وأن ... من كل آلته غدا يجدى
سهم العتاب يكون موقعه ... فى القلب لا فى اللحم والجلد
فأدار كأساً قد تجاذبها ... لين الخطاب وقسوة الجد
مزجت حلاوته مرارته ... كالمُرِّ مازج مالى الشهد
وطوى عتاباً فى بلاغته ... كالوشى فوق معاطف البُرْدِ
أهدى إلىَّ عتابه فحكى ... أطلب الرياض ونشرها النَّدِّ
مازادنى ذاك العتاب سوى ... وجد يضاعفه على وجد
كالعشق يستحليه صاحبه ... وبه دواعى السقم والسُّهْدِ
والخمر يشربها مقارنة ... لصداعها والإثم والحد
أظننتم دهرى بجفوته ... لطباع مثلى مثله يعدى
إن الوفا بالطبع يصحبنى ... للصحب من مَهْدى إلى لَحْدى
مثلى أخوته ومحبته ... سيان فى قرب وفى بعد

---

(١) وفى نسخة : جهلت ما أهدى

وقـــديم ودّى لا يغيّره دهرى بحادثة الذى يبدى

غيرى تغيره حـــوادثه ويميل ميلة كل ذى حِد

ويبيع من عثر الزمان به أن النسيئة ليس كالنقد

أنسيتَ أياماً سلفْنَ لنــا فى الحسن مثل سوالف الخدّ

وعلى تذكُّر ما مضى فلنــا بحث على الأيام لو يجُدِى

ما بالها لم ترع حرمة من أضحى لجيد المجــد كالعقد

هو فى جبين الدهر غرّته يا دهر تطمسه على عمد

وحبسته عن كل مقتبس علماً وآداباً فمن يُجْدِى

إن كان عن لؤم تحجُّبُه عنا وعن بخل وعن حقد

فكذا طباعك غير منكرة فى عكس ما نرجوه والقصد

إن جار دهر فى تحكُّمِه فالصبر فيه أنفع الجهد

فالبس ثياب الصبر مُعلمة بالوشى من شكر ومن حمد

وارج الذى تهواه عن كثب فالدهر لايبقى على عهـــــد

كم جيرة قد أبعدوا زمناً عادوا إلى المألوف من نجد

وتعانقوا هم والسرور على رغم الزمان تعانق الزند

ضحوا بكبش النحس واتخذوا منه الشوى لضيافة السعد

شربوا كؤوس القرب حالية يستدفعون مرارة البعد

غنى على أغصان عيدهم وُرْقُ الحلى وصفوة الأيدى

وبلابل الأفراح قد أخذت أعوادها بحدائق الورد

جست بهــا الأوتار قائلة يا دهر هذا منتهى قصدى

وخذ الجواب وعُدَّهُ كرماً واستره عن بحث وعن نقد

إنا لفى زمن شواغله عدة فقد جلت عن العد

منعت صوارفه دواعيَهُ وتعاورتها فتمانعــا عندى

كل تغير عن خلائقه ... حتى السحاب وصادق الرعد
حسبى على زمنى وجفوته ... لطف الإله الواحد الفرد

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه مجيباً على الولى الضيا عن أبيات وصلت منه من السجن سنة ١١٤٣ﻫ ثلاث وأربعين ومائة بعد الألف .

إلى كم أدارى عاذلى ومُفَنِّدِى ... أمثلى بهم فى شِرْعَةِ الحب يَقْتَدِى
أبى لى آبائى أن أقلد فى الهوى ... أبعدَ اجتهادى تدَّعينى بالمقلِّدِ
فقد طالما ضيعت فى الحب مهجتى ... وألقيت فى كف الصبابة مِقْوَدِى
وكفَّفْتُ دمعى وهو من مقلتى دم ... مخافة أن أضحى بجد مورد
وكم بَشَّر السلوان قلبى مغالطا ... ونار الهوى نطوى بذيل تجلُّدى
وكم زارنى عن غير وعد معذبى ... وأحلى اللقا ما كان عن غير موعد
فما لليالى لا سقى الله عهدها ... تطرِّدنى فى الأرض كل مُطرَّد
أعادت منامى لا يصافح مقلتى ... وصار سهادى يفتح العين باليد
وأكسو الدجى من لون حالى حُلَّةً ... فيزداد منها ظلمة حين يرتدى
أما آن يا صبح اللقا منك أوبةٌ ... ويا دهر هجرى هل لليلك من غد
نعم من تباشير الصباح إشارة ... أتت فى نظام بالبديع منضَّد
نظام كمثل الماء لطفاً ورقةً ... وكالنار من شكواه عند التوقد
إذا ما قرأت الشطر منه تصعدت ... من الصدر نار تحرق الرق فى يدى
سمىُّ أبى إن كان تفديك مهجتى ... فأحقر مبذول لأعظم من فدى
فمثلك يفدى بالأنام جميعهم ... بكل مسود منهم ومُسَوَّد
فمثلك فيهم لا يكون ولم يكن ... طويل نجاد السيف رحْبَ المقلد
يدافع عن أحسابهم بلسانه ... ويضرب عنهم بالحسام المهند
يعزّ علينا أن تكون مكبلا ... تبيت على جمر من الكرب موقد
يعز علينا أن تكون محجباً ... تبيت بطرف بالهموم مُسَهَّد

ولا غرو من حاز الكمال فإنما — يكون أميراً أو أسيراً لأصيد

هم جعلوا الحراس حولك خيفة — لأنك كنز من نضار وعسجد

وهوّن هذا إن عاقبة الأسى — سرور به يفنى من الغيظ حُسّدى

أتطلب غوثاً من غريب وإنه — كمثلك يبغى الغوث فى كل مقصد

فلا ترج إلا الله فى كل حادث — فألق إليه بث شكواك تحمد

له الملك فى الأكوان لا بمؤازر — ولا بنصير فى الدفاع لمعتد

قريب ولكن بالذنوب تباعدت — مسائلنا عن روض إحسانه الندى

فقم قارعاً للباب والقلب نادماً — على ما جرى وارفع دعاءك يصعد

وقم سائلاً والدمع فى الخد سائل — تجد ما تشا من لطفه وكأنْ قدِ

وقم زلفا فى الليل إن نشر الدجى — جناح غداف يلبس الكون عن يد

ورد ظلام الليل بالذكر مشرقاً — فقد فاز من بالذكر يهدى ويهتدى

وأما بنو الدنيا فلا ترج نفعهم — فلا متجد منهم يرجى لمجتد

فإنى تتبعت الأنام فلم أجد — سوى شامت أو حاسد أو مُفنّد

وقد رضعوا ثدى المهانة كلهم — وكل بذيل الذل أصبح يرتدى

فلم أرمهم إلا بالسهام من الدعا — إلى مقتل الأعداء من قوس مِذوَدِى

وعما قريب يدرك السهم صيده — فكم صاد منهمُ الليل مهجة أصيد

وأوصيك بالتقوى لربك إنه — سيحمد تقواه الموفقُ فى غد

وخذ لك من دنياك زاداً فإنما — أقامك فى الدنيا لأخذ التزود

فعما قريب قد أناخ ركابنا — بقصر خَلِىّ مظلم الجوّ فَدْفَدِ

فإن الليالى كالمراكب تحتنا — تروح بنا فى كل حين وتغتدى

فيا حبذا جنات عدن فإنها — تحط رحال القادم المتزود

وليس لنا إلا الرجاء فإنه — يبلغنا من فضله خير مقعد.

وستراً(1) على هذا النظام فإنه … كثير الحيا من ذهنك المتوقد
أراد لأفراط الحيا يترك اللقا … فكم سامني عذراً لخوف التفقد
ولكن أقلامي أبت أن تطيعه … فسار بقلب الخائف المتوجد
فلاطفه براً واعفه عن لطائف … تنل خير لطف من لطيف مؤيد
بقيت لنا بحرين بحر بلاغة … وبحر ندى يروى به كل مجتد
وصلّ على المختار ثم وصيِّه … وسبطيه والزهرا وآل محمد

* * *

وله رضي الله عنه جوابا على السيد العلامة إسحق بن يوسف بن المتوكل على الله رحمهم الله عن أبيات وصلت منه عند وصوله من ذمار إلى صنعا في سنة ١١٥١ يطلب من مولانا إعانته على أمر طلبه .

كيف لي كيف لي بنيل مرادك … وبلوغ المأمول عن إمدادك
يا إمام العلوم في النظام والنثـ … ـر وكل الكمال من أجدادك
وعزيز عليّ أن الليـــالي … وبنيها تأتي بغير مرادك
آه لو أنصف الزمان لكانت … صادرات الأمور عن إيرادك
وسأسعى جهدي وأبذل وسعي … في الذي ترتجيه من إسعادك

* * *

وله نعمه الله برحمته جواباً على السيد العلامة أحمد بن الحسن بن إسحق رحمهم الله عن أبيات وصلت منه بعد وفاة والده الحسن رحمه الله ووفاة المولى العلامة إسمعيل ابن محمد بن إسحق رحمهم الله يعاتبه على عدم الرثاء لوالده الحسن رحمه الله :

سرى طيفُها والطرف مني مسهَّدُ … ودمعي لِزُوَّارِ المدامع مورد
فصار غريقاً في بحار مدامعي … ولم أر طيفاً قبله وهو يلحد
تظن سليمى يا سقى الله عهدها … بأني على العهد الذي كان تعهد
وأن غرامي بعد شيب مفارقي … كما عهدت والخد منّيَ أجرد

---

(١) قوله : « وستراً » وفي نسخة « وعتوٌ » .

وأن زمانى لارعى الله سربه — يوافقنى فيما أروم وأقصد
ولولا النهى والنهى عن سب دهرها — لأسمعتها من ذمه ما يخلد
أما علمت أن المنايا توائبت — على رفقة كل بعليـاه مفرد
ثوى والدى بحر المعارف والتقى — ومن مثله فى زهده كان يوجد
فقلت لنفسى الصبر أفخر حلة — فألبسته ثوباً من الصبر يحمد
وفى حسن عنه وفى ابن شقيقه — أنا عوض فى العلم والبحث يشهد
وقد كنت غذيت الجميع معارفى — بما هو فيها فى الطروس مخلد
وكنت أرجى نشرهم ما طويته — إذا ما طوانى بعد موتى ملحد
فكان قضاء الله سبق أحبتى — وفيما قضـاه الله لله أحمد
وصرت غريباً بعدهم فى حثالة — كأنى لديهم يا ابن ودى أبلد
أعاشرهم بالجهل إذ ليس غيره — لهم مورد يا بئس ذلك مورد
موافقهم بالقيل والقال شيدت — فلا حبذا تشييدهم والمشيد
وليس خليلى غير من كان همه — علوم إلى خير البرية تسند
ومن مال نحو المال والجاه لم يكن — له خلة عندى ولا لى مقصد
أجدك ما الدنيا وماذا نعيمها — وهل هى إلا جمرة تتوقد
إذا نال منها طالب ما يرومه — وساعده المقدور والدهر يسعد
أتاه غداً من خطبها كل فادح — ويلقاه منها كل شىء ينـكد
لعمرى لقد شاهدت منها عجائباً — وصاحبنى فيهـا مسود وسيد
رأيت بها أهل المواهب مرة — يكاد لهم من طوعه الدهر يسجد
فما راعهم إلا الرزايا توائبت — عليهم وقامت فى أذاهم تحشد
وأسقتهم كأساً من الذل مترعاً — وكان لهم فوق السماكين مقعد
ودانت لمن ناواهم بعض برهة — على نـكد فى كل يوم يجدد
وقد شاهدت عيناك من كان بعده — فمالى ووصفى للذى أنت تشهد

صَفِيَّ الهدى أحرقتَ بالعتب مهجتى   وأنت بها رفقاً بنفسك أحمد

عَتِبْتَ على ترك الرثاء لماجد   ثوى كل مجد إذ ثوى وهو ملحد

سواى الذى ينسى العهود ويخلف الـ   ـوعود ويسلو(١) كل ما كان يعهد

وما كان تركى للرثـاء لأنه   سلواً ولا نسيان عهد يؤكد

أأسلو حبيباً طالما قد مدحته   ووصفىَ فى عليـاه باقٍ مخلَّدُ

وكم من مديح قد كسانى كأنه   عقود على جيد الغوانى ينضد

تركتُ الرثاء إذ كان يجلب الأسى   وجلب الأسى للعقل والدين يفسد

أُمِرْنا بحسن الصبر فيما ينوبنا   وإن ضاق عنه صبرنا والتجلد

سأرثيه لا بالنظم والنثر إنما   سأتلو له القرآن والناس هُجَّدُ

فهذى الصلات النافعات لمن ثوى   وفى الندب نهى فى الأحاديث مسند

بعثتَ بنظم عقد هجرى مقاله   وقد نضب البحر الذى كان يُزْبِدُ

وقد نَسِيَتْ منى القريحة ذكره   وأبواب أبيات القريض تسدد

أذلك نظم أم كؤوس بعثتها   فإنى مما قد بعثت معربد

فإن كان خمراً فهو خمر معتَّقٌ   وإن كان شعراً فهو للشعر سيد

وإن كان من زهر الدرارى فحبذا   وإن كان من زهر الربا فهو جيد

وإن كان سحراً فهو من سحر بابل   فهل هو للأسحار فى الشعر يعبد

بعثتَ إلينا من نظامك جوهراً   لجيد العلا طوق وعقد منضد

فقبَّلْتُهُ ألفـاً وقابلت دُرَّه   بشىء يسد السمع لو كان ينشد

فدونك شيئاً يشبه النظم لفظه   ومعناه دون النثر إن كان ينقد

فلا زلتَ يابن الأكرمين مكرماً   تُشَيِّد أركان العـلا وتُجدِّد

* * *

(١) وفى نسخة «وينسى» بدل «ويسلو» .

وله رضي الله عنه مجيباً على السيد العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله حين طلب منه أن يصف له رحلته إلى مكة المشرفة للحج في سنة ١١٣٩هـ تسع وثلاثين ومائة بعد الألف

أتسأل عن رحيلي يابن ودي ... فخذ تفصيل جملة كل فرد
بغير رضاً رحلنا عن أزال ... وسل ماسال من دمعي بخدي
ولكن نار أشواق ووجـــد ... إلى بيت القصيد لكل قصد
إلى البيت العتيق أجل بيت ... سقى مغناه وابل كل رعد
طوينا كل عمران وقفر ... إليه وكل نجد بعد نجـــد
إلى أن في رباه حططت رحلي ... على نعم خصصت بهن وحدي
فأشكر من حباني كل فضل ... وأحمده عليه بكل حمـد
خـلا أن الحرارة في هواه ... أشد حرارة من نار وجدي
ولازمني به ضعف بجسمي ... بحيث عجزت عن حملي لِبُرْدي
وأقعدني عن الطاعات ضعفي ... فما فيـــه لنـــافلة نؤدّي
فلم أر نافعاً لدواء جسمي ... سوى تَرْكي له من غير قصد
خرجنا قاصدين إلى ديار(١) ... تخال بها الرياض جنان خلد
فقضّى لي بها زمن نفيس(٢) ... كحلت عليه أجفاني بسهد
ووافانا به زين(٣) المعالي ... وزينة كل ذي كرم ومجد
فتى إن حلّ أرضاً صار عيناً ... لها ولأهلها ولكل وفد
حوى علمــاً وآداباً وجوداً ... ولطفاً ماحكاه نسيم نجد
فكنا نجتنى روضاً أديباً ... من الآداب في هزل وجد
وكم خضنا بحوراً من علوم ... بتحقيق تجـاوز كل حد

---

(١) قوله : ديار يريد بها « الطائف »

(٢) ٢٥ يوماً

(٣) هو الشيخ العلامة زين العابدين المتوفى رحمه الله

فلو جمعت لكانت عقد در ... لجيد الدهر يفضل كل عقد
ورام بأن تزم بنا المطايا ... إلى المختار خير بنى معد
وأن يضحى بطيبة لى قرار ... يكون إلى موافاتى للحدى
ومن لى أن أسير على جفونى ... وألقى فى ثراه مصون خدى
ولكن عاقنى عنه أمور ... سأخفى بعضها والبعض أبدى
وأعظمها فؤاد طار شوقاً ... إلى بلد بها عضدى وزندى
أبى وأخى هما ريحان قلبى ... لكل منهما بالروح أفدى
إلى جبل الوقار وخير بر ... وأفضل كل ذى علم وزهد
وصنوى فى الشباب حليف تقوى ... له سمت الشيوخ وهدى مهدى
وأقسم ما أرى لهما نظيراً ... وفتش فى تهامة ثم نجد
وإنى بالضياء أبى المعالى ... ونجل أمامها الحليف وجد
إمام جامع شمل المعالى ... لذلك قد وقفت عليه ودى
ذكى عالم ملك بليغ ... تقاصر عن صفات علاه عدى
وبحر مكارم عذب إليه ... ترى الوفاد فى صدر وورد
سليل أفاضل سادوا وشادوا ... بيوت المجد فرداً بعد فرد
ضياء الدين خصك كل ودى ... فهل عهد المودة مثل عهدى
أم البعد الطويل جنى علينا ... فرب جناية جلبت ببعد
وكونوا كيف شئتم إن عهدى ... هو العهد القديم وإن وجدى
ودونك وصف حالى فى رحيلى ... تشاهده كأنك كنت عندى

* * *

وله رحمه الله تعالى كتبها إلى الشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المتوفى رحمه الله إلى طيبة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مخاطباً أن يبلغ سيد الكونين صلوات الله وسلامه عليه الصلاة والسلام وماشكاه إليه صلى الله عليه وآله

وسلم وذلك من شهادة أيام إقامته بها فى شهر شوال سنة ١١٤١هـ وأرسلها إلى الشيخ المذكور إذ هو نزيل طيبة المنورة :

يا قرير العين فى بلده ... طيبة فى السفح من أحده

فى جوار لا يضام به ... هذه الدنيا ويوم غده

دمت فى الأنعام متصلا ... طارفا منه وفى تلده

أبلغ المختار أحمد من ... يستمد الكل من مدده

سيد الكونين قاطبة ... من أسير الشوق مُنقَدِه

عبده ترب النعال له ... وهو فى الأنساب من ولده

صلوات لانقضاء لها ... بانقضاء الدهر عن مدده

وسلاما لا يُعَدُّ ولا ... يدخل الإمكان فى عدده

وتلطف بعدُ ذاك وقل ... هل لكم أن تأخذوا بيده

فهو فى بحر الذنوب وقد ... كاد يلقيه إلى زبده

إنكم إن تأخذوا بيده ... لا يَفُتُّ الزند فى عضده

وله من بعدُ مسئلةٌ ... أنت فيها كل معتمده

مطلب ما زلت أطلبه ... أقطع الأيام فى رصده

فتشفع لى إلى ملك ... كل خير فهو من صفده

فى بلوغ النفس مطلبها ... وخلوص القلب عن كمده

تغسل الأكدار عنه عسى ... تشرق الأنوار من رشده

لست أرجو غير جاهك فى ... حل ما قد حل من عقده

يا شفيع الخلق فى وطن ... شابت الولدان من نكده

وأتوا نوحا وآدم وال ... رسل الأعيان من ولده

ثم عاد الكل نحوك فى ... طلب التخليص من كبده

فكشفت الكرب وانقشعت ... سحب الأظلام من سدده

وبك الآن استغاث فتى … أنت أنت الكل من عدده
يارسول الله كن عضداً … لغريب الدار مبتعده
كارهاً فارقها وأباً … قطب أهل الأرض في بلده
وأخاً أنوار طلعته … ترشد الغاوي إلى رشده
وصغيراً لست أعرفه … قطعه الإنسان من كبده
وأخلاء ودادهمُ … ليس يخشى حل منعقده
كل هذا في رضاك لما … صح من متن ومن سنده
من أحاديث لنا رويت … ما بها نقد لمنتقده
وإليكم كفه رقت … من براكم كل مستنده
فأمدوه برفدكمُ … واقبلوا ما جاء من نكده
صلوات الله تغشيك بلا … أمد يقضي إلى أمده
وعلى صنو الرسول ومن … هو ليث الله في بلده
وعلى الزهرا ومن ولدت … وعلى الأطهار من ولده
وعلى الأصحاب من بهم … قام هذا الدين من أوده
وعلى أهل البقيع ومن … وسدوا في الشعب من أحده
حمزة واللاحقين به … من سيوف الله بل أسده
صلوات لا تزال إلى … أن يعود الروح في جسده

* * *

وله رحمه الله إلى ولده صارم الإسلام إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله إلى مكة المشرفة عام مهاجرته بها سنة ١١٦٧ سبعة وستين ومائة وألف .

طال البعاد فهل له بعد … أم هل لغيث وصالكم رعد
هل للنوى عهد يعرفه … أو ماله رسم ولا حدُّ
كنا نعدُّ شهور فرقتكم … حتى تعدَّى عامنا العدُّ
ما بات المرجان من مقلي … عقداً يبدد شمله الفقد

حتى ارتحلت فساقطت مقلى ... حبـاته فشدد المقـــد

ماشمت برق الشام بعـدكم ... إلا سرى فى السكرى السهد

وأيست ثوب الصبر بعـــدكم ... حتى تمزق ذلك البرد

قلت التصبر فيه لى عوض ... فثوى ووارى جسمه اللحد

لم يبق لى إلا الرجا سبب ... فرجاء آمالى به تحـــدو

* * *

وله ـ رضى الله عنه ـ مجيباً على الفقيه الصالح أحمد السكرى رحمه الله، لما كتب إليه يبشره برؤيا صالحة :

صفىّ الهدى ياخير هاد ومهتد ... وياخير تال للكتاب الممجّد

أتانا نظام سُكّرِىٌّ مجـددا ... نظام أتى من أحمد لمحمـد

يخبرنا إن نلت خيراً وإنما ... هو الخير تضميناً بغير تردد

فنـا تنال الخير من سنن الهدى ... وتسلك نهجاً أحمدياً محمدى

فنحن بنـوه مالنـا غير نهجه ... طريق به نهدى الأنام ونهتدى

فتابعنـا فيـه سعيد موفق ... ومخالفنـا من كان غير مسدد

وأنت بحمد الله قد فزت بالهدى ... عليـك سلام من رشيد ومرشد

وأسأل رب العرش يجمعنا معاً ... لديه غـداً فى خير دار ومقعد

بمقعد صدق فى جوار محمـد ... نبى الهدى حاوى الفضائل عن يد

عليـه صلاة الله والآل بعده ... وأزكى سـلام دائم متـأبد

* * *

أورد سيدى العلامة محمد بن هاشم بن يحيى الشامى رحمه الله سؤالا إلى مولانا البدر رضى الله عنه فى مفتتح سنة ١١٧٦ هـ ست وسبعين ومائة بعد الألف عن ثمان مسائل وهى : الرفع والضم والتوجه بعد التكبير ، والتورك فى جلسة التشهد ، والإشارة بالمسبحة فيه ، وقراءة الفاتحة خلف الإمام ، والدعاء فى الصلاة ، والتأمين ، هل قال بها قائل من أهل البيت عليهم السلام :

فأجاب برسالة سماها «المسائل المرضية فى اتفاق أهل السنة على سنن الصلاة والزيدية» :

ولما وصل الجواب إلى السائل رحمه الله ، كتب أبياتاً إلى مولانا البدر رحمه الله يشكره على ما أبداه من الحق الواضح ، ويشتمل على ذكر مسائل السؤال .

فأجاب مولانا البدر رضى الله عنه عليه بقوله :

سؤالكم كان مفتاح الكنوز لأبـ   واب المعارف منه يجلب الرشد

وافى ودر علوم الآل فى صدف   فى قعر بحر فلم يظفر به أحد

فغاص ذاك السؤال البحر ثم أتى   بالدر وهو كمثل الشمس يتقد

عقد على عنق الأذهان فأزبه   ذهن شريف لدر القول ينتقد

كذا من سائلنا من كان والده   بحر العلوم فكل نحوه يرد

فيا ابن هاشم لاتنسى أباك وكن   كهاشم إذ بجمع العلم ينفرد

أنت الشريف فشمر للعلوم تنل   مالم ينل قبل سعد الدين والعضد

فالعلم أشرف شىء فى الوجود وقد   كادت شموس سماء العلم تفتقد

سقى رياض علوم قد ذوت وغدت   قفراً فلا مسند فيها ولا سند

عسى عسى ولعل الله يرجعها   روضاً أريضاً به الطلاب قد سعدوا

* * *

وقال رضى الله عنه لما لم يتحرك الجهال من القيل والقال ونسبوا إليه أباطيل الأقوال :

لقد نسب الأنام إلىّ قولا   عليهم ربنا فيـــــه شهيد

وقالوا قد رضينا بابن هند   وقلنا إنه رجل رشيد

كذبتم إنه والله عنـــــدى   لفسيق وشيطان مريد

وملعون بما كسبت يداه   كذلك نجله الطاغى يزيد

* * *

وله رحمه الله لما وقف على قبر بعض أحبابه :

ياقبور الأحباب هل من مجيب   إن دعا كم دمع الحزين ونادى

إن أنتم تحت التراب رقوداً   فمابكم ماذاق طرفى رقادا

وله رضي الله عنه في المقابلة :

كيف أخاف الفقر أو عيلة   أو أختشي النيران ذات الوقود
وربيَ الرزق ذو رحمة   واسعة وهو رحيم ودود

* * *

وله رحمه الله في الاقتباس كتبها على نسخته التي بخطه من الهدى النبوي لابن القيم :

زاد المعاد حوى رياض معارف   قد أينعت وأتت بهدى الهادي
فاجتنوا الهداية والتقى من روضه   وتزودوا منه بخير الزاد

* * *

وله رضوان الله عليه جواب دعوة وصلت إليه من القاضي العلامة إسمعيل بن محمد العبدي رحمه الله ، وذلك في مدينة صعدة أيام إقامته بها بعد خروجه من مكة المشرفة :

يامن نفديه بكل ممجد   ونراه روحاً للعلى والسؤدد
يانور عين المجد يامن حبه   قد حل في قلبي بأشرف مقعد
رمت الوصال وكيف لي بوصالكم   إني أعد لقاك غاية مقصدي
بلقاك ألقى كل علم نافع   وأوافق الآداب عندك عن يد
آنست غربتيَ التي قد أوحشت   بمكارم ومحاسن وتودد
وعلى رُباك تحية لاتنقضي   يامفرداً جمع العلى بتفرد

* * *

وقال مولانا البدر رحمه الله لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له محمد ابن عبد الوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣ هـ وأرسلناها من طريق مكة المشرفة . وهي :

سلام على نجد ومن حل في نجد   وإن كان تسليمي على البعد لايجدي

لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ربُاها وحياها بقهقة الرعد

سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد

يذكرنى مسرك نجداً وأهله لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

قفى واسألى عن عالم حل سوحها به يهتدى من ضل عن منهج الرشد

محمد الهادى لسنة أحمد فياحبذا الهادى و ياحبذا المهدى

لقد أنكرت كل الطوائف قوله بلا صدر فى الحق منهم ولا ورد

وما كل قول بالقبول مقابل ولا كل قول واجب الرد والطرد

سوى ماأتى عن ربنا ورسوله فذلك قول جل قدراً عن الرد

وأما أقاويل الرجال فإنها تدور على قدر الأدلة فى النقد

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى

وينشر جهراً ماطوى كل جاهل ومبتدع منه موافق ماعندى

ويعمر أركان الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود بئس ذلك من ود

وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم عقروا فى سوحها من عقيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد

وكم طائف حول القبور مقبل و يلتمس الأركان منهن بالأيدى

* * *

فصل فى تحريق دلائل الخيرات

وحرق عمداً للدلائل دفتراً أصاب ففيها مايجل عن العد

غلو نهى عنه الرسول وفرية بلامرية فاتركه إن كنت تستهدى

أحاديث لاتعزى إلى عالم ولا تساوى فلساً إن رجعت إلى النقد

وصيرها الجهال للمذكر ضُمرَةً | يرى درسها أذكى لديهم من الحمد
فقد سرني ما جاءني من طريقه | وكنت أرى هذى الطريقة لي وحدى

فصل في ذكر بدعة المذاهب

وأقبح من كل ابتداع سمعته | وأنكاه للقلب الموفق للرشد
مذاهب من رام الخلاف لبعضها | يعض بأنياب الأساود والأُسْدِ
يصب عليه سوط ذم وغيبة | ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد
ويعزى إليه كل ما لا يقوله | لتنقيصه عند التهامى والنجدى
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية | ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه غدا | يتابع قول الله في الحل والعقد
ويتبع أقوال النبي محمد | وهل غيره بالله في الشرعي من يهدى
لئن عدّه الجهال ذنباً فحبذا | به حبذا يوم انفرادىَ في لحدى
علام جعلتم أيها الناس ديننا | لأربعة لاشك في فضلهم عندى
هُمُ علماء الدين شرقاً ومغرباً | ونور عيون الفضل والحق والزهد
ولكنهم كالناس ليس كلامهم | دليلا ولا تقليدهم في غد يُجْدِى
ولا زعموا حاشاهمُ أن قولهم | دليل فيستهدى به كلُّ مستهد
بلى صرحوا أنا نقابل قولهم | إذا خالف المنصوص بالقدح والرد

فصل في الثناء على من تمسك بالأحاديث من السلف

سلام على أهل الحديث فإنني | نشأت على حب الأحاديث من مهدى
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد | وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
وأعنى بهم أسلافَ أمةِ أحمد | أولئك في بيت القصيد هُمُ قصدى

أولئك أمثال البخارى ومسلم ... وأحمد أهل الجدّ فى العلم والجد
بحور وحاشاهم عن الجزر إنما ... لهم مدد يأتى من الله بالمد
رووا وارتووا من بحر علم محمد ... وليست لهم تلك المذاهب من ورد
كفاهم كتاب الله والسنة التى ... كفته قبلهم صحب الرسول ذوى المجد
أأنتم بأهدى أم صحابة أحمد ... وأهل التقى بيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى فى الطريقة منكمُ ... فهم قدوتى حتى أوسّد فى لحدى
وشتان ما بين المقلد فى الهدى ... ومن يقتدى والضد يعرف بالضد
فمن قلّد النعمان أصبح شاربا ... نبيذا وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدى أضحى إمام معارف ... وكان أويسا فى العبادة والزهد
فمقتديا فى الحق كن لا مقلدا ... وخل أخا التقليد فى الأسر بالقد[1]

فصل فى بدعة التصوف وطريقة ابن عربى

وأكفر أهل الأرض من قال إنه ... إله وأن الله جل عن الندّ
مسماه كل الكائنات جميعها ... من الكلب والخنزير والقرد والفهد
وأن عذاب النار عذب لأهله ... سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعُبَّادُ عجل السامرى على هدى ... ولائمهم فى اللوم ليس على رشد
وينشدنا عنه نصوص فصوصه ... تنادى خذوا فى النظم مضمون ما عندى
وكنت امرءا من جند إبليس فارتقى ... بى الدهر حتى صار إبليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أدركت بعده ... دقائق كفر ليس يدركها بعدى
وكم من ضلال فى الفتوحات صدّقت ... به فرقة صاروا ألدّ من اللد
يلوذون عند العجز بالذوق إنهم ... يذوقون طعم الحق فالحق كالشهد

---

(١) أى الحبل .

فسألهم ما الذوق قالوا عثاله ... عزيز فلا بالرسم يدرك والحد
تسترهم بالكشف والذوق أشعرا ... بأنهمُ عن مطلب الحق فى بُعْدِ
ومن يطلب الإنصاف يُدْلِ بحجة ... ويرجع أحياناً ويهدى ويستهدى
وهيهات كلٌّ فى الديانة تابع ... أباه كأن الحق فى الأب والجد
وقد قال هذا قبلهم كل مشرك ... فهل قد حوى هذى العقيدة من زند
كذلك أصحاب الكتاب تتابعوا ... على مذهب الآباء فرداً على فرد

فصل فى اغتراب الدين

وهذا اغتراب الدين فاصبر فإننى ... غريب وأصحابى كثير بلا عد
إذا ما رأونى عظمونى وإن أغِبْ ... فكم أكلوا لحمى وكم مزقوا جلدى
هنيئاً مريئاً فى اغتيابى فوائد ... فكل فتى يغتابنى فهو لى مهدى
يصلى ولى أجر الصلاة وصومه ... ولى كل شىء من محاسنه يبدى
وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه ... ولكنه غيظ الأسير على القدّ
ودونكها تحوى علوماً جليلة ... منزهة عن وصف قدٍّ وعن خد
فلا مدحت وصلا لليلى وزينب ... ولا هى ذمت هجر سعدى ولا هند
إليك طوت عرض الفيافى وطولها ... فكم جاوزت غوراً ونجداً إلى نجد
أناخت بنجد واستراح ركابها ... وعاد خلياً عن رحيل وعن شد
فأحسن قراها بالقراءة ناظماً ... جواباً فقد أضحت لديك من الوفد
وصل على المختار والآل إنها ... لحسن ختام النظم واسطة العقد

☆ ☆ ☆

ولما اطلع عليها الشيخ العلامة ناصر بن حسين الحبشى رحمه الله راجع مولانا البدر رضى الله عنه نثراً ونظما سائلا عن وجه تصويب تحريق دلائل الخيرات فأجابه نظماً :

أتانى در النظم من عالم مهدى ... إلى عالم حبر تقى من نجد

يقرظه فيـــه لحسن طريقة ... تحلى بها بين الأنام على قصد
لينصر شرع الله ممن أصابه ... بجهل وتقليد الأوائل عن عمد
واسكنه قد حلت فى الصدر قوالكم ... أصاب فقيها ما يحل عن العد
أزل ما عساه أن يكون تخيلا ... مفصله فى النثر من واضح الرد
فلله ما أسديت يا عالم الورى ... ولا زلت فينا دائماً للهدى تهدى
لقد سرنى ما جاءنى منك مرشدا ... وذكرنى أيام شافهت بالرشد
ليالى قضينا من العـــلم حقه ... وأبدل فيه منك النحس بالسعد
فليت إلهى يجمع الشمل بيننا ... تجدد للعـــلم الشبيبة بالعود
أحن لأيام الوصال وطيبها ... ويوهننى أن التأسف لا يجدى
وإنى على شرط المودة والإخا ... وإن كانت الأجساد منا على بعد
فدم فى رضا مولاك فى كل لحظة ... وذكر فإن الذكر ينفع فى الخلد

* * *

فأجاب مولانا البدر رضوان الله عليه :

يسائلنى من باهتدائى يستهدى ... وذلك هدى المصطفى خير من يهدى
علام أصوب رأى من أحرق الدلا ... ئل للخيرات من سائكى نجد
وأحسنت باستكشاف ما هو مشكل ... لديك نفذ عن الجواب الذى أبدى
وقد قلت فى الأبيات ما أنت عارف ... له من دليل فى الذى قلته عندى
غلو نهى عنه الرسول وقربة ... بلا مرية فاتركه إن كنت تستهدى
أحاديث لا تعزى إلى عالم ولا ... تساوى فلساً إن رجعت إلى النقد
فهذان من أقوى الأدلة عند من ... يصوب تحريق البياض مع الجلد
وأشرحها بالنثر فالنظم قاصر الـــعبارة عن ذكر الأدلة والسرد

وخير الأمور السالفات على الهدى … وشر الأمور المحدثات على عمد

وذكرتني يا ابن الحسين لياليا … تقضت أنا بالوصل في طالع السعد

نخوض بها في كل فن بفطنة … وذهن يرى أمضى من الصارم الهندي

فنفتح منها كل ما كان مقفلا … ونفتض أبكار المعاني بما نبدي

كأنا إذا ما مجلس العلم ضمنا … نكون على التحقيق في جنة الخلد

فوالله ما في هذه الدار لذة … سوى العلم إن وافقت في العلم من يهدي

ذكيا تقيا منصفا ليس همه … سوى الحق يهدي من يشاء ويستهدي

تنوعا من الدنيا كفاه كفافها … تسربل فيها بالقناعة والزهد

بناصح شكان البسيطة طاهر الـ … ـلسان سليم الصدر خلوا من الحقد

فهذا الذي لو كنت يوما وجدته … ظفرت بما أهوى وجدت بما عندي

عسى ولعل الله يجمع شملنا … فقد يجمع الله الشتيتين من بعد

فتخضر روضات العلوم ونجتني … ثمار الهدى والحق من روضها الوردي

وإلا فصلني بالدعا كل ساعة … إذا كنت حيا أو رحلت إلى لحدي

وقل لي جزاه الله خيرا فإنه … دعانا إلى نهج الهداية والرشد

إلى هدي خير المرسلين محمد … عليه صلاة الله تترى بلا عد

وصل على الآل الكرام وصحبه الـ … ـفخام ذوي العز المشيد والمجد

☆ ☆ ☆

ثم قال مولانا البدر رضي الله عنه بعد الأبيات المتقدمة مالفظه :

لما بلغت هذه الأبيات نجدا ، وصل إلينا بعد أعوام من بلوغها إلى أهل نجد رجل عالم يسمى مربد ابن أحمد التميمي كان وصوله في شهر صفر سنة ١١٧٠ هـ وأقام لدينا ثمانية أشهر وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه :

وفارقنا في عشرين شوال سنة ١١٧٠ هـ راجعا إلى وطنه ، ووصل من طريق الحجاز

مع الحجاج ، وكان من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الذى وجهنا إليه الأبيات فأخبرنا بلوغها ، ولم يأت بجواب عنها :

وكان قد تقدمه فى الوصول إلينا بعد بلوغها الشيخ عبد الرحمن النجدى .

ووصف من حال محمد بن عبد الوهاب أشياء أنكرناها من سفكه الدماء ونهبه الأموال وتجاريه على قتل النفوس ، ولو بالاغتيال ، وتكفيره الأمة المحمدية فى جميع الأقطار .

فبقينا نتردد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مربد ، وله نباهة وأوصل بعض رسائل ابن عبد الوهاب التى جمعها فى وجه تكفيره أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم ، وحقق لنا أحواله وأقواله وأفعاله .

فرأينا أحواله أحوال رجل ، عرف من الشريعة شطراً ، ولم يمعن النظر ، ولا قرأ على من يهديه نهج الهداية ، ويدله على العلوم النافعة ، ويفقهه فيها .

بل طالع بعضاً من مؤلفات أبى العباس ابن تيمية (١) ومؤلفات تلميذه ابن القيم الجوزية وقلدهما من غير إتقان مع أنهما يحرمان التقليد .

ولما حقق لنا أحواله ، ورأينا فى الرسائل أقواله ، وذكر لنا أنه عظم شأنه بوصول الأبيات التى وجهناها إليه وأنه يتعين علينا نقض ماقدمناه ، وحل ماأبرمناه ، وكانت أبياتنا قد طارت كل مطار ، وبلغت غالب الأقطار وأتتنا فيها جوابات من مكة المشرفة ، ومن البصرة وغيرهما ، إلا أنها جوابات خالية عن الإنصاف :

ولما أخذ علينا الشيخ مربد ذلك ، تعين علينا ، لئلا يكون سبباً فى شىء من هذه الأمور التى ارتكبها ابن عبد الوهاب المذكور ، كتبت أبياتاً وشرحها وأكثرت من النقل عن ابن القيم وشيخه ابن تيمية ، لأنهما عمدة الحنابلة ، انتهى كلام الوالد البدر رضى الله عنه والأبيات هى (١) :

---

(١) تنبيه : الذى يظهر أن هذه القصيدة مزورة على الأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى ومختلقة وقد ذكر فى التى قبلها أن ابن تيمية ابن عم للشيخ محمد بن عبد الوهاب فهل يجهل الإمام الصنعانى شيخ الإسلام ابن تيمية ونسبه ؟ ولكن قاتل الله المفترين وكلام الإمام الصنعانى فى مؤلفه « تطهير الاعتقاد » يكفى المنصف :

(١) هذه القصيدة لم تكن من نظم الأمير محمد بن إسماعيل لأنها تخالف ماذكره فى كتبه الدالة على حسن اعتقاده مثل « تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد » وقد رد الشيخ سليمان بن سحمان هذه المنظومة بكتابه المعروف « تبرئة الشيخين » وهو مشهور مطبوع .

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي   فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي

ظننت به خيراً وقلت عسى عسى   نجد ناصحاً يهدي الأنام ويستهدي

فقد خاب فيها الظن لا خاب نصحنا   وما كل ظن للحقائق لي مهدي

وقد جاءنا من أرضه الشيخ مربد   تحقق من أحواله كل ما يبدي

ومن جاءني من تأليفه برسائل   يكفر أهل الأرض فيها على عمد

ولفق في تكفيرهم كل حجة   تراها كبيت العنكبوت لذي النقد

تجارى على إجرا دماء كل مسلم   مُصَلٍّ مُزَكٍّ لا يحول عن العهد

وقد جاءنا عن ربنا في براءة   براءتهم عن كل كفر وعن جحد

وإخواننا سماهم الله فاستمع   لقول الإله الواحد الصمد الفرد

وقد قال خير المرسلين نهيت عن   فما باله لم ينته الرجل النجدي

وقال لهم لا ما أقاموا الصلاة في   أناس أتوا كل القبائح عن قصد

أبن أبن لي لمْ سفكت دماءهم   ولِمْ ذا نهبت المال قصداً على عمد

وقد عصموا هذا وهذا بقول لا   إله سوى الله المهيمن ذي المجد

وقال ثلاث لا يحل بغيرها   دم المسلم المعصوم في الحل والعقد

وقال عَلِيٌّ في الخوارج إنهم   من الكفر فرّوا بعد فعلهم المُرْدِي

ولم يحفر الأخدود في باب كندة   ليحرقهم فافهمه إن كنت تستهدي

ولكن لقوم قد أتوا لعظيمة   فقالوا على ربنا منتهى القصد

وهذا هو الكفر الصريح وليس ذا   برفض ولا رأي الخوارج في المهدي

وقد قلت في المختار أجمع كل من   حوى عصره من تابعي وذي الرشد

على كفره هذا يقين لأنه   تسمى نبياً لا كما قلت في الجحد

فذلك لم يجمع على قتله ولا   سوى خالد ضَحَّى به وهو عن قصد

وقد أنكر الإجماع أحمد قائلا   لمن يدعيه قد كذبت بلا جحد

كدعواك في أن الصحابة أجمعوا   على قتلهم والسبي والنهب والطرد

لمن لزكاة المال قد كان مانعاً ... وذلك من جهل بصاحبه يردي

فقد كان أصنـــاف العصاة ثلاثة ... كما قد رواه المسندون ذوو النقد

وقد جاهد الصديق أصنافهم ولم ... يكفر منهم غير من ضل عن رشد

وهذا لعمري غير ما أنت فيه من ... تجاريك في قتل لمن كان في نجد

فإنهمُ قد تابعوك على الهـــدى ... ولم يجعلوا لله في الدين من ندّ

وقد هجروا ما كان من بدَع ومِن ... عبادة من حــلّ المقابر في اللحد

فمالك في سفك الدما قط حجة ... خفِ الله واحذر ما تُسِرُّ وما تُبدي

وعامل عباد الله باللطف وادعهم ... إلى فعل ما يهدي إلى جنة الخلد

وَرُدَّ عليهـــم ماسلبت فإنه ... حرام ولا تفتر بالعز والجد

ولا بأناس حسنـــوا لك ماترى ... فما همهم إلا الأثاث مع النقد

يريدون نهب المسلمين وأخذ ما ... بأيديهمُ من غير خوف ولا حد

فراقب إله العرش من قبل أن تُرَى ... صريعاً فلا شيء يفيد ولا يجدي

نعم واعلموا أني أرى كل بدعة ... ضلالاً على ما قلت في ذلك العقد

ولا تحسبوا أني رجعت عن الذي ... تضمنه نظمي القديم إلى نجـــد

بلى كل ما فيه هو الحق إنمـــا ... تجاريك في سفك الدما ليس من قصدي

وتكفير أهل الأرض لست أقوله ... كما قلته لا عن دليل به تهدي

وها أنا أبرا من فعالك في الورى ... فأنت في هذا مصيب ولا مهدي

ودونكـــها مني نصيحة مشفق ... عليك عسى تهدي بهذا وتستهدي

وتغلق أبواب الغـــلو جميعـــه ... وتأتي الأمور الصالحات على قصد

وهـــذا نظامي جاء والله حجة ... عليك فقابل بالقبول الذي أهدي

* * *

أنواع الكفر

نعم ثم إن الكفر قسمان فاعلموا ... وكل من القسمين أحـــكامه أبدي

الأول :

فكفر اعتقاد حكمه الفلك بالدما ... وسبي الدراري وانتهاب ذوي الجحد
إلى أن يقروا بالشهادة للذي ... له الخلق والأمر الإله الذي يهدي
وأن يشهدوا أن الرسول محمداً ... نبي أتى بالحق والنور والرشد
وأن يشهدوا أن المعاد حقيقة ... يعيدهم رب العباد الذي يبدي
خلا من له منهم ككتاب فإنه الـ ... ـمعاهد والإيفاء حتم لذي العهد

الثاني :

وكفر كمن يأتي الكبائر لا سوى ... وليس ككفر بالمعيد وبالمبدي
كتارك فرض للصلاة تعمداً ... وتارك حكم الله في الحل والعقد
ومن صدق الكهان أو كان آتياً ... لامرأة في حُشِّها غير مهتدِ
ومن لأخيه قال يا كافر فقد ... بها باء هذا أو بها باء من يبدي
وليس بهذا الكفر يصبح خارجاً ... عن الدين فافهم ما أقرره عندي
وهذا به جمع الأحاديث والذي ... أتى في كتاب الله ذي العز والمجد
بلى بعض هذا الكفر يخرج فاعلا ... له إن يكن للشرع والدين كالضد
كمن هو للأصنام يصبح ساجداً ... وسابٌّ رسول الله فهو أخو الجحد
وهذا الذي فصلته الحق فاتبع ... طريق الهدى إن كنت للحق تستهدي
وجاء مثل هذا في النفاق وغيره ... من الفسق والكفر الذي كله يُردي
فإن قلت قد كفرت من قال إنه ... إله وأن الله جل عن النِّدِّ
مسماه كل الكائنات جميعها ... من الكلب والخنزير والقرد والفهد
مع أنه صلى وصام وجانب الـ ... ـوسع في الدنيا ومال إلى الزهد
فقلت استمع مني الجواب ولا تكن ... غبياً جهولا للحقائق كاللد
فإن الذي عنه سألت مجاهر ... بنفي الإله الواحد الصمد الفرد

ونفى نبوءات النبيئين كلهم   فما أحد الهادى لدى ذاك بالمهدى
وتصويب أهل الشرك فى شركهم فما   أبو لهب إلا كحمزة فى الجد[1]
وهرون أخطا حين لام جماعة   عكوفاً على عجل يخور ولا يهدى
فإن لم يكن هذا هو الكفر كله   فعقلك عقل الطفل زُمِّلَ فى المهد
فقد كفر الشيخ ابن تيمية ومن   سواه من الأعلام فى السهل والنجد
أولئك إذ قالوا الوجود بأسره   هو الله لارب يُمَيَّزُ عن عبد
وهذا مقال الفلاسفة الألَى   إلى النار مسراهم يقيناً بلا رَدِّ
وألف فى هذا ابن سبعين كتبه   وتابعه الجيلىُّ وبابئس ما يبدى
ولكن أرى الطائى[2] أطولهم يداً   أتى بفصوص لازان بها الأيدى
وجاءهم ابن الفارض الشاعر الذى   أتى بعظيم الكفر فى روضة الوردى
أجاد نظاماً مثل ما جاد كفره   فسبحان ذى العرش الصبور على العبد
أنزهه عن كل قول بقوله   ذوو الكفر والتعطيل من كل ذى جحد
وأثنى عليه وهو والله بالثنا   حقيق فقل ماشئت فى الواحد الفرد
بديع السموات العلى خالق الملا   ورازقهم من غير كَدٍّ ولا جهد
بدا خلقنا من أرضه وردنا   إليها ويخرجنا معيداً كما يبدى
فريقين هذا فى جهنم نازل   وذلك مزفوف إلى جنة الخلد
ألا ليت شعرى أى دار أزورها   فقد طال فكرى فى الوعيد وفى الوعد
إذا ماذكرت الذنب خفت جهنما   فقال الرجا بل غير هذا ترى عندى
أليس رحيما بالعباد وغافراً   لما ليس شركا قاله الرب ذو المجد
فقلت نعم لكن أتانا مقيداً   بما شاءه فافهم وعَضَّ هنا الأيدى
فهل أنا ممن شاء غفران ذنبه   فياحبذا أم لست من ذلك الورد
هنا قطع الخوف القلوب وأسبل الـ   ـدموع من الأبرار فى ساحة الخلد

---

(١) أى : الخطء .   (٢) ابن العربى .

فأسأله حسن الختام فإنه … إليه انقلابي في الرحيل إلى اللحد
ومغفرة منه ولطفاً ورحمة … إذا ما نزلت القبر منفرداً وحدي
وأرجوه يعفو كل ذنب أتيته … ويغفر لي ما كان في الهزل والجد
ويلحقنا بالمصطفى وبآله الـ … ـكرام كراماً والصحاب أولي الرشد
قصدت بهذا النظم نصح أحبتي … وأختمه بالشكر لله والحمد
وصل على خير الأنام وآله … صلاة وتسليما يدوما بلا حد
وارضَ على الأصحاب أصحاب أحمد … أولي الجد في نصر الشريعة والمجد

قال رحمه الله : انتهت في شهر رجب سنة ١١٧٠ هـ سبعين ومائة وألف .

* * *

أرسل السيد العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله بهذه الأبيات وجوابها والسائل المولى العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق قدس الله أرواحهم إلى والدنا البدر قدس الله روحه .

كيف حكم الإطلاق يا عالم العصـ … ـر وماذا فيه مع التقييد
والعموم العموم إن شابه التخـ … ـصيص في الحكم فهو غير مفيد
قد سمعنا الخلاف في هذه الأحـ … ـكام والاختلاف غير رشيد
وبحثنا في غاية السؤل بحثاً … قد نفينا لديه طيب الهجود
ورأينا الحسين مال مع القو … م وذاك الكلام غير سديد
فهو رأى لا يرفع القيد والقو … ل بهذا يلجى إلى التشريد
ثم ترك التقييد لا يرفع التصـ … ـريح فالأمر قد أتى بالوعيد
فأبن لي ماذا لديك من التحـ … ـقيق واترك طريقة التقليد

* * *

جواب المولى العلامة الحسن بن إسحاق رحمه الله :

الجواب الذي وفق الله … تعالى حقاً أقل العبيد

عن سؤال الإطلاق ماحكمه إذ ... يتراخى عن مطلق التقييد

إنه ثابت بغير امتراء ... بدليل من الكتاب المجيد

صرحوا بالوجوب فيه فراجع ... بحثه فى نهاية ابن رشيد

وادّعوا أن فى القيود خلافاً ... طولوه وذاك غير سديد

كل قول يكون فيه اختلاف ... ردّه لاتميلْ إلى المردود

وخصوص العموم لابد منه ... فهو قبل الخصوص غير مفيد

ثم فى الجمع للمحلى كلام ... ما استفدنا منه سوى التعقيد

قال فى مطلق الدليل احتمال ... صالح للتأكيد والتجريد

حملوه على التقييد فاعجب ... كيف تحميل مثقل بقيود

واطّراح الشروط كالدفع فى ... مدحه نصوص للشارع المحمود

والصحيح الذى اطمأن له القلـ ... ـب وأغنى عن كثرة الترديد

قول أهل الرجاء فارج مع القو ... م تنله من عند رب حميد

وابذل الوسع فى اجتهادٍ وخُذْهُ ... عن دليل لاتُفْتِ بالتقليد

* * *

فأجاب المولى البدر رضى الله عنه

قد نظرنا الأبحاث فى غاية السؤ ... ل وما فى نهاية ابن رشيد

ونظرنا فى المنتهى والحواشى ... فرأيت الجميع غير مفيد

غير قول الحسين فهو إلى الحـ ... ـق قريب مافيه من تبعيد

قال لم يشرطوا فى الإطلاق إلا ... حمله إن أتى على التقييد

والذى عندنا وصح لدينا ... بعد طول التفتيش والترديد

ماوراه التلويح نصاً عن الجمـ ... ـهور فيه وصاحب التجريد

إن بحث العموم باق ولا تخـ ... ـصيص فيه فالحكم للتعميد

وأتى فى التخصيص بعض حديث ... حَسَن قيل وهو غير مفيد

فتراخيه والتراخي مُخجـــلٌ	فاطَّرحنا الحديث للتشديد
ورأينا الرجاء أولى صواباً	إن سمحتم بهجر طيب الهجود
ثم سددتم سهام دعاء	خُضِبَتْ بالدموع للمعبود
وجعلتم قسيها نيــــــدات	صادرات عن حَرّ كَرْب شديد

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله أرسلها إلى الحاج سعد الدين بن عبد الولى صاحب العدين رحمه الله :

فؤادى على ماتعهدون من الود	وعهدى فى حفظى مودتكم عهدى
أراكم بعين القلب إن بعد اللقا	فإن غبتمُ عنى فإنكمُ عندى
سواى الذى ينسى المودة والإخا	و يفرق بين الحب فى القرب و البعد
وأما أنا فالبعد عندى زيادة	بحبى من أهوى فهذا الذى أبدى
يزيد الهوى مهما تطاولت النوى	وإن حل حِبّى فى تهامة أو نجد
أحب أناساً فى دمشق وجيرة	ببغداد أو من حل فى السند والهند
إذا كان فى حب الحديث طريقه	طريقى فيهدى بالحديث و يستهدى
أحبك سعد الدين لا حب واحد	بحبك لى والقلب يشهد بالود
سلوا عن مودات الرجال قلوبكم	فتلك شهود لا تقابَلُ بالرد
وحب نداك أم الوفود فحبذا	تلقيك للوُفّادِ بالرحب والرفد

☆ ☆ ☆

ولما طلب الفقيه الفاضل النبيل ضياء الدين سعيد بن حسن العنسى رحمه الله من مولانا الوالد البدر رضى الله عنه إجازة كتب له إجازة أبيات لامية ستأتى فى حرف اللام فعاود الطلب لإجازة خاصة فى مؤلفات البدر رضى الله عنه وتسميتها فكتب له ما لفظه :

وافى نظامك يا سعيد	فكأنه عقد فريد

مثل المرادي خيلته   أو أنه درٌّ نضيد
أو أنه الروض النضـــير ولا نظير له أريد
وطلبت مني أن أجيـــز مؤلفاتي لا أزيد
وأعد أسماء لهـــا   لتنال منها ما تريد
فلقد أجزتك فاستمع   أسماء بعض يا سعيد
سبل السلام مؤلف   جزءان يعشقه الرشيد
وبمنحة الغفـــار ما   ضوء النهار بها يزيد
جزءان في القطع الكبـــير بها فوائد لا تبيد
والعمدة الأحكام حا   شية بها بحث مفيد
ولنا على التنقيح شر   ح لا يدعه المستفيد
وبجامع الشرح الصغـــير مؤلف شرح سديد
وحوته أربعة من الا   أجزاء فيها ما تريد
ولنا نظام في الوصى   وشرحه در نضيد
ونظام كافلنا الأصـ   ـلي شرحه شرح مفيد
ولنا على نظم الإما   م محمد شرح مجيد
رب العواصم من غدا   أهل الذكاء له ورود
وكذا لنا جمع الشتيـ   ـت وبابه جمع عديد
وبمكة الأحراز أ لـ   ـف والمقام له شهيد
وبها كتاب السيف وهـ   ـو مؤلف حلو فريد
ولنا على التيسير تحـ   ـبير به منّ الحميد
ولنا المسائل والرسا   ئل عدها أمر بعيد
والكل من فضل الإلـ   ـه له الثناء كما يريد

والله لولا فضله أنَّى فتًى قَدَمٌ بَليدُ

للعلم أهَّلني فلا أهوى سواه ولا أريد

حُبِّب إليَّ من الصبا فأنا به كَلِفٌ عميد

وكفاني الدنيا فعيـ شي في الورى عيش رغيد

وعن المناصب صانني فأنا لرتبتها زهيد

عُرِضَتْ عليَّ فأعرضت عن تلك نفسٌ لي شرود

لا ترتضي إلا المعا رف والعلوم هي السعود

والآن قد قرب الرحـ يل وقد مضى عمر مديدُ

قد مات أترابي وأحـ بابي وضمهم الصعيد

نزلوا اللحود فأشرقت بنزولهم تلك اللحود

والله أبقاني ومتـ ع بالحواس كما أريد

فله المحامد كلها وهو الغنى وهو الحميد

أوصي سعيداً بالتقى إن التقيَّ هو السعيد

واحذر من الدنيا فما يغتر بالدنيا رشيد

دار تدور بمكرها يلهو بها الرجل البليد

وتراه يجمعها حلا لاً أو حراماً يستزيد

أيريد في الدنيا الخلو د وليس في الدنيا خلود

اغتر قوم بالحظو ظ وزُيِّنت لهم الجدود

ما الملك إلا الزهد ما فيه الجنود ولا البنود

فازهد تكن ملكا عزي زاً لا تقاد ولا تقود

والعلم أفخر ملبس فالبس هو الثوب الجديد

تبلى ولا يبلى وإن ضمت جوارحك اللحود

كم قد تفقّى قبلنا علَمٌ وجبار عنيد
فأخو العلوم كأنه مابيننا حيٌّ شهيد
يملى علينا علمه فنُفيدُ منه ونستفيد
ويزوره منا الدعا والمدح والقول الحميد
وأخو التجبر ماله ذِكْرٌ ولا حق أكيد
وكذاك من جمل العلو م حبالة وبها يصيد
ماهمُّهُ إلا الحرا م يصيد منه ويستصيد
كم جامعٍ للعلم أضـ حى وهو شيطان مريد
فالجهل أولى من علو م المعاصى لا تذود
والله يرحمنا فيد ناانا بها كرم وجود
ويجيرنا من حر نا رو العباد لها وَقُودُ
م والحجارة كلما نضجت تبدّلت الجلود
عجباً نطيب لنا الحيا ةُ وبعدها هذا الوعيد
ياليت شعرى هل قلو ب فى الصدور أم الحديد
ثم الصلاة على الذى بوجوده افتخر الوجود
والآل من أضحى لهم قصر من العليا مشيد
مَنْ حُبُّهمْ فرض على الـ أعيان ليس به جحود
هو فرض عين والأدلـ ـة بالذى قلنا شهود

* * *

وله رضى الله عنه كتبها آخر إجازة للمولى العلامة الفهامة فخر الدين عبد الله ابن أحمد بن إسحق بن إبراهيم رحمهم الله فى شهر ربيع الأول سنة ١١٨٢ هـ اثنين وثمانين ومائة بعد الألف .

أجزتك يابن وُدّى ماتريد مما فيه تفيـــــــد وتستفيد

أجزتك إذ طلبت وأنت بحر   يحق لمثلنا فيه الورود
أجزت الأمهات وهن ستٌّ   إليها كل ذى علم يعود
لأن بذاه أحكام البرايا   بها دارت وهن لها عمود
أضاع الخمسة الأحكام من لم   يحب الست وهو بها عميد
فيالله كم علم حوته   فليس على معارفها مزيد
ولى فيها سماعات على مَنْ   تَزَيَّنَ من وجودهم الوجود
وغير الست مما قد أُجِزْنَا   أجزتكَ أيها الفخر الفريد
وكل مؤلف لى ياحبيبى   أجزتك فازوِ منها ماتريد
ولازم سُنَّةَ المختار درساً   وتدريساً وإن رغم الحسود
ولا تشغل بغير العلم وقتاً   وهل بسواه يشتغل السعيد
وأهل العلم أملاك البرايا   وكل سواهم لهم جنود
وصِلْنِى بالدعا فى كل حين   خصوصاً إذ منازلنا اللحود
وعذراً فى الذى مِنِّى تراه   فليس كما تريد ولا أريد
فذا جهد المقل فلا تلمنى   وعفواً أيها المولى المفيد
أمِنْ بعد الثمانين اللواتى   قطعت يكون لى عقد فريد
أراها صيرتْ فكرى بليداً   وما هو قبل مقدمها بليد
وأسأله الرضا فى كل حين   وتوفيقاً إلى التقوى يقود
وينزلنا به جنات عدن   تكون بها الإقامة والخلود
وصلِّ على النبى والآل طراً   فهم شمس أنار بها الوجود

* * *

وقال رضى الله عنه جواباً على أبيات وصلت إليه من المولى العلامة عبد القادر بن أحمد رحمه الله من كوكبان فى جمادى الآخرة سنة ١١٨٢ هـ اثنتين وثمانين ومائة بعد الألف .

مارحلتم عن مقلتى وسوادى   بل نزلتم فى مهجتى وفؤادى

أنت عندى فى كل حين مقيم | عند إصدار القول والإيراد
وجليسى إن كنت بين أناسى | ثم أولى فى حالة الانفراد
فعجيب ذكر الوداع ودمع الـ | ـبين منكم يسيل سيل الوادى
كم بعيد هو القريب إلى القلـ | ـب وقريب فى غاية الابتعاد
ليس قرب الأجسام عندى قرباً | إنما القرب فى صميم الفؤاد
لست أشكو بعاد من غاب عنى | فهو عندى فى روضة من ودادى
مثل تلميذنا العزيز أبى إبرا | هيم فخر الآباء والأجداد
نور عين الذكا ونادرة الدهـ | ـر ومن نار ذهنه فى اتقاد
لو تقدم زمانه عضد الديـ | ـن لكانت له عليه الأيادى
أو تقدم على الشريف وسعد الد | ين كانا له من القصّاد
لينالوا منه الذى لم ينالوا | من علوم جلّت عن التعداد
قد أتانا نظامك العذب يشكو | من ثناء عن قربنا وبعاد
نحن نشكو مثل الذى أنت تشكو | مع أنا نراك فى كل ناد
غير أن العينين تطلب حقـا | صادقاً ثابتاً من الميلاد
أن ترى من تحبه ولهذا | قال موسى الكليم هذا مرادى
وإذا لم تر الذى هى تهوى | قنعت من وصاله بالثماد
ببياض يأتى بأخبار حب | ترجمتها عنه لسان المداد
مثلما ترجمت حروف أتتنا | كخضاب فى وجنة لسعاد
أفهمتنا كل المراد وراقت | دمت فى نعمة بنيل المراد
وعليك السلام منّى يترى | لا إلى غاية له بالنفـــــــاد

* * *

اتفقت حادثة غريبة فى شهر صفر سنة ١١٨٢ هـ اثنتين وثمانين ومائة بعد الألف وهى أنها وصلت كتب من جبل برط من القضاة بنى العنسى الساكنين فيه إلى أهل

هجرة حوث وغيرهم يذكرون فيها أنها حدثت فى « صنعا » أمور منكرة وهى أن السيد الإمام شيخ الإسلام العلامة الفهامة مجدد شريعة المختار البدر المنير محمد بن إسمعيل الأمير بل الله بوابل الغفران ثراه وأسكنه بحبوحة الجنان خالف مذهب أهل البيت عليهم السلام وصار مبالغاً فى ذلك وذكروا أموراً يضحك منها القرطاس والقلم ونخزيهم فى الحشر بين الأمم :

ما ضرّ نهر الفرات يوماً   إذ بال بعض الكلاب فيه

ولما اطلع رحمه الله على كتبهم المخزية لهم يوم القيامة ، أجاب عليهم بديع النظام الذى يعجز كل نظام .

نظم هو السحر الحلال فبينوا   مع فعله هذا أدلة حلّه

فقال تجاوز الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مسكنه ومأواه :

بذكرك يارب الخلائق أبتدى   بحمد جزيل سرمدى مؤبد
وشكر كثير للإله مصلياً   على أحمد المختار والآل عن يد
رأيت كتاباً فيه كل عجيبة   ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وسوّد فيه كاتبوه مقالةً   سَيَسْوَدُّ منها وجه كل مسود
جهول بأولاد البتول وحيدر   يقول ومن ذا ابن الأمير محمد
أنا الشمس فى جوّ السماء منيرة   بها يهتدى من شاء رلى و يقتدى
أنا هاشمى فاطمىٌّ نسبتى   إلى حَسَنٍ سِبْطِ الرسول محمد
ومذهبىَ التوحيد والعدل لاسوى   وهذا لعمرى دين كل موحد[(١)]
فنحن بنو الزهرا وأبناء حيدر   ورثنا العُلَى عن كل عال ممجد
فَجدّىَ خير الرسل أحمدَ مَنْ به اا   براق سرى ليلا إلى خير مقعد
ووالدىَ المولى الأمير ابن حمزة   عماد الهدى حتف على كل معتد
إمام جهاد دوّخ الأرض كلها   وأجرى دم الأعداء فى كل فدفد

---

(١) من كان له معرفة بمذاهب المعتزلة وعقيدة الأمير محمد يجزم أن هذا البيت مدسوس عليه فتوحيد المعتزلة إنكار الصفات الإلهية والعدل عندهم إنكار القدر وهذان أصلان من أصولهم الخمسة .

وقد فتحت صنعا بأسياف جدنا | وأهلك فيها كل باغ ومفسد
سل المهجم المعروف(١) من ذا أباحه | وأخرب فيها كل قصر مشيد
مع صنوه المنصور أفضل قائم | من الآل واسأل كل هاد ومهتد
إمام الهدى عبد الإله ابن حمزة | ومن بظفار فاز فى خير مشهد
هو الجبل البحر الذى بعلومه | جميع الورى مابين مفت ومقتدى
وفى سفح كحلان غدا قبر(٢) جدنا | وزواره فيه تروح وتغتدى
أولئك آبائى إذا كنت جاهلا | ونحن بنوهم سيداً بعد سيد
ورثناهم علماً وزهداً وسؤدداً | وسل من تشا ياجاهلا أصل محتدى
ورثت علوم الآل طراً وبعدها | حفظت بحمد الله سنة أحمد
ودرست فى العلمين أعلام عصرنا | فكل تلاميذى فسل وتنشد
كذلك تفسير الكتاب حفظته | ودرست فى التفسير كل موحد
على كل كرسى وفى كل مسجد | فكل بما قلناه يهدى ويهتدى
لى الخطب الغر التى كل خاطب | بها خاطب فى كل أرض ومسجد
وألفت فى كل العلوم مؤلفاً | بها يهتدى أهل العلوم ويقتدى
وسارت مسير الشمس فى كل بلدة | ويجهل هذا كل فدم مبلد
ولى فى أمير المؤمنين قصائد(٣) | بها تطرب الأسماع من كل منشد
وشرحى لها شرح نفيس مهذب | نشرت بها كل الفضائل عن يد
وأصلحت مابين الأئمة قد جرى | وأطفأت ناراً شبها كل مفسد
ثلاثة إصلاح ورابعها الذى | جرى بين مولانا الإمام وأحمد
رجوت بها لطف الإله ورحمة | أفوز بها فى يوم حشرى وفى غد
ولم أرد الدنيا الدنية أو أرد | عمارة قصر فى أزال مشيد

---

(١) قوله : المعروف . وفى نسخة « المشهور » .
(٢) الأمير يحيى بن حمزة بن سليمان . (٣) وفى نسخة : قصيدة .

ولا قطعة اقطعتها أو ولاية ... كما هو دأب الناس فى كل مورد
ولا كيلة لى من زكاة ولم أذق ... لها حبة يوماً ولا لمست يدى

جواب قولهم مَنْ شيوخه فى العلم

وأما شيوخى فى العلوم فإنهم ... أئمة أهل الأرض فى كل مشهد
أُعَدِّدُ منهم لا أعد جميعهم ... ومن رام عَدَّ الشُّهْبِ لم تتعدد
فمنهم أبى شمس الزهادة والتقى ... وبحر علوم الآل أبناء أحمد
وزيد إمام العــلم نجل محمد ... أبوه حفيد القاسم بن محمد
قرأت عليه فى العلوم ولم أزل ... أروح إليه كل يوم وأغتدى
ومنهم صلاح ابن الحسين وحبذا ... إمام بأثواب الزهادة مرتدى
له فِىَّ نظم بامتداحى وكم أتى ... إلى منزل لى فى زودة وتردد
وشيخِىَ فى نَحْوٍ وفقه ومنطق ... قريبــكُمُ القاضى علىُّ بن محمد
له فى امتداحى كل نظم كأنه ... عقود لآل أو عقود زبرجد
وفى طيبة الفيحاء شيوخى ومكة ... شيوخ علومى فى الحديث المحمدى
أئمة علم ليس فى الناس مثلهم ... لهم سَنَدٌ عالٍ على كل مسند
تجد بعض أشياخى إذا كنت جاهلا ... وربِّىَ فى كل المعارف مرشدى
وماقلت ذا فخراً ولا الفخر شيمتى ... ولــكن جهلتم سيداً من مسود
فكان علينا واجب كشف جهلكم ... بنظم كَدُرَّة فى الطروس منضد
أما فيــكُمُ من يستحى من إلهه ... أما فيــكُمُ من يرهب الخِزْىَ فى غد
أما فيكم من راقب الله ساعة ... وتاب فقد أفسدتمُ الأرض عن يد
لــكم كل عام مخرج تخرجونه ... لنهب الرعايا فى إعانة مفسد
وما الله عما تعملون بغافل ... وربك بالمرصــاد فلتترصد
لقد كان فى أسلافــكم شيعة لنا ... يحبون أولاد النبى محمـــد

كمن ألف الإرشاد والدرر التى غدت فى أصول الفقه خير مجلد
ومشهده فى بلدتى بين جيرتى ومسكن آبائى وموضع مولدى
وعندىَ تأليف له فى[1] مطارف وأتباعه من كل قَدْمٍ مقلد
أبان به تصويب[2] جدى اقتالهم وتخريبه فى أرضهم كل مسجد
لعلكم لا تعرفون جدودكم وهم كنجوم فرقد بعد فرقد
كفى المرء عيباً جهله بجدوده وهم فخره عند التفاخر فى الندى
وقلتم بأنا مخرجون محمداً وأهليه من صنعا بغير تردد
كذبتم ويأبى الله والله غالب ولن بنصر الرحمن أفعال معتد
ويأباه مولانا الإمام الذى علا على هامة العلياء أفخر مقعد
إمام الهدى بحر الندى قاصم العدى طويل نجاد السيف رَحْب المقلد
ويأباه من أبناء أحمد عصبة هُمُ زبدة الأشراف فى كل مشهد
بنو القاسم المنصور من فى شهارة له مشهد من تربة المسك تحتذى
هُمُ قد أذاقوا كل باغ ومعتد كؤوس المنايا من شفار المهنّد
وفيهم تلاميذ لنا وهم أنا فنحن وهم من فرع دوحة أحمد
ويأباه من كان الوصىُّ نجاره وكل تقىّ صالح متهجد
وفى الناس ناس يعقلون وفيهمُ حياء وخوف من عذاب مؤبد
وعندى سهام ليس تخطىء مقتلا سهام دعاء بعد كل تهجد
إذا أنا فى الأسحار أرسلت سهمها فو الله ما تُخْطِى مذابح حُسّدِى
ويأباه من كانت بصنعاء داره هم جيرتى من سيد ومسود
بلى كل من فى الكون يأبى مقالكم وينكره من مُتْهمين ومنجد
وقلتم بأن ابن الأمير محمداً يخالف أهل البيت من غير مسعد

---

(١) سماه التمييز بين الإسلام وبين المطرفية الطغام — منه .
(٢) الإمام المنصور بالله ، عبد الله بن حمزة .

وليس اختلاف الآل في العلم ضائراً … ولا هو عيب عند كل موحد

فقد خالف الهادي بنوه محمد … وأحمد وانظر كتبهم وتفقد

وخالفه المنصور والناصر الذي … يأمل سقياً للإمام المجـدد

وكم من خلاف بين صنو بن قد جرى … أبي طالب ثم الإمام المؤيد

وشاهدي الأزهار والغيث فانظروا … وفي البحر للمهدي ما يروي الصَّدِي

أبي جهلكم أن تعرفوا الحق والهدى … فأنكرتم الأمرين من غير مرشد

لقد بلغ الشيطان منكم مراده … وأقعدكم من مكره كل مرصد

أفيقوا أفيقوا من جهالتكم ولا … تظنوا بأن الحق يدفع باليد

وتوبوا إلى الله الذي هو قادر … على كل شيء وهو منكم بمرصد

أجاب عليكم أهل حوث وبينوا … لكم كل بحث بالدليل المؤكد

وقد نصحوا لو تقبلون وإنما … جوابكُمُ في غلظة وتشدُّدِ

دليل على أن العناد مرامكم … ومن عاند الحق القويم فمعتد

أبانوا لكم وجهَ الحقائق كلها … فأعرضتم إعراض من ليس يهتدي

جزى الله عنا أهل حوث ذوي التقى … فكم فيهمُ من عابد متهجد

بخير جزاء في الدنيا وجنة النـ … ـعيم جزاهم بالنعيم المخـلد

وحياهمُ مني بكل تحية … وزادهمُ من فضله المتجدد

ومن كوكبان قد أتتكم نصائح … وفيها براهين بقول مجود

وأوضحوا الأمر الذي فيه خوضكم … بكل كلام بالدليل مؤيد

ونصح صحيح لا يقول بمثله … سوى رُكَّع من خشية الله سُجَّدِ

جزى الله خيراً كل من نصح الورى … بكل دليل في المقال مسدَّدِ

ومن سفح صنعا من إمام معارف (١) … ومن باذل نصح العباد ومرشد

أتاكم بتأليف له طاب نشره … وبيَّن وجه الحق في كل مقصد

---

(١) هو السيد العلامة الحسين بن مهدي النعمي رحمه الله ألف مؤلفاً في الرد عليهم

فهل من فتى لله بالحق قائل ... بقول صحيح بالأدلة مسند
كذا من دمار قد أتتكم رسائل ... وليس يرد الحق من كان يهتدى
وأنتم عسى يهديكم الله إنه ... هو الهادى الفتاح كل مسدد
فربى يهدى من يشاء إلى الهدى ... ويقبل توب النادم المتعمد
تزودوا التقوى لسيركُمُ إلى ... لحودكُمُ ياحبــــذا من تزود
يلاقيكم فيها نكير ومنكر ... ويسألكم عن ربكم ومحمد
ووالله ما يسألكم عن مذاهب ... شغفتم بها جهلاً على شر مقصد
نصحناكم والله وصى بنصحكم ... فهل عاقل فيكم لنصحى يهتدى
فإن تهتدوا فالأجر بينى وبينكم ... وإلا فإن الأجر لى لتوحُّدِى
وصلِّ على الهادى إلى الخير كله ... محمد المختار أفضل مرشد
وصلِّ على الآل النجوم لمهتد ... ومن هم رجوم الجاهل المتمرد
وأسأله لطفاً وعفواً ورحمة ... أفوز بها مهما نزلت بملحدى

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فى إرسال المثل مع الهزل الذى يراد به الجد موريا باسمه وهو مما يضحك اليراع ويهز إلى الهزل الطباع .

وأبله وافى إلى حضرتى ... ملتهباً من حســره متقد
وقال قد أقلقنى هزلهم ... فقلت لا تهزل مع من يجد

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله فى اللف والنشر ثلاثة بثلاثة :

يقول حبيبى وقــد زارنى ... وعندى إلى الروض وجد وُجِد
أتهوى الرياض وأزهارها ... وعندى من الروض مالا يعد
فثغرى وقدى وخدى بها ... أقاحٍ وغصن رطيب وورد

☆ ☆ ☆

وله رضوان الله عليه راثياً للسيد العلامة الورع التقي جمال الإسلام علي بن يحيى ابن أحمد لقمان رحمه الله وكانت وفاته بعد صلاة الجمعة سابع عشر صفر الظفر سنة ١١٣٢ هـ وقبر بحصن الظفير .

دع اللوم إن سالت دموعي على خدي ... فقد جاءني ما لا يقوم به وجدي
فما لليالي لاسقى الله عهدها ... تُرَوِّعُنا في كل ذي سؤدد فرد
خليليَّ هل من سامح بدموعه ... فإن دموعي لا تفيد ولا تُجْدِي
فحقٌّ على الأعيان صَبُّ دموعها ... فقد مات عين الفضل بل شامة المجد
جمال الهدى حِلْفُ الدفاتر والعلى ... خليل التقى رب الديانة والزهد
تقيٌّ صبور ناسكٌ متعفف ... صفات معاليه تعالتْ عن العدّ
فيا لهف نفسي ما حياتي بعده ... ويا ليتني من قبله ضمني لحدي
فديناك لو أنَّ الفدى كان نافعاً ... لكل خطير القدر مرتفع الجد
فمثلك عين ما رأت في زهادة ... وفي عمل بر أجلُّك عن نِدِّ
وفي خلق يحكي النسيم لطافةً ... ومن دونه في النشر رائحة الند
صدعت بقول الحق في كل موقف ... وما هبْتَ ذا بطش سوى الواحد الفرد
فكنت على الفجار صاباً وعلقماً ... وكنت إلى الأخيار أحلى من الشهد
وليث قضاء المسلمين بصولة ... تذيب بها من كان أقسى من الصلد
وجاهرت أهل الظلم بالحق معلناً ... وجاهرتهم لما تعدَّوْا على الحد
ووافاك خطب الموت في دار هجرة ... فيا هجرة كانت إلى جنة الخلد
ليبك عليك الفقه إن كان باكياً ... فرب خفي عن غوامضه تبدي
ويبك عليك الليل إذ كنت قائماً ... لأسحاره بين التهجد والورد
كذلك يبكيك النهار بعَبْرة ... يساجل فيها طالب العلم والرشد
طبيب يداوي الجاهلين بفقهه ... فكم جاهل يبرى وكم حائر يهدى
سقى الله قبراً ضم أوصالك التي ... ضممت عليها حسن فعالك والقصد
وهنئت يا حصن الظفير بقبره ... ويا قبره طوبى لمجدك من خد

لقد زدت فخراً فوق فخر حويته فديتاً بيحياك العماد وبالمهدى
ولولا التقى والصبر شـدا قلوبنـا لطارت من الحزن المبرح والوجد
ولولا يقيني أنه في كرامـة وفي جنة المأوى لذبتُ من الفقد
عليك من الرحمن عفو ورحمة ومنا سلام لا يُقدَّرُ بالحـد
يقول له رضوان فيها مـؤرخاً على ابن يحيى ابن لقمان بالخلد

☆ ☆ ☆

قال مولانا البدر رضي الله عنه بيت التأريخ لسيدنا ضياء الإسلام زيد بن على ابن قيس الحيواني رحمه الله من أربعة أبيات له .

وله رحمه الله إلى الولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله أرسلها إليه في شهر رمضان الكريم سنة ١١٣٢هـ اثنتين وثلاثين ومائة بعد الألف .

لا صبر لا صبر على ذا البعاد فاسلك بنا الرفق ونهج السداد
واستعمل الإنصاف إن كنت قد حزت السويداء وحلت السواد
أسقمت بالهجر فـؤادا غـدا فيه لكم منى صحيح الوداد
فراجع العدل وخلِّ الجفـا لا تجعلنَّ البعد عذر البعـاد
واركب جواد الشوق تكفِ الرجا فالشوق للمشتاق نعم الجواد
فروضـة التدريس مشتاقة إليـك لو كانت تبث المراد
قالت ألا قومـوا بنا نحـوه فإنه إنسـان عـين الفـؤاد
إنى أحـب المرء ذا فطنـة وأكره الفَدْمَ عريض الوساد
أهوى طويل الجـد لا غيره وإن غدا فيهـا طويل النجاد
يا نخبة[1] القلب عَلاَمَ الجفـا لنخبة الفكر وسفر العباد
أعضلت إذ أرسلت لى مسندا عذرك ذا المردود في الانتقاد
علم حديث المصطفى روضة يعلوفها من همه الاجتهـاد
فمـا قرأت النحـو حباً له ولا أصول الفقه منـا المراد

---

(١) يريد بهجة المحافل العلامة يحيى بن أبى بكر العامرى رحمه الله .

وإنما الكل له وصلة ... فاقطع إلى لقياه أقصى البلاد
وما أنا ـ والله ـ من أهله ... وإنني أحقر هذا العباد
لكن فقدنا من فقدنا به ... ومن ترينا منه سبل الرشاد
علَّ الليالي أن تريني امرءاً ... من أهله ألقى إليه القياد
وهذه نفثة حُبٍّ سرت ... تُلْقِي إليكم ما أسر الفؤاد
وأبلغ المولى جمال الهدى ... كذاك صِنْوَيْهِ وبَحْلَ العماد
والشمر في بحل الجمالي ومن ... ترونه أهلا لحفظ الوداد
مِنِّي سلاما طيباً نَشْرُه ... أحلى من النوم لأهل السُّهاد
وأبلغوا مولاي سَامِي الذُّرَى ... عِزّ الهدى أسنى سلام يراد
وأشركونا في دعاكم عسى ... يرحمنا الرحمن يوم المعاد

* * *

وله رضي الله عنه إلى شيخه القاضي العلامة علي بن محمد العنسي رحمه الله أيام قراءته عليه متشوقاً إليه وقد خرج محترفاً إلى بئر العزب .

ألا إن شوقي لا يحد له حد ... وصارم وجدي لا يَكِلُّ له حدّ
وقد حمل القلب الرقيق من النوى ... شدائد لا يقوى لها الحجر الصَّلْدُ
أحِبَّايَ طال البَيْنُ بيني وبينكم ... فياليت شعري هل لِبُعْدِكُمُ بعد
وهل لزمان الهجر حدٌّ وغاية ... فأصبر حتى ينتهي ذلك الحد
فَسَقْياً لأيام بها أَلِفَ اللقا ... وسحقا لأيام بها ألف الصد

انتهى الذي وجدته منها ولعلها طويلة .

* * *

وله تغشاه ـ الله بواسع رحمته ـ إلى المولى أمير المؤمنين المهدي لدين الله رب العالمين رحمه الله ، وفيها نصائح في عدم تصديق المنجمين بما يدونه من الأكاذيب لعل ذلك في سنة ١١٧٠ هجرية سبعين ومائة وألف .

أهنيك بالعـام الجديد وإنمـا أهنى بك العام الجديد على عمد
فأنت جمال العام والدهر كله وأنت إمام العصر فى الحل والعقد
بك الله زان الدهر ياعين أهله وخصك منه بالمهابة والجد
إذا الناس زانتهم صفات كالهم فأنت الذى زنتَ الصفات بما تبدى
وقارٌ وتدبير وحسنُ سياسةٍ وخلقٌ كطيب النَّدِّ من غيرما نِدِّ
ولطفٌ وبِرٌّ بالمحب وقسوةٌ بكل عَدُوٍّ من حسود ومن ضِدٍّ
صفات كمال لو يفوز ببعضها فتى من بنى الدنيا لنال ذُرَى المجد
مواهب من رب الأنام ولم يكن بجد كريم فى الجدود ولا جد
مع أن الأبناء الأئمة من بنوا منار المعالى بالعوالى وبالهندى
أولئك أرباب المكارم والعلى بهم يهتدى من شاء منا ويستهدى
فلا زلتَ منصور اللواء مظفراً بكل عدوٍّ ظافراً بذوى الجحد
وقابلك الإقبالُ بالسعد كله وعاد الذى عاداك بالعكس والطرد
تبارك من أولاك كل فضيلة وأوزعك الشكر المقابل بالرفد
فحَصِّنْ ما أولاك من كل نعمة بحصن من الشكر المطرز بالحمد
فمن ألبس النُّعمى برودا من الثنا وأفرده للواحد الصمد الفرد
أدام عليه كل فضل ونعمة مضاعفة من غير رسم ولاحد
ولا تستمع من عابد لنجومه تقاويم زورٍ ليس تُغني ولا تُجْدِى
أكاذيب يمليها لكل مغفَّلٍ يصدقها من ضل عن طرق الرشد
يقولون هذا العام فيه فواضع وفيه وفيه ما يسر وما يُرْدِى
يقولونه فى عامنا الماضى الذى تقضّى بخبرات تجلّ عن العد
ووالله ما عند النجوم دلالة على نحس يوم فى الزمان ولاسعد
ووالله ما غير الإله بعالم بما فى غد مما يسر وما يبدى
فثِقْ بالذى أولاك من كل مِنَّةٍ وولاك من حل فى السهل والنجد

وألبسهم من عدلك اليوم حُلّةً   تفز في غد بالزجر من صادق الرعد
ولا زلت تُبلي كل عام وتلبس الـ   جديد من الأعوام عداً بلا عدّ
مطرزة أيامها وشهورها   بخير طراز من عليٍّ ومن مجدِ
وهذا دعاء للبرية شامل   فأنت لجيد الدهر واسطةُ العقد

☆ ☆ ☆

قافية الراء المهملة

قال رضي الله عنه حدث مع الحقير محمد بن إسماعيل الأمير إسهال شديد من شهر ذي الحجة سنة ١١٧٢هـ ولم ينفع علاج غير الدعاء فعافاني الله ومن بالشفا في نصف شهر صفر سنة ١١٧٣هـ وكنت قلت هذه الأبيات ومن بعدها رأيت أثر الإجابة ورأيت في النوم ما يدل على مهلة سبع سنين والله أعلم . توفي قدس الله سره في ثالث شعبان سنة ١١٨٢هـ فكانت مدة المهلة تسع سنين ونصف .

قال عبد مسّه طول الضرب   يأمر النفس بخير منتظر
قف على الباب إذا كان السحر   وإذا جن ظلام وابتكر
واقرع المغلق منه بالدعا   فالدعا مفتاح أبواب الظفر
وليكن حال سجود إنه   أقرب الأحوال من رب القدر
قل على الباب فقير سائل   سائل الدمع ضعيفٌ محتقَر
قلت ادعوني أستجب يا حبذا   وعدَ الخيرَ وبالخير أمر
فمن استكبر عنه داخل   داخر من بعد هذا في سقر
وقريب ومجيب للدعا   إن أسر العبد حيناً أو جهر
فالدعا مُخُّ العبادات كما   جاءنا نصٌّ بهذا في الخبر
يغضب الرب على ترك الدعا   عكس ما يعرف من طبع البشر
ومع العبد إله إن دعا   ولمن يدعو ويرجوه غفر

أمر العبد بأن يطلبه ... كلما يرجوه من أي وطر
إن للداعي منه خصلة ... من ثلاث صح هذا في الأثر (١)
نيل ما يطلب أو دفع الذي ... يختشي أو للقاه يدخر
إن ربي لكريم يستحيي ... أن يرد العبد من غير ظفر
فاسألوا عافية منه ففي ... فضلها جاء حديث ابن عمر
يا إلهي أرتجي عافيــــة ... من أياديك بها دفع الضرر
ضرر أضعف ذاتي والقوى ... وأنا قد صرت في ضعف الكبر
ثاني الضعفين فالطف وأغث ... وارفع السوء بآيات السور
كم إغاثات وكم من دعوة ... قد أجيبت بعد يأسٍ قد حضر
كم عليلٍ صح من علته ... حمد الله تعالى وشكر
إن أيوب ينادي ربه ... مسني الضرُّ فلم يبق الضرر
وهب الأهل وأعطى مثلهم ... رحمةً منه لمن كان صبر
ولذي النون وقد ناداه من ... ظلمات البحر إذ فيه استقر
حين نجاه من الغم فهل ... بعد ذا شكٌّ لعبد ذي نظر
كلمات قد تلقى آدمٌ ... كان فيها الفوز منه والظفر
ولنوح كان منه منةٌ ... إذ يناديه تعالى لا تذرْ
وخليل الله لما قال لا ... تخزني لي بذبحٍ قد حضر
ولموسى كم إجاباتٍ وقد ... فجر المـاء عيونا من حجر
بعصاه وبها البحر غدا ... وهو قاع صفصف لمَّا عبر
ولإسرائيل لمَّا أن شكا ... ردَّ من يهواه إذ ردَّ البصر

---

(١) هذا نظير قول والده الضيا رحمه الله ولا بد أن يستجاب الدعاء ولكن بإحدى ثلاث المعاني .

وسليمان رجا من ربه ... مُلْكَ ما لم يُعْطِهِ اللهُ بَشَر
سخّر الجن مع الإنس له ... وطيور الجو من كل مقر
مَنْطِقَ الطير لقد علّمه ... وله الريح مطيع إن أمر
وكذا صالح أعطى ناقة ... نتجت للقوم من صم الحجر
جعل الماء تعالى قسمة ... كل يوم كل شرب محتضر
دَرُّهَا رِزْقاً لهم لكنهم ... قد أتوا من كفرهم إحدى الكُبَر
قام أشقى القوم بغياً بينهم ... عن تَوَاطٍ فتعاطى فعقر
أخذتهم صيحة واحدة ... ما لهم من بعدها من مستقر
أبرأ الأكمه عيسى وكذا ... نفخ الروح بطاير من مدر
وختام الرسل كم من دعوة ... قد أجيبت مثل لمح بالبصر
كلما يطلبه يسره ... ووقاه ربه من كل شر
يا قديراً يا عظيما شأنه ... بهر الألباب من أهل الذكر
يا مغيثاً كل من لاذ به ... قد ذكرنا بعضهم ممن ظهر
وسواهم وهمُ أضعافُهُمْ ... ذكرهم في الذكر إجمالاً ذكر
يا إلهي يا مجيباً للدعا ... كل خير منك عندي منتظر
عَافِنِي من علةٍ أنت بها ... عالم من قبل إيجاد البشر
ليس إلا منك أرجو كشفها ... يا مليكا اقتدارا والقدر
داوني واشف ولاطف وأغث ... وادفع الشر إذا الشر حضر
لا تخيبني وحاشاك الرجا ... وأقلني يا مُقيلاً مَنْ عَثَر
صلوات الله تغشى أحمداً ... صفوة الصفوة من آل مُضَر
وعلى الآل مصابيح الهدى ... عِتْرةِ الطهر الميامين الغُرَرْ

☆ ☆ ☆

ودونكمُ هـــذا النظام فإنه خطابٌ لمن وافاه من أيِّ معشر
يُخَبِّرُكم أنى بما قـد ظننتم برىء وبما خالف الحق مبترى
وإنِّيَ لا أرضى سوى الآل قدوةً أولئك آبائى وذخرى لمحشرى
بهَدْىِ رسول الله والآل أهتدى فما أنا إلاَّ أحمدىٌّ وحيدرى
وصلّوا على أهل الكساء محمدٍ وفاطمة والسيدَين وحيـدر
كذا الآل أرباب الهدى سادة الورى ومن ضَمَّخَتْ أوصافُهم كل منبرِ

* * *

وله رضى الله عنه سؤال يفحم المجيب فى رد إلزامه وينقاد إلى تسليم ما حواه فى إلزامه ويتضح بما تضمنه العالم العامل ويعرض عنها كل جاهل وغافل ونسأل الله الهداية إلى سنن الهدى والاهتدا بهدى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

سؤالٌ فهل مُفْتٍ عليـه يُحَرِّرُ ويُبْرِزُ برهاناً صحيحاً ويزبرُ
ويتركنا من قول زيد وعمره ولكن كتاب أو حديث محرَّرُ
رواه ثقات ليس فيهم مدلّسٌ ولا علة فيـه بها يتغـير
يبين ما وجه المكوس التى غدت على كل مال فى البلاد تصدرُ
أجاء عن المختار حرف بحِلّها فيا حبذا إن كان ذا الخبر يخبر
ويوضح لى من كان مكاس أحمد بطيبـة إذ فيهـا النبى المطهر
وفى مكة من كان مِنْ بعد فتحها يفتح أموال الحجيج ويبتر
ومن كان فى هذى السواحل قاعداً يباشر أموال العبـاد ويعشرُ
ويعطى أهل العلم منه جراية وهذا امرى فى الحقيقة أنكر
فبينا نرجّيهم الإنكار منكرٍ إذا لهم قسط من السحت أكبرُ
كفى حزناً فى الدين أن حماته إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر
متى ينصر الإسلام مما أصابهُ إذا كان من يُرْجى يُخافُ ويُحذَرُ

وما بال إقطاع البلاد لسادةٍ ... لهم فى العُلى بيت من المجد يزهر
فيأخذها منهم غنيٌّ ومترفٌ ... ورُبَّ فقير دمعه يتحدّر
يمدون منها فى المهود صبيّهم ... فيمشى فى مهط الهوى يتبختر
أليس أبوكم لاك فى فيه تمرةً ... فأخرجها المختار وهو مغيّر
دعاها لتنفير الطباع غسالةً ... فما بالهم لم ينفروا حين نُفّروا
وعرج على حكام شِرْعَةِ أحمد ... وقل لهم حتّامَ بالشرع تسخروا
تحالَيتُمُ أكْلَ الرُّشا فكأنّما ... يدار عليكم فى المواقف سُكّر
وساجلتم عما أتكم فى ضلالهم ... وقلتم لنا رزقٌ لديهم مقرر
إذا لم تساعدهمُ على هفواتهم ... جفَوْنا وأقصَوْنا والرزق قتّروا
وإن خضتم فى قصةٍ كان همكم ... تطالف محلات التجار وتنظر
وتأخذ منكم أجرةً ثم بعدها ... تواعدكم حتى تملّوا وتضجروا
وما شأن تقبيل البلاد وإنهُ ... لفاقرةٌ فى الدين للناس تُفْقِر
أفيقوا أفيقوا وانصحوا أمراءكم ... عساكم لما أسلفتموهُ تُكَفِّروا
وهُبُّوا فقد طال المنام عن الهدى ... إلى أن طغت من منكر القوم أبحرُ
وقد كان حكم الدين فيكم معرّفا ... فها هو من هذى المناكر أنكرُ
وأقسم لو كنتم على الدين والهدى ... وناصحتموهم ما طغوا وتجبروا
ولكن أضعتم نُصْحَهُمْ وأطعتُمْ ... أوامرهم فاستأثروا وتكبروا
ألم تسمعوا ما جاءنا فى كتابنا ... فكم فيه من وعظ لمن يتدبر
وكم قصّ فيه الله من خَبَرِ الألى ... عصوهُ فأبقاهم قليلاً ودمروا
ودونكم هذا السؤال الذى على ... غضون معانيه النصيحة تخطر
فإن تقبلوها فالرجوع إلى الهدى ... بأهل النهى والدين أجدى وأجدر
وإن تهملوها فالوبال عليكم ... ويلقاكم موت وقبرٌ ومحشر
وموقف فصل فيه أعدل حاكمٍ ... سواءٌ لديه من يُسِرُّ ويجهرُ

وله رضى الله عنه فى آخر إجازة أجاز بها السيد العلامة جمال الدين على بن محمد ثمان رحمه الله أحد علماء مدينة ذمار فى شهر ذى القعدة سنة ١١٧٦ هـ ست وسبعين بعد المائة والألف توفى رحمه الله فى شهر جمادى الآخرة سنة ١١٨٦ هـ .

أجزتك يا علىُّ وأنت عندى ... كأولادى الصغار مع الكبار
أحبك حبهم ولنا اتصالٌ ... بآباء لكم علما كبار
همُ أخوالنا ولهم علينا ... حقوق لا يقوم بها اقتدارى
سقى أجداثهم غيث مغيثٌ ... من الرضوان فى كل الديار
أجزتك ما سمعنا عن شيوخ ... من العلماء أعلام بحار
من الحرمين بعضهمُ وبعض ... بـ « صنعا » خير أوطانى ودارى
سمعنا علم خير الرسل منهم ... وعلم الآل من خير الخيار
فأسند ما تريد إلىّ مما ... ستروبه على علماء ذمار
فأوصيكم بتقوى الله حقًّا ... تفوز بما تريد بكل دار
ففى الدنيا تكون بها عزيزًا ... وفى الأخرى ستنزل خير دار
تجاور خير رسل الله طرًّا ... فيا لله من دار وجار
وصلنى بالدعا ما دمت حيًّا ... وميتاً كى تقال به عثارى
وصل على الرسول وخير آلٍ ... وسلم فى مساك وفى النهار

* * *

وله رضى الله عنه راثياً لشيخه الزاهد السيد العلامة الورع صلاح بن الحسين الأخفش رضى الله تعالى عنه .

أجابت دموع العين وامتنع الصبرُ ... وهيهات أين الصبر إن عظم الأمرُ
أتى فادح ليس الرواسى تقلهُ ... يضيق به بحر البسيطة والبرُّ
وحادث خطبٍ والحوادث جمةٌ ... تمور به العليا وتنطمس الزهر
أناعى المعالى والمعارف والهدى ... تأن فما قلت ينقصم الظهر

أتدرى بمن تنعى وما أنت قائل … فيا ليت سمعى من نداك به وقر

فما للنجوم الساريات مضيئة … إذا كان حقاً ما به أخبر السفر

مصابٌ عرا الدينَ الحنيفَ وأهله … وخص به علم الشريعة والذكر

ثوى فى الثرى من لايقاس به الورى … فيا عجباً من ذا الذى ضمه القبر

فيا قبره حياك وابل رحمة … وبلّ ثراك الدمع إن فاته القطر

أتدرى بمن قد حل سُوحك أنه … إمام به والله يفتخر الفخر

إمام علوم الآل أحفظ من روى … يضيق عن الأسفار ما وسع الصدر

نشا فى التقى من قبل شدّ إزاره … فشد به من شرعة المصطفى الأزر

يُقضى ساعات النهار عبادة … ودرساً وتدريساً إلى أن قضى العمر

وإن لبس الليل الظلام رأيته … وقد لبس المحراب وهو له وكر

يردد آيات الكتاب تلاوة … يلين لها لو كان يستمع الصخر

سيبكى عليه الليل والشمس والضحى … ويبكى عليه الفجر والعصر والظهر

وتبكى بيوت الله إذ كان نورها … فأرجاؤها من بعد مظلمة قفر

وما شربت أجفانه لذة الكرى … كأن لذيذ النوم فى حكمه سكر

فيا ليت شعرى هل تهجده غدا … هجوداً له أم نومه طعمه مر

وليس ينام الليل من همه التقى … وإن نعست عيناه أيقظه الفكر

وما نظر الدنيا بعين عناية … فسيان فيها عنده العسر واليسر

وصام عن الدنيا وعن كل لذة … وأفطر فى الفردوس يا حبذا الفطر

وكان صلاح الدين للدين كاسمه … ولا غرو إن مس الهدى بعده الضر

يصول على العاصين غير مراقب … سوى الله لا من عنده النهىُ والأمر

رسائله أهوى من السيف موقعاً … ففى كل قلب ظالم يلهب الجمر

فيا جبل التحقيق والزهد والتقى … ويا من به قد كان يفتخر الدهر

هنيئاً مريئاً جنة الخلد إنها … محط رحال للذى ذخره الذخر

فهزى إذا فهو إنسان عينها ... لقد أصبحت عمياء قد مسّها الضر

لئن كان تعرونى لذكراه هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

فقد صار تعرونى لمثواه عبرة ... تسيل بها من مقلتى أدمع حمر

وجادت عليه بالدموع محاجرى ... وعهدى بدمعى وهو من مقلتى نزر

وقد كان يحشو الدر سمعى فهل ترى ... استحال بجفنى إذ جرى وهو محمر

رحلت وقد أبقيت فى القلب حسرة ... تدوم إلى أن بيننا يجمع الحشر

فيا لهف نفسى بل ولهف ذوى التقى ... عليك وهل يغنى التلهف والذكر

أإخواننا فى الدين إن مصابنا ... عظيم به ضاق التصبّرُ والصبر

فلولا التأسى أن كلا إلى الفنا ... وكل من الأحيا غايته القبر

لكان حقيقاً أن تفيض نفوسنا ... وحق لها لوجاش حزناً به الصدر

وطيب ثناه لايفى لى بنشره ... نظام ولا يدنو إلى حصره النثر

ولولا الرثا من سنة الناس لم أقل ... نظاماً فمن أوصافه يقصر الشعر

ولكن حساناً رثى سيد الورى ... عليه صلاة الله ما تلى الذكر

وحيدرة والآل من طيب ذكرهم ... يطيب به طى المقالات والنشر

* * *

وله رضى الله عنه راثياً للسيد العلامة قطب الدين وعماد الزهادة الورع يحيى ابن محمد الحوثى رحمه الله كانت وفاته فى حوث ليلة الجمعة ٣ رمضان سنة ١١٥٢ هـ اثنتين وخمسين ومائة وألف .

خطبٌ عظيم فمنه الدمع ينحدر ... وحادث كاد منه القلب ينفطر

وفادح يظلم الآفاق موقعــــهُ ... تكاد تخسف منه الشمس والقمر

صك المسامع لما جاءنا خبر ... يا ليته ما أتانا ذلك الخبر

فإن جزعنا فمثل الخطب يُجزعنا ... وإن صبرنا فإنا معشر صُبر

وافى كتاب فليت الكف ما حملت ... ذاك الكتاب ولا وافى به بشر

وأسطر أشعلت فى القلب نار أسى ... فالدمع منحدر والقلب مستعر

يا موت لم تبق من أخيارنا أحداً ... كأنما أنت بالأخيار مختبر

فجعتنا بعماد الدين خير فتى ... من آل طه فما تُبقى ولا تذر

علامــةٌ عاملٌ والعلم زينته ... تقوى الإله وإلا فهو محتقر

وزاهد فى زمان قلّ زاهده ... وراغب فى أجور منه تدخرُ

قد علّم الناس طاعات الإله فكم ... قد تابع الحق من آثاره زمر

وكم أزال طواغيتاً بهمته ... لم تبق عينٌ لها فى حوث أو أثر[1]

أعلى منار الهدى فالشرع مرتفع ... والمنع بالمنع أضحى وهو منكسر

وكم يناصح أقواماً لموعظة ... تكاد تنشق من ألفاظه الحجر

وكان أنساً لأهل الفضل قاطبة ... فليته مد فى أيامه العمر

لو كان يفدى فديناه بكل فتى ... زاكى النجار له فى قومه خطر

لكنه الموت لا يبقى على أحدٍ ... فليس ينجى الفدى منه ولا الحذر

سقى وحيا ثراه كل آونة ... دمعُ العيون إذا ما فاته المطر

ورحمة الله تغشاه ولا برحت ... تتلى على قبره الآيات والسُورُ

* * *

---

(١) كان قبائل حاشد يدخلون « حوث » لأحكام الطاغوت ، ففى بعض الأيام جاءوا على عادتهم لحكم الطاغوت فجمع السيد يحيى رحمه الله السادة والفقهاء وقال لهم : الآن وجب الجهاد وخرجوا جميعاً للقائهم إلى خارج حوث ، فوقعت بينهم مناوشة بالأحجار ورجع القبائل منهزمين ، وانقطع الحكم فى «حوث» إلى الآن . جزاه الله خيراً .

وله ـ رحمه الله ـ راثياً لولد بعض الأعيان درج قبل التكليف وكان يسبح الليل رحمه الله (١).

جرى القضا بشمول الموت للبشر ... فالحمد لله حمداً غير منحصر

لا تمنع الملك المرهوب أهبته ... ولا الغوانى حسان الدل والحور

هى المنية لا تبقى على أحد ... فليس حادثها فينا بمنتكر

وما البقاء بدار لا بقاء بها ... قد كدرت صفو من فيها من البشر

غدارةٌ ما وفت يوماً لصاحبها ... ولا انتهى أحدٌ منها إلى وطر

عجبت منا نرجّى كل آونة ... إخواننا ثم نلقيهم إلى الحفر

فكيف نصبو إلى الدنيا وزهرتها ... من بعدهم إن هذا غاية الغرر

ونحن من غير شك لاحقون بهم ... قطعاً فنحن على جنحٍ من السفر

نرى كأنا قعود فى منازلنا ... ونحن نرحل فى الآصال والبكر

أستغفر الله هذى حكمة خفيت ... حتى كأنا رأينا النفع فى الضرر

صبراً ضياء الهدى فالموت غايةمن ... على البسيطة من بدوٍ ومن حضر

فما لسهم المنايا حين توتره ... قوس المقادير غير الصبر من وزر

فالصبر أحسن درع أنت لابسه ... عند الحوادث فى وردٍ وفى صدر

وفى التأسّى سلوانٌ وموعظة ... وعبرةٌ لصحيح الفكر معتبر

تأس واذكر فكم من صاحب وأخ ... فارقته ومليك كان ذا خطر

ومن حبيب لقد وسدت راحته ... خديك وسدته بالترب والحجر

بالأمس فارقنا من كان يسمعنا ... بصوته الذكر والتسبيح فى السحر

مضى صغيراً ولا ذنب يعاب به ... وأى ذنب على المدفون فى الصِّغَر

---

(١) هو السيد إسماعيل بن محمد قابع رحمه الله . نشأ هذا الولد فى العبادة ومات صغيراً .

سقى وحيّا ثراه كل آونة أجر التلاوة للآيات والسوَر
تأسى بالمصطفى المختار من مضر صلّى الإله على المختار من مضر
وآله الغر سادات الأنام ومن جاءت مدائحهم فى الذكر والأثر

* * *

وله رضى الله عنه إلى بعض إخوانه وقد عاتبه أنه تغير عن حاله :

عذراً إلى مولاى عذراً من غير ذنب جئت جهراً
لكن أساءت بى الظنو ن وخلت أنى جئت إمرا
وزعمت أنى حُلت عن عهدى وأنى جئت نُكْرا
الحبت فى قلبى بقو لك يا أخى والله جمرا
والله والله العظيـم مؤكداً قسَمى مبرا
ما ملت عن عهدى وعن ودى ولا أحدثت أمرا
والله ما أبدى الجفا جهراً ولا أخفيه سرا
هذا ولا أنا سيء الأخلاق ألقى مكفهر
إنى أباسط من لقيـ ت فلا ترانى مزوَئرا
وأكون عبداً للجليـ س وفى الفعال أكون حرا
فعجبت ثم عجبت منـ ك وصارت الأفكار حيرى
هذا وأنت إلى فؤا دى أقرب الإخوان طرا
وتراك عينى نورها وتراك بين الناس بدرا
إنى أعدُّ أحبتى من فضة وأراك تبرا
عجنت بحبك طينتى فنشأت أحلى منه وقرا
صدقوا إذا ما الشيء جا وز حده وعلاه قدرا
أضحى يشابه ضده فلذاك خلت الحلو مرا
قد كنت أحسب أن قلـ بك يمتلى حلماً وصبرا

فإذا جنيت حقيقـــة   لقيتني عفواً وعذرا

والله لولا أنـــنى   أهوى اقلب الخل جبرا

ما جبرت كفى النظـــا   م ولا كتبت بذاك سطرا

ما يلتى الأعذار إلا   من لزند الذنب أورى

إنى إذا خلى جفـــا   أو ملنى أو مال شبرا

أعرضت عنه مجاملاً   مالم أجد فى الوصل أجرا

فى نفس حر لا تذل   لمن لذيل الحب جرا

وشهـــامة وترفع   عن لابس تيهاً وكبرا

فلذاك ما قبلت كف   ملك نهيـــاً وأمرا

ولذاك ما أجريت فى   مدحى له فى الرق حبرا

ولذاك ما وجهت نحـ   ـو وزير ملك قط شعرا

فبسكرة فى كسر يد   تى صار عندى ملك كسرى

لولا مخـــافة جاهل   سيظنه للنفس شكرا

لقصصت من مكنون أخبـــارى لكم نظماً ونثرا

ونظمت منـــه رقائقاً   يقذفن فى الأسماع دُرا

والافتخـــار مذمة   فإلى هنا قلمى سيجرا

* * *

أنشد ابن الجوزى رحمه الله فى كتابه «صيد الخاطر» أبياتاً أولها خطاباً للرب سبحانه وتعالى إلى أن قال رضى الله عنه :

لم تدع لى الذنوب عندك عذراً   طالما قد قبلت عذرى دهرا

ثم إن لم تصل فعاقب بما شئـ   ـت ولا تجعل العقوبة هجرا

* * *

فقال مولانا البدر :

لا تعاقب واجمل فى العفو سترا   أنت بالعفو والمكارم أحرى
أنا عبد أتيت كل قبيح   وارتكبت الذنوب سراً وجهرا
ليس لى من ذخيرة أرتجيهـا   ما سوى عفوه أرجيه ذخراً
غافر الذنب قابل التوب فاغفر   لمسىء عليه نعماك تترى

* * *

وكتب رضى الله عنه على نسخته التى بخطه من الهدى النبوى .

أتعبت نفسى فى تحصيله فعسى   أفوز بالهدى فى مستقبل العمر
قدأعرض الناس عن علم الحديث وقد   أضحت أئمته فى باطن الحفر
والدين عاد إلى أوطان غربته   كما بدا صدق المختار فى الخبر
مذ فاتنى من أساطين الحديث لقا   سليت نفسى عن الأعيان بالأثر

* * *

وله رحمه الله فى عد غزوات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم :

غزا المصطفى سبعاً وعشرين غزوة   وقاتل فى تسع فأولهـا بدر
وأحد حنين والمريسيع خيبر   قريظة والأحزاب فتح به النصر
وذو قرد قد جاء فى النظم تاسعاً   وليس على الترتيب كان لها الذكر
وقد قتل المختار فيها بنفسه   أبيًا بأحد حين أردى به الكفر

* * *

وله تغشاه الله برحمته .

إذا كان عمر المرء عمر سروره   فقد عاش كل الناس عمراً بلا عمر
فما أحد فى الكون يعطى مسرة   على كل حال أو يعيش بلا عسر

فلابد من عسر ويسر وترحة ... مع فرحة وهى الأقل من الدهر
فكن راضياً بالله فى كل حالة ... فإن الرضا فيه السرور لمن يدرى

* * *

وله رضى الله عنه إلى الشيخ الكريم محمد بن سالم وصال الأحسائى رحمه الله مجيباً عن كتب وصلت منه يخبر فيها بارتحاله إلى مكة سنة ١١٢٧ بعد إقامته فى صنعا وقراءته بعض كتب النحو لديه .

أقلّبُ قلباً بعد بعدك فى الجمر ... وأسبل دمعاً فى خدودى كالقطر
وأسأل عنكم كل غاد ورائح ... وهيهات ما الأخبار تغنى عن الخبر
إذا قطعت أيدى النوى حبل وصلنا ... رجعنا إلى حسن التأسّى والصبر
عسى ولعل الدهر يجمع شملنا ... فقد ربما نيل الوصال من الهجر
سلام على أخلاقك الغر إنها ... ألذ إلى الوسنان من نومة الفجر
سلام على الأخ الكريم ابن سالم ... سمى حبيب الله فى الشرف الوفر
فتى كملت أخلاقه فنظيره ... يعز إذا فتشته فى بنى الدهر
وحق علوم قد أدرنا كؤوسها ... ترشفها الأذهان أحلى من الخمر
وطيب اجتماع مرّ كالطيف فى الكرى ... وأيام وصل لا تعد من العمر
لأنت وإن طال النوى وتباعدت ... ديارك لا ينساك قلبى من الذكر
أينساك قلب أنت فيه وإنما ... ترحلت عن عينى وخيمت فى فكرى
وقد وصلت منكم إلى رسائل
(جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى)
فإن تجمع الأيام بينى وبينكم ... فذاك الذى أرجو وإن غيبت فى القبر
فسل لى من الرحمن عفواً ورحمة ... ومغفرة والستر فى الحشر والنشر
وإما بلغتم مكة فى سلامة ... فلا تنسنى فى البيت والركن والحجر
وقل رب قد خلفت شيخى مقيماً ... إلى طيبة والبيت أدمعه تجرى

يتوق إلى البيت العتيق وطيبه ... ويعجز عن قطع المفاوز والبحر

وسلم على المختار إن زرت قبره ... وقل ابنك المسكين ذو الذنب والوزر

أقام بصنعا جسمـــه وفؤاده ... بطيبة فى قيد المحبـــة والأسر

امل الذى عم الأنام بفضله ... يبلغنا تلك المواطن فى العمر

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله إلى الشيخ محمد المذكور جواباً عن أبيات ضمنها قول الشاعر :

صاح إن كنت بالمدارك غراً ... ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

مستحقراً لشعره والجواب هو

بنت فكر وافت كشمس النهار ... فعلت فى الفؤاد فعل العقار

عطرت سوحنا بطيب شذاها ... حين وافت كالغادة المعطار

وأضاءت أرجاءنا فحسبنـــا ... الشمس قد أشرقت من الطومار

يا لها من خريدة صاغها الفكـ ... ـر فأزرت بسائر الأشعار

هى روض سقاه سحب المعانى ... فأتانـا بطيب الأثمـار

قد سمعنا فيها طيور المعانى ... ساجعات تغنى عن الأوتار

جنة أزلفت وسيقت إلينا ... فعرفنـــا نعيم تلك الدار

أنت أعطيت من خصال المعالى ... جملا لا تعدّ بالمقـــدار

قد أعلمنا أن المعالى عطايا ... ما بهـــذا مخالف أو مارى

أنت ربان كل بحر نظام ... جئت بالفلك حاملا للدرارى

أنت أرضاً نشأت فى سوحها الرحـ ... ـب لأرض الكرام والأحرار

قل لأرض الحسا افتخاراً ... وتزاحم مصراً وكل الديار

قد وثقنا أن العلوم ستحيا ... بك فى جملة من الأقطار

وعلمنا أن سوف تطلع بدراً ساطعاً فى محافل الأحبار
لست ـ والله ـ بالمدارك غراً بل خبيرا عرفتها باختبار
لك ذهن به تفض المعانى وغرام بالعلم لا بالجوار
فانفق العمر فى طلابك للعلـ ـم ففى العلم غاية الافتخار
كن بعلم اللسان صبا معنى وبعلم الكتاب والآثار
وتطلب علم الحديث سماعاً من شيوخ رووه فى الأسفار
إن علم الحديث علم رجال أنفقوا فيه طيب الأعمار
بحثوا عن صحيحه باجتهاد وقروه على شيوخ كبار
لا تبدل عنه بعلم مدى الدهـ ـر ففيه نفائس الأخبار
أنا صب إليه ياليت شعرى هل أبارى شيوخه وأجارى
ليت شعرى هل فى الوجود إمام حافظ مثل مسلم والبخارى
كنت أعملت فى لقاه المطايا سائراً فى مهامه وقفار
وبذلت النفيس فى الأخذ عنه سامحاً بالأوطان والأوطار
وعلى شوحك الرحيب سلام دائم فى الآصال والأبكار
ثم عذراً إذ رأيت نظامى فى اختلال وركة وانكسار
فيراعى أنشأه فى حال شغل لم يعربه قط بالأفكار

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على والده رحمه الله :

قرت العين ببشرى وردت سراً وجهرا
بمنامات أراها قد أتت بالوصل سرا
نلتقى فى الليل حتى أتمنى الليل شهرا

فسواد الليــل أعلى   من بياض الصبح قدْرا

إن فى الرؤيا من الرؤ   ية فى التحقيق شطرا

ولهـا نشر نقل سبـ   حان من بالرّوح أسرى

وهى من أصدق ما يهـ   دى إلى الإنسان بشرا

صدق الله بها المختـ   ـتار فى أحمـد وبدرا

والعـلامات أراها   بالذى نهواه تترى

من منـام ونظام   رائق بالنظم أزرى

شرحت أسطاره منى   بمـا أهواه صـدرا

جاءتنا باليسر والبشـ   ـر فولّى العسْر قسرا

آمراً بالصـبر والشكـ   ـر فصبراً ثم شكرا

مخبراً أن سوف يحلو   ما تجرعنـاه مرا

من بعاد طـال حتى   أعجز الحـاسب حصرا

وانتهى لمـا تناهى   ومضى عنـا ومرا

ودنى الوصل فيا لله   ما أهنـا وأمْرا

فكأن قد جمع الشمـ   ـل بمن أهواه طُرا

وكأنى من ضيـاء الد   ين قد شاهدت بدرا

ولثمنا منـه كفاً   قد غدت للجود بحرا

ثم صـار البين أخبـا   راً كما قد كان خُبرا

فترقب عن قريب   ما به بشرت جهرا

دمت فى أرغد عيش   لا ترى بؤساً وضرا

وصـلاة الله لا زا   لت على المختار تترى

وعلى الآل جميعاً قرناء الذكر ذكرا

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله إلى والده رضى الله عنه وذلك لما تأخر والده فى شهر ذى الحجة سنة ١١٤١ هـ ومن الله عليه بالعافية كتب إليه هذه الأبيات من شهارة .

له الحمد حمداً لا يلم به الحصر	على نعمة مثلها يقصر الشكر
بعافية عادت على من بمهجتى	إذا قبلت يفدى وحق لها الفخر
ضياء الهدى وافى الكتابُ مبشراً	وقد كان فى الأحشاء يلتهب الجمر
بُعـادٌ وأشجان ألمـا بمهجتى	ولو نزلا بالصخر ما احتمل الصخر
وقد كنت أشكوا البين وهو بلية	لعمرى عن أمثالها يعجز الصبر
فأنسى به ما حلّ فى ذاتك التى	تدفق عنها الزهد والعلم والذكر
وَدِدْتُ وهل تغنى الودادة أنه	يحل بجسمى حَرُّهُ ولك الأجر
على أنه قد حلّ بى ضعف ما بكم	هموم وأشجان أثارها الفكر
فلو أن قلباً طار عن مستقره	لوافا كُمُ قلب له أنتم الوكر
ولولا الذى لا تجهلون لزرتكم	ويهدى لكم لو صح أن يوهب العمر
وما زلت فى ليل من الهم مظلم	إخال بأن اليوم من طوله شهر
ومذ وافت العشر الشهيرة لم أزل	يساورنى همى فلا كانت العشر
وللناس فى العيد ارتياح وراحة	ولى دونهم مالا يحيط به الشعر
فما العيد إلا يوم وافى كتابكم	نحرت به همى وذلك هو النحر
وفيه نشرنا للهناء مطارفاً	يُطرِّزُها الحمد المكرر والشكر
وعاد لى الأنس الذى وصفُ عُشْرِهِ	يُقصِّر عن تفصيله النظم والنثر

له الحمد يكسو العبد ثوب سقامه ... ويخلعه عنه وقد عظم الأجر

وماهى إلا نعمة جلَّ شكرها ... وإن سال من أجفان أولادك القطر

فإنا لنرجو أن تنال مثوبة ... تخفف وزراً منه ينقصم الظهر

وَصِلْنِيَ فضلا بالدعاء مكرراً ... وقل ولدى بَرٌّ وإن قصُرَ البِرُّ

وإنَّا لنرجو أن يكون اجتماعنا ... قريباً وأن العسر يتبعه اليسر

ولى حسن ظن لا يخيب فكم وكم ... حَبَانِيَ فضلا عنه قد عجز الحصر

وصَلِّ على المختار ثم وَصِيِّهِ ... وفاطمة والآل ما تُلِيَ الذكر

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً على والده رحمه الله عن أبيات وصلت منه إلى شهارة بشرى بحدوث ولده إبراهيم بن محمد رحمه الله .

تبَسمَ ثغر الدهر وافتر بالبِشْرِ ... وهبَّ نسيم طيِّبُ العَرْفِ والنشرِ

ووافى نظام بالمسرة والهنا ... يجل عن التشبيه بالسحر والدر

أتانى وأهدانى المسرات كلها ... وزاد على ما البس يخطر فى فكرى

ضياء الهدى وافى النظام مبشرا ... بما يوجب الحمد الجزيل مع الشكر

بما مَنَّ ذو المَنِّ الجزيل لعبده ... بعبد بشير بالسعادة والبشر

سعيداً ومسعوداً يكون وقرة ... لعين العُلَى والعلم والفضل والبر

لقد سرّنى ما سركم من قدومه ... وأشعرنى أن سوف يثمر بالفخر

وأن يتحلى بالمكارم والعلى ... ويصبح فرداً فى المحامد والذكر

يواصله أهل القراءة والقرى ... فيقرى على كل المعالى من يقرى

وبخاً له بخاً إن جده الـ ... إمامان فى أهل المكارم والعصر

عسى يهتدى فى دينه بهداهما ... ليظفر بالذكر الجميل مع الأجر

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله جواباً على المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله عن أبيات وصلت منه من محل اعتقاله بقصر « صنعا » الخمية .

عبر الصبا سحراً بكيرة حاجر ... فأتت إلى المضنى بنشر عاطر
فوجدت منه ريح من أحببته ... فطمعت فى عدل الحبيب الجائر
فالريح قد وافت إلى يعقوب من ... قبل البشير بوصل حب هاجر
إن كان مرتداً بصيراً بعدما ... وافى القميص وزال ضُرُّ الناظر
فأنا الذى من نشرهم قد عاد لى ... روحى وكادت أن تقر نواظرى
تالله لو بعثوا بشير قدومهم ... لدفعت فى بشراه كل ذخائر
شَبِّبْ بسكان العقيق فإنه ... ما زال منهملا بصحن محاجرى
ودَع الأحبــة باللوى فلعامهم ... مَلُوكَ إذا نَزَلْتَهُمْ فى الخاطر
وتوهموا لما رأوا نار الجَوَى ... تهدى الشراة لدى الظلام السائر
إنى لغـــــيرهم أعد ضيافة ... والنار نار قرى لأى مسافر
ورأوا دماً تُجْرِيهِ مِنِّى أدمعى ... قالوا وقد نحر الكرى للزائر
قسماً لقـد جهلوا بأن هواهمُ ... غَطَّى على بصرى وسد بصائرى
وملا جميع جوانحى وجوارحى ... فجوارحى فى الهجر مثل ضمائرى
فعلى سواهم لا أبيت مسهداً ... وإلى سواهم لست أرفع ناظرى
وإذا خلوت مفكراً فبذكرهم ... هيهات يخطر غيرهم فى خاطرى
ولقد بخلت بقطرة من أدمعى ... تجرى لغير ذوى الجمال الباهر
من بعد ما قد كنت أبذل كلما ... عندى لكل مسائل ومصاهر
قد كنت أُدْعَى قبل ذاك بحاتم ... والآن أُعْرَفُ فى الأنام بغادر
إن يجهلوا قَدْرِى فلستُ بعاجب ... أو يجهلوا وَجْدِى فليس بضائرى
هذا بن إسحق الذى جمع العلى ... فغدا فريداً فى الزمان الآخر
جهلت عشائره علاه وإنما ... يتجاهلون نفــــذ مقالة خابر

تالله ما العقلاء تشكر فى الضحى ... شمس الظهيرة فى النهار الساجر
مَلِكٌ إذا عُدّ الملوك وعالِمٌ ... إن عد أهل محابر ودفاتر
وإذا أراد من القريض كؤوسه ... أزرى بقُسٍّ والبها والحاجرى
وتراه فى الهيجاء إن شبَّ الوغى ... نيرانه بمواصـــل وبواتر
طَلْقَ المحيا مُطْلِقاً لعنانه ... نحو العدى للموت غير محاذر
أما المكارم فهو فيها مفرد ... فبجمعها لا أنْضِيَنّ محابرى
حاز الفضائل والفواضل كلها ... وحوى المآثر كابراً عن كابر
عَزَّ النظير له وذل مناظِرٌ ... منه فما أحد له بمناظر
فلهذه الأوصاف نافسه فتى ... ما حاز إلا كل وصف ضائر
نجاه عن صهوات كل مطهَّمٍ ... وحماه عن رمح وسيف باتر
قسما لقد ساقوا إليك أجلَّ من ... ما يمنعونك من عُلًى ومفاخر
إذ أفردوك لكشف كل خفية ... حجبت عن الرجل اللبيب الناظر
وأظن أن الملك قال لدهره ... أفرده ينظر فى رياض دفاترى
فلقد ذَوَتْ من كل ريح عاصف ... قد هب من ذهن البليد الحائر
فاشكر لهم ما أنت تشكر منهمُ ... شكرى لنظمٍ منك وافى فاخر
أهديتنى سحراً لتسلب مهجتى ... فاعجب لسحر جاء لا من ساحر
كلفتنى خوض القريض تعاطياً ... وأنا امرؤٌ بالشعر لست بشاعر
ما خُضْتُ إلا فى بحار معارف ... فيها يقل مُسامِرى ومُسَاثِرِى
متتبعاً من دُرّها فى قعرها ... حلياً لجيد نظائرى ومعاشرى
وقصرت فكرى عن مديح سواكمُ ... فاقنع بميسور الجواب القاصر

انتهت هذه القصيدة : قلت . وهي عندي من جيد أشعاره وبديع أفكاره وكل شعره حسن بليغ فصيح ، فلله دره وقدس - في الفردوس - سره . كاتبها السيد أحمد بن محمد الشرفي .

* * *

وله رضي الله عنه كتبها في صدر كتاب له من شهارة ولم أجد منها غير مارقم :

كم تحيات طويناها لكم ... في جيوب الريح هل عنها انتشر
ثم قلنا زُرْهُمُ في خفية ... في سواد الليل أو وقت السحر
وانتظرنا عودها من سفحكم ... كانتظار المجم عصر المنتظر
ليت شعري هل بها قد شعرت ... حرس الدار فنالتها بشر
أتراهم قيدوا ريح الصبا ... هل لها ساق كأقدام البشر

فأجاب وهو إذ ذاك في سجن المنصور الحسين وأبدع ماشاء بأبيات منها :

فلموع البرق قد أخبرنا ... أنهم في ضحك وقت السمر
فاضحكوا لازلتم في نعمة ... منكمُ البرق ومن عيني المطر

فأجاب الوالد البدر رضي الله عنه عن قوله « فلموع البرق الخ » :

آه من برق إليكم قد روى ... أنني في ضحك وقت السمر
لا يريد الصب أن يكذبه ... فلكمْ أسند عنه من خبر
وإذا صدقه ساءكم ... فالذي عندي من العذر ظهر
إنه خاف بأن يوحشكم ... إن روى عني لكم ماقد نظر
حين أخفتْ نارُ وجدي ضوءه ... ورمتْهُ إذ رأته بشرر
فأتاها خاضعاً مستجدياً ... طالباً من ضوئها بعض أثر
فحبَتْهُ جلوة من نارها ... قبساً لولا سناها ما ظهر
وأراد الصب أن يصبحه ... جذوة تحرق من ضل وضر

من وشاة شددوا ما بيننا … غير أن البرق عنه ما استقر

سمع الأنةَ فارتاع لهــا … قال ذا رعد فقالوا ومطر

إنها أنةُ صبٍّ قد قضى … نحبه وجداً ولم يقض وطر

بعدها الطوفان من أدمعه … فانج إن كان ينجيك الحذر

فرقاً من فرق أفق السماء … لبس السحب قميصاً ثم زرّ

وغـــدا يفطرها مسترقاً … ما تراه كلما لاح استتر

وأتى ريح الصبا من سفحكم … قلت يا ريح لقد طال السفر

رُحْتَ مِنْ عندي نسيماً فلما … عدت يا ريح سَمُوماً للبشر

فأجابت لا تعنفني فقد … كان في أمري لغيري مزدجر

جئت محبوبك في مجلسه … قاعداً في خُلْقِهِ بعض الكدر

لم يقم لي مِثْلَ ما أعهده … لعناقي بل رآني واكفهر

ثم أومى لي أنِ اقْعُدْ ههُنَا … خلف ذا الستر والجفن كسر

فعلينا أعين ترقبنـــا … ليته لم يبق للعين أثر

فإذا السَّجّانُ خلفي قائلا … هل لديكم من نسيم قد عبر

فلقد أُلْزِمْتُ أن أسجنه … قال ما عندِيَ من هذا خبر

قلت يا ريح وماذا الافترا … حسبك الله أما خِفْتَ سَقَر

هــذه أشعاره أشعرنا … أنه في البحر يختار الدرر

أو رقى في أفق السموات العلى … فأتى بالشهب نظماً إذ شعر

أو خلا فافتض أبكار العلى … وحبانا كل معنًى مبتكَر

أو له الآداب قِيدَتْ فهي … بالذي يهواه فيها وأمر

أو له قلب صبور لا يرى … فارغاً إن مسه سهم القدر

أسأل الرحمن أن يُعْقِبَهُ   راحةً تنسيه أنواع الضرر
مطلعاً شمس وصال أشرقت   ويرينا منه وجهاً كالقمر
ويرينا راحة نلثمها   طالما أبكتْ من الجود المطر

* * *

وله رضى الله عنه جوابا على سيدى العلامة إسماعيل بن محمد إسحق رحمه الله

أحلى الهوى ما كان جهرا   وأَمَرُّهُ ما كان سِرّا
ومحاول كتم الهوى   هتك السقام عليه سترا
ووشت عليه دموعه   فغشا له فى الناس ذكرا
ومعنّى فى حب من   أجفانه ينفثن سحرا
ويقول قول مناصح   لن تستطيع عليه صبرا
فأقول دعنى إن نصـ   ـحك والعتاب أراه هُجْرا
هيهات أسلو حب من   قاد الفؤاد هواه قسرا
رشأ تلعّب بالقلو   ب فمُغرَمٌ منها ومُغْرًى
كالغصن إلا أنها   لا تثمر الأغصان بدرا
والجفن كالهندىّ إلا   أنه بالفتك أدرى
هـذا بنظرته يقو   د جحافلا قتلا وأسرا
وتلهّبُ الوجنات قد   أصلى فؤادى منه جمرا
سلب العيون رقادها   أفلا ترى عينيه سكرى
أنفقت عمرى فى هوا   ه وذقت منه الحلو مُرّا
وإذا شكوت له الغرا   م يزيدنى صدّاً وهجرا
عجباً لقسوة قلبه   أتراه فى أحشاه صخرا
يا قلب ويحك أنت ملـ   ـكت القياد وكنت حُرّا

فأفق ففى نظم الضيا ... درر تصاغ لديه شعرا
بسديك بل ينسيك فى التـ ... ـحقيق عن رشأ وعذرا
سرحت طرفى فى ريـا ... ض بديعه سطراً فسطرا
فرأيت أغصاناً من الـ ... ألفـاظ قد أثمرن درا
وجنيت منه معانيـاً ... أحلى من الحلو وأمرّا
لله درك من فـتى ... متضلعا أدبا وفخرا
جلّيت فى مضمار أر ... باب الذكا نظما ونثرا
لا غرو وإن حزت الكما ... ل فقد حواه أبوك طرّا
وأراه خصـك بالنفيـ ... ـس سماحة منه وبرّا
وبعثت نحوى غادة ... وسألتنى فى ذاك مهرا
هيفاء فى حال البـلا ... غة تترك الأذهان حيرى
لولا اقتراحك للجوا ... ب لكنا أرقت لذلك حبرا
أنَّى يساعدنى القريـ ... ـض وقد هجرت الشعر دهرا
من حكم دهر جائر ... وكفى به للمرء عـذرا
يعطى الأراذل والأفا ... ضل عامدا رفعا وكسرا
وبذاك تنـكسر القلو ... ب وعل بعد الكسر جبرا
لازلت سلطان الكما ... ل ممـلكا نهيـا وأمر
تحيى العـلا وتعيضها ... من بعد هذا الطى نشرا

* * *

وله رضى الله عنه مكاتبا له أيضا من شهارة فى شهر جمادى سنة ١١٤٧ وقد تأخرت منه الكتب وكان مولانا البدر رحمه الله حى وذلك بعد وفاة والده رضى الله عنه والمولى الضيا رحمه الله فى الاعتقال بقصر « صنعا » .

ياسارى الريح ساعدنى على وطرى ... قف بالمناظر فى العالى من الحجر
مبلغــــاً لرسالاتى إلى ملك ... محجّب لا كما يهوى عن النظر
ومنشداً بلسان حشوه درر ... إنشاد من يتقن التحريك بالوتر
لا تترك الكتب عنى كل آونة ... فإن كتبك نور السمع والبصر
ففى الإشارات هاتيك الشفاء لمن ... أمسى عليلا بداء البين فى فِكَرِ
لما سعى الدهر فى تفريق أُلفتنا ... قنعت قسراً عن الأعيان بالأثر
أسامر البرق لاعينى بدائمة ... وليس عِنْدِىَ أعوان على السهر
إذا نظرت نجوم الليل أرقبها ... رأيتهن مفيخات عن السفر
كأنها شمســات فى مزرقـة ... من الستائر ملقاة على الجدر
أو الدنانير فى كف البخيل فما ... ترجو الرحيل إلى بدو ولا حضر
أو مثل أقراط خود لا ترى أبدا ... خلع الحلى ولا تهوى سوى السمر
والليل مُلْقٍ على الآفاق حُلّتَهُ ... كأنها قلب جبار من البشر
أو أنها الهجر قد غطى فؤاد فتى ... عُذْرِئ طبع خليع غير معتذر
أو مثل دَيْنٍ على حر يطالبه ... خصم أله له قلب من الحجر
فما صباحى سوى نقيا كتابكم ... عنوانه أول الإصباح فى السحر
أفضه فيرينى الفجــر منتشرا ... به أميز بين الترب والشجر
كأنه وصل من أهواه قد وفدت ... به الأمانى بلا خوف ولا حذر
أو معسر جاء ما يهواه من سعة ... أو طالب حاجة قد فاز بالظفر
قرأت منه سطورا فرجت كُرَباً ... واسودّ من لونها المُبْيَضُّ من شعرى
وعاد عصر شبابى فى كهولتــه ... ولاحظتنى عيون الحور بالحَوَرِ
فكيف تقطع عنى ما به سعتى ... حاشاك تقطع معتادا من البِدَرِ
فكتبتم بعد من قد صار فى غرف ... من الجنان وفى روض وفى نهر
أعنى الضيا سقى الرضوان تربته ... فى كل حين من الآصال والبكر

كتبه سلوة للقلب فارجة	الكرب دافعة للهم والضجر
بقيت فينا جمالا للوجود فقد	زينَ الوجود بفضل منك مشتهر
علم تطرز بالآداب حليته	كالوشي يزهو به الغالي من الحِبَرِ
قف بالفواصل من علم الأصول تجد	مَلأً للمسامع والأفواه والفِكَرِ
أنست شواردها أغنت فوائدها	عن المطول من كتب ومختصر
والطف طبع إذا قسنا النسيم به	قال النسيم تقاس العين بالأثر
وجود كفٍّ لو أن البحر ساجله	لعاد يبساً بلا ماء من الحفر
هذا نظام يكاد اللطف يجعله	طوقاً على العنق أو كحلاً على البصر
ويرقص السكون إعجابا برقته	ويدرك الشيخ منه نشوة الصِّغَرِ
كتبته وفؤادي حشوه قلقٌ	والجسم بدمع من حُمّاه كالمطر
في كل جارحة أجفان ثاكلة	تبكي بدمع كمثل النار مستعر
أظنها راثداً للموت يطرقنا	يسوقنا مثل ما قد جاء في الأثر
فبالدعاء أمدّونا ولا سيما	إذا نزلنا غداً في باطن الحفر
إني لأعجب من قرب الرحيل ومن	فقد التزود للآتي من السفر
مالي سوى حسن ظني إن رحمته	تنيلني من رضاه منتهى وَطَرِي
وإن لي من أجلّ الخلق مرتبة	شفاعة تدفع المكروهَ من حذري
صلى الإله على طه وعترته	فإنهم صفوة الباري من البشر

* * *

وله رضي الله عنه قالها أيام بقائه في « الطائف » بعد عام الحج المبارك في غرة سنة ١١٤٠ هـ وأرسلها إلى كافة السادة الأعلام الكرماء الأمجاد الفخام وهم :

المولى العلامة إسمعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله وكافة آل إسحق وذلك أنه لما ادعى المولى محمد بن إسحق ودعا الحسين بن المتوكل واشتعلت نار الفتنة بين الداعيين ، خرج الوالد البدر رحمه الله إلى الحج ، فاراً من الفتن ، ثم جاءته الأخبار باستيلاء بني إسحق على اليمن ، فكتب إليهم بهذه الأبيات ، ثم قلب الدهر لهم ظهر المجن وتمت الخلافة للمنصور الحسين بن المتوكل ، واتفقت عجائب ، يطول شرحها .

أخبرونا تفضلا ما الذى كا ... ن وماذا جرت به الأقدار

هل وَلِيتُمْ أمر العباد بعدل ... وأزلتم ماقد تجاروا وجاروا

وهدمتم ما شيدوا من ضلال ... وأشدتم ما شاده الأخيار

قَسَماً إن فعلتم ذا وهذا ... إن أنتم فى عصرنا الأبرار

وتركتم قبض المكوس وقلتم ... إن أخذ المكوس عارٌ ونار

وقبضتم أعيان ماتُخْرِجُ الأر ... ض كما كان يفعل المختار

وصرفتم أعيانها فى أناسٍ ... خصَّهُمْ فى كتابه القهّار

وأتانا بصيغة الحصر فيهم ... أفهلْ عندكم على ذا غُبَارُ

وسلكتم فى قطره القطر هذا ... فعليه قد دلت الآثار

وصنعتم فى أنصباء المواشى ... ماروتْهُ فيها لنا الأخبار

وجعلتم وزيركم كُلَّ بَرٍّ ... وعزلتم من كلهم أوزار

ثم وليتم العدول رعايا ... كم فكم قد وَلِيَهُمْ الأشرار

كل يوم يَلْقَوْنَ كل عناء ... وعليهم رحى الضلال تُدَارُ

تارة يأتى المثمر بالجو ... ر وأخرى القباض والعشّار

وانظروا كل ماحواه (سماعاً) ... فهو نظم فى طَيِّهِ الأسرار

قد أتى فيه كل ماقبّح العق ... ل ونصُّ الكتابِ والآثار

فإذا أحلت نصحى عليه ... عند أن أعجزَتْنِيَ الأشعار

كيف يقوى على النظام فؤاد ... شتته الهموم والأفكار

وترامت به الديار فترمي ... ه ديار وتلتقيه ديار

كم طوينا من تهمة وجبال ... عجزت عن صعودها الأطيار

لو رأيتم كرا[1] لفارقتم النو ... م وقلتم مامثل هذا يسار

---

(١) الجبل المعروف تحت الطائف .

أوسريتم في خبت[1] نعمان قلتم ... مابهذا يُكلّفُ الجبار
غير أنا لما نزلنا بأرض ... قد تفشت أرجاءها الأنوار
ما رأينا تلك العظائم شيئاً ... واغتفرنا وحق منا اغتفار
حبذا بلدة[2] بها قد نزلنا ... وإليها انتهت بنا الأسفار

* * *

ومن هنا للشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المزوفى رحمه الله :

بلد ما أقول فيها وقد أطـ ... ـنب فيها الإله والمختار
بلد من شعارها العجُّ والثجُّ ... يقيناً وحبذاك الشعار
بلد لم يزل بها العفو والغفـ ... ـران يسمو وتحبط الأوزار
وبها البيت والحطيم وفيها ... تنجلى من إلاهنا آثار
حين طفنا بها ننادى بلبيـ ... ـك وسعديك أيها الغفار
وصعدنا لموقف الحج فى ايا ... لة خير اصبحها إسفار
عرفات التى تعارف أروا ... ح وفيها حقا تقال العثار
وازدلفنا بها نؤم جميعاً ... ثم جئنا منى وتم المزار
ونحرنا بها الضحايا سمانا ... ونرمى الجمار تطفى النار
وأقمنا بها ليالي أنس ... ليس فيها همٌ ولا أكدار
ثم طفنا بها وبالسعى فزنا ... وعلى المروتين كان المدار
ورجونا القبول من خالق الخـ ... ـلق تعالى ففضله مدرار
ودعونا والله يعلم أنا ... ماسمونا فيحسن التذكار
سادة قادة كراما أجلا ... ء لهم فى القلوب منا قرار
بدعاء مشفع بابتهال ... والتجاء قد زانه الافتقار

---

(١) خبت بنفد منه الى عرفات .
(٢) مكة المكرمة .

ورجعنا من مكة نقصد الطا ... ئف نار لحرّها إسعار

واقتطفنا لطائف الطائف ... وفى الروض نقطف الأنوار

حبذا هذه الديار فلولا ... حب من لا يقر عنهم قرار

لاتخذنا بها ديارا وأهلا ... وسلونا أرضاً إليها يسار

حبذا بلدة بها لذة العيـ ... ـش وكأسُ السرور فيها يدار

بلداً خصبت رياضاً وأرضا ... وتغنّتْ فى دَوْحِها الأطيار

بلد خصصت بما هو فيها ... من حبور تنفى به الأكدار

بلد لم يزل بها الرَّوْحُ للرو ... ح وكم قد جرت بها أنهار

بلد لم تزل بها صحة الجـ ... ـم وتغشى أرجاءها الأنوار

بضيا حَبْرِها(١) الذى حل فيها ... وتلقتْ علومَهُ الأحبارُ

ابن عم النبى أفضل عبد ... ساد قوما هم سادة أخيار

خصه المصطفى بدعوة خير ... فتوالت من سره الأسرار

* * *

وله ـ رضى الله عنه ـ جواباً على الشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المتوفى رحمه الله عن أبيات وصلت منه :

يازين أرباب الكمال ومَنْ غدا ... بحراً بل التحقيق أنك أبحُرُ

بحر اليراع تراه يقذف دائما ... نظما ونثرا ذا وهذا يبهر

والصدر بحر فوائد وشوارد ... والكف بحر للعفاة يفجر

وافَى لِىَ النظم الذى ألفاظه ... رَاقَ بها الأسماع حقاً تسكر

يصف اشتياقاً فى فؤادى منه ما ... عن كنهه لا أستطيع أعبِّرُ

وقس الفؤاد على الفؤاد مقربا ... إن الذى عندى أجل وأكثر

لكنه وافى النظام وفى القوى ... منّى فتور كِدْتُ منه أُدْثَرُ

(١) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

فاعذر وسامح في التخلف إنه حظي يعاملني بما يستنكر

بلغ إلى القاضي العماد تحيةً من طيبها أرجاؤكم تتعطر

وعليك ألف تحية وبقيت في أفقِ المعالي والكمال تصدر

* * *

ولما استدعى سيدي المولى العلامة بدر الإسلام محمد بن زيد بن المتوكل رحمه الله من الوالد البدر رحمه الله شرحه على الجامع الصغير المسمى بالتنوير أرسل إليه بالجزء الأول منه فطالعه أشهراً ثم أرجعه وقد كتب على ظهره أبياتاً يمدحه ومؤلفه رحمه الله فلما رأى الوالد البدر ما كتب وذلك في سنة ١١٥٨ أجاب عليه بقوله :

وافى إلى سُوح الأسير من ماجد مَلِكٍ خطير

نظم هو السحر الحلا ل والقلائد في النحور

لا بل هو الروض النضـ ـير بل يجل عن النظير

كالزُّهر أو كالزَّهْرِ لا ما للزواهر والزُّهور

أو كالمُدَامِ ولا أرى ضم النظام إلى الخمور

هذي كؤوس ذوي التقى أنفيس كاسات الفجور

أبيات نظمك حيّرتْ فكري فدلّ على قصوري

وأنا الخبير ولي يقا ل لقد سقطت على الخبير

حتى لقد أظهرت مـ ـجزة فخار لها ضميري

لا غَرْوَ إن حزت القليـــل من الكمال مع الكثير

هلا تركت لنا اليسـ ـير فنحن نقنع باليسير

حتى نُجَارِي نظمكم للدر بالدر النثير

لله دَرُّكَ من إما م عارف بحر غزير

وَأفَانِيّ التنوير يهـــ ـــزء بالكبير مع الصغير
يزهو بما خلع الربا ع عليه من وشى الحرير
فسواده وبياضه ليل على صفحات نور
أضحى بنورك زاهرا يزهو على فتح القدير
وأتى عليكم شاكرا شكرا إلى يوم النشور
دامت عليك تحيتى تُهْدَى على مر الدُّهور

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً على السيد الإمام العلامة الكامل ضياء الدين عيسى ابن محمد بن عبد القادر رحمه الله عن أبيات كتبها إلى مولانا البدر من شبام فى شهر شوال سنة ١١٤٠ هـ أربعين ومائة وألف .

ما يصان الغرام بالتستير فابرز المستكن طىّ الضمير
ثم بُحْ بالهوى وناد جهاراً مَن مُجيرى من الهوى من مجيرى
فى الغرام العُذرِىّ للصب عُذْرٌ فلهذا أضحى عَذُولى عَذيرى
كان من قبلُ ذا يجذب جهلا منه إن الإغرا من التحذير
رفع العذل إذ رأى العذر للصب صريحاً فى جفنها المكسور
قد مَلَكْتِ الفؤاد يا أخت سَعْدٍ فاعدلى فى محبتى أو فجورى
صرتُ رِقّ الهوى ولا يبتغى الر ق كتاباً فى الرِّقّ بالتحرير
لست أرضى إلا مكاتبة المو لى إمام التحرير والتقرير
مفرد جامع اشمل المعالى سالم جمعه عن التكسير
يا ضياء الهدى بعثت بدُرّ ما رأينا نظيره فى البحور
والغوانى تودُّ لى حلّ منها حين تجلى قلائداً فى النحور
أمُداماً أهديتَ لى أم نظاماً فعله فى العقول فعلُ الخمور
أم رياضاً بقاعهن رِقاعٌ أثمرتْ بالمنظوم والمنثور

أم أتانا من بابلٍ سحر هارو ... تَ وماروت فى بطون السطور
يا إمام العلوم عقلا ونقلا ... وعظيما مبجّلاً فى الصدور
خذ جواباً أبياته فى قُصُورٍ ... عن نظام أبياته كالقصور
ما أتى بالجناس واللف والنشـ ... ـر ولا بالتعجيز والتصدير
لست أرضى تسطيره لكن التعـ ... ـجيز منكم دعا إلى التسطير
زاد طولا لنقصه عنه فى الطو ... ل فهذا التطويل من تقصيرى
دُمتَ فى نعمة ودامت صلاةٌ ... وسلامٌ على البشير النذير
وعلى آله الذين ثناهم ... قد أتانا فى آية التطهير

* * *

وله بل الله بوابل الرضوان ثراه جواباً على الفقيه الأديب أحمدبن حسين الرقيحى رحمه الله عن بيت مفرد عتاب لماتأخر جواب مقطوع أرسله إلى مولانا البدر وهو:

عدم الجواب هو الذى ... قد دلنى بقصور شعرى

والجـواب هو

أبيات شعرك لاقصور بها ... وهى القصور لكل من يدرى
ترك الإجابة ماله سبب ... غير اعتقادى الضَّعفَ فى شعرى
أيجوز أن أعطى الحصى عوضاً ... منى على عِقْدٍ من الدّر
لما تقاضيت الجواب قضى ... بالعفو عن نظمى وعن نثرى
فخذ الجواب ولا تؤاخذنى ... ياشمس واغفر زلة البدر

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على الفقيه المذكور أيضاً :

إن كان من يبغضنا كارها ... لنشرنا الحقَّ على المنبر
وكلما أمليه عن أحمدٍ ... من صفة المبعث والمحشر

أو ذكرنا جنات عدن وما ... فى النار من هول لمن يجترى
وأمرنا بالعرف إخواننا ... ونهيهم جهراً عن المنكر
وأن يصلوا الخمس فى وقتها ... جماعةً فى الجامع الأزهر
وأن يزكوا وأن يصوموا وأن ... يصوموا المسنون فى الأشهر[1]
أو كارهاً تفسيرنا ما أتى ... عن ربنا ذى العزة الأكبر
أو دعوة الخلق إلى ربهم ... جهراً على الكرسىّ والمنبر
أو ذكرنا أحمد خير الورى ... ساقيهمُ من حوضه الكوثرى
أو ذكرنا بدراً وأحداً وما ... جاء من الأخبار عن خيبر
أو ذكرنا إثم الربا والزنا ... والضرب بالأوتار والمسكر
أو ذكر أهل البيت أهل التقى ... سلسلة تُنمَى إلى حيدر
أو صحبة من بذلوا أنفسا ... سالت على الصارم والسمهرى
إن كارهاً هذا وهذا وذا ... فبيننا الموقف فى المحشر
فياتقىّ الدين مَنْ نظمُه ... فى رتبة تسمو على المشترى
عِقْدُ نظامٍ منك قد جاءنى ... مفصل بالدر والجوهر
نظمٌ إذا قيسَ به غيرُه ... كان السهى قد قابل المشترى
وصفت فيه أن أهل التقى ... من عالم أو فاضل خيّرِ
يرضون ما فهت به خاطباً ... وليس يرضاه الجهول الجرى
فالمصطفى قام كذا خاطباً ... فمنهم المؤمن والممترى
فقال هذا ناصح صادق ... وقال هذا كاذب[2] مفترى
ما ضر إلا نفسه من غدا ... يكذّبُ الحق ولم يشعر
يا أحمد جوزيت عن أحمد ... وآله فى يومك الآخر

---

(١) ثلاثة أيام من كل شهر سنة أبى القاسم صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) فى الأصل «كاتب» والصواب ما أثبتناه لأن الكفار لم يتهموا النبى بأنه كاتب.

فأنت حسان الزمان الذي قد ساد في الخبر والمنظر
يا واحد الآداب في عصره ليس على الله بمستنكر[1]

* * *

وله رحمه الله جواباً على المولى العلامة النبيه عبد الرحمن بن علي بن إسحق رحمه الله عن أبيات وصلت منه في شهر شوال سنة ١١٧٨ ﻫ والجواب في غير بحر الأصل .

خلعت ردى التشبيب عن منكب الفكر فقد أخذ الشيب الشبيبة من عمري
ولما رأيت النسر عز ابن دايرة وعشعش في وكريه جاش له صدري
وجاوزتها سبعاً وسبعين حجة فقد بيضت شعري وقد سودت شعري
فأصبح فحماً في رماد تفكري وأضحت أكف الذاريات له تذري
ومن صحب الدنيا رأى كل عبرة وفي نفسه باقي الأعاجيب من الأمر
سهرت ومالي علة تمنع الكرى وصرت غريباً بين أهلي وفي قطري
إذا مالقيت الناس لم أدر من هم لأنهم أبناء أبناء من أدري
وهم إن أرادوا أنكروني كأنهم يقولون هذا جاء من هرمي مصر
وما الشعر إلا للشبيبة والصبا ومن بعد ذا ماللشيوخ وللشعر
وما الشعر إلا كالغواني إذا رأت بشعرك شيباً لم تزرك إلى الحشر
أمن بعد نثر الشيب نظم شبيبتي أتوق إلى نظم القريض أو النثر
ولا أرتضي للشيب ذما فإنه وقار وفيه الاعتبار لمن يدري
سلوت به عن كل غيدا وأغيد فلا أشتكي هجراً لشمس ولا بدر
ولكن أبياتاً سبتني كأنها عيون المها بين الرصافة والجسر
إذا ارتشفت من كأسهن مسامعي جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

---

(١) صدر قول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

تذكرني عهد الشباب ولم أكن … نسيت ولكن زدت جمراً على جمر

حبيبي أَبِنْ لى ماالذى قد بعثت لى … هو الشعر أم نوعا بعثت من السحر

أم الزهر أم زهر الرياض بعثتها … فها هى تروى لى عن الزهر والزُهر

فيا ابن عليٍّ قد علوت وحبذا … فإنك من قوم لهم رفعة القدر

ملوك وفى كل الفنون أئمة … فذكرهم قد سار فى البر والبحر

فقد سبقوا السباق فى كل غاية … فأوصافهم فى كل ناحية تسرى

سقى جدثا قد ضمهم كل ديمة … من الروح والريحان طيبة النشر

ومامات من أبقاك تُحيى مآثرا … لهم وتربنا وصف من حلّ فى القبر

له خلق كالروض باكره الحيا … فيفترّ منـــه ضاحكا باسم الثغر

إذا جئته لاقاك بالبشر ضاحكا … كأنك تعطيه الذى أنت تستقرى

له فطنـــة وقادة فكأنه … يرى مايراه الناس بالعين بالفكر

ويغشاه طُلاّبُ القراءة والقِرى … فيقرى على كل المعانى من يقرى

تبارك معطيك الكمال وإننى … أعيذك بالسبع المثانى وبالذكر

وعذراً إذا كان الجواب كما ترى … وإنى بالحصباء أكافى عن الدُرّ

وأعجب منه أن فُلْكَ قصيدتى … جرى بى فى بحر سوى ذلك البحر

ولم يجر فى البحر الذى قد ركبته … خشى غرقا إن كان فى بحركم يجرى

فإنك رُبّانُ البحور وإننى … إذا كنت رُبّانا ففى شاطىء البحر

ودم باقيا فى عزة وسلامة … تفوز بما تهوى إلى آخر العمر

* * *

ولما اطلع المولى الفهامة العلامة عبد القادر بن أحمد رحمه الله على أبيات المولى عبد الرحمن بن على رحمه الله وجواب مولانا البدر رضى الله عنه كتب إلى المولى البدر أبياتاً فى بحر جوابه وأرسلها من كوكبان فى شهر ذى القعدة سنة ١١٧٨ ﻫ فأجاب مولانا البدر رضى الله عنه .

على قَدَرٍ قد جاء فى ليلة القدر ... كتابُ حبيبٍ طيِّبُ النشر والبِشْر

وشِعْرٌ أتانى جل قَدْراً عن السِّحرِ ... وزاد على نور الدرارى والدُّرِّ

فلم أدر ما أوصافه غير أننى ... غدوت لدى أوصافه حائر الفكر

شكا من نوًى قد طال عهداً وما درى ... عساه نوى وصلاً يذوب عن الهجر

فرب انفصال كان للوصل وصلة ... كما أن بعد العسر يسراً فى الذِّكْرِ

ترقب طلوع الشمس بالوصل والالقا ... فنظمك بشرى بالتباشير للفجر

وإن ظلام البعد قد آن أن يُرى ... بياضَ اجتماع قد شفى علة الصدر

ويخضرُّ روض الوصل بعد دواعه ... وأغصانه تختال فى الحلل الخضر

فيامن إليه ينتهى الفهم والذكا ... ويا فخر أهل العصر حسبك من فخر

جمعت كمالاتٍ ولُطْفَ شمائل ... فأنت فريد العصر نادرة الدهر

تقضَّتْ لنا أعوام وصل كأنما ... يرى عامنا فى سرعة السير كالشهر

وليس لنا إلا المعارف لذةٌ ... وهل غيرها بالله كأس من السكر

وكنا وأنتم فى اجتماع كأننا ... خليطان من ماء الغمامة والخمر

وليس لنا شغل سوى العلم ليته ... يدوم لنا فى القبر والحشر والنشر

فوالله ما أخشى من الموت إنما ... أخاف فراق العلم والدرس والذكر

وإلا فما الدنيا وماذا نعيمها ... مصائبها فى كل ناحية تسرى

ألست ترى فيها وتسمع كلما ... كرهت وتلقى دائماً كل ذى شر

وتأتيك أحياناً بكل مغفل ... جهول على أعطافه حلل الكبر

بلى إنها دار التقى لمن اتقى ... ومزرعة الأبرار للعمل البر

وتدّخرُ الطاعات فيها لوقتها ... ويا حبذا الطاعات للعبد من ذخر

وله رضى الله عنه جواباً على المولى العلامة عبد الرحمن بن على بن إسحق رحمه الله :

زارت وقد ولى الهوى العذرى … عنى وأولى غاية الهجر

أنَّى يواصلنى الغرام وقد … وليَ المشيب سياسة العمر

من بعد أن عزل الشباب سُقِى … عصر الشباب سحائبُ القطر

لله ما أحـــــلى إمارته … متصرفاً بالنّهى والأمر

فعنِ التغزّلِ فكرتى عُزِلَتْ … وكذا عن التشبيب فى شعرى

فالشيب والتشبيب ما اجتمعا … ما ائتلفا والصحبـــــة القسر

وملاعب اللذات قد هجرت … وَصْلِى وحق لذاتها هجرى

ماذا ترجّى من وصال فتى … خلع العذار عن الهوى العُذْرِى

وأرى الغوانى إن نظرن إلى … شيبى نظرن بأعين شَزْرِ

صارت لدىَّ كأنها عدم … وأنا لديها ساكن القبر

ورد الخدود لدى فما … للورد من طَلٍّ ولا نشر

وكذاك رُمّانُ النهود غدت … كالورم من ألم على الصدر

لا الطيف يطرق مقلتى ولا … أشكو الجفا وتطاول الهجر

وأرى الرقيب هو القريب كما ال … واشى صديق صادق السر

فعرفت حقاً أنه غلط … وصف النسا بمحاسن الشعر

تشبيه أعينها وقامتها … بالسيف مسلولا وبالسمر

والشعر بالليل البهيم به ال … أقراط مثل الأنجم الزهر

هـذا أراه كله غلطاً … قد تُبْتُ عنه توبة القسر

وأرى الورى طراً بتجربة … ما فيه من شمس ولا بدر

إلا الذى حلَّ السما وأتى … بمنافع جلّتْ عن الحصر

مالذّ لى بعد المشيب سوى … كأسِ النظام أداره الفخرى

أهي السماء أم الرياض فقد جاءت لنا بالزهر والزهر
وكأنها من بابل عصرت فأتت بأنواع من السحر
أما الحقيقة فهي معجزة والذا تحير عندها فكري
يافخر دين الله من فَخُرَتْ بنظامه صنعا على مِصْر
بحر من الآداب قد قذفت أقــلامه بمحاسن الدر
وذكرت ماقد كان من نفر كل لعرضي منهمُ يَفْرِي
بل بالغوا وأراد كلهم أن يوردوا جسمي إلى قبري
وتصدروا لأذيتي ولقد ملأتْ محبة مثلهم صدري
أبناء إخوان لنا درجوا كانوا العيونَ بأوجه الدهر
كنا وهم روحانِ في جسد ولأنت يافخر الهدى تدري
وأنا أبو أبنائهم فلما جهلوا عقوقي عناية البر
والكل من بحرى قد اغترفوا وبه قد اعترفوا بلا نكر
أشعارهم بمدائحي ملأت سُفُنَ القريض بكل مابحر
حيا الحيا مثواهمُ وسقى جَدَثًا حواهم وابلُ الأجر
وبقيت بعدهمُ تعيد لنا آثارهم بالنظم والنثر
ومكارم نشرت فلو سبقت لم يبق للطائِيّ من نشر
واسلمْ ودم في نعمة فلقد طولت إذ قصرت في الشعر
فاعذر وسامح واغتفر وأَزِلْ أبياتَ شعري حُلَّةَ الستر

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على القاضى النبيه محسن بن إسماعيل عطف الله رحمه الله عن أبيات وصلت منه من كوكبان يستدعى راقم الأحرف(١) والصنو إسماعيل بن أحمد الأمير رحمه الله وطلب الإذن من المولى البدر رحمه الله :

بعثت بشعر أم بعقد من الدر فها أنا لا أدرى وإن كنت قد أدرى

(١) أى جامع الديوان المولى العلامة الحافظ عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأمير رضى الله عنهم .

وما كنت أدرى أن فى كوكبان ما ... يصاغ به نظم من الكوكب الدرى

سما عند أكناف السما فحصاؤه ... بتربته نوع من الأنجم الزهر

فيلتقط النُّظَّامُ منه نظامه ... فيأتى بما فيه تحير ذو الفكر

ووافى نظام الحسان مُخبِّرٌ ... بحسن وداد منه قد حل فى الصدر

صدقت فقس وُدِّى بودك إنما الـ ... وداد قياسى كما قيل فى الشعر(١)

وكنا نُرَجِّى منك وصلا مُعجلا ... فأشعر منك الشعر بالبُعْد والهجر

وما كنت إلا مُخْبِراً لى إنما ... تبلغ إسماعيل(٢) من فاز بالكسر

وراح سليما ثم عاد مكسراً ... على جمل من فوق تهن به يسرى

وقد كان شيعيا فعاد مسائلا ... لدى الطب فى صنعاء عن مذهب الجبر

فيا ابن الضيا عاد الضيا لك شاكرا ... بحسن تلقيه وبالبشر وبالبر

وعدت بأنك العيد عندى جازما ... وتحضر فى نحر الضحايا ضحى النحر

بصنعاء دار العلم والحلم والتقى ... سقى سوحها هطال سحب من القطر

ولا غرو إن آثرت أهلا ووالدا ... علينا وآثرت الملوك ذوى الأمر

ذوى العلم فى كل الفنون وعندهم ... تجد معدنا إن شئت للنظم والنثر

وما زلت تستدعى الضيا وابن عمه ... وتأخذ رأيى فى الضياء وفى الفخر

إلى سُوحِكَ الرَّحْبِ الرحيب الذى غدت

منازله للضيف كالبيت والحجـــــــر

نعم قد أذنا للضيا دون صِنْوِهِ ... فإنك تدرى أنه عمدة البــدر

---

(١) قال الشاعر :

قس فؤادى على فؤادك فى الود ... فإن الوداد عـلم قياسى

(٢) هو الطبيب إسماعيل العجمى خرج مع القاضى محسن الى كوكبان واتفق أنه سقط فى بابه مطهار فى بيت القاضى محسن فكسر رجله أو آلمها من دون كسر وعاد الى صنعا مريضا وكان قبل خروجه معه يقرأ على مولانا البدر رحمه الله .

إذا ما أردنا أي سفر أتى به ... ويجد منى فيما أريد من الأمر
أذنت لإسماعيل يوما وثانيا ... وخمسة أيام بيوميه فى السفر
فأول يوم للصفى[1] زيارة ... يُقبل كفاً تبدل العسر باليسر
وثانيه ضيف عندكم وثلاثة ... يزور بها الأعيان فى ذلك القطر
سلام عليكم بعد سَيِّدِيَ الصَّفِي ... إمام العلى لا زال فى أطيب العمر

* * *

أنشد ابن أبي الحديد رحمه الله لنفسه مخاطبا رب العزة :

فيك يا أغلوطة الفكر ... تاه عقلى وانقضى عمرى
سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلاَّ عَنَا السفر
رجعتْ حيرى وما وقفت ... لا على عين ولا أثر
فلحى الله الأُلَى زعموا ... إنك المعروف بالنظر
كذبوا أن الذى زعموا ... خارج عن قدرة البشر

* * *

فقال مولانا البدر رحمه الله ردا عليه فى إطلاقه أغلوطة على الله عز وجل وغير ذلك مما فاه به :

إطلاق أغلوطة عليه كما ... قد قلته لا يسوغ فى النظر
فليس فى الذكر ما ذكرت ولا ... روى لنا فى الصحيح فى الأثر
لو سافرت منكم العقول إلى ... بحر الهدى فى سفائن الفكر
بحر كتاب الإله لا انقلبت ... خالية من حلاه بالدرر
لكنها سافرت على طرق ... قد حار خريتها عن السفر

---

(١) هو المولى العلامة أحمد بن محمد بن الحسين رحمه الله .

سار بها الجبائى وشيعته ... فما انتهوا كلهم إلى وطر
فلا تلح الألى فما طلبوا ... عيناً ولا غيرهم من البشر
فإنهم أجمعين قد وقفوا ... على الذى قد نفيت من أثر
هذى السموات من مؤثرها ... والأرض فى تربها وفى الحجر
وأنت من نطفة مخلقة ... حباك بالسمع منه والبصر
والعقل حتى غدوت فى جدل ... فأنت أنت الدليل فى النظر
قال إله الجميع عز وفى ... أنفسكم فانظرن واعتبر
تعلم علم اليقين أن لنا ... رباً عليه الدليل فى النظر
فقف ولا تقف غير منهجه ... ينجيك يوم الحساب من سقر
واشدد رحال الأفكار للسفر ... إلى رياض الآيات والسور
تظفر بالحق إن ترده كما ... غيرك منها قد عاد بالظفر

* * *

وله تغشاه الله برحمته :

أدام علينا ربنا كل نعمة ... وضاعف ما أعطى ووفق للشكر
وأصلح أعمالى جميعاً وقادنى ... إلى كل خير عند خاتمة العمر

* * *

وقال رحمه الله أخبرنى الفقيه أحمد بن على النهمى رحمه الله أنه رأى فى نومه ورقة فيها كتب حفظ منه قوله . وتهدى من تشاء إلى النور . فقلت :

لك الحمد كل الفضل منك وإنما ... تخص بتوفيق ولطف وتدبير
وتجذب من أحببته بعناية ... إليك وتهدى من تشاء إلى النور

* * *

وكتب رضي الله عنه على نسخته من «إيثار الحق على الخلق» تأليف الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله ما لفظه «اتفق فى سفرنا إلى بيت الله الحرام سنة ١١٢٣ هـ ثلاث وعشرين ومائة وألف أنه أصاب هذه النسخة ونسخة أخرى من الإيثار بل وحصهما من بين كتب كثيرة ، فلما رأيت اختصاصهما بذلك ، قلت :

أنظر إلى الإيثار كيف أصابه عين الكمال لفصرة الإيثار
فإذا نظرت إليه فاتلك[1] متنه عن حالك الأشفار فى الأسفار

* * *

وله رضي الله عنه فى العذار فى معنى سبق إليه المولى القاسم بن حسين بن إسحق رحمه الله :

لاح عذار الحبيب يوما فقال والدمع منه جار
أرش بالدمع صحن خدى ويكنس الحسن بالعذار[2]

* * *

وله رحمه الله آمين :

إنما سمى العذار عذاراً لاعتذارى إذا هتكت العذارا

---

(١) على طريقة « ولوان واش » .

(٢) قال سيدى القاسم رحمه الله ، وهو معنى غير مسبوق :

تعذر من أحب فراح يبكى وساب الحسن عاد أى عار
وقد غسلت محاسن وجنتيه بأدمعه ومكنسه العذار

والمولى الحسن بن إسحق فى معناه :

تعذر من أحب فقلت عنى ترحل بالهواء بالسلامة
فقد كنس الزمان جمال خلى وألقى فوق خديه العمامة

وقال فيه أيضاً :

لقد كنس الزمان جمال خلى فقلنا للهوى ارحل بالسلامة
فإن الدار تؤذن عن قريب إذا طرحت بساحتها العمامة

كيف لا أمتطي القوام إليه وهو روض وكان قدما قفارا

* * *

وله رضي الله عنه في الرد على المعنى الأول وحسن التعليل :

إنما هبت الريح على خـــد حبيبي فأثرت فيه غبره
فكنفناه بالعذار فأضحى وهو بدر قد خاض السحب أسره

* * *

ووصلت إليه أبيات من المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله في بشارة برؤيا صالحة فأجاب عليه في حينه :

لله بحرٌ منك زاخره أعطى اللآلى والجواهر
قلّدتَ عنقى بالمــد ائح والمدائح والمفاخر
ما لمشـــالافة واليقيـ مة عنده كنوز معاصر
ما أنت إلا آية فقت الأوائل والأواخر(١)
إن جئتَ بالنظم البديـ ـع أتيت بالدرر الفواخر
أو خضت فى بحر المعا رف جاء ما بهر النواظر
ولقد أتتنى منـــك مُعْ جزةٌ بها أبداً أفاخـــر
وبشارة من صادق قرّت بها منا النواظر
تنزيه رب العرش لى بالحق فى كل المنابر
بينى وبين حواسدى يوم به تُبلى السرائر

* * *

---

(١) قد كتب فى الأصل رواية أخرى بدل « فقت الخ » وهو (فاق الأكابر والأواخر)

ولما أراد الأخ العلامة الفهامة إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله العزم إلى بيت الله الحرام للحج واستأذن والده البدر رحمه الله فأذن له وكان عزمه فى يوم الأحد ثامن عشر شهر جمادى الآخرة سنة ١١٨٢هـ اثنتين وثمانين ومائة وألف كتب مولانا البدر رضى الله عنه هذه الأبيات ، وهى قوله :

ولما عرانى الضعف من كل جانب … وجاوزت مافوق الثمانين من عمرى

عجزت عن الأسفار قصدا لمكة … وطيبة دار المصطفى مفخر الفخر

بعثت إليها من يعز فراقه … علينا ودمع العين منهمل يجرى

بُنىّ الذى بالعلم والحلم والحجى … أحاط وأضحى وهو من ولد بكرى

يقوم مقامى فى الذى أنا طالب … مَنَ الله ربى خالقى واسع البِر

مجيب الدعا جزل العطا غافر الخطا … ومن أترجّاه ليغفر لى إصرى

ويرحمنى قبل الممات برحمة … بها تشرق الأنوار فى اللحد والقبر

يثبتنى عند السؤال به ولا … أقول بقبرى للمسائل لا أدرى

فذاك قول المنافق لا سوى … وإنى بالإيمان منشرحُ الصدر

خدمت كتاب الله والسنة التى … أتتنا عن المختار من صحبه الغُرّ

نشرت لواها فى ديارى ولم يكن … تولاها بمنشور وسائلُ من يدرى

وأرجو بأن يبقى الذى قد نشرته … بها دائما حتى يدوم إلى الحشر

ليجرى لمن قد سن ذلك أجره … كما صح فى الأخبار عند ذوى القدر

فيارب أصلح لى أمورى مُطهّراً … لقلبى عن أدران ذنبى والوزرِ

وزدنا هُدًى يهدى جوارحنا إلى … مرادك فى سر الأمور وفى الجهر

إلهى ووفقنى لما ترتضى فقد … تعاظم ما فرطت فى سالف العمر

أتيت الذى لا ترتضيه تجاريا … وأعرضتُ عما فيه فوزى من الأجر

وأنت مع هذا لك الحمد مُسْبِلٌ … علينا سرابيلا طوالا من الستر

مدِرٌّ علينا سحب نعماك دائما … وكم تمنحنا بالتقاصر والفقر

ولا بالغنى المطغى ولكن بحالة ... هى الوسط المحمود جل عن الشكر

وهبت لِيَ الأولاد ثم جعلتهم ... أفاضل فضلا منك يا نافذ الأمر

فزدهم هُدًى واهدِ الجميع إلى الذى ... به ترتضى فى الجهر منا وفى السر

وأختم أقوالى بقول شهادة ... هى القول منى دائماً مدة الدهر

بأنك أنت الله لا رب غيره ... وليس سواه خالق منزل القطر

ليُحْيِي به أرضاً مواتاً وهذه الـ ... قلوب مواتٌ فاحيها منك بالذكر

لتثبت إيماناً يقينا وفكرة ... بها فتح أسرار السرائر بالسر

تدور على الآفاق ينظر ما بها ... من الحِكَمِ اللاتى تجلُّ عن الحصر

فتزداد إيماناً على كل لحظة ... كإيمان أصحاب الرسول ذوى بدر

ويا سيد الرسل الكرام شفاعةً ... أفوز بها فى يوم حَشْرِيَ والنشر

فإنِّيَ قد أوذيت فيك لنصرتى ... لسنتك الغراء فى البر والبحر

وكم رام أقوام وهموا بسفكهم ... دمى فأبى الرحمن نَيْلِيَ بالضر

كما هَمَّ أقوام بخير الورى فلم ... ينالوا سوى خزى وَوِزرٍ على وزر

وأسأله صبرا على فقد من سرى ... إليك وكنا لا نحب بأن يسرى

ولكنه مذ كان فيك مسيره ... إلى البيت ذى الأستار والركن والحجر

وهزته نار الاشتياق فقلبه ... لشدتها كالقِدْرِ كان على الجمر

وكان إلى المختار جُلُّ اختياره ... إلى روضة قد جاورت تربة القبر

سمحنا به فاسمح بكل كرامة ... له وتلقى طىَّ نجواه بالنشر

وحُفَّتْ به الألطافُ من كل جانب ... ولا يلتقى عسراً ببحر ولا بَرِّ

بُنَيَّ وصِلْنِي بالدُّعَا كلَّ لحظة ... ولا تنسى فى ساعة منك عن ذكرى

وسَلْ لى الدعا من كل شخص تخاله ... تقياً ومن بر ومن عالم حبر

وصل على المختار والآل دائماً ... وصحب رسول الله أشياعِهِ الغُرّ

* * *

وقال رضى الله عنه فى التلخيص للحافظ بن حجر رحمه الله إن العبادلة إذا أطلقوا ، ثلاثة . ابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وجزم بهذا وكرره ، وذكرهم الزمخشرى وغيره كذلك فقلت :

إن العبادلة الأخيار إن ذُكروا ... فهم كما قاله العلامة ابن حجر
الحبر البحر ثم ابن مسعود كما نقلوا ... وثالث الكل عبد الله نجل عمر
والمجد[1] زاد ابن عمرو والزبير معاً ... ولم يعد ابن مسعود ففيه نظر

* * *

البحر : هو عبد الله بن عباس . وفى القاموس أربعة : ابن عباس ، وابن عمر وابن الزبير، وابن عمرو ؛ وقال : وليس ابن مسعود منهم :

وله رحمه الله فى الإيهام :

وفتى أتانى سائلا ... عن كل إشكال خطير
ويقول هل لى من نظـ ... ـير قلت[2] مالك من نظير

* * *

وله رضى الله عنه :

ومايلك عنه ما شئت فقل ... ما على ذكراه فى ذاك وزر
إذ لأموال الورى فى داره ... ولأوزار له لفٌّ ونشر

* * *

وله رحمه الله فى المراجعة سنة بسنة :

وحبيب طول الهجر ولم ... يجْرِ إلا مَدْمَعٌ لى مستمر
ثم وافانى وقد أتلفنى ... فاتحاً باب عتاب وهو مُرّ
قلتُ أغلق قال لِمْ قلتُ جفا ... قال عمداً قلت عمداً قال صبر

* * *

---

(١) صاحب القاموس المحيط .

(٢) فى الأصل « فقلت » وما أثبتناه هو الموافق للوزن .

وله رحمه الله فى الجناس المركب .

وكم غافلٍ غره مادح ... بخطبته راقياً منبرا
تبختر تيهـا لإطرائه ... ونازع فى الكبريا من برا

☆ ☆ ☆

وقال رضى الله عنه: وصل إلينا من سيدى العلامة زين العابدين بدين محمد الخالد رحمه الله هذا اللغز وهو قوله :

يا عالما قد شاع فينا ذكره ... وقد علا فى العالمين قدره
ما اسم رباعى يكون خُمسُهُ ... ونصفه بغير شك عشره
فى قلبه نار وطود شامخ ... وقد يرى مصحفاً مقره
ورفعه حتم وجاز فتحه ... فى نصبه ولا يجوز جره
واللوح والقلم فيه ظاهر ... وقد أبيح طيه ونشره
وفيه للبارى مدح وثنا ... وفيه حمده وفيه شكره
يجوز عند الشافعى نقله ... وعند كل مده وقصره
ولا يجوز نقله فى موضع ... بلا خلاف قُلُّه وكثره
ليس بمخلوق ولا بخالق ... ومن يقل ذلك حل كفره
وليس بالقرآن فافهمه نعم ... كرر فى القرآن أيضاً ذكره
أجب فإنى لك قد أوضحته ... بنظم عقد جوهرى دره
لا زلت فى عزة وسعد دائماً ... فى ظل عيش قد حلا عمره

☆ ☆ ☆

فقلت مجيبا عليه :

يا فاضلا وافى إلينا شعره ... وجاءنا ما قد أجاد فكره
نظم حلا على اللسان لفظه ... كما حلا ضميره وسره

ما غير ذي ذهن وفكر جيد — يعلن بالتحقيق ما يسره

وقد أصابت فكرتي فيما أرى — وما تموهت في نظامي نشره

وذلك القرآن فهو خمسة — في الوزن لكن دون ذلك زبره[1]

ونصفه[2] في سور في عشره — ثلثان مع خمس فهذا كسره[3]

تضمه فوق عقود خمسة — من قبل[4] حشر والحساب حشره

في قلبه نار صدقتم وكذا — قاف المحيط قد حواه صدره

وقد يرى مصحفاً في لفظه — كما يرى مصحفاً فقره[5]

ورفعه تعظيمه وفتحه — جاز لمن يقرأ منه كسره

وجره يحرم إذ فيه له — إهانة يجل عنها قدره

واللوح فيه ذكره وطيه — يجوز للتالي كذاك نشره

والروح قد علمنا فيه الثنا — له الثنا وهو العظيم بره

ونقله عند الجميع جائز — فكيف خص الشافعي دره

وقلت أيضاً لا يجوز نقله — بلا خلاف قله وكثره

أراك تعني حمله لراحل — إلى ديار من تناهى كفره

لا نقله تلاوة لمن به — جنابة فالخلف شاع ذكره

في كونه ليس بمخلوق ولا — بخالق من قال حل كفره

وقلت ما القرآن تعني فلقد — حار هنا على اللبيب فكره

تريد ليس لفظه مفرداً — عن المفاهيم فهذا قعره

---

(١) أي : كتبه .

(٢) أي نصف عدد سوره سبع وخمسون وهو النصف الأول إلى آخر سورة الحديد ، والنصف الثاني من « قد سمع » ثلاثة أجزاء ، عشر القرآن ، باعتبار الأجزاء .

(٣) أي كسره سبع وأعشاره خمسون .

(٤) أي من « قد سمع » عشر القرآن لأنه ثلاثة أجزاء .

(٥) أي مصحفا لفظا ومعنى ، كما إذا أردت « قرء » المتردد بين الحيض والطهر ، فتصحيفه لفظه أن القرآن العظيم « قرء » ، وهذا معنى ، وأما معنى « فقره » الصحائف أي المرقوم فيها .

بل المراد اللفظ والمعنى كما أشعرنا بما ذكرنا شعره
فهل أصاب الفكر فيما قاله أم لا؟ فعذراً فالقصور عذره

٭ ٭ ٭

وله رضى الله عنه ملغزاً إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

أىُّ ضميرٍ بارزٍ ولا يرى مستترا
وإن تشأ أعربته إعراب جمع كسِّرا
وإن تشأ فثنِّه وجمعه قد ذُكِّرا
حيناً يرى معرفا وتارة مُنكَّرا
أين لبيب عارف يُظهِر ماقد أضمرا

٭ ٭ ٭

فأجاب رحمه الله :

يأيها المولى الذى بعلمه فاق الورى
ألغزت فى اللفظ الذى ضميره قد ظهرا
حروفه أربعة إن كُتِبت بلا مِرَا
إن عوض الأول منها ألفاً وحررا
أراه من ألقاب مَنْ أجاد فيما أضمرا
وإن حذفت لامه منه وحرف أخرا
أنبأ عن ضم فهل كشفت ماقد سترا

وله رحمه الله فى حصر معانى الأمر ، وهى ستة عشر

رشأ[١] دمى أباح وأوجب[٢] فتنتى وطوى لى التهديد[٣] فى انذاره[٤]
وامتن[٥] بالإكرام[٦] وهو يهيننى[٧] فإذا ندبت[٨] فقل قتيل عذاره

أعجزت ٩ قلبي أنت محتقر ١٠ له سويت ١١ وقتي ليله بنهاره
صيرتني ١٢ خبراً ليسخر ١٣ بي العدا بلغ العدو مناه ١٤ في مضاره
فلأدعون ١٥ أقول يا من أمره كن لا تعذب ١٦ من صليت بناره

☆ ☆ ☆

وله رضي الله عنه في تشبيه المصطكي عند طفوه على القهوة :

طفا على قهوتنا المصطكي نخاله من لونه الأزهر
شبيه سلطان مضى حكمه فما يرى في كاغد أحمر

☆ ☆ ☆

وله رحمه الله مشيراً إلى ما نظمه المولى محمد بن إسحق رحمه الله في ذلك التشبيه :

رأيت تشبيه مولانا فقلت لقد أتى بنوع من التشبيه مبتكر (١)
أما أنا فرأيت الكأس راحته تجود بالتبر أحياناً وبالدرر
وتارة خلعاً منه مطرزة تعلو على كل ذي لون من البشر
مذ جاور البحر كاماً من أنامله أبدى عجائب قد دقت عن النظر
قد قيل جاور بحراً تغن أو ملكا ففاز إذ جاور الأمرين بالظفر
فلا تلمني إذا شبهت راحته بالكأس وهو عيون المال لا النظر

☆ ☆ ☆

وله رضي الله عنه في جمع الأسماء الحسنى ولم يكتب منها إلا مارقم هنا :

قف وقفة العبد الذليل الحقير بباب مولاه العزيز ١ الكبير ٢
قف قائلا سراً وجهراً له هذا مقام العائذ المستجير
بالملك ٣ الحق ٤ الإله ٥ الذي له الثنا وهو العظيم ٦ القدير ٧

---

(١) وهو قوله : وهو أول من اخترع هذا التشبيه .
ناولني الرئم الأغن قهوة ردت لي النشا بعد ما ذهب
طفا عليها المصطكي فأشبهت فص عقيق فيه نقش من ذهب .
وقد تبعه جماعة كثيرون من آل إسحق رحمهم الله .

الواحد[8] القدوس[9] سبحانه   الخالق[10] الرب[11] الكريم[12] الشكور[13]

الحكم[14] العدل[15] المجيب[16] الذى   كل عسير فلديه يسير

الماجد[17] القهار[18] والواحد[19] التوا   ب[20] تب تلق لديه الحبور

راقبه فيما أنت آت به   فهو عليم[21] وسميع[22] بصير[23]

وإنه المحيى[24] الولى[25] المميت[26]   فثق به فى كل شأن خطير

ليس يخاف الفقر من ربه   هو الغنى[27] المغنى[28] اللطيف[29] الخبير[30]

هو السلام[31] المؤمن[32] البر[33] من   إليه لا غير يكون المصير

الأحد[34] الفرد[35] الرشيد[36] الذى   من وصفه النور[37] ومنه الصبور[38]

الهادى[39] الباقى[40] الحليم[41] الذى   من حلمه ستر جميع الأمور

الخافض[42] الرافع[43] من شاءه   القابض[44] الباسط[45] وهو الغفور[46]

الصمد[47] المقصود فى كل ما   ترجو من دفع جميع الشرور

رازقنا[48] هل نختشى فاقة   وكل مخلوق إليه فقير

المحصى[49] المبدى[50] المعيد[51] الذى   بنفخة يبعث من فى القبور

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فى جمع صيغ الأدا من الصحابى رضى الله عنه :

لفظ الصحابى إذا روى خبراً   عن البشير النذير خير بشر

سمعته ثم قال ثم أمر   ثم أمرنا وقيت كل ضرر

ثم من السنة ثم عنه وقل   كانوا وكنا مقيداً بخبر

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه :

بالأمس تقسم لى بأن ستصوننى   وتصون ما ألقى من الأخبار

واليوم صرت تشيعه وتذيعه   فلأنت غربال على الأسرار

☆ ☆ ☆

وقال قدس الله روحه :

صار عند استعمال الطيب وشم رائحته يصلى من شم على المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فسئلت هل ورد بذلك أثر ؟ فقلت : لا أعرفه ، ثم خطر لى هذان البيتان فقلت :

يقولون هل عند الطيب يذكر أحمد فهل عندكم من سنة فيه تؤثر
فقلت لهم لا إنما الطيب أحمد فنذكره والشيء بالشيء يذكر

٭ ٭ ٭

وقال رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله عن أبيات عتاب للبدر وإخوانه وأولاده من آل إسحق رحمهم الله كيف طاب لهم التنزه فى الرياض وإخوانهم فى السجن :

نظامك وافانا فضاق به الصدر وضاق علينا المنزل الرحب والبَرُّ
وحقِّكَ يا بَدر العلى ليس مُشرِقاً لنا مجلس قد غاب عن أفقه البدر
ولكننا لما أصِبنا بفقــدكم ومد عليــكم ذلك العمر
فزعنا إلى الروض الذى منه خُلقــكم عسى يتسلى بالمظاهر لنــا الفــكر
فما زادنا إلا جَوًى وصَبابَةً ومن نار شوق كاد يحترق الزهر
على أنه لولا رجاء خَلاصِكم سريعاً لذاب القلب مما جنى الهجر
ولكننا فى كل حين ولحظة نُرَجِّى لكم قرباً يجود به الدهر
فتنجاب عنا ظلمةُ الهجرِ والنَّوى ومن غرة اللُّقيا يَحِل لنا الشكر
ونغفر للدهر المسيء ذنوبه ونلبس هذا الكون ما نسج الشكر

٭ ٭ ٭

مما وجد منسوباً للبدر رضى الله عنه ولم توجد فى حرف الراء فى الأم وإنما ألحقها القاضى العلامة محمد بن عبد الملك رحمه الله فى آخر الديوان لكون المحل فى الأم ضيقا وأنا نقلتها هنا :

سماعاً عباد الله أهل البصائر ... لقول له ينفى منام النواظر

فشقوا ثياب الصبر عند سماعه ... وصبوا من الأجفان دمع المحاجر

ولا تحسبوا هذا وفاء بحق من ... تقضى وأضحى فى مضيق المقابر

فقد قام ناعى الدين فيكم منادياً ... بأرفع صوت فوق أعلى المنابر

وأسمع سكان البسيطة كلها ... فما مؤمن للسامعين بعاذر

أوقر على الأسماع أم فى أكنة ... قلوب البرايا أم عمى فى البصائر

أيدفن فيما بينكم شرع أحمد ... ويهدم من بنيانه كل عامر

ولم يُرَ محزوناً عليه كأنما ... دفنتم عدواً فقده غير ضائر

ثكلتكم أين الناصح للهدى ... وأين النسامى للعلى والمفاخر

أضعتم وصايا المصطفى وهجرتم ... طريقته فى نهيه والأوامر

وجئتم بأمر منه يبكى ذو الهدى ... ويضحك منه كل رجس وخاسر

وتشمت من أفعالكم كل ملة ... ويصبح مسروراً بها كل كافر

فيا عصبة ضلت عن الحق والهدى ... ومالت إلى أفعال طاغ وفاجر

بأى ملوك الأرض كان اقتداؤكم ... فما لكم فى فعلكم من مناظر

أنافستم الحجاج فى قبح فعله ... ففعلكم فى الجور فعل مفاخر

يفديكم إبليس حين يراكم ... يقول بكم والله قرت نواظرى

نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم ... ولم تعملوا منه بنص وظاهر

خراجية صيرتم الأرض كلها ... وضمنتم العال شر المعاشر

لذاك الرعايا فى البلاد تفرقت ... وفارقت الأوطان خوف العساكر

وقد ضيقت بالعُشر من مالها لها ... وتسعة أعشار تصير لعاشر

فلم تقنعوا حتى أخذتم جميعها ... حوته وما قد أحرزت من ذخائر

إذا سئلت عن جوركم وفعالكم … أجابت علينا بالدموع البوادر

فقل لقضاة السوء لادَرَّ دَرُّكم … أمالكم فى نصحهم منهم قاهر

أما أخذ الميثاق ربى عليكمُ … بأن تنصحوا بالحق أهل المناكر

فنمتم بأخذ السحتِ منهم وبالرُّشا … ودافعتم عنهم بسيف المعاذر

معاذير راجت عند إبليس لاسوى … وما هى إلا ضحكة فى المسامر

وقلتم لمولى الأمر يأخذ مالهم … إذا ما عليهم خاف سطوة جائر

وما خاف مولاكم عليهم وإنما … غدا منفقا أموالهم فى العمائر

ويأخذ بالمنقول منهم عقارهم … ويعرض عما قد تلى فى التكاثر

ويَكْنِزُ ما فيها ليُكْوَى جبينُه … مع الظاهر منه يوم كشف السرائر

ويا عصبة من هاشم قاسمية … إلى كم ترون الجور إحدى المفاخر

ومن دون هذا أخرج الترك جدكمُ … ولو عاش أخلاكم بِحَدِّ البواتر

وأحللتم ما حرم الله جهرة … وشر ذنوب الخلق ذَنْب المجاهر

وجوزتم أخذ المكوس بأرضنا … وتوفيرها ظلماً على كل تاجر

وقلتم نرى فيها مصالح للورى … ورَبُّكمُ أدرى بكل الضمائر

تساويتم فى كل قبح فعلتمُ … أكابركم فى فعلهم كالأصاغر

أأحللتمُ أخذ الزكاة وأكلها … كإحلال أهل السبت صَيْدَ الجزائر

ورديتم نَصَّ الكتاب بمنعكم … فقيراً وإعطا الغنى المكاثر

أتيتم بأصناف الضلالات كلها … وجئتم بأنواع الأمور المناكر

وأما الجزاءات التى كُلَّ ليلة … تسمى سياراً وهى إحدى الفواقر

ففى بردقان أنفقت وحشيشة … وخمر خمار ولهو لسامر

لقد أثرَتْ هذى القبائح بينكم … وقد ظهرت فى كل بادٍ وحاضر

لما قد رأينا فى الحسين بن طالب … وتقطيعه مُلْقًى بجنب المقابر

وبان لكم من غير شك غريمه　　ولكن طرحتم فوقه ثوب ساتر
وحابيتم الجانى لأجل قرابة　　وخشيةَ أن يُخزِيكمُ فى المحاضر
أكابركم قد مُيِّزُوا لصلاحهم　　وإغضائهم عن موجبات الأوامر
بإقطاعهم ما حرم الله أخذه　　فسحقاً وبعداً بعد ذا للأكابر
وأشنع خَطْبٍ ما يقول خطيبكم　　من الكذب المنشور فوق المنابر
منابر كانت للمواعظ والهدى　　فما بالُها عادت لسُخْرَةِ ساخر
ملأتم بلاد الله جوراً وجئتمُ　　بما سُوِّدَتْ منه وجوهُ الدفاتر
ووليتم أمر العباد شراركم　　وخَوَّلتم أعمالكم كل ماكر
وقد كنتم ترمون من كان قبلكم　　بظلم وجور قد جرا فى العشائر
وقلتم نرى المهدى قد بان جوره　　لكل سميع فى الأنام وناظر
صدقتم لقد كان الظلوم وإنما　　بظلمكمُ قد صار أعدل جائر
فكل فتى قد كان يشكو فعاله　　وسيرته قد صار أحسن شاكر
وما أخذ الأوقاف قط ولا اشتكت　　مساجدنا فى عصره كفَّ قادر
ولا أمر الشجنى بأخذ مالها　　فيا بئس مأمور ويا خِزْىَ آمر
فيالأخذكم قد أغلقت من مدارس　　وكم من سبيل قد غدا غير عامر
وكم فى زَبيدٍ أغلقت من مساجد　　وأغلق فيها مسجد للأشاعر
وفى آنس كم قريةٍ قد تعطلت　　مساجدُها عن كل تالٍ وذاكر
ولو تشترى تلك المساجد باعها　　ببخس وما بالَى بصفقة خاسر
ويا وزراء السوء يا شر فرقة　　وأخبث أعوان لناهٍ وآمر
إلى أى حين فى الضلالة أنتمُ　　جهلتم بأن الله أقدر قادر
أما بالحربى الشقى اعتبرتمُ　　ففى فعله للخلق أعظمُ زاجر

هو الرأس فى كل الضلالات كلها   وأول من شاد الضلال لآخر

ولكنكم جئتم بأضعاف ظلمه   وزدتم على ماشاده من مناكر

وقلتم نرى الأجبار أموالهم لهم   خذوها عليهم يا ولاة البنادر

ولكن دعوا آل الخليفة كلهم   وأعوانه من حاكم ومؤازر

ومن خفتم من شره وفساده   كردمان وابن الحاج أهل العشائر

فما يفعل الدجال مثل صنيعكم   فلا تشتموا من بعد هذا بكافر

فأفعالكم لو رمت حصراً لعدها   لأفنيت فى الدنيا مِدَادَ المحابر

ويا علماء الدين مالى أراكمُ   تغاضيتم عن منكرات الأوامر

أما الأمر بالمعروف والنهى فرضكم   فأعرضتمُ عن ذاك إعراض هاجر

فإن هم عصوكُمْ فاهجروهم وهاجِرُوا   تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر

إذا كان هذا حال قاض وعالم   وحال وزير أو أمير مظاهر

ولم تنتهوا عن غيكم فترقبوا   صواعق قهار وسطوة قادر (١)

فما الله عما تعملون بغافل   ولكنه يملى لطاغ وفاجر

وقد أرسل الآيات منه مخوفاً   ولكن غفلتم عن سماع الزواجر

رماكم بقحط ماسمعنا بمثله   وحبس سحاب بالإغاثة ماطر

أجيبوا عباد الله صوت مناصح   دعاكم (٢) بصوت ماله من مناصر

وقوموا سراعاً نحو نصرة دينكم   إذا رمتم فى الحشر غفران غافر

وحسن ختام النظم أزكى صلاتنا   على المصطفى والآل أهل المفاخر

* * *

---

(١) وفى نسخة بدل « قادر » « جائر » وما أثبتناه هو الأليق بالمقام .

(٢) دعاكم ، أى الدين .

قافية الزاى المعجمة

قال المعرى :

كم غودرت غادة كعاب　　وعمرت أمها العجوز
أحرزها الولدان خوفاً　　والقبر حرز لهـــــا حريز
يجوز أن تخطئ المنايا　　والخلد فى الدهر لايجوز

٭ ٭ ٭

فقال مولانا البدر رضى الله عنه مجيبا على البيت الأخير :

والله ما أخطت المنايا　　ولا عليها الخطا يجوز
وإنما خالق البرايا　　الواحد القاهر العزيز
قدَّر آجالهم كما شا　　الطفل والكهل والعجوز
فمن تعامى وكان أعمى　　أنَّى لِنَيل الهدى يحوز

٭ ٭ ٭

قافية السين المهملة

وكتب إليه رحمه الله المولى العلامة الكامل ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله من قصر صنعا وهو فى الاعتقال عقيب وصوله أسيراً من بندر المخا وذلك فى عاشر جمادى الآخرة سنة ١١٤١ هـ أبياتا بديعة وأرسلها إلى البدر رحمه الله إلى شهارة على خفية من العيون يصف فيها بعض ما نزل به من الدهر الخؤون ويعتذر عن المعاهدة فأجاب عليه مولانا البدر رحمه الله نظما ونثراً لا يحسن تركه مثله هنا وهو :

إن فى إلباس القلب الصبر لسلوة ؛ وإن فى النظر فى أخبار من سلف لأسوة ؛

ولولا كثرة الباكين حولى　　على إخوانهم لقتلت نفسى

٭ ٭ ٭

عرفتم ماقصه الله تعالى من أنباء يوسف الصديق ؛ من إلقائه فى الجب العميق ،

ومن بيعه بثمن بخس كما يباع الرقيق ، ومن كيده بالفاحشة ، وشهادة قميصه له بالبراءة بلسان التمزيق ، ومن إيداعه في السجن بضع سنين في نهاية الضيق ، ثم آل أمره إلى أن ملك الرقاب كلها ، وألقيت إليه مقاليد الأمور دقها وجلها ، وشرقت شمس الفرج بعد ظلمة ليلة الامتحان ، وعلل بالتقوى والصبر ذلك العظيم من الامتنان(١) فمليك أيها المكروب بالصبر والتقوى ، إذا أحببت أن ترتشف كؤوس الحلاوى عند كشف هذه البلاوى ، وعظم الفرج بعظم الصبر ، والصبر يعظم بعظم البلية ، وأشد البلايا السجن للنفوس الأبية ، لذلك خصص الصديق بالذكر في قوله ، أخرجني من السجن تعظيماً لهذه المنة ، وفيه أي دليل على أنه من أشد ما أصيب به من المحنة ، ألا تراه لم يذكر نجاته من الجب المظلم ، ولا خلوصه من الرق المؤلم ، ليرشد إلى عظم هذه المنة ، كما أرشد سليمان إلى عظم ذلك عند تهدد الهدهد بقوله ولأسجننه(٢) ، وليس هذا من تعظيماً للمصيبة بل استجلابا لسحائب الصبر الظاهرة على ساحة القلب ، المذهبة لحرارة الكرب ، كما أني كثيراً ما أذكر قول الصديق ، «وجاء بكم من البدو» تعظيماً منه على هذه المنة ، كما عظم ما قرنها بها ، فخصص هاتين المنتين من بين المنن التي من الله عليه وعلى قرابته بها ، من رد بصر أبيه ، وقبول توبة إخوته ، وغير ذلك إرشاداً منه إلى عظم الاجتماع بالأحبة ، بعد الافتراق فأنا أوطن نفسي في الصبر على الغربة ، طمعاً في نيل هذه المنة ، فقد تشاركنا نحن وأنتم في هاتين القربتين وخص كل واحد منا بأحد الطرفين ، وعن قريب تنقشع سحابة هذا الاغتراب ، ويخرج من السجن من به من الأحبة مصاب ، ونقول كما قال :

وعاقبـــة الصبر الجميل جميلة وأحسن أخلاق الرجال التحمُّلُ

° ° °

ونقول : فهذا شأن رأس أسوة المسجونين ، وكم عدد لكم من عظماء أهل البيت المطهرين ، آخر من شاهدناه ، والدكم العلامة البحر ، سليم القلب البر ، إتفق له في أيام ابن عمه(٣) : ما يقال لكم فيه ، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه . وكم من إمام صده السجان عن نظر البرق ، وحجب عنه غربها والشرق ، كمن قال :

---

(١) حيث قال «أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر الآية » فجعل التقوى والصبر علة الامتنان .

(٢) التلاوة « لأذبحنه »

(٣) هو المتوكل القاسم بن الحسين سجنه ثلاث سنين أو أقل .

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى   برقٌ تألّق موهناً لمعانُهُ
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى متمنعاً أركانه
فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ   نظراً إليه وصدّه سجّانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سحّتْ به أجفانُهُ

☆ ☆ ☆

أنشده أبو الفرج فى أغانيه لبعض من لسعته من العلويين أفاعى أعاديه على أن هذا شيخكم لم يخض مع الخائضين، ولم يضرب بسهم مع الرؤساء ولا المرءوسين، أركبه الدهر غارب الاغتراب، وأفرده عن الديار، والأحباب، لم يزل تترامى به الديار، حتى كأنه كرة فى كف الليل والنهار . .

كأنما صيغ من حلٍّ ومرتحل   موكل بفضاء الأرض يذرعه

☆ ☆ ☆

حتى أنهاه إلى شامخ تمتد على هامته عمائم الغيوم، ويلتمس من ساحته، دارى النجوم، لايرقى إليه العقاب، ولا ينزل الأرض إلا من ذروته السحاب.

أصاحب فيه البوم والنسر والقطا   وصحبتها للمرء أجدى وأجدر

☆ ☆ ☆

حاشاه ماجداً أنسانا بالأوطان، بما أسبل من محاسنه والإحسان تنشده لسان المقال، ولايبلغ فى وصفه القول وإن طال . .

ولاعيب فيه سوى أن النزيل به   يلهو عن الأهل والأوطان والحشم

☆ ☆ ☆

ذلك بقية الآل. ونور حدقة الكمال، شرف الإسلام، الحسن بن القاسم ابن الإمام، أطال الله أيامه، وأدام إنعامه، وإخواناً مؤمنين، يرتشفون لدينا كاسات العلوم، ويذاكروننا مذاكرة أولى الفهوم، ويذكروننا تلك الأيام، التى نام عنا الدهر فيها، ثم استيقظ من نومه يحاسبنا عليها نحن وأنتم نتساقى كؤوس التحقيق، ونستنشق أرج رياض التدقيق.

أيامَ نحن وما يُخشى تفرقنا   واليوم نحن وما يرجى تلاقينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا

* * *

ألا إن الله ـ وله الحمد ـ جبر ألم الفراق ، بترياق هذه الأوراق ، فلقد صارت تسلى القلوب ، وتنزل منزلة لقيا المحبوب ، ولقد وافاني رقيمكم الذى يسترق الأفكار ، ونظامكم الذى لا يقاس به شيء من الأشعار ، ولولا تقاضى الجواب ، لما جرى قلمي بحرف من هذا الخطاب المسوق في قالب هيئة النظام ، وليس منه بل ولا يعد من الكلام . .

أنارُ تَشَكِّيك أم الحبُ طيّ قرطاس ... لقد أحرقت قلبي المعنّى وأنفاسى

لك الله أحرقت الفؤاد تعمداً ... وأنت مقيم فيه في ربع إيناسى

بمجالسكم فكرى ويلهو بذكركم ... إذا أنا فرد أو بساحة جلاسى

أفكر في دهر تغير طبعه ... فجاء بأنواع تسوء وأجناس

هو الدهر هذا طبعه مذ عرفته ... يقدم أقدام الأنام على الرأس

أظن به صرعاً شديداً أصابه ... فهل من طبيب يعرف النبض جساس

وإلا فهل قيد وزند وكية ... وشد له من بعد هذا بأمراس[1]

سقى الله إذ كان الزمان بعقله ... وإن كان فيه الطيش من عصر إلياس

وكانت توافينا رقاعك روضة ... تبسم بالمنثور والورد والآس

يباكرنا عَرْفُ النسيم بنشرها ... فتعرفها من قبل لمس لقرطاس

ونرقب إتيان الرسول كأنما الن ... سيم رسول كان من جملة الناس

فما بالها عادت سموماً وعادت الر ... قاع أفاعٍ محرقات لأنفاسى

خليليّ رفقاً إنما القلب مضغة ... أتحسبه في مهجتي جبلاً راسى

على أنه لو كان صخراً لدكّه ... نظامُ رثا الخنسا منه كمقياس

ألم يكفنى أن الزمان يظننى ... له كرة يرمى بها كل ديماس[2]

---

(١) المرس : محرك «والحبل» جمعه «مروس» وجمع الجمع «أمراس» عن القاموس .

(٢) الديماس ـ بالكسر ـ الكرة والسرب عن القاموس وجمعه دياميس .

وأن الليالي صولجـــان بكفه ... يخاذف بي عمداً على غير مقياس
فطوراً بأعلى الشامخات وتارة ... ببطن قفار بين وحش ونسناس
وحيناً بواقينا بكل معقل ... وحيناً بإخوان كرام وأكياس
على أنه ماالعيش من بعد فقدكم ... بعيش وليس الناس عندي بالناس
ولاالشمس بالشمس المنيرة في الضحى ... ولا البدر بالبدر المنير بأغلاس
ولا الليل بالليل الذي كنت آلفاً ... بوافي بنوم طيب مثقل راسي
وليس نهاري بالنهار الذي مضى ... قد التبسا من بعدكم أي إلباس
أرى الدهر عمداً حز مارن أنفه ... وأنف العلى من غير جرم بأمواس
وألقى عن العلياء حلة جيدها ... وألبسها أثواب ثكل وإبلاس
فصبراً على ماالصبر يعجز دونه ... ففي الصبر روح للحزين وإيناس
وما الدهر إلا غالط ولربما ... تذكر من قرب كما يذكر الناسي
فثق بالذي تهوى سريعاً معجلا ... ولا تقطعن حبل الترجي بالناس
وكم قــد رأينا بالمحاق أهلة ... تجلت بلا خطب هناك ولا آس
ولكن بأقدار يقدرها الذي ... له الأمر في الأكوان من غير إلباس
فنادِ به سراً وجهراً فإنه ... مجيب سيجلو كل هم ووسواس
ترقب منه غيث لطف ورحمة ... تطهر هذا القطر من كل أنجاس
ويخضر منه روض علم وحكمة ... ويصبح أمر الدين مافيه من باس
ودونك نظماً قد عرى عن تغزل ... واطف ومن شكوى الزمان غدا كاسي

ه ه ه

وكتب إليه رحمه الله المولى العلامة العلم القاسم بن الحسين بن إسحق رحمه الله نظماً ونثراً صحبة رسالة له في المطلق والمقيد فأجاب رضى الله عنه في يوم وصول المرسل منه نثراً وهو هذا: مولاي أعزك الله، وصلني مالاأستطيع أن أصفه، ولا يطيق فكري أن يدخل غرفه، ولا يهتدي فكري الضئيل، إلى ولوج ذلك الظل

الظليل ، ولا يدخل تحت لفظى الحقير ، أن يجد عبارة تؤدى ما يستحقه ذلك المقام من التبجيل والتوقير ، وقد كنا قديماً عرفنا الآداب ، ورأينا ما يدور بين المنشئين والكتاب ، وسمعنا مطارحة الأدباء ، ووقفنا على ما انتقاه صاحب ريحانة الألبا ، وزهرة الحياة الدنيا وطالعنا ماجمعه صاحب اليتيمة ، من كل درة يتيمة ، وعرفنا مافى ذخيرة ابن بسام ، من بدائع أهل المغرب فى النثر والنظام ، وارتشفنا من سلافة ابن معصوم ، كاسات مترعة من المنثور والمنظوم ، فلا وحرمة الآداب ، وما أظن على ذهنى من مايح الكتاب ، ما قرع سمعى ، ولا دخل ربعى ، ولا رأت عينى ولا تشنفت أذنى ، بأشرف من مرقوم ، وافانى عند الإشراق ، يتهادى بين الجزالة والسلاسة فى ذلك المهراق ، قد مزج فيه النظام ، بدر النثر ، فرأيت الروض حف فيه الأكمام ، بالزهر ولم أفز إلى الآن بعين تسريح طرفى فى سطوره ، واجتلا سواد عينى لبياض منظومه ومنثوره ، واكتحال أجفانى بأنوار ذلك الخط الباهر ، أماوأن طرفى أطاق افتضاض بكر تلك الألفاظ ، أو أحاط علماً بذلك الروض الناضر ، فلاومن جعل من البيان سحراً ، ولاأظنه يطيق الفكر الصحو من سكرتلك الألفاظ شهراً ، فأطلب من مولانا أيده الله ، كمال الإمهال عن الجواب حتى يذهب هلال ، ويبدو هلال ، والله يحرس تلك الذات الملكية ، ويديم رياض تلك الأخلاق الرضية وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم أجاب الوالد البدر رضى الله عنه نظماً فى غرة محرم سنة١١٥٦هـ ست وخمسين ومائة وألف وكتب رسالة جواباً على الرسالة الواصلة إليه فى ذلك البحث فقال :

شرفتنى ببديع طرسك   وسقيتنى من دَنّ درسك
أطلعت فى أفق البلا   غة من نظامك نور شمسك
عجباً لشمس أشرقت   أنوارها بظلام نفسك
أحييت ياعَلَمَ العلى   بيت القريض بروح طلسك[1]
قل للنظام وقد ثوى   قم نافضاً لتراب رمسك
قد عاد روحك يا قريـ   ـض وصار يومك فوق أمسك
أصبحت روضاً ناضراً   بعد الذوا وطوال يُبْسك

---

(١) الطلس ـ بالكسر ـ الصحيفة .

وغدوت فى حُلَلِ البلا غة رافلا من بعد خلسك

وحويت جوهرها الفريـ ـد وأصبحت فضلا لجنسك

أوَ لا ترى ماجاء منـ ـه نخـذ صحيفته وأمسك

وافى لتحرير القـوا عد قاصداً تصحيح أُسِّك

وأتى بتسهيل الفـوا ئد شارحاً آثار قُدْسِك

فيقين أرباب المعلى عند المحقق دون حدسك

وكذاك أشعار الورى فنضارها فى وزن فَلْسِك

فلكم بتعليق الفوا ئد أشرقت أجياد طِرْسك

لازال من أوراقه يُجْنَى لنا أثمار غرسك

وبقيت فى روض الهنا تفترّ منه ثغور أنسك

° ° °

يقبل الروضة التى علاها بالمعارف مورق ، والعقوة التى أسفلها بالعوارف مغدق ، روضة العلوم والآداب ، لا روضة النخيل والأعناب ، روضة الأدب الغض ، وثمر البلاغة المرفض ، وإذا عظم الشأن ، عدل عن تقبيل الأكف إلى تقبيل الحيطان .

تقبل أفواه الملوك بساطه ويكبر عنه كمه وبراجمه

° ° °

بل إذا اشتد الولوع ؛ قبل ما أحاط من الربوع .

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار

° ° °

كيف تقبل السحاب الهاطلة ، كيف تقبل يداً طوقت أياديها الأجياد العاطلة ، كيف تقبيل بحر يقذف بالدرر ، كيف تدنو الشفاة من كف أخجل نداه المطر ، كيف إذا رقم الأسجاع ، أتى بما لا يستطاع ، أو نظم القريض ، أعاد بقاع أهل الأدب إلى الحضيض ، وقذف إلى الأسماع دراً ، وحقق للناظرين أن من البيان لسحراً ، بينا أنت ترى الأوراق فى الحديقة أوراق الحديقة ، فى الأوراق على الحقيقة . يحيى

إليك أنه أعبد بديع الزمان ، وأن تلق ما يلقيه يراعيه لاقيت قسا وسحبان ، كل من حاول مجاراته عد متجارياً ، وكل من تعرض لمعارضته فقد جهل قدر نفسه وزاد فى جهله تمادياً ، ولذا وثبت إلى الدعاء لمولانا العلامة الحلاحل ، وبحر العلوم والآداب الذى ليس له ساحل ، علم الأعلام ، وصفوة أئمة الإسلام ، القاسم بن الحسين ، صان الله كمالاته عن المين ، كما صانها من كل عيب وشين وأحيا بحياته العلوم ، وأينع من أغصان أقلامه طيب كل منثور ومنظوم وأعاد بدروسه المدارس الدارسة ، وقيد بذكاه أوابد المعانى حتى تصير آهلة آنسة ، وأطلع شمس درايتـــه فى الآفاق ، ورفع راية روايته على كل لواء خفاق ، حتى يقول من لاقاه إذا اكتحل طرفه بأنوار محياه .

واقيت كل العالمين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصرا

* * *

ولازال رافلا فى حلل الكمال ، لابساً لخلع الفضل التى لاتنسج إلا من الإعظام والإجلال ، ولا برح مطلعاً علينا من أفق كماله ، شموس إحسانه وأفضاله ، فنطالـع من مطالعه بحوراً تقذف بالدرر إلى الأسماع ، وتأخذ من نغمات عباراته طرباً يحل بالإجماع : لا بضرب بوتر ، ولا بخلس بسمر ، شعراً :

قطف الرجال القول قبل نباته وقطفت أنت القول لما نورا

* * *

هذا وإن وافانا الجامع لجوامع الأنس ، والأخذ بمجامع النفس ، ماهو على صفحات الفؤاد من كل عذب ، أعذب ، وما هو إلى مخبآت الضمائر من كل طيب أطيب ، فأعاد لنا فى الكهولة زمن الصبا ، وأهدى لنا روح نسيم الصبا ، فلله روضه الأريض ما أطيب جناه ، ولله خطه القويم ما أجمل محياه ، ولله لفظه ما أعذبه على الأفواه وحبذا حبذا ما تضمنه معناه ، من كل معنى قد حوى أحلاه وأنهاه ، وقد شفع وتره بالأبحاث التى دقت معانيها ، ودقت ألفاظها ومبانيها ، وأدرت من كؤوس التحقيق مايسكر الأذهان ، وأوقدت من جمار الأشكال مايوقظ الوسنان جمعت بين المتقابلين جلالة ودقة ، وأوجبت لسامعها الصفتين جزالة ورقة ، لو قرعت أذهان الفحول ، من أئمة الأصول ، لأقروا بأن ذلك مما لا يحصله صاحب الحاصل ولا المحصول ، وإنه

لا يفتض بكرها ذهن الآمدى ، وإن طال به الأمد ، ولا يفترعها القرافى وإن برز بدقة نظره على كل أحد ، وقد جرى طرف فكرى فى مقيدها والمطلق ، وطار إلى سماء تحقيقها طائر ذهنى وحلق ، حتى آنس من جانب طورها نارا ؟ ؟ أضاءت له منها مهامها وقفارا ، فاهتدى بها إلى التوغل فى تلك المهامه الفسيح ، حتى أخرج القول السقيم من الصحيح ، وحل على دعواه عقال الأشكال ، وفض من ختامه الأقفال ، وصير ليله نهاراً ، وظلمته أنواراً ، ووعره سهلا ، وعلقمه عسلا وخله خمراً ، وحشفه تمراً ، فجناه اليراع إلى أطباق الأوراق ، وقدمه إلى المولى الذى لا يعترى بدر إنصافه محاق ، راجياً من ذهنه الذى لا يخبو نار ذكاه ، أن يتصفح ما قدمه إليه لسان اليراع وأبداه ، من حل تلك المشكلات ومداواة تلك الأسئلة الواردات ، فإن رآه صحيحاً فما هى إلا من بركات مذاكرته وإن كان سقيماً فمن قصور الجيب وضعف حافظته وذاكرته، وليعذر - أبقاه الله - عن تأخير الجواب، وإتيانه من بعد ذلك ماشياً فى غير جادة الصواب ، فإنه وافق من الأشغال ، ما يعجز عنه التفصيل بل الإجمال ، والله يحرس تلك الذات المكملة ، والصفات التى هى على صفة كل كامل مفضلة ، والسلام ورحمة الله وبركاته ، على تلك الحضرة العلية ، والروضة الندية .

وله رضى الله عنه :

خبرت جل البرايا وذقت أبناء جنسى
فما رأيت وفياً (وما أبرىء نفسى)

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على الفقيه العلامة على بن إسماعيل العبدى رحمه الله لما أنشده البيتين المتقدمين فكتب أبياتاً فى وزنها وكان قدم إلى شهارة أيام بقاء البدر فيها وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ١١٤١هـ إحدى وأربعين ومائة وألف .

بالله هل نور شمس أطلعت فى أفق طرس
أم جئت بالسحر شعراً لقد تحير حدسى
فيا علىَّ أفدنى بالخبر أبناء جنسى
ذكرتنى بنظام قد كان عندى تنسى

قد كان يأتى يراعى بكل نوع وجنس
إذ كان للدهر عقل وحسن فكر وحس
وها هو اليوم عار عن عقله غير مكسى
قد عاد حتى دهر من بعد ماكان إنسى
فغار بحر نظامى وفلك فكرى أرسى
هذى طلائع سعد قد أذهبت كل نحس
تلوح من نور نظم مبشرات لنفسى

* * *

وله رحمه الله جواباً على المذكور أيضاً .

أعدت لى الصبا وزمان أنسى بنظم لايقاس بنظم قس
فعدت به كأنى فى أزال أضاحك والدى وأخى وعرسى
جمال الدين ودك فى فؤادى وود أبيك حل محل نفسى
حويتم كل مكرمة ولطف وسدتم فى العوالم خير جنس
فنظمكم وخطكم عقود تزين بالمحاسن كل طرس
فنظم قد عرى عنه المعرى وخط لابن مقلة صار ينسى
وسعدى قد أتانى مذ أتيتم وغاب بأنسكم لى كل نحس
وشرفتم شهارة إذ أقمتم بها فكأنها روضات قدس
وأحيا لى صفى الدين فيها من التحقيق ماقد كان أنسى
فشكراً للزمان فقد حبانى بشىء لايصال إليه حدسى
أتانى بالذى أهواه عفواً ورد تفضلا أيام أنسى
ودونك من تحيات سلاماً يزورك فى الصباح وحين تمسى

* * *

وله رضى الله عنه مما قاله فى السجن :

جفانى من قد كنت أهوى اقترابه ... وحتى منامى قد جفانى فى حبسى
إذا كان نومى ساعدَ الناسَ فى الجفا ... فلى ثقة بالله تقوَى بها نفسى

* * *

ومما قاله فى السجن أيضاً :

قضيت فى الحبس الشريف لياليا ... لاتعرف الأجفان طيب نعاسى
فكأن نومى عن لقاء نواظرى ... فى الحبس مثلى عن لقاء أقاسى
لايطرق العينين خوف مطارق ... أو خوف أصوات من الحراس
عنه ولكن ليس يأخذ مقلتى ... نومٌ ولا سِنَةٌ بغير قياس
يارب عجل بالنجاة وأعطنى ... أجراً أفوز به غداً فى الناس

* * *

واجعل فراق النوم نوراً ساطعاً ... أنجو به من ظلمة الأرماس

* * *

وله رحمه الله إلى ولده الصارم العلامة إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله وكان فى حدة إحدى متنزهات صنعا حماها الله :

لا زلتمُ فى نفسٍ ... فى ليلكم والغلس
وفى النهار إذ غدا ... كلٌّ بنور مكتس
فى حدة لحسنها ... يغنى عن الأندلس
زهراؤه[1] كزهرة ... فى حدةمن نرجس
أنهارها تبلبلت ... تحت الغصون الميس
تحسبها راقصة ... بحركات الجرس
مثل الغوانى خلتها ... أو كالجوار الكنس

---

(١) يقال إن الزهرا فى الأندلس متنزه بناه الناصر ، ليس فى الدنيا مثلها .

جميعها مطرد يطردهم الأنفس
سبحان من أخرجه من حجر منبجس
قد ضربت أشجارها خيام وشي سندسي
فالأصل منها ثابت والفرع مثل الأطلس
هنئت يا صارمنا ما تلته من نفس
واذكره بما في حدثة دار النعيم لأنسي
دار أعدت للذي يحسن فيملا ألبسي
ولا برحت تاليا منزل روح القدس
كلام رب العرش ر ب العزة المقدس
مسبحا معظما ذاك الجناب الأقدس
من كل من في الكون من
فضل الإله المكتسي
وصل ما عشت على أصل الهدى المؤسس
محمد والآل أر باب الكساء الملبس
ألبسهم ياحبذا من ملبس وملبس
ورض عن من بذلوا نفوسهم الأنفس
من الثواب والجزا يا حبذا من أنفس

* * *

وله رحمه الله جواباً على الفقيه الأديب أحمد بن حسين الرقيحي رحمه الله :

صفيّ الهدى أبدعت فيا نظامته فذلك يدنو الآداب بالمال والنفس
إذا الشعراء جاءوا بقرآن شعرهم فشعرك في أشعارهم آية الكرسي

* * *

وله رضى الله عنه وقد منع بعض إخوانه من الدخول إليه إلى السجن :

أخا الود بعد البعد قلبى ما أنسى ... وصالاً أناقد كان فى السجن من أنسى

ولا بيننا هــذا الذى كان بيننا ... ولا دُرِسَ الوقت المشيّد بالدرس

ولـكنهم أقصوك أقصى مأربى ... وأدنوا أناساً صوروا صورة الإنس

وخصوك بالفضل المشتت بيننـا ... لأنك فى نوع المعارف من جنسى

☆ ☆ ☆

وله رضوان الله عليه مهنئاً إمام التدقيق وحامل لواء التحقيق . ضياء الإسلام زيد بن محمد بن الحسن رحمه الله بأعراس :

ليهنك إذ زُفّتْ إليك عروس ... من الغيد فى ثوب العفاف تميس

ولاحت نجوم السعد وهى زواهر ... وغابت بمن الله عنك نحُوسُ

وجاءك رأس العيد بالوصل مذعناً ... لأنك فى أهـل الـكمال رئيس

فطبقت الآفاق نوراً وأشرقت ... بدور كمال للهنـا وشمـوس

لقد ملئت كلُّ القلوب مسرةً ... وقرت وطابت أعين ونفـوس

فـكل محب وجهــه متهلل ... سروراً وبشراً والعدو عبوس

جنيت ثمار الوصل من أغصن الهنا ... ووافاك أنس كامـل وأنيس

فلا زلت فى ثوب المسرة رافلا ... تدور بما تهوى عليك كئوس

☆ ☆ ☆

قافية الضاد المعجمة

لما ألف المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله نظم الهدى النبوى وشرحه بعد أن أشار عليه مولانا البدر أن يشرحه ، وكان قد طلب منه شرحه ، وكان مقيماً فى شهارة ، وهو أى المولى الحسن فى سجن صنعا ، فكان يرسل إلى مولانا البدر كل أسبوع بما ينظمه ويصلح فيه أشياء ، ويصوب أشياء ، ثم كذلك شرحه ، كان يرسل إليه لإصلاحه حتى كمل الجزء الأول ثم أراد تكميل باقيه وسلوك تلك الطريقة فى إمرار نظر مولانا البدر رحمه الله ، فكتب أبياتاً إلى مولانا البدر قبل الإرسال بما يريد إرساله ، وقد كانت سبقت جفوة عن المعاهدة من الجانبين ، فأجاب عليه الوالد البدر رضى الله عنه بقوله :

أتت وخيول الهم فى القلب تركض ... ورأيىَ من نار الشواغل أبيض

وقد هيض فكرى من أمور تعاظمت ... فليس إلى شىء من المجد ينهض

وقد كان قدْماً لا يجاريه ماجد ... ولو أنه يعلو البراق ويركض

فما زال دهرى لا رعى الله سربه ... على كل ما لا أشتهيه يُحرِّض

إذا رمت أمراً مد كفيه شلّتا ... فمالىَ عرق بعد ذلك ينبض

وأقعدنى عن كل عز أرومه ... وعرضنى قسراً لما عنه أعرض

ويرفعنى فيما يظن وإننى ... أراه برفعى فى الحقيقة يخفض

خلا إنه أبقى لقلبىَ راحة الـ ... رسائل عندى للأحبة تعرض

أقبلها من قبل فضِّ ختامها ... وألصقها حيناً بقلبى يمرض

تجاذبها عينى هناك ومسمعى ... تكاد لها عينى من الكف تقبض

ومد لها قلبى يداً من أهابه ... نخفت عليها نارة فهى ترمض

ولما دخلنا فى رياض نظامها ... رأينا الذى قد كان للمعجز يفرض

وعاد إلى الإمكان ما كان قبلها ... محالا وأضحى معجزاً ليس ينقض

وسابقنى بالعذر عن طول جفوتى ... وألطف فيه إذ بقلبى يعرض

نعم أنا عين المذنبين بجفوتى ... وها أنا منكم للرضا أتعرض

عسى عطفة منكم تُـكفِّر ما جرى فإنى بعذرى عاجز لست أنهض

فقدما عهدنا المكرمات خيامها عليك وأما عن سواك تقوض

وأحلتنى بحراً من العلم زاخراً وخوضتنى مالم أكن أخوض

تواضعت عن عز وأنهضت همتى لما أنت منى فى الحقيقة أنهض

فأهلا وسهلا إن أمرك واجب علينا كفرض فى الشريعة يفرض

بقيت إماماً المعالى مملّكاً أزمتها فيما تروم تفوض

سلام على علياك مسكٌ وعنبر تطيب به الأكوان إبّانَ ينفض

وإنى بادٍ إن حضرت وإن أنا بدوت فلا أبدى ولا أتعرض

* * *

وقال قدس الله سره حضرت مسجد الأبهر للقراءة على القاضى العلامة « جمال الدين على بن محمد العنسى » رحمه الله فى « الخبيصى » فلم يصل ، وكان شخص يقال له محسن قد كدر باله بكلام فترك الخروج لذلك .

فكتبنا إليه وهى من أول شىء نظمناه فى سن ست عشرة سنة :

جمالَ الهدى أوحشت لازلت مؤنساً فهل منع المولى عن الرق عارضُ

وشرح الخبيصى قد حلالى بقربكم وها هو لما غبت صابٌ وحامض

فلا تظلم المملوك إن كان محسن أساء فإنى للمردة حافظ[1]

* * *

وتخلف المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله عن القراءة فى ضوء النهار على مولانا البدر وكان الملى والقراءة له وكان تخلفه بالبقاء فى بئر العزب فأحب من يحضر معه القراءة أن يحرك همته بالعتاب على التخلف فكتب إليه مولانا البدر رضى الله عنه :

مثلى بهذا منك لا يرضى فدع التغافل واترك الإغضا

خلّ التنزه فى الرياض لمن بسوى المعالى نفسه ترضى

---

(١) عذراً فى القافية .

إياك تلهيك الغصون إذا مالت يعانق بعضها بعضا
أو تزدهيك عيون نرجسها فتخالها لذبولهـــا مَرْضَى
ما يرتضي هذا سوى رجل ما حركت منه العلى نبضا
يهفو إذا مر النسيم به وراء حقير الماء مرفضا
قد أهمل العليا فلست ترى نَفْلاً يقوم به ولا فرضا
أما الذي أجفانه همته لا تعرف الإغفاء والإغضا
فبغير هذا نفسه ألفت ورأت ظلال رياضها رَمْضَا
ما روضة إلا العلوم فلا تجنى سوى زهر العلا غضا
جلساؤه فيها دفاترهـا فيها يلاقى كلما يرضى
جلساء لا يخشى جليسهم عِرْضاً يمزق منه أو عرضا
فملامَ يامن سيف فطنته من كل صارم فطنة أمضـا
أضربت صفحاً عن هذا كرة أجملت حبك للعلى بغضا

* * *

وله رضى الله عنه مضمناً تشبيه المصطكى طافياً على القهوة :

أدرت علينا قهوة أحرفية فتاة كغصن كاد يدنو من الأرض
وقد عطرت بالمصطكى قبل كأسها فشبهتها والارتشاف به يقضى
كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

* * *

قافية الطاء المهملة

وله رحمه الله :

ومترف يذكر أحواله من سعة النعمة والغبطة
وهو يشط الثوب في غفلة قلت له قد زادت الشطة [١]

---

(١) تورية باعتبار المعنى العرفي .

قافية العين المهملة

وله رضى الله عنه لما كتب البيت المشهور فى الأنفاس الرحمانية فى الإفاضة المدنية جواباً على رسالة وصلت إليه من المدينة المنورة للشيخ أبى الحسن السندى رحمه الله والبيت هو :

وخير الأمور السالفات على الهدى   وشر الأمور المحدثات البدايع

* * *

فرد عليه قوله :

لقد خلطت بالابتداع عقائدٌ   ترى كل ذى علم عليها يدافع
يدافع عما أسس الناس قبله   ويبنى على ما أسسوا ويشايع
وتعمى على الإنصاف عين كماله   وتنسد عنه عند ذاك المسامع
لقد قاض بحر الابتداع وأصبحت   قلوب ذوى التقليد منه المصانع
خليلىَّ ما لى لا أرى غير منصف   أقام على باب الهداية مانع
نعم إن أرباب المذاهب أصبحوا   وكلٌّ على ما يرتضيه يدافع
يرد الذى لا يرتضيه برأيه   ويحسب أن الحق للرأى تابع
إذا آيةٌ صكت مسامع قلبه   وجاءت بما لا يرتضى من يتابع
يقوم على ساق التأويل لفظها   وصرف معانيها إلى ما يشايع
وكم من حديث نحوه قد توجهت   وجوه من التأويل شوه شنائع
فمن لك بالفحل الذى لا تهوله   سيوف ابتداع جردت وزعازع
أمات الهوى من قلبه فإذا أتى   إليه الهدى من ربه لا ينازع
فكل مقال غير قول محمد   عن الله أو عنه فذاك قعاقع
وكل بياض سودته محابر   بآرائها فهو الهباء بلاقع
خليلى قوما واقرعا باب فتحه   فذلك مفتوح لمن هو قارع
فمنه تعالى فيض كل هداية   ومنه يُرَجَّى كل ما هو نافع
إلهى وهذا جهد من هو ناصح   عسى وعسى فى الناس للنصح سامع

وله رضى الله عنه إلى والده رحمه الله كتبها من المواهب سنة ١١٢٥هـ خمس وعشرين بعد المائة والألف وكان وصوله إليها لأجل رحم له هنالك فرأى فيها عجائب وقد دعا المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد رحمه الله كما أشار إليه بقوله قل لمن قام الخ . وقد كان حوصرت صنعا بأجناده من قبائل القبلة .

يا رفاقاً حلوا بأكناف صنعـــا	ليت شعرى بعد التباعد رَجْعَى
هل بقى وبينـــكم ريْبُ دهر	يُبْطِل الوصل بالقطيعة قطعـــا
ولئن صرت مفرداً عن رباكم	فَشَتَـــتِى ودادكم صار جمعـا
وجفا جفنىَ المنـــام وقد صا	ر لطـول البعـاد نوىَ دمعا
وبلاد بها أقمت على الكر	ه وطوعاً لحكم دهرى وسمعـا
بلدة أخصبت من الظلم والجو	ر فضاقت بهـا الشريعـة ذرعا
حرفة السا كنين فيهـــا نفاق	واختـلاق وبالنميمة يسعى
وإذا ما الجهـــول وافى رباها	نال خفضاً من عيشه ثم رفعا
وإذا الفاضـــل اللبيب أتاها	نال صرفاً عنها وأعطى منعـا
ويسود السودان فيها فلا عز	وإذا أضحت الشريعة تنعى
فهم الآمرون فيها بما شا	ءوا ولا يعقلون عقلا ولا شرعا
فأقم مأتم الشريعـــــة أو قم	سُلْ سيفاً تترك به القوم صرعَى
قل لمن قام حاملا راية الحق	مَن للنزال تدعـــو وتُدعَى
يا خليلىّ من هاشم عُجْ بنجد	وبـلّغ دعنى ونجداً وسلعا
طال هذا المطال ياليت شعرى	أى حين تثير دخيلك نقعا
لا تجهـــــز إلا إلى مقعد المل	ك وصنعاً أحسن بها منك صنعا
بلدة العلم كم بها لك شيعـا	هى أولى بأن تصان وتُرْعَى
والفتى من يذيق أعداه ضُرّا	ويذيق الأحباب عزا ونفعا
ولابد لمن أراد المعـــــالى	أن يرى للسيوف فى الحرب لمعا

وتراه عند اشتجار العوالى زائراً للعدو يسقيه صرعا
فالمعالى نتـــائج للعوالى فازدرع أصلها اجتنى فرعا
وأجرفيها الدما لتحصد مجداً قد رسا أصله وتنظر ينعا
فتدارك بقية الدين إن كنـ ـت لإحيا ميت الدين تسعى
آح من دهرك الخؤون اقد صا ر عدواً لذى الفضائل طبعا
آه للعلم كم يهان ذووه وإلى كم يلقون ذلا ووضعا
وسلام على جانبك منى كل حين يهدى ويعرب رفعا

✲ ✲ ✲

وله رحمه الله وقد خرج إلى الروضة مع رفقة من الإخوان فكتب إليه والده رضى الله عنه أبياتاً يعاتبه فأجاب عنه بقوله :

بستان أنس به أقمنا أجاد فيه الربيع صُنعاً
مع رفقة كلهم نجومٌ ألطف أهل الزمان طبعا
وأعين الزهر شاخصاتٌ تحسب فيها الرذاذَ دمعا
تمتر فيه النسيم وَهْناً ولم تثر للتراب نقعا
حديثنا كله عجيب تصغى إليه الحمام سمعا
لكنْ عقد الوصال منا منفصم إذا نأيت قطعا
أنت جمال الوجود طبعا وأنت روح الزمان وضعا
لكنها صنعة الليالى قد أقسمت لا تتم جمعا
تنصب للاجتماع سهماً وتبتغى للوصال رفعا
مهما رأت كعبة اجتماع طافت بها للوداع سبعا

✲ ✲ ✲

وله رضى الله عنه مجيباً على المولى الوالد السيد النبيه الجليل جمال الدين على بن إبراهيم بن على بن الإمام الحسن رحمهم الله تعالى .

لا والغرام وما تُجِنُّ الأضالع　　من مهجة بيد الهوى تتقطع
وخُفُوقِ قلب لا يقر قراره　　مُضْنًى بغير هواكُمُ لا يولع
مازادنى العذال إلا صَبْوةً　　وجَوًى وفرط صبابة لا تدفع
ياعاذلى كرر ملامك فيهمُ　　واعجب للوم من عذولٍ ينفع
إقدح بذكرهمُ زِنَادَ صبابتى　　إن شئت تنظر نار شوقى تلمع
من لى بذكراهم ولو بملامة　　إنى أراه ألذّ شىء يُسْمَع
إنى لآخذ من ملامك ذكرهم　　وسواه حشو فى الكلام مضيع
فبنات سمعى قاطفاتٌ زَهْرَه　　من شوك لفظ بالملامة يُزْرَع
حدث فإن جوارحى قد أنصتت　　ولكل جارحة لقولك مسمع
ياجيرةً رحلوا وفى أظعانهم　　شمس لها فوق الهوادج مطلع
ردوا لنا شمس الجمال فإننى　　من غير شك فى هواكم يوشَعُ
إن تنكروا هذا فإن أدلتى　　سقم يدبُّ وعبرة لا تقلع
وصبابة وكآبة وتأوه　　وتملق والتَّشَوُّقُ وتولُّع
لكن إذا قلت حظوظ متيم　　عند الأحبة ليس شىء ينجع
لا شافع يجدى ولا طول البكا　　يشفى فقل لى أى شىء يُصنع
ياقلب دع هذا المجال فإن فى　　نظم ابن إبراهيم دُرٌّ يودع
فتش صدور كتابه تنظر بها　　عقد المعانى بالبديع يرصع
يامن له الخلق التى من لطفها　　كدنا وحقِّك فى احتسائها نطمع
هى مقلة فى المجد وهو ابن له　　فى الخط وهو أبو العلا إذ يبدع
لله ما كتب اليراع وما أتى　　طىَّ الرقاع وما لسمعى يرفع
وعلى عُلاكَ من المحب تحيةٌ　　منها تعطرتِ الجهاتُ الأربع

وله رضي الله عنه إلى المولى العلامة الفهامة عز الدين محمد بن إسحاق بن أمير المؤمنين بعد وفاة أخيه المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله تعالى راثياً ومؤسياً .

أبعد اليوم تدخر الدموعا ... وقد وافاك ماينفي الهجوعا
وبعد اليوم يبخل كل جَفْنٍ ... فجد بالدمع واجمله نجيعا
اتى خطب تَخِرُّ الشُّهب منه ... ويمنع هوله الشمس الطلوعا
فغادر كل ذي جفنٍ قريح ... وغادر كل ذي لب صريعا
قضى البحر الذي قد كان بَرّاً ... وللعافين قد أضحى ربيعاً
إمام معارف وعوارف قِفْ ... على بحريه مغترفاً سريعاً
تنل ماشئت من علم وجود ... وآداب بها تنسى البديعا
ونظم إن قرأت له حروفاً ... يكاد يكلِّفَ الطيرَ الوقوعا
خلت عنه الديار فكدت أدعو ... ملث الغيث أعطشها ربوعا
ولو قبل الحمام لنا فداءاً ... فديناه بمن نهوى جميعا
وهيهات المنايا لاتحابى ... ولا تقبل فداءاً أو شفيعا
فصبراً ياشقيقَ أخي المعالي ... لِخطْبٍ ألزم القلب الصدوعا
ومثلك لايراع لهول خَطْبٍ ... وإن صار الصبور به جَزوعا
ومهما عشت فينا لا نبالي ... أعاش الناس أم ماتوا جميعاً
فما فقد العفاة كريم قوم ... وقد وجدوا نداك لهم سميعا
كذا العلماء لم تفقد إماماً ... بمطلبهم أصولا أو فروعا
فقد وجدوك بحر ندًى وعلمٍ ... يفيض جداً ومعروفاً وسيعا
أحاط الله من ريب الليالي ... عليك أباالضيا سوراً منيعاً

* * *

ولما أقام الوالد البدر رحمه الله بحصن شهارة فى سنة ١١٤١ هـ إحدى وأربعين بعد المائة والألف وتزوج هنالك واقتضى الحال فراق زوجته الشريفة ابنة المولى العلامة هاشم بن يحيى الشامى رحمه الله ، وكانت خرجت إلى شبام أيام بقائه بها ثم عادت إلى صنعا مع عزمه إلى شهارة ، وهى والدة الصنو العلامة إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله .

كتب إليه المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله ـ وكان مسجوناً بقصر صنعا ـ أبياتاً يعاتبه فيها على فراق زوجته الشريفة والتزوج ، وجعلها على لسان الشريفة رحمها الله .

فأجاب عليه مولانا البدر ، رضى الله عنه بقوله :

أَبَرْقٌ بدا أم زحزح اليومَ بُرْقعٌ ... لسلمى فهــذا نورها يتسطع
أم ابتسمت عُجْباً لما قال قائل ... بأنىَ العهـد القديم مضيع
لحى الله هذا الناس أين عقولهم ... يقولون ماليست له الأذن تسمع
وقد أثَّروا إذ كثروا فى مقالهم ... وقد ساءها ما شيعوه وشنعوا
فقد أرسلت ريحُ الصبا برسالة ... وفى طيها عتبٌ لطيف مروّع
يكاد يسيل الدمع لو كان ممكناً ... ولكنه لم يبق للعين مدمع
توالت عليه الحادثات فلم يزل ... عليها بقدر الحادثات يوزع
فأفنيتــه والحادثات بأسرها ... كأنىَ أسقيها بدمعى وأزرع
بروحىَ ذاك العتب من خير عاتب ... وإن كان فيه ما يهول ويفزع
أحباىَ ما عنكم تبدلت راضياً ... ولكن لأمر ليس فى الكتب يرفع
سأملى عليكم ما يسر قلوبكم ... إذا ما سحاب البين عنا تقشّع
لقد زادنى حباً لكم وصلُ غيركم ... خلاف الذى كنا له نتوقع
وعرّفنى أن ليس فى الأرض غيركم ... فما الشمس إلا أنتمُ حين تطلع
ولو كنتُ بالشرع الشريف محاججاً ... لقلت لكم قد حلّ فى الشرع أربع
وقالوا لكم خير النبيين أحمـد ... توفى عن تسع وذاك المشرع
وقالوا لكم أصحابه لاغترابهم ... عن الأهل فى أسفارهم قد تمتعوا

على أنكم لو تعلمون محلكم … بقلبي لما نزّتْ من العين أدمع
وقلتم لنا زد ما تريد فإنما … تزيد لنا حباً بما أنت تصنع
فلست ترى في الناس ما عشت غيرنا … ولسنا نرى يابدرُ غيرك يولع
فلا تخش من عتبٍ إليك موجّهٌ … وحاشا بوافى سُوحك اليوم تُتبع
وإنا لفي خير إذا كنت سالماً … وعما قريب شملنا سوف يجمع
فهنيت ما أعطيتَ من كل نعمة … عدوك مخفوض وشأنك يُرفَعُ

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه مجيباً على الفقيه العارف محمد بن إسماعيل بن محمد العبدى رحمه الله عن أبيات وصلت منه من صعدة إلى شهارة فى شعبان سنة ١١٤٤ هـ أربع وأربعين ومائة وألف .

أشمس اللقا قد راقنى منك مطلع … وإنى إلى إشراقه أتطلع
فهذى النوى للقلب أعظم مفزع … ولم يبق من فقد الأحبة مفزع
فإن نطاق الصبر ضاق عن النوى … وعهدى بصبرى وهو من قبلُ أوسع
وقد كان دمع العين عوناً على النوى … ولكنه لم يبق للعين مدمع
تقضّى عليه الحول والحول بعده … وغرّبُ النوى من مقلة الصب ينزع
ففارقنى دمعى وصبرى وودّعا … فلم أدر أىّ الظاعنين أودع
أقاتلنى ظلماً بمادل قدها … وأصل الهوى من فرعها يتفرع
فريدة حسن إن تثنّتْ بقدّها … تنادى ألاهذى المحاسن أجمع
يريك نهاراً وجهها وهو مسفر … وليلا إذا ما الشعر للوجه يرفع
هى الشمس لكن ليس للشمس مقلة … بها السحر ما غير الرقى عنه يدفع
مراض ضعاف صح للصب أنها … تضر قوى القلب حيناً وتنفع
مفوقة من غير قصد سهامها … فتقصد عمداً كل قلب وتصدع
إذا سجدت أقراطها فوق شعرها … فثم نجوم الأفق فى الليل رُكّعُ

أما لغرامي عند قلبك موقع ... وإني في أسر الهوى منك موقع

سقى ليلة مرت على حلو وصلها ... على خفض عيش ماظنناه يرفع

أبث لها وجدي وأبكي صبابة ... فتضحك إعجاباً لما هي تسمع

وددتُ بأن الليـل دام وإنه ... إلى الحشر لاشمس على الأفق تطلع

فما ضرَّنا إلا بياضُ نهارنا ... فإن سواد الليل للقلب أنفع

يقود إلينا من مُحب وصاله ... ويصرف عنا من كرهنا ويمنع

فلم أنس إذ وافى الصباح كأنه ... عدو بتفريق الأحبة مولَع

فقامت لتوديعي فقامت قيامتي ... وسارت فسار القلب ساعة ودعوا

فقلت عديني واخلفيني وماطلي ... فنفسي بوعدٍ من وصالك تقنع

فصبت عيوناً من عيونٍ فواتر ... وما خلت أن النرجس الغضّ يدمع

وقالت لسان الدهر إن وصالها ... عليك حرام بعد ذا ليس يرجع

فكان كما قال الزمان وساعدتْ ... وشاة وعذالا أشاعوا وشيعوا

وما نقم الأحباب في شرعة الهوى ... على سوى أني حفظت وضيعوا

أصم إذا في حبهم لام لائم ... وكلي لمن يدعو إلى الحب مسمع

حمام اللوى صبراً إذا صاح في الربا ... غراب بتشتيت الأحبة أسفع

ويا أيها القلب الذي عبثتْ به ... أكفُّ النوى هل فيك للصبر موضع

تجلد ولا تهلكْ أسًى وصبابة ... فكل بعيد عن قريب سيرجع

فكم عطف الدهر الخؤون لنازح ... وأبدله مالم يكن فيـه يطمع

لئن عطلت كأس من الوصل حلوة ... فكأس الأماني بالملاقاة مترع

وإن أطبقتْ سحب البعاد فإنها ... سحابةُ صيف عن قريب تقشع

وعما قريب تنجلي ظلمة النوى ... ويشرق نور البدر والشمل يجمع

أريد سميي لا الذي هو في السما ... على أن هذا في سما المجد يطلع

فيا بدر قد وافى النظام وإنه ... لدُرٌ بلى هذا من الدر أرفع

يضيع لديه المسك إن ضاع في الربا ... فأضوع منه النظم والمسك أضيع
يقود حبيباً عنده وهو مبغض ... ويعجب منه البحترى ويجزع
وأطول باعاً من نظام ذوى النهى ... فقس الأيادى قد غدا وهو أصمع
شكرتم به أيام وصلٍ تصرمت ... وهجراً شكوتم للقلوب يقطع
صدقتم سقى عصر اللقا كل ديمة ... لقد كان لى فيه مصيف ومربع
تقضت وما قضيت منها لبانة ... وراثت فأوتنى جوى يتنوع
فهل عائد ذاك الزمان الذى مضى ... وهل صلة من عادة الحى تنفع
عسى زمن يابدر يجمع شملنا(١) ... وشمس اللقا من بعد ذا البعد تطلع
فينشر ما يطوى البعاد من الجوى ... ويطوى من الأوراق هذا التوجع
بقيت لجيد الدهر أفخر زينة ... كأنك عقد بالمعالى مرصع
مقاد مقيد سابق كل سابق ... تنال من الأيام ماليه تطمع
وصل على المختار طه وآله ... صلاة وتسليما إلى الحشر ترفع

* * *

وله رضى الله عنه وأرضاه جواباً على الفقيه العالم أحمد بن إسماعيل القرنى رحمه الله .

كم ذا التلعب يا غزال الأجرع ... بفؤاد صب بالصبابة مولع
ما لاح برق الثغر فى أفق الثنا الـ ... ـبيض إلا انهل أحمر أدمعى
ويلاه كم أشكو جفاه فينثنى ... فيزيد بالغصن الرطيب تولعى
ويهيجنى زمناً مضى فى قربهم ... والدهر عنا نائم لم يفزع
أيام تكتمنى رياض وصالهم ... فيبيت دهرى سائلا عن موضعى
والعين تلهو فى محاسن من هوت ... والدهر يختمها بغير تمتع
والأذن سكرى من شراب حديثهم ... فلذاك تهزأ بالعذول ولا تعى

(١) وفى نسخة « بيننا » بدل « شملنا » .

في روضة للوصل ليس قدردها ... إلا غصون لا تلين لمولع

وزهورها مقل وسجع طيورها ... صوت الحلى على ذوات البرقع

تالله لو دامت ليالى وصالهم ... لم أشك من نار الغرام بأضلعى

لكنه نصب الفراق حبائلا ... رفعتهم فانجرّ قلبي الموجع

فبقيت مسلوب الفؤاد مشرداً ... عنى الرقاد مكابداً لتوجعى

لولا نظامٌ للصفىِّ صفا به ... عيشي وأشرق منه نوراً مربعى

نظم عليه من البديع ملابس ... كالوشى بين مدبَّج وموشع

أرددت شمس النظم بعد أفولها ... لا شك أنك في النظام كيوشع

ما كنت أحسب قبل أن رقاعه ... صدف تواتيني بدر مُبدع

حتى أقام البيّنـــاتِ بأنه ... سحر وأبرز حجة لم تدفع

وحوى الفضائل كلها فبذاته ... حف الكمال من الجهات الأربع

علم وأخلاق وطيبُ أرومة ... ورقيق نظم قد حلا في مسمعى

فقضى بأنك للبلاغة مالك ... حقا وأن سواك فيها مدع

يا أحمد القرشي هذا معجز ... أفهى البلاغة للنبوة تدعى

وإليكما خجلاء أقعدها الحيا ... عن أن تلم بسوح مجد أرفع

لكن لفرط ودادكم أرسلتها ... وعسى تطيب بنشرك المتضوع

واعذر صفى الدين إن حروفها ... رقمت على عجل بقلب مُفزع

مما جنته يد الخطوب على الذى ... قد كان طود تزهد وتورع

أعنى جمال الدين والدنيا الذى[1] ... بسوى الزهادة والتقى لم يولع

فاسبل عليها الستر إن ترَ نظمها ... لم يحو حسن ختامها والمطلع

☆ ☆ ☆

---

(١) أعنى الوالد العلامة على بن يحيى الرهان رحمه الله .

وله رحمه الله فى أيام بقائه فى السجن :

من الجهات الأربع الموانع حفت بنا فالنوم عنا شاسع
مغالق مطـــارق زواعق من حرس تحوبهم الشوارع

* * *

ولما اطلع رضى الله عنه على هذين البيتين قبل رحلته لطلب الحديث وسماعه :

إن علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع
فإذا جن ليلهم كتبوه وإذا أصبحوا غدوا للسماع

* * *

قال رحمه الله :

قد أردنا السماع لكن فقدنا من يفيد الأسماع بالأسماع
فرجعنا إلى الوجادة لما لم نجد عارفاً بها فى البقاع
فلسان الأسفار تملى ومنها يتلقى سراً لسان اليراع

* * *

وله رضى الله عنه جواباً على الفقيه أحمد بن حسين الرقيحى رحمه الله :

ستطلع شمس الوصل بعد أفولها فتشرق أرجاء لنـا وربوع
فلا تيأسن إن طال نيل بعادهم فقد حان من شمس اللقاء طلوع

* * *

وله رحمه الله لما بلغ سن السبع والسبعين قالها فى رمضان سنة ١١٧٧هـ
سبع وسبعين ومائة وألف .

وصديق لى صدوق فى الذى أهواه يسعى
سمع الأنة منى فاملأت عيناه دمعا
قال ما تشكو ابن لى قلت سبعين وسبعـا

وله رضوان الله عليه من أبيات لم أجد منها غير ما رقم هنا .

إذا جاء طوفان المعارف والذكا وفادت جيوش الحق هل سامع موع
هنالك ترى أطفال كل عبارة تفر من الأذهان خوفاً إلى السمع
فتدمى بها الآذان عند ازدحامها فيغسلها ما فاض منها من الدمع

* * *

وله رضي الله عنه :

وسائل يسألنى عن فتى يحسبنى فى وصفه بارعا
يقول لى حد لنا وصفه قلت له خذ جامعاً مانعا

* * *

وله رحمه الله فى القول الموجب :

يقول لِىَ الحبيب ألست تبكى فقلت بلى ولكن تمّ دمعى
فقال لِىَ العذول أراك تصغى فقلت لذكركم أصغيت سمعى

* * *

وله رضى الله عنه موريا :

وشادن يقول ما قولك فى حسنى أعندى الجمال البارع
ما أظرف ما يوصف فى جماله فقلت ماض وله مضارع

* * *

وله رحمه الله فى صدر كتاب من مكة المشرفة فى شهر ذى الحجة سنة ١١٣٩ هـ تسع وثلاثين ومائة وألف إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله تعالى .

ولقد ذكرتك عند أن جدّ النوى والصحب بين مودع ومشيع
ولشفقيهم أدمـــع منهلة كالغيث إلا أنها لم تقلع
وذكرتكم لما ارتحلت مطيتى ورحلت عن وطنى وجدت بأدمعى
وذكرتكم فى كل أسفارى فما من منزل إلا وأنت به معى
وسل الديار العامرات وأهلها إن شئت واسئل كل أرض بلقع
وسل البروق الشاميات فإنها لا تستمد بغير نار الأضلع

أفتذكرونا مثل ذكرانا لكم ياحبذا إن كان غير مضيع
أم قد تناسيتم عهوداً بالحمى ولياليا مرت بذات الأجرع
أيام تجمعنا العلوم فبحثنا يصبو إليه كل حبر ألمعي
وإذا تجاذبنا النظام أتى لنا ما لم يمر ألذ منه بمسمع
وإليك ياعين المكارم والعلى رقت على عجل بغير تصنع
قصداً لتذكير العهاد وإنني لم أنس ذكراكم بأشرف موضع

* * *

وله قدس روحه فى عليين :

وثقيل تقذى العيون برآ ه وتأبى حديثه الأسماع
قال لى ما سكنت إلا اغتصاباً قلت لا غرو إن فاتك البقاع

* * *

وله نور الله برحمته ضريحه إلى القاضى العلامة الحسن بن على الهكلى رحمه الله معاتباً لترك المعاهدة وكان بينهما ألفة أيام الطلب فكتب إليه بعد أن صار حاكماً فى أبى عريش .

خليلى إن مررتم عن فؤادى على ساع وقولا له طال الوقوف بذا الربع
ولا تسمعاه فى الخطاب ملامة فلا جفونى ما تمكن من جدعى
فلوم جفون الصب أولى وإنما يرق لها لما ترقرق بالدمع
وتصرف دمعاً ثم تمنع نومها وما انتفعت يوماً بصرف ولا منع
وغانية بالجزع حلت وحليت به فهى لاستخدام قلبى تستدعى
تعاملنى بالفصل إن رمت وصلها كأنى معدود من الجمل السبع
وما علمت أن التضاد مصحح وقد عده أهل البيان من الجمع

فإنى مأسور وتلك طليقة ... فلو عطفت ما كان ذلك بالبدع
وأنصب نفسى فى هواها وإنما ... أجر بذاك النصب أنسى إلى الرفع
أفيقا فقد غالطت فى البحث مقصدى ... فوالله ما بالجزع قلبى ولا سلع
ولكن إذا عرجتما بتهامة ... فموجا بها واستفتيابها حاكم الشرع
وقولا له هل جاز فى شرعة الوفا ... مقاطعة الإخوان أو صح فى السمع
وهيهات يفتى بالجواز وإنما ... أريد بذا إلزامه حجة القطع
وماذا الذى أنساه ذكر أخوتى ... وهلا رفا خرق التهاجر بالرقع
فإنهمُ سموا الرسالة رقعة ... لترقع قلباً هده الهجر بالصدع
أزهده فىّ الخمول وإنه ... سما جُلُّ أترابى إلى الجاه والوسع
وحصل مملوكا وداراً وبغلة ... وأسرج مركوباً وسرج بالشمع
وإنى على ما كان يعهد خامل ... ولم أتحول عن طريقى وعن وضعى
فما أنا إلا السيف كان قرابه ... خمولاً فهزّه السيف تسمع بالوقع
وإنى فى روض العلوم مخيم ... مقيم على حصد الفوائد والزرع
ودونك ذهنى فهو يثمر دائماً ... فوائد تجنى فى الدفاتر للنفع
ونقطف من روض العلوم معارفاً ... وفى طبق التعبير تبرز للدفع
ويطعمها أذهان قوم تسابقوا ... إلى طلب العليا يهشون بالطبع
وتاقت إلى أوطان مكة همتى ... لحمامها ماليس يحمله وسعى
وقلت عسى ألقى خليلا مهذباً ... يساعد بالإنصاف فى الأصل والفرع
فلم ألق إلا جاهلا متصوفا ... يرى أن أهل الأرض من خدم الشمع
يخطف بالقلب الضعيف بدفّه ... وبالرقص والثوب المرقع والقمع
وإلا فتى قد نال حظاً من العلى ... ولكن يرى التقليد من موجب الشرع
ويحسب دعوى الاجتهاد محالة ... ولا فرق فى الظنى لديه ولا القطعى
كأن كتاب الله والسنة التى ... أمرنا بها قد أخذا باطن السمع

فقلت لنفسى إن فى العود راحة ... وبعد اختيار الناس قدطاب لى ربعى
ولى جلساء لايمـــل حديثهم ... يناجون طرفى بالأحاديث لاسمعى
سأجعلهم ماعشت أهلى وجيرتى ... وأسلو بهم عن مفرد الناس والجمع

* * *

قافية الفاء

وله رضى الله عنه إلى عالم بغداد الشيخ العلامة صبغة الله أفندى أرسلها إليه بيد تلميذه السيد منصور الواصل إلى صنعا فى سنة ١١٨٠ ﻫ .

حتام أنت على الغرام معنفى ... اقلل بلومك كيف شئت وخفف
إن الملامة كالمـــدامة فاسقنى ... كأس الملام فلست بالمستنكف
شوك الملامة منه أقطف ذكرهم ... كالورد فاصنع ماتريد وعنف
ماأنت بالنافى بلومك حبهم ... عنى ولا أنا عنهم بالمنتفى
لاتحسبن حبى لهم عرضاً أتى ... (كلفى بهم طبعاً بغير تكلف)
هم عدتى هم عُمْدَتى هم سلوتى ... وهم الأساة لكل صب مدنف
قد بعت روحى منهم فى حبهم ... وعفوت عن ثمن به مستخلف
فقبولهم روحى هو الثمن الذى ... لاأبتغى فيه نقادة صيرفى
قف بالديار ترى جمال جلالهم ... متأملا فيما تراه وفى وفى
هذى منازل من أحب فقف بها ... إن كنت تسعدنى بغير توقف
واطو المهامه فى ملاقاة المها ... إن كنت تزعم أنك الخل الوفى
من يطو منشور الفضا فى وصلهم ... نال الذى يهواه غير معنف
هل تسعف الأيام يوماً باللقا ... ياخيبة المسعى إذا لم تسعف
إن فات طرفى الاكتحال بنورهم ... فحديثهم فى السمع مثل القرقف
دارت على سمعى كئوس حديثهم ... فرشفت بالآذان ما لم يرشف

منصور منصور أدار كؤوسه ... مملوءة بسلافة السر الخفى
بصفات شيخ شيوخ بغداد الذى ... أوصافه كالراح المستوصف
العالم ابن العالم البحر الذى ... كل امرئ من بحره مستغرف
أنشدته لما أطال صفاتكم ... وأتى بكل معرب ومعرف
ياأخت سعد من حبيب جئتنى ... برسالة أهديتها بتلطف
فنظرت مالم تنظرى وسمعت ما ... لم تسمعى وعرفت مالم تعرفى
حدث ولا حرج عن البحر الذى ... يروى ظماك غرفت أم لم تغرف
قف فى بحار علومه تجد الذى ... يحويه كل مصنف ومؤلف
بحر العوارف والمعارف فاغترف ... من أى بحريه تنل ماتكتفى
ياصبغة الله الذى أوصافه ... صبغت فؤادى صبغة الخِلِّ الوفى
صدرتْ إليكم عن وداد صادق ... والأذن تعشق بالسماع وتشتفى
من سفح صدتها جادها سبلُ الحيا ... حتى تظل تريقها كالرفرف
قصدتك تقصد دعوة فى خلوة ... أو فى اجتماع وانفراد أو وفى
دعوة أخ لأخ بظهر الغيب دعـ ... وة صادق لحبه بَرٍّ وَفِي
فارفع بها كفيك فى الأسحار أو ... عقب الصلاة وعند نشر المصحف
قل رب نج محمداً بمحمد ... وذويه من أهوال يوم الموقف
صلى عليه الله ثم عليهمُ ... أزكى الصلاة مع السلام الأعرف

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه إلى المولى العلامة محمد بن إسحاق رحمه الله من شهارة يناصحه لعلها فى سنة ، بعد أن استقر بحضرة الإمام المنصور بالله رحمه الله بعد أن استقرت الأحوال بينهما ، وبلغ مولانا البدر أن رعاياه فى البلاد التى إليه من وصاب وحبيس وعافش ، يسلك عماله فيها مسالك أهل الجور ، فناصحه فى قالب المسئلة بقوله :

الحمد لله الذى لا بقى ... بحمده كل شكور وفى
ثم صلاة الله تترى على الـ ... ـمختار والآل ومن يقتفى
طريقهم كالبدر بدر الهدى ... من لاسواه اليوم من منصف
ودعوة أسأل من فضله ... أنجو بها من شدة الموقف
من بعد إهداء سلامى إلى ... مقامه الكعبة المعتفى
فهاهنا مسئلة أوردت ... من صاحب بر حفى وفى
دافعته فى كلما قاله ... وهو بما أبديه لا يشتفى
مع أننى أعطيت عند المرا ... بادرة تهزأ بالمرهف
قال أليس الظلم فى شرعنا ... محرم قلت له بلى وفى
قال وما يأتيه عمالنا ... تنكره أو لست بالمنصف
قلت ولا ينكره جاهل ... فلا تسمنى خلق الأغلف
قال فهذا عز أهل الهدى ... لكل ما يأتونه مقتفى
وقد دعا الناس إلى ضدها ... بقول العسال والمشرفى
وكم رسالات له حبرت ... ترشف بالأسماع كالقرقف
وكان ما كان وخاب الرجا ... والأمر لله به نكتفى
ونال منها بعض ما رامه ... فى قبض ما يصرف فى المصرف
والأمر والنهى له فى الذى ... إليه من مقو ومستضعف
وما نراه فاعلا فيهما[1] ... ما قاله وهو الصدوق الوفى

---

(١) أى الأمر والنهى .

بلاده مثل سواها وسل ... إن كنت للمحسوس لم تعرف
وكل مايقبض من مالها ... يصرفه فى نفسه كالنصف
لافرق فى التحقيق مابينهم ... وكل من يفرق لم ينصف
فعند ذا أفحمنى قوله ... وكنت قدماً أفحم الفلسفى
فقلت هبه مثلما قلته ... مالك والتفتيش للمختفى
هل حاسد أنت لما ناله ... أم طامع فيما لديه وفى
فقال بل حبّا وخوفا على ... شيبته من وقفة الموقف
قلت أراه عالماً إن يرد ... مقامه مافاته يشتفى
فقال هذا مقصدى لاسوى ... فازو كلامى غير مستنكف
وما أتى فيه فعندى لكم ... عهد به دهرى لم أخلف
برئت من دينى إذا جاءنى ... بالحق فى ذا ثم له أنصف
فلم أجد بدا سوى رفع ما ... دار إلى العلامة الأعرف
أروى له مادار مستروياً ... منه جواباً موضحا للخفى

* * *

كتب المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمه الله إلى مولانا البدر رضى الله عنه كتابا وأبياتا من هجرة شاطب فى شهر جمادى الأولى سنة ١١٣٦ هـ ست وثلاثين ومائة وألف بعد خروج والده ومن معه لمناوأة الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين رحمه الله وادعى والده وتكنى بالمؤيد فأجاب عليه البدر رحمه الله بقوله :

إن كنت ترضى فى الهوى بتلاقى ... فاصنع مرادك آمنــــاً لخلاقى
هيهات قد أخذ الغرام بمقودى ... فرضيت بالأخلاف والإسعاف
وأدر على سمعى حديث المنتقى ... قسماً بحقك ما سواه سلافى
وادرك بقيــة مغرم قد أظهرت ... أجفانه سرّ الغـــرام الخافى
يا صاحبى بحرمة الودّ الذى ... بينى وبينكم وبالإنصاف
إن جئتما حرم المكارم والعلى ... من بعد طى مهامــه وفيافى
وحللتما فى عصبــة علوية ... هم زبدة الكرماء والأشراف

من بعد لثمكما الأكف نيابةً ... عنى وإبلاغ السلام الشافى

قولا لمن أهدى إلىَّ نظامه ... بشكاية الدهر المقوم الجافى

لا فض فوك لقد صدقت بذمة ... وعلى الخبير سقطت والعراف

أنا قد حلبت الدهر أشطره وقد ... جربت خائن أهله والوافى

ونظمت فيه وفى بنيه قصائداً ... متغايرات أبحراً وقوافى

سُخطاً لأبناء الزمان فإنهم ... ما فيهمُ صافى الوداد مُصاف

وذكرت من يدعو إلى نهج الهدى ... ويريد منه حياة ربع عاف

فهو الجدير بما يروم وإنه ... وأبيك كفؤٌ للمرام وكاف

قد حاز كل فضيلة شرطوا وقد ... جمعت لديه محاسن الإنصاف

تالله لم أر منكراً لكماله ... إلا الذى من جملة الأغلاف

لكنه يدعو أناساً همهم ... فى خصب عيشهمُ وفى إسراف

صم عن الداعى وإن قالوا له ... قولا ففعلهم لذاك مناف

قوم عن العليا قعود جثم ... ليسوا بأهل صفائح وصحاف

لا يغضبون على الشريعة إن غدت ... منهدة الأرجاء والأكناف

أعنى بهم من يزعمون بأنهم ... رأس الورى والناس كالأخفاف

أو فرقة قد صار بين ظهورهم ... من كاذب ومخاتل حلاف

قل لى فأى عصابة يرجى بها ... نصر الهدى ونكاية الأفلاف

إن كان عندك من يدير عليهم ... كأس الردى بالسمر والأسياف

من دون هتك محارم وأرامل ... ومدائن ومعاقل وضعاف

فأدره لا تخشى عليهم رأفتى ... مثلى يحن على الجهول الجافى

ما لم فإن الصلح خير إنه ... قد سنه الأسلاف للأخلاف

قد صالح الحسن بن هند وهو فى الـ ... أبطال من أبناء عبد مناف

وأتى بجيش كالجبال يقودهم ... يمشون فى ظل القنا الرعاف

وكذا الحسين السبط قال بكربلا — لأميرها[١] دعني وخلّ خلافي
إني سأرجع طيبة أو أنتحي — ثغراً وإلا فالأمير[٢] أوافي
خذ ذا عن النُّبلاء ودع ما قاله — من لم يلِم برتبة الإنصاف
وذكرت أن الصلح ترضاه إذا — ترك الهوى ذو الجور والإسراف
وأزيل من ظلم الرعايا كلما — هو للشريعة والعقول مناف
وأراك قد رست الحال ومثل ذا — عن ذهنك الوقاد ليس بخاف
إني ومن بيت الإمام عصابة — في العدّ قد زادوا على الآلاف
مسترزقون من الرعايا أيهم — قنعوا بأكل فرائض[٣] الأصناف
بل يأخذون من الرعايا كلما — يحوونه كرهاً بلا استنكاف
أتظن من منكم يلي أمر الورى — يلقى قرابته بلا استخفاف
لا بل يقول عطاهمُ لي لازم — بل ذلك المقصود في استخلافي
أعطي الصغير مع الكبير معمماً — ذات الخمار وربة الأشناف
وإذا أراد خلاف هذا أشعلوا — في الأرض نارى فتنةٍ وخلاف
قسماً لقد فسد الزمان وأهله — فالكل عن نصر الهدى متجافي
فالرأيُ للرجل الذي يرجو بأن — يلقى الإله كمثل بشر الحافي[٤]
أن يترك الأمر العظيم لأهله — متسربلاً ثوبي هدى وعفاف
متجنباً أبوابهم وفعالهم — متحلياً بمحاسن الأوصاف
وخذ الجواب عن البديع مجرداً — ما فيه من نكت تعد لطاف
طوّلته جبراً لضعف نظامه — فاقبله عن درر من الأصداف
وأردت إبلاغ النصيح وبعد ذا — فالحق قول مؤلف الأتحاف[٥]

---

(١) عمر بن سعد بن أبي وقاص . (٢) هو يزيد بن معاوية لعنه الله .
(٣) الثمانية المذكورة في آية مصارف الزكاة
(٤) رجل من الصالحين مشهور . (٥) القاضي صالح المقبلي .

ثم السلام على رباكم كلما ذكر الأنيف معاهد الآلاف

* * *

وكتب المولى العلامة عبد القادر بن أحمد رحمه الله إلى مولانا البدر رضى الله عنه من كوكبان فى شهر صفر سنة ١١٧٣ ه أبياتاً معاهدة فأجاب عليه :

قد شف جسمى طول ما أتشوف لمشرّف بلقائه أتشرّفُ
مالى ووصف الغانيات وقد مضى زمن الصبا وسلوت عما يوصَفُ
قد كنت بالتشبيب عصر شبيبتى والدهر فيما أرتضى متصرفُ
أدر الرقاع على الأحبة أكْؤُساً برقيق شعر ما سواه القرقف
ما دَنُّهُ إلا الرقاع وكَرْمُه فِكْرٌ بغير بنانه لا يقطف
فإذا ترشفت المسامع لفظــه خِلْتَ القلوب من المسامع ترشف
وإذا عطفت على الرياض بوصفها خِلْتَ الغصون لرقّه تتعطف
إذ كان لى إخوان لطف كلهم بالطبع لا بتكلف يتلطفــوا
لا يعرفون سوى الوفاء من خلة إن الجفـــاء منكر لا يعرف
إن قلت شعراً أنشــدوه تباهياً كل إلى ما قلته متشوف
هذا يبالغ فى تحفظه وذا بيراعه الحلبـــله يستوقف
وإذا أديرت للعلوم مسائل وغدت سيوف البحث منها ترهف
شاهدت فرســان الذكاء كأنهم فى حلبة كل مجلّ منصف
ورأيت أقلام الفوائد قد غدت كنقاقر للطــير كلٌّ يخطف
فنفى على قوم سقـــام حينهم كأساً لها كل البرايا ترشف
والآن صرنا فى زمان كلهُ ذنب فمنه وعن بنيــه أصدف
فبمدحنا ما قد مضى من دهرنا سقياً له عن ذم هذا نصرف
وأقول حياه وحيا أهله حذراً وخوفاً من زمان يخلف

فاعطف عنان يراع نظمك واصفاً | من جاء منه عقد در يرصف
عقد من الياقوت قد قلدته | جيد اليراع ورصفته الأحرف
ففضضته وأفاض بحر مدامعى | وذكرت مالم أنس مما أعرف
من طيب أيام تقضت ليتها | دامت ونفديها بما يستطرف
كانت مواقفنا بكل خريدة | من كل فائدة تروق المنصف
أتراه غاظ الدهر طيب وصلنا | فسعى إلى تفريقنا يتعجرف
أم عين حاسدنا أصيبت بالعمى | نظرت فصارت حسرة تتلهف
وعسى ولعل وبعد هذا غيره | فرجا اللقا من خير ما يستشرف
وإليكها قد ألبست من لطفها | برد بمدحك والثناء مفوف
صدرت ولى أكم تجد لى بالدعا | فسداه بعد دعاك لا يتوقف

* * *

ووصل من المولى العلامة عبد القادر بن أحمد رضى الله عنه أبيات فى شهر المحرم سنة ١١٧٦ﻫ ست وسبعين ومائة وألف أرسلها من كوكبان فأجاب عليه مولانا البدر بقوله وأحسنها سؤالا :

أهذا الذى فى كأس نظمك قرقف | أبن لى أم السحر الحلال المزخرف
تحير فكرى فى حقيقته فما | أظنك إلا فى النجوم تصرف
نظمت الدرارى عقد نظم وجئتنا | بمعجزة عن مثلها لست أصدف
تحدّ بها أهل البلاغة وادّعى النـ | ـبوة فيها يتبعوك ويعرفوا
فإنى قد آمنت أنك شاعر | فلا تتحدانى ولا تتعرف
تبارك من أعطاك بحر بلاغة | فكل بليغ من معانيك يغرف
فلو كنت فى الدهر القديم لما غدا | حبيب[1] حبيباً بالبلاغة يوصف
ولا أحمد فيها[2] حميد نظامه | ولا لابن برد[3] منه برد مفوف
ولا ابن سليمان[4] بمعجز أحمد | وذكر حبيب فى القلوب يؤلف

---

(١) ابن أوس (٢) المتنبى (٣) بشار بن برد (٤) أبو العلا

سقى الله دهراً ضم شملى بشملكم ... على خفض عيش مثله لا يكيف
وكنا كندماني جذيمة برهة ... من الدهر حتى ساء منه التصرف
فمزق جمعاً كان فى الحسن مفرداً ... وشتت شملاً كان فى الوصف يوسف
على رغمه الأوراق تجمع بيننا ... بنظمكمُ وصل لشملي يؤلف
أتى وهو فى شرخ الشباب كأنما ... على خده ورد الشبيبة يقطف
فلاقاه شعرى وهو شيخ على العصا ... معانيه إن حققتها فهى تخرف
حكى كل نظم حال من هو ناظم ... ولا عجبٌ فالفرع بالأصل يعرف
ومن خرف قد خاض فى غير بحركم ... خشى غرقاً إن خاضه وهو مدنف
فأسبل عليه حلة العذر ساتراً ... عيوب معانيه فلا تتكشف

* * *

وله رضى الله عنه :

فـكرت من أهوى لمن لامنى ... فقال صفه علنّى أعرف
قلت سبانى حبه جملة ... فقال زدنى أيها الواصف
قلت الذى نكرت بإذا النهى ... بما عدا الجملة لا يوصف[1]

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً على بعض إخوانه العاتبين فى ترك المعاهدة أيام الفتنة ولعله المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله .

أما الوداد فودّى أنت عارفه ... والله ما نكرت منه معارفه
يأبى فؤادى أن ينسى الحبيب كما ... تأبى المودة أن تنسى عوارفه
ولا امتناع عهادى عنك عن ملل ... وإنما منعت عنه صوارفه

---

(١) إشارة إلى قولهم وتوصف النكرة بالجملة الخبرية .

تمضى الليالى وأفكارى مشتتة ... مما أشاهده مما أنت عارفه

فالدين ليس له راع ولست ترى ... من الخلائق إلا من يخالفه

كم من أمور عن التمييز تعجزنى ... وبحر نظمى يبدى العجز غارفه

لكنه ليس فى الدنيا أخو ثقة ... أملى له ما يراعى النوم عارفه

ما فى البرية إنسان أطارحه ... شكوى الزمان ولا خلٌّ أتاحفه

تحت الثرى صار إخوان الصفا فسقى ... أيامهم من سحاب الدمع واكِفُه

سوى الضيا من غدا منه الوفا خُلُقاً ... فليس فى الخلق إنسان يضايفه

فتىً تردّى رداء المجد أجمعه ... وردّ منه على العليا صوائفه

صفاته تعجز الأقلام إن رُقِمَتْ ... فليس يبلغ فيه الوصف واصفه

وافى إلينا نظام منه تحسبه ... دُرًّا على الجيد قد ألقاه راصفه

حوى بإيجازه الإعجاز يا عجباً ... منى أجبت ونظمى لا يناصفه

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه فى إنكار الألقاب المبتدعة .

تسمى بنور الدين وهو ظلامة ... وهذا بشمس الدين وهو له خسف

وذا شرف الإسلام يدعوه قومه ... وقد نالهم من جوره كلهم عسف

رويدك يامسكين سوف ترى غداً ... إذا نصب الميزان وانتشر الصحف

بماذا تسمى هل سعيد وحبذا ... أو اسم شقىّ بئس ذا ذلك الوصف .

☆ ☆ ☆

قافية القاف

وله رضى الله عنه إلى الشيخ العلامة محمد بن سالم وصال الأحسائى بعد كتب وصلت منه من مكة بعد قضائه الحج فى سنة ١١٢٨ هـ ثمان وعشرين ومائة وألف .

فؤادى إلى لقياكم الدهر مشتاق ... وقلبى وإن جد النوى لك خفاق

وعين جرت منها عيونٌ لبعدكم ... والدمع فى خد المحبين إهراق

وما مهجة الولهان إلا أسيرة ... وقيد الهوى لا يرتجى عنه إطلاق

كفى للمُعنّى بالغرام وشجوه ... فيا عجباً ما للعواذل إشفاق

فيا عاذلى كن عاذرى إن مهجتى ... تقسمها بين ووجد وأشواق

لقد فتكت أيدى النوى بمتيم ... فمهن إرعاد عليه وإبراق

يعز على قلبى فراق محمد ... وأن يتناءى منه خلق وأخلاق

فتى هو للأرواح رَوْحٌ وراحة ... فمن بعد للروح هم وإطراق

أيا ابن وصال أين وصالك إننى ... أرى الإسم ما لمعناه مصداق

إذا زرت أرضاً كنت إنسان عينها ... كأنك نور والمواطن أحداق

لجيد أزال بعد بعدك عاطل ... وكان عليه من معاليك أطواق

أقمت بها تجنى العلوم بمنصل الـ ... ـيراع وأوراق الفوائد أطباق

وفارقتنى حتى خيالك لم يزر ... وهل هدأت لى بعد بُعدك آماق

لئن فرقت بينى وبينك غربة ... فقد جمعتنا بعد ذلك أوراق

إذا اعتل قلب الصب بالبعد والنوى ... فإن وريقات الأحبة درياق

ووافى كتاب منك أسكن روعتى ... وبرد قلباً فيه للبين إحراق

كلام هو السحر الحلال وإننى ... لفى سكرة منه ومالى إفراق

وأودعته نظماً بديعاً كأنه ... هو الدر عقداً والقراطيس أعناق

فلو قابلته بنت تسعين حجة ... لأضحى عليها الملاحة وإشراق

فضضت له ختماً ففاضت مدامعي ... سروراً ففي خدّيَّ للدمع أسواق
وسرحت طرفي في رياض سطوره ... فما هو إلا البحر بالدر دفّاق
وصفت به البيت العتيق وطيبة ... سقاهن من صوب السحائب غيداق
منازل فيها للعبادات رونق ... وفيها لرقِّ الذنب مَنٌّ وإعتاق
منازل فيها بحر عفو ورحمة ... فللذنب محو في ذراها وإغراق
تشق إليها العيس كل تنوفة ... وللعيس في قطع المهامه إعناق
سلام على تلك المعاهد من فتى ... له نحوها وجد وجدٌّ وأشواق
ولا برحت تهدى إليك تحية ... تطيب بها من جوِّ أرضك آفاق
وصلِّ على المختار والآل كلما ... سرتْ بين إخوان المحبة أوراق

* * *

وله رضي الله عنه جواباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

ما آن للعاذل أن يغلقا ... باب عتاب ويرى مشفقا
ما لي على بابك من طاقة ... ولا لما تدايه من ملتقى
ضيعت هذا النصح عندي كما ... ضيعت قلبي عند غصن النقا
تركته رهناً لديه فقد ... كاد وحق البين أن يغلقا
ما القلب إلا طائر في الهوى ... لذاك قد صيد بسهم المقا(١)
يا عجباً يرقى على قده ... ودمع عيني أبداً مارقى
بل لا عجيب فغصون النقا ... صارت لأطيار الحمى مرتقى
والقلب ظرف مستقر له ... فلا عجيب إن به علّقا
ياساحر الأجفان صل ساهراً ... من سحر عينيك عديم الرُّقى
حيران لا يعرف مما به ... شاماً ولا غرباً ولا مشرقا

---

(١) من الترخيم للضرورة والمراد « المقل » والألف للاطلاق .

لا يهتدى وجهاً لمقصوده حتى يرى وجهاً له مشرقا
سكران من خمر الهوى لا يرى مذ احتسا خمرته مفرقا
إلا بأن تنظر أجفانه من حبه وجهاً ولو مفرقا
قال لى الناصح فى حبه تروم يا مسكين منه اللقا
هيهات لا تدرك مارمته حتى تُرى فى حبه كالنقا
لا تنفع الحيلة فى بابه لا القاصدا فيه ولا النافقا
لا ينفع الدمع ولو أنه كان دماً من جفنه مطبقا
ولا رقيب انثار نار الجوى ولو غدا منها الفتى محرقا
ما غير تمزيقك ثوب النوى وهتك ما بينكم لفقا
حتى يرى شوح ضيا العلى والمجد فيه حاملا صبخقا
فتى حوى كل كمال ومن ينكر هــذا عده أحمقا
وقل له يسمع نظما له ينظر روضاً مثمراً مورقا
واحضر إذا ما شئت تدريسه ترى له يخضع من حققا
وليحترس من نار ذهن له فإننى أخشى بأن يحرقا
وليغترف من بحر إحسانه فالكل منه قد سقى واستقى
وإن تسل من بعد عن خلقه فعندى التحقيق فى ذا اللقا
لست أرى بأهل لأن يقال كالروض وإن أصدقا
ما هـو إلا خلق لطفه من كل لطف قد غدا أرشقا
يسترق الألباب حتى لقد كنت أرى مثلى لن يسرقا
فاسترقت أخلاقه جملتى وكنت من قبل فتى مطلقا
ولم يزل يبعث لى نظمه أن غبت عنه لأرى مونقا
وقد أتانى منه نظم فهل يحسب مثلى شاعراً مفلقا

وقد كان لى بحر نظام وقد ... غاض فمنه الآن لا يستقى
وقد ذوى روض المعالى وهل ... للروض إن لم تسقه مرتقا
وكيف لا والجهل أضحى يُرى ... غير لواه اليوم ان يخفقا
وكلما قلنا عسى أقلعت ... سحابه أرعد إذ أبرقا
والعلم قد نكس أعلامه ... منكسراً من شوم ماقد لقا
والجهل ينمو كل حين فلا ... يأتى إلا فيلقاً فيلقا
وكم وكم أسرد من ذا الذى ... ليس له من سامع ملتقا
فاعطف عنان القول من بعد ذا
مهنئاً بالعيد خدن التقى
هنيئتى بالعيد يا من أرى ... تهنئة العيد به أليقا
وأنت فى جيد العلى والثنا ... طوق به هذا وذا طوقا

* * *

وقال رضى الله عنه لما استأذننى سيدى العلامة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله فى شرح منظومتى للكافل المسماة «بغية الأمل» وأذنت له وأخذ فى ذلك كتب إلينا عمه السيد العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله يذكر أنه ماتم شرح المنظومة بل صار مشغولا بالحمام وكانا جميعاً فى السجن فى قصر صنعا فكتبت إلى الضيا رحمه الله مداعباً وذاكراً له أنه وشى به عمه رحمهما الله تعالى .

أشغلت بالورقا عن الأوراق ... ياراقياً فى المجد خير مراق
فرغت سمعك لاستماع مطوّق ... يشدو فيبعث لاعج الأشواق
طوراً يغنى للخلىّ وتارة ... يبكى الشجىّ بدمعه المهراق
وإذا تأملت الحمام وجدته ... يبكى كما أبكى فراق رفاق
إذ فارقت إلفاً وروضاً يانعاً ... ونأت عن الأغصان والأوراق

وغدت بسجن ضيّق فكأنها قد نازعت ملكا بطول شقاق
عادت لها الأغصان أقفاصاً كما عاد الحسام مطوّقا للساق
فغدت مطوّقة وأنت مطوق فى الساق أنت وتلك فى الأعناق
لا تشغل الفكر الشريف بشجوها واشرح هواك لأعشق العشاق
لمتيم مازال يفرى قلبه بقنا القدود وصارم الأحداق
حتى غدا نفلا لكل خريدة تبتاعه الألحاظ فى الأسواق
دع شرح بغيته وطارح نظمه يا منيتى ببدائع ورقاق
وإلى متى شغل الفؤاد بفكره فى قول كل محقق سبّاق
قد مات سعد الدين والعضد الذى كانت يداه يداً على الحذاق
ودع المطول مع النظام وهات لى نظما كنظم مصارع المشاق
وصف الخدود مع القدود وخلنا من مبحث التقييد والإطلاق
ولقد وشى بك من وشى متحرشاً متطلبا للعتب والإقلاق
لله ما أحلى طريقته التى ما زال يسلكها بحسن سياق
طوراً كما رق النسيم وتارة يحكى لنا الأطواق فى الأعناق
لا غرو فهو البحر كل غريبة منه بمن المانح الخلاق
خُلُق الملوك ولطف إخوان الصفا ورقائق الصابى أبى إسحاق
ومواهب عمت عموم الغيث بل سارت مَسيرَ الشمس فى الآفاق
ومعارف وعوارف ولطائف للطالبين سوالف وبواقى
للناس خلف فى سيادة غيره وعلى سيادته أذعنوا بوفاق
لا زال سحب نواله وكماله يغشى البلاد بوابل غيداق

* * *

وله رحمه الله إلى السيد العلامة القاسم بن أحمد العيانى رحمه الله كتبها إليه من شهارة وأرسلها إليه إلى الروضة .

يا نسيما أذكى لهيب اشتياقى ... زُرْ أحبّاى واصفاً أشواقى
قل لهم إن سكنتم فى جنانٍ ... فهو فى النار فى عذاب الفراق
لا يذوق المنام طَرْفِى المعنى ... وصبوحى من أدمعى واغتباقى
ما سميرى إلا تذكر أيا ... م تقضت والعيش حلو المذاق
هل عساها تعود يوما من الده ... ر وتفدى من عمرنا بالبواقى
فى رياض غنت على دَوْحِها الور ... قُ ومالت أغصانها للعناق
وعيون الزهور من أثر الط ... لّ كصبٍّ أبكاه بعد التلاق
وإذا ما النسيم هبَّ أفاضتْ ... لؤلؤ الطَّلِّ راحة الأوراق
ولديها من الرياض رياض ... نجتنيها من طيّب الأخلاق
علمِ الدين مَنْ إليه المعالى ... مسندات بالبتِّ وَالاِتّفاق
فاق أبناء عصره فلهـذا ... طار عنه الثناء فى الآفاق
قد تولى فصل القضا فى شباب ... ثم فاق الشيوخ عند السباق
كم قضايا ما افتضها فكر قاض ... حلها ذهنه كحَلِّ الوثاق
بحر علم وبحر جود فَرِدْ ما ... شئت تظفر يداك بالأرزاق
يا خليلى بل سيدى ونصيرى ... وشريكى فى طيب الأعراق
لست أشكو إليك غير فراق ... طال بينى وبيـنكم يارفاقى
قد تقضّى حولٌ وحولٌ تدانَى ... والنوى ثوبه جديد الرواق
كلما قلت قد تناها تبـدى ... مثل ليل الصدود للعشاق
ليس أنسى غير الرجا لتقضيـه وما جاءنى من الأوراق
فهى كالوصل واللقا لفؤادى ... وهى أحلى من السكرى للأماق
فَصِلونا بها ولا تقطعونا ... فهى كحل يهدى إلى الأحداق

وَأَمِدُّوا بدعوة تذهب الْبَيْـــنَ سريعاً وتأتنا بالتلاق
وعليكم تحية لا تقضى مثل حُبِّي لكم وطول اشتياق

* * *

وله رضى الله عنه .

قال لى اللائم لما رأى تعلق القلب بغصن النقا
اقطع علاقات الهوى تسترح فقلت أو تسمع منى المقال
قلبى ظرف مستقر له فلا تلمنى إن به علقا

* * *

وله رحمه الله مما قال فى السجن :

أراد منامى أن يواصل مقلتى وما عاقه عن وصلها قبلُ عائق
فلما رآه إلا الطارق حوله ففرَّ ونادَى أن هذى صواعق

* * *

وله رضى الله عنه عند الوقوف على حديث البطاقة المشهورة :

مهما تفكرت فى ذنوبى خفت على قلبى احتراقه
لكنـــه ينطفى لهيبى بذكر ما جاء فى البطاقه

* * *

ولما بلغ رحمه الله سنة ١١٨٠ه وكانت موفية لثمانين سنة من عمره قال تحدثاً بنعمة الله عليه وأورد قبلها أحاديث من بلغ هذا وتحدث بنعمة الله عليه ، وسماها « القول المتين ، فى بشرى من بلغ سن الثمانين » .

الحمد كل الحمد للخلاق رب العباد قاسم الأرزاق
وله المحامد كلها من كاننا حمداً يعم الحمد باستغراق
ألبستنى حُلَلَ الثنـــاء تفضلا ونشرتها فضلا على الآفاق
حتى أتتنى بالثناء رقاع مَنْ أدرى ولا أدرى بلا استحقاق

ودعوا لنا فأجب دعاهم واجزهم — خيراً ولاطف صحبتي ورفاقي

وأنا الذي ألبست نفسي حلة — منسوجة بقبائح الأخلاق

فسترتها فضلا وأظهرت الذي — ألبستني فلك الثناء الباقي (١)

ألهمتني كسب العلوم مسخراً — لي كل شيخ عالم سباق

في كل فن قد أخذنا عنهم — في الليل أحياناً وفي الإشراق

بذلوا نفوسهمُ وكتبهمُ لنا — فكأنها كتبي بغير فراق

فجزاهم الرحمن خير جزائه — أما جزاي لهم فغير مطاق

حتى إذا أدركت منهم بغيتي — درّست أعيانا من الحذاق

ما زلت أغذوهمُ بما علمتني — حتى سموا ورقوا أجلّ مراق

ما منهم إلا إمام فاضل — ظهرت فضائله على الأوراق

ما بين تأليف ونظم فائق — ينسيك بالصابي أبي إسحق

حتى إذا شب المشيب بعارضي — ومضى الشباب وكان خير رواق

ألهمتني نشر الحديث وسنة الـ — مختار حتى أشرقت آفاق

طلعت بها شمس الحديث فأقشعت — ظلم ابتداع ما لها من راق

فهدى الإله إلى الحديث جماعة — فازوا به إذ وفقوا لوفاق

ثبتوا على قدم الهدى وجماعة — قاموا على ساق لحرب رفاق

وتشددوا تهددوا لكنها — عادت نكايتهم إلى الإخفاق

رد الإله مكايداً منهم وما — راموه للأرواح من إزهاق

وصدعت بالتفسير للقرآن في — أمم هم الأعيان في الأحداق

فلقد استفادوا منه كل إفادة — ما لم يروه قبل في الأوراق

فتح من الله الكريم ومنة — مدد أتى من قاسم الأرزاق

---

(١) دعاؤه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم «يا من أظهر الجميل وستر القبيح» رضي الله عنه .

لا مانع لعطائه أيضاً ولا   مُعْطٍ لمنع الواحد الرزاق

أرجو بهذا كله عفو الذى   عمَّ الوجود بجوده الدفاق

وكذا بإصلاحى ثلاث طوائف   قد أشعلوا فى الأرض نار شقاق

ما بين قاسم الإمام وفتية   من آله وهُمُ بنو إسحق

فِتَنٌ بها نُهِبَتْ هناك طوائف   وطوائف فروا من الإشفاق

وكذا الحسين وأصله العَلَمُ الذى   ضربتْ له العليا أجلَّ رواق

وكذا الحسين وصنوه فتنوا الملا   وتقطعت طرق عن الطراق

تسع من السنوات كان بقاءها   فتضيق عن تفصيلها أوراقى

آمنت بإصلاحى لتلك معاشر   وبه الدما حقنت عن الأهراق

والرابع الإصلاح بين إمامنا   وأخى أبيه طيب الأعراق

جمل الإله صلاحهم لسعايتى   مابينهم بالصدق والأصداق

وعففت عن أموالهم لاقطعة   أقطعت أو مكس من الأسواق

أو كيلة من أىّ مخزان فلا   أشكو من الخزان والسواق

عرضوا علىَّ وزارة وولاية   فوقانى الرحمن أفضل واق

جعل الوزارة والولاية لذتى   فى العلم ربى صادق الميثـــاق

وأتى برزق واسع يربو على   ما فيه حاجة ملبسى ومذاقى

أرجو الجزا من خالق السبع الملا   فى يوم فقر الخلق والإمـلاق

يوم يشيب الطفلُ من أهواله   والناس سكرى لا بكأس دهاق

هـذا كما أمر الإله تحدثٌ   بالفضل والإنعـام والإنفـاق

أنفقت عمرى فى رضاه بفضله   وعساه كالماضى يكون الباقى

والآن سِنّى فى الثمانين التى   بلغتها فضلا من الخـلاق

متعت فيها بالحواس وبالذى   أهواه من ولد ومن أرزاق

وأقول فى هذا النظام مخاطباً   نفسى التى هى أنفس الأعلاق

يا ابن الضيا خالفت والدك الضيا ... فغدوت للدنيا من العشاق

يا ابن الضيا أين الزهادة والتقى ... وهما صفات أبيك باستحقاق

يا ابن الضيا قرب الرحيل ولا أرى ... زادا لديك يعد للإنفاق

يا ابن الضيا قف سائلا متضرعاً ... بالباب واطرقه مع الطُّرّاق

يا ابن الضيا قل شاب عبدك آبقاً ... فعسى عساه يمن بالإعتاق

يا ابن الضيا ماذا تقول لسائل ... فى اللحد إن وافاك بالمطراق

يا ابن الضياء ماخفت يوم الحشر والـ ... ـميزان عند تطاير الأوراق

فأجبتها يا نفس قد طولتِ فى النهـ ... ـويل والإزعاج والإقلاق

أنا فى غد ضيف الكريم وضيفه ... لا يحملنّ الخبز فى الأطباق

هذا هو الضيف اللئيم لأنه ... وصف الكريم بأقبح الأخلاق

وهو الذى عم الأنام بفضله ... إحسانه الأطواق فى الأعناق

والزاد كل الزاد فى التوحيد والـ ... إيمان بالراقى لسبع طباق

وأنا بحمد الله ربى مؤمن ... ما شيبَ إيمانى بشوب نفاق

وبذا أجيب مسائلى فى حفرتى ... وبه ختام القول عند سياقى

هذا بفضل الله ربى وحده ... والفضل عند الموت منه باق

بل فضله بعد الممات مضاعف ... أتت النصوص به على الإطلاق

سل سورة الأنعام والأعراف تَنْـ ... ـقَ نصوصها فى هذه بوفاق

وكذاك «غافر» والتى من قبلها ... بهما صفات العفو للخلاق

أو ما علمت بأن رحمته التى ... عمّتْ جميع الخلق فى الآفاق

من مؤمن أو كافر ومنافق ... أو فاسق من أعظم الفساق

بل كل ما فى الكون من أفضاله ... حتى الغراب وربة الأطواق

بل والجمادات التى من فى أرضه ... فى فضل موجدها بلا استحقاق

أوَ ما الدينار وهو حجارة ... كل الأنام له من العشاق

والثؤلؤ المعروف أضحى زينة   للغانيات يُرَى على الأعناق
والفضل هذا كله من رحمة   لا غير من بها الإله الباقى
ولديه مدخر لنا من فضله   تسعون مع تسع[1] ليوم مساق[2]
سيضم هذا ربنا من فوقها   فتكون عشر الألف للإنفاق
ويُفيضها يوم الحساب على الخلا   ئق منّةً فى يوم كشف الساق
جاءت بما قدمت النصوص صحيحة   من حافظ عن حافظ سباق
ثبتت عن المختار أحمد من رقى   ظهر البراق وحبذا من راقى
صلى عليه الله خير صلاته   والآل أرباب التقى السُّبَّاق

* * *

وله رضى الله عنه فى ثقيل .

وثقيلٍ كلفتُ نفسى لقيا   ه وهذا تكايف مالا يطاق
أنقذونى منه ولو بمماتى   رُبَّ موت يلذ منه المذاق

* * *

ولما اطلع رحمه الله على قول ابن الراوندى .

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه   وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً
هذا الذى ترك الأوهام حائرة   وصيّر العالم النحرير زنديقا

* * *

قال رحمه الله بعد البيت الأول :

هذا الذى زاد أهل العلم معرفة   وزادهم بالإله الحق تصديقا
فليس بالجهل صار الرزق مقتبطاً   وليس بالعقل صار الرزق محوقا

---

(١) إشارة إلى حديث معناه « إن الله مائة رحمة الخ أدخر منها لعبادى يوم القيامة تسعاً وتسعين رحمة » .

(٢) اقتباس من قوله تعالى « إلى ربك يومئذ المساق » والمساق مصدر ميمى بمعنى السوق وهو على حد قوله تعالى « وإلى المصير » والمراد بيوم المساق : يوم القيامة .

وإنما هي أرزاق مقـــــــدرة بحكمة الله فاسئل منه توفيقـا

* * *

وله رضي الله عنه في صدر أبيات إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمه الله .

أيهـا العاتب رفقاً ليس ما تعتب حقا
إن عتبي لك أولى غير أن العفو أبقى
أنت أهملت كتابي وهو قد وافاك رقا

* * *

وله رضوان الله عليه إلى السيد العلامة قاسم الرموزي رحمه الله بعد اطلاعه على مؤلفه المسمى « صفوة العاصر في آداب المعاصر » .

فكتب إليه مقرضا له (١) ...

مولاي السيد العلامة ، السالك مسالك الجلال والاستقامة ، علم الإسلام : وواسطة عقد هذا النظام ، المحب وقف على هذا التأليف وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه ، والتأمت عليه شغاف قلبه كما التأمت على الزهر كمائمه ، وقال عند ماقرأت سطراً منها ، وقد ثملت من خمرها ، وارتشفت رياها :

يالله من مؤلف هو ينسي بالأغاني وروضة المشتاق
قلت لما ثملت منه أهـذي خمرة أم به غنى إسحق
أم هو السحر لا وأستغفر اللـ ـه فهذا السحر كالدرياق
جنة أينعت وروض أريض فاقتطفها بالذهن والأحداق
وتنشّم منه روائح لطف واتخذه عقداً على الأعناق

---

(١) التقريض والتقريظ بمعنى واحد وهو المدح إلا أن التقريظ خاص بالمدح والتقريض من الأضداد يستعمل للمدح والذم جاء في القاموس المحيط ، التقريض : المدح والذم ضد » والتقريظ : مدح الإنسان وهو حي بحق أو باطل وهما يتقارضان المدح ، يمدح كل صاحبه وأهل اليمن ونجد والعراق يبدلون الظاء ، ضاداً ، يقولون في مستهل كتبهم أو خاتمتها تقاريض الكتاب ، ودرج الشاميون ، والمصريون ، والهنود ، والأتراك على التعبير بالظاء ، فيقولون « التقاريظ » ولكل من الفريقين شاهد في اللغة كما نقله صاحب القاموس وغيره .

أدرَّتْ نحوك الكواكب حتى رصفتها بذاك في الأوراق

وكلام تنشيه أنت فلا غَرْ إذا فاق أهل السباق

إن نطقتم فالنثر من فيك دُرٌّ أو نظمتم فالجوهر في نطاق

قد بلغتم من البلاغة شأواً أعجز اللاحقين في الآفاق

أنت إنسان كل عين كمال وجمال له على الإطلاق

فابق كالبدر في عُلوّ ونور وكشمس النهار في الإشراق

وسلام عليك من رق وُدّ عن هوا كم حاشاه من إفراق

* * *

وله رضى الله عنه جوابا على الفقيه العلامة أحمد بن يحيى الشامي رحمه الله بمحروس شهارة :

وافى نظامك أيها الفذ الذي حاز الكمال وحاز خير طرائقه

نظم أرق من النسيم لطافة وألذ من ثغر الفتى بمعانقه

تشكو الزمان وكم شكاه أخو التقى لما رماه تعمداً ببوائقه

وهضمت رتبتك التي حيتها في العلم إذا أدركته بحقائقه

والله لست بدونهم في رتبة ولقد أخذت كأخذهم بسوابقه

ولبست في كل العلوم مطارفا وعدوت فيها من أجل بطارقه

ولقد عجبت لما ذكرت وهكذا حال الزمان وأهله وخلائقه

* * *

قافية الكاف

وله تغمده الله برحمته راثيا للمولى العلامة شرف الآل الزاهد الورع الحسن بن القاسم بن المؤيد رحمه الله تعالى :

ثوى جبل العلم الذي طال واندكّا وأصبح عقد الجود والعلم منفكا

هو الخطب قد أصلى الحشا لهب الأسى فكم مهجة أنكى وكم مقلة أبكى

فقل للعفاة السائلين توقفوا ولا تطلقوا سفن المطالب والفلكا

فقد غاض بحر الجود بعد اضطرابه ... بأمواج بذل لا تحاى وان تحكى
فتى همة إيثار من كان معدما ... فلم يدخر مما يحوله ملكا
أبا كان للأيتام بعد أبيهم ... فلم تعرف الأيتام ماالعيشه الضنكا
حليم إذا الجانى أتاه كأنه ... أتاه بأمر يوجب البر والضحكا
ويلبس من وافاه فى برد روعة ... من الأمن بردا لا يخاف له هتكا
يرى زهرة الدنيا هباء زهادة ... وينظر ما يأتيه من صدقها إفكا
على مثله تذرى العيون دموعها ... كعقد من المرجان قد قطع السلكا
ولا ألتقى قائما نصك تأسيا ... خدوداً مصونات على فقده صكا
سأبكيه لا كالخود يقصر حقها ... ولكن بدرس الذكر فى الليلة الحالكا
سلام على تلك الشمائل إنها ... إلى الله فيما ناب من فقدها بشكى
سلام على تلك الشمائل إنها ... شمائل أبرار على مثلها يبكى
سقى جدثا قد ضمه غيث رحمة ... وأفرشه من طيب رضوانه مسكا

* * *

وله قدس الله روحه فى عليين :

حسبك الله لم أطلت جفاكا ... لمحب معذب بهواكا
يا رشيق القوام رق لقلب ... خافق لا يريد غير لقاكا
إن فى القلب من جفاك لهيباً ... فترفق لا يحترق مأواكا
أقسمت مقلتى مذغبت عنها ... أن تشن الدموع حتى تراكا
فتعطف ورق وارث لحالى ... وتفضل برده روح فداكا
ليت شعرى على م طولت هجرى ... وإلى كم أذوق مر جفاكا
يا سقى الله عصر وصل تقضى ... وعسى أن ترده لى عساكا
أنا والله لا أحول عن العهـ ... ـد ولا أرتضى بخل سواكا

* * *

وله رحمه الله فى الهزل الذى يراد به الجد :

بقول من فى علمه يدعى ... بأنه قد فاق أهل الذكا
قد دق عن فكرى ما دققوا ... فقلت دع مادق عن فكركا

* * *

قافية اللام

وقال رضى الله عنه نفثة مسطور ، وكلمة جاشت بها الصدور ، عند تغير الأمور :

هل فى الرفاق متيم مثلى ... أملى عليه ومنه أستملى
طوراً أسليه وآونة ... لجيبه بحديثه يسلى
وأبث ماعندى وآمن من ... تسديده لقوارع العذل
ويقول قد لاقيتُ قبلك من ... ابلى كما لاقيت من جمل
برح الجفا مالغرام ولى ... حاشا يلم بمثله مثلى
ياسعد فى دهرى وفتنته ... شغل لقلبى أيما شغل
إن الزمان وقيت فتنته ... أضحى بلا لُبٍّ ولا عقل
قد صار فى حال منكرة ... لا يعرف التمييز فى فعل
كنا نؤمل أن يميز فى الا ... أحكام بين الرأس والرجل
وإذا قد التبسا عليه وقد ... عكس القضية عكسها الكلى
قبحاً لوجهك يازمان لقد ... أدنيت شأو المجد والفضل
وهدمت عمداً كل قاعدة ... عمرت لأهل العقل والنقل
صار المقدم تالياً وأتت ... هذى النتائج لا على شكل
وخفضت مرفوعاً بلا سبب ... أكذا يجازى كل ذى نبل
وفصلتنى عن جلتى غلطاً ... أجهلت باب الفصل والوصل
حتَّامَ ترمى كلَّ ذى شرف ... ونصيب أهل النُّبلِ بالنَّبلِ

صبراً عساه يجيء معتذراً ويطهر الأوساخ بالغسل
ويعض من ندم أنامله ودموعه فى الخد كالوبل
ونظل فى ظل الأمان وقد نشر الزمان مطارف العدل
وسحائب الإقبال قد سكبت وبلَ المنا لإزالة المحل
فهناك أكسو الدهر من كلمي حُللاً حلت كرقائق الحلى
ثق بالذى تهواه يا أملى ستری قريباً صدق ما أملى

* * *

أنشد الثعالبى رحمه الله فى يتيمة الدهر لأبى سعيد الرستمى محمد بن محمد عرق جده برستم فى مدح الصاحب ابن عباد قال الثعالبى إنه جمع محاسنه ولطائفه فيها وهى :

سلام على رمل الحمى عدد الرمل وحق لها التسليم من عاشق مثلى
وقفت وقوف الغيث بين طلوله بمنسكب سح ومنسجم وبل
ومادمت حتى رامنى الركب رمة وأذرف آماق الحمى الدمع من أجلى
خليلىَّ قد عذبتمانى ملامة كأن لم يقف فى دمنة أحدٌ قبلى
وعما شجانى والعواذل وقف ولى أذن صمت هناك عن العذل
ظباء مررتُ بالأبطحين عواطلا وكنت أراها فى الرعاث وفى الحجل
تبدلن أسماء سوى ما عرفتها لهن فلا تدعى بسعدى ولا جمل
أشابهن أحداقاً وطول سوالف وخص الغوانى بالملاحة والدل
ومكحولة الأجفان مخضوبة الشوا ولم تدر مالون الخضاب من الكحل
ذكرت بها من لست أنسى دنوها وإن بعدت والشيء يذكر بالمثل
سقى الدمع مغنى الوايلية بالحمى سواجم تثنى جانبيه عن الوبل
ولا برحت عينى تنوب عن الحيا بدمع على تلك المناهل منهل
مغانى الغوانى والشبيبة والصبا ومأوى الموالى والعشيرة والأهل

وما كان يخلو بارق الجو من هوًى ولـكننى أمسى بغير الهوى شغلى
فراح بنانى ذكرهن وهاجنى كما هاج ليث الغاب وغوغة الشبل
وكم قد رحلت العيش فى طلب العلى فلما بكت سعدى حططت مهار حلى
نزلت على الأيام ضيفاً فلم أجد قِرَى عندها غير النزول بلا نزل
وقد سامنى أهلى المقام بذلة ولست بأهل للذى سامنى أهلى
سبيل المنى رحبٌ على كل سالك فما لىَ أمشى فيه فى مدرج النمل

* * *

وعارضها مولانا البدر رضى الله عنه فقال:

سلام على الدار التى جمعت شملى وشمل الذى أهواه فى زمن الوصل
بها نلت ما تهوى النفوس وترتضى فأمْلِ إذا وافقت سمعاً استملى
حلت بها عنى عقود تمائمى وحليت جيدى بالفضائل والفضل
قطعت بها عصر الصِّبا بين جيرة لإحسانهم عاد الأجانب هم أهلى
فلم أر إلا باسماً عند خدمتى فمن واضع رحلى ومن حامل نعلى
أحكّمُ فى أموالهم فتصرفى تصرفهم فيها وفعلهمُ فعلى
وأقسم لولا حرمة الشرع بيننا لقالوا تحكم فى البنين وفى الأهل
وكم روضة قد أنزلونا كأنها رياض جنان الخلد شكلا على شكل
يبلبل فيهما النهر حتى كأنه يترجم أصوات البلابل إذ تملى
فأطيارها غنّتْ وصفق نهرها وأعجبها رقص الغصون بلا رجل
وقد طرزت أرض الرياض يدُ الحيا وجاد عليها السحب بالوبل والطل
وقد فرشتها عبقرىُّ زهورها فخلنا العيون البابليات فى الرمل
وكانت سليمى باسقى الله عهدها تراسل سراً بالرسائل والرسل

تسائل حينا كيف أصبحتَ بعدنا
فقلت لرجوى الوصل أصبحت فى فضل

فقالت وكم ترجو الوصال وإنما قصارى وصال أن تعود إلى فصل
أمالك فى مَرِّ الجديدين عبرة بلى إن فى مر الجديدين مايبلى
يُمِرّ كل الكائنات مرورها ويلحق فيها الطفلُ بالشيخ والكهل

فسرح طرف الفكر فى الأرض هل ترى
سوى ذى عَنَاء من أذاها وذى شغل

تذكر فكم فارقت من كل ماجد ومن عالم بحر وغُمْر أخى جهل
دع الناس واذكر مافقدت من القُوَى فذالك عندى عبرة لذوى العقل
رياض شباب كنت أحسب أنها تدوم كأنى مارأيت فتًى قبلى
وصبح شبابى مثل لمعة بارق كأن سواد الشعر نوع من الظل
غزاه بياض الشيب من كل جانب كمنتصر للخد فى لونه الأصلى
ولم يدر أنى لاأريد انتصاره إلى الله من نصر يعود إلى قتلى
فما الشيب إلا من جيوش منيتى يقيم قليلا ثم يرحل بى كلى
فما باله إن كان ينصر لونه ويزعم أن الفر قد كان من أجلى
أضر بأسنانى وكانت كلؤلؤ يضم لثاتى سمطها غير منحل
قصيرها سلكا وعاد كلؤلؤ بثور على رغمى من العقد منسل
وقد عاد رمح القد قوساً كأنه يحاول رمياً للمنيـــــة بالنّبل
وهيهات لا تغنى القسِىُّ عن الردى ولا الأسل الخطى عن دفعها يسلى
وكادت خطاى أحسن الله سعيها يروم بمشاها مساجلة النمل
فما هذه الدنيا بدار إقامة فما بالنا كل تراه بلا عقل
أما لو عقلنا ما غفلنا عن الذى يراد بنا فالحكم لله ذى الفضل

* * *

وله رحمه الله :

عبد أساء ثم أتى قارعاً ... باب كريم لا يرد السؤال
آتاني المطلوب من فضله ... وزادني من فضله ما أنال
يلطف بي في كل حال أتى ... فالحمد لله على كل حال

* * *

ووصل إليه رحمه الله هذا السؤال من الشيخ العلامة عبد الله بن محيي الدين بالعراسي رحمه الله :

يا أيها البدر المنير والذى ... بشمس علمه الظلام ينجلي
كيف اقتصاص الله للجما من ال ... قرنا وكل منهما لم يعقل
وإنما العقاب فرع العقل قال ... مروى في ذلك أى مشكل
فطالما أملت أن أرى له ... حلا ومنك أرتجي مؤملي

* * *

فأجاب رضي الله عنه :

أهلا بنظم كالرحيق السلسل ... وافى بسؤال من ذكى مقول
كيف اقتصاص الرب للجما من ال ... قرنى وكل منهما لم يعقـــل
والعقل في التكليف أمر لازم ... فاكشف لنا عن صبح ليل أليل
فاعلم هـــديت للرشاد إنه ... قد صح ذا عن النبي المرسل
وإنه حتم به إيمـــاننا ... من غير تأويل ولا نستشكل
ويجوز أن لها بتلك مداركا ... خلقت لها حقاً من الرب العلى
أو ليس تعرف ضرها من نفعها ... فانظر إلى أحوالها بتــأمل
لا مانع عن قصدها في نطحها ... بقرونهـــا أضرارها بالأعزل
وتذودها عن قوتهـــا وورودها ... يوماً إذا وردا مياه المنهل

بل قال قوم إنها قد كلفت ... ولكم بها من جنسها من مرسل[١]
وعليه فى الأنعام[٢] جاءت آية ... دلت، لما قالوه بالنص الجلى
وكذاك فى الإسراء قال إلهنا ... كل يسبحه بغير تأول
دفع التأوّلَ قولُه مستدركا ... لا تفقهون فخلّه فى معزل
وكذا أتى فى الحج كلٌّ ساجد ... فاتلُ الكتاب تلاوةً بترتل
وانظر خطاب النمل هل ترمثله ... إلا لذى اب ذكى أكل
هذا هو التحقيق لاما قاله الـ ... كشاف فى تأويله المنزل
وكذا الحديث أتت بذاك أدلة ... مابين متصل هناك ومرسل
فَبِقُدْرَةِ الرحمن جل جلاله ... ميزٌ وإن كنا له لم نعقل
فاذعن لما قد جاء غير مؤوّل ... واسلك على نهج الطراز الأول
صحبُ الرسول فإنهم قد أذعنوا ... ورأوه حقاً ليس بالمستشكل
أغنامُ إيمانهم ويقينهم ... عن درسهم لطول أو أطول
وأقول فى دفع السؤال لمن أبى ... هذى الطريقة فى زوال المشكل
تأويل هذا الاقتصاص بأنه ... مثل وليس يراد غير الأمثل
أعنى المكلّفَ فالحديث عبارة ... عن ظالم فى حكمه لم يعدل
وأراد بالقرناء كل مسلط ... وأراد بالجماء كل مُكبّل
من باب قسم الاستعارة وهى من ... قسم الصريح سألت أم لم تسأل
ولها القرينة علمنا فى شرعنا ... عدل الإله بعذر من لم يعقل
خذ الجواب كما تراه منقحاً ... والحق عندى فى الجواب الأول

* * *

(١) أى : نبى مرسل .
(٢) « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » ..

وقد بسط رحمه الله الكلام على هذه المسئلة فى رسالة مستقلة :

سؤال نسبه فى معاهد التنصيص إلى المعرى :

قلتم لنا صانع قديم قلنا نعم هكذا نقول
ثم زعمتم بلا زمان ولا مكان ألا تقولوا
هذا كلام له خفاء معناه ليست لنا عقول

* * *

أجاب عليه مولانا البدر رضى الله عنه :

ناقضت ماقلت ياجهول ماهكذا تفعل الفحول
أقررت فى أنه قديم قلت نعم هكذا نقول
ثم أقشت الإله جهلا بحادث حاله يحول
له زمان مع مكان بدا وهذا له حصول
وليس مثل الإله شىء فلا مثال ولا مثيلُ
إن كنت صدقت ماأتانا عنه تعالى به الرسول
فلا تقس واقتبس علوماً جاء بها الروح جبرئيل
والله ما الحق فى سواها فهى إلى الجنة السبيل
وإن تكن مُسْلِماً فسلِّمْ فقدملاَ رأسك الفضول

* * *

وله رضى الله عنه عند نزول الثلج فى ليلة الثلاثاء تاسع عشر شهر شعبان سنة ١١٨٠ ﻫ

ألبس الله تعالى أرضنا حلة بيضاء من خير الحلل
فكأن الجدب قدمات وذا كفن للجدب إذ لاقى الأجل

* * *

وله رحمه الله كتبها إلى والده رضي الله عنه من الطائف وذلك في شهر المحرم سنة ١١٣٩هـ تسع وثلاثين ومائة وألف بعد عوده من مكة المشرفة وإقامته بالطائف هو والشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المترفي رحمه الله :

أحبتنا إن تفضلوا بسؤال ... عن الحال فاستفتوا فصيح مقالي

فراقكم ما كان منيَّ عن رضاً ... لذلك أشجاني وبلبل بالي

وأطلق دمعي بعد تقييده الكرى ... فما ذاق طرفي الغمضَ منذ ليالي

خلا أنني إذ كنت للبيت قاصداً ... وشوقي إليه دائماً متوالي

يخفف مابي من غرام ولوعة ... وكنت لما ألقاه غير مبالي

فما زلت أطوي كل قفر وعامر ... وسهلٍ ووعرٍ نحوه ورمال

إلى أن نزلنا سوحه في سلامة ... فألقيت فيه عند ذاك رحالي

فحفت بنا النعماء من كل جانب ... وما أنا فيما قلته بمغالي

وطاب لنا فيها المقام وكلنا ... نرجيه في حال لنا ومآلي

ولكنه من شدة الحر لم يكن ... تطاوعني فيما أروم نعالي

ففارقته كرهاً وقلبيَ خافق ... ودمعي على خدي عقود لآلي

إلى بلدة بل روضة جادها الحيا ... بها العذب من ماء وبَرْدِ ظلال

وكل الذي تهوى النفوسُ فوصفُها ... تباعد عن لفظي وضربِ مثالي

فقرّتْ بها عيني ونلتُ بها المنى ... وما خطرتْ فيها الهمومُ ببالي

وساعدني دهري وكان معانداً ... يطاول فيما أبتغيه مطالي

صفا لِي العيش وهو مكدر ... فيا حبذا ما لذ لي وصفا لي

كأن سرور القلب كان بي مغرماً ... يبالغ في قربي وطول وصالي

سلوت بها أهلي وصحبي وجيرتي ... وما كنت عنهم قبل ذاك بسالي

فلولا ضياء الدين ما كنت ذاكراً ... مدى الدهر أوطاني بسفح أزال

إمام الهدى والعلم والزهد والتقى ... وأفضل سجّادٍ وأشرف تال

له من صفات المجد ما لا أعُـــدُّه ... فقل جملة قد حاز كل كمال

جفت مقلتى طيب الكرى لفراقه ... فلم أنتفع منه بطيف خيال

ومهما شرى البرق اليمانى شاقنى ... وناديته يا برق قف لسؤالى

عسى خبراً تمليه لى عن أحبتى ... فأصغى له سمعى بغير ملال

وهل لك فى أكناف صنعاء وقفة ... فصف لهم بالله طيبة حالى

وأرجو قريباً يبدل البين باللقا ... وقبح النوى عنهم بحسن وصال

✻ ✻ ✻

ومن هنا ذيل للشيخ زين العابدين رحمه الله :

يسر بما يهوى المحب ويهلك الـ ... حسود ويبكى للمساءة قال

وإن كان فى أكناف مكة جمعنا ... وفى طيبة الفيحاء خير مثال

فيا حبذا لو يسمح الدهر باللقا ... بأحبابنا اللائى بسفح أزال

فقد طاب لى عيش وقرت نواظرى ... بنجل الضيا بل بدر كل كمال

✻ ✻ ✻

، قال رضى الله عنه اتفق للفقير إلى الله محمد بن إسماعيل الأمير فى سفرنا إلى بيت الله الحرام سنة ١١٣٣ هـ ثلاث وثلاثين ومائة وألف عند الرجوع من المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام إنا ركبنا البحر من بندر جدة متوجهين إلى اليمن فى بعض السفائن :

فمشينا يوماً من جدة وانخرقت السفينة وغلب عليها الماء الداخل منها وخشينا ، وأرادوا يرسون ، فإذا هى فى محل عميق لا يمكن الإرساء فيه .

ثم ساق الله أسباب السلامة بعد الإياس منها والبقاء فى البحر ليلة على حالة مقلقة وأرسلنا لسنابيق من جدة ، ورجعنا إليها .

فقلت فى جدة واصفاً لتلك الحال وأرسلتها إلى سيدى والدى العلامة إسماعيل ابن صلاح إلى صنعا من اللحية :

نعمة إن ذكرتها وجب الشكـ ـر ولله الشكر فى كل حاله

مذ ركبنا على السفينة فى البحـ ـر أرتنا أحواله أهـــواله

وأقاموا الشراع يستجلبو الريـ ـح وأبدى كل هناك احتياله

فأتتهم ريح تسوق السواعى[1] مثلما ساق جامل أجماله

فمرحنا بها وملنــــا كأنا فى رياض غصونها مياله

ثم سارت بأعين الله تجرى وتريدنا من كل بر رماله

ثم ماراعنا سوى قول شخص لخليل له يسر المقـــاله

قد طغى الماء من الهراب وأخشى بعد هذا ألا يطيق احتماله

فأتوا بالدِّلاَ لكى يغرفوه وهو يزداد كثرة وإســاله

فنظرنا فيها وقلنا جميعاً إن هذا خرق بها لا محاله

وفرقنا وصار كل فريق نادباً نفسه هنــاك وماله

ثم صاروا مابين داع إلى اللـ ـه وداع أشياخه ورجاله

وفتى مبلس وآخر باك يحسب اليتم قاصداً أطفاله

واستفاقوا يدبرون خلاصاً من هلاك قد ضمهم فى الحباله

وأرادوا يرسونها فإذا البحـ ـر عميق حبالهم لن تناله

فأيسنا وقال كل لـــكل اتركونا يقضى القضا ما بداله

وَصِلُوا إن قطعتم بهـــلاك افظ حرف الندا بلفظ الجلاله

فأغثنا بالقرب من ساحل البحـــر فحط الرجا هناك رحاله

ثم بتنا فى ليلة ننظر الفجـ ـر بأجفان همـــة أثماله

تارة تنظر الخـــلاص وأخرى تنظر الليل ملقياً أذياله

فنعود الرجا قنوطاً وللخو ف جنود على الرجا صوّاله

---

(١) اسم لبعض ألواح السفينة .

فهما فى الجلاد إذ برز الفجـ ـر مزيلا على الدجا سرباله
ورأينا زوارق الأمن قدوا فت تخيل فى مشيها مختاله
أنقذتنا من كل هول وكرب بعد أن طنب الهلاك حباله
وغدا الأمن يصفع الخوف إذ ذا ك ويدمى بالنعل منه قذاله
ومشينا فى البر فى حر شمس والظما مرشق إلينا نباله
وأتانا المركوب والما وفك الله عن كل مقفل أقفـــاله
وإلى جدة رجعنا وفيها قد رسمنا حروف هذى المقاله
وإليــكم ياجــيرة فى أزال قد وصفنا ما كان فى ذا العجاله
لتزيل الأشجان عن كل خِلٍّ صار يخفى عنا لفقد سؤاله
فله الحمد كم أقال وكم عا فا وكم فك عن أسير عقاله

* * *

كان مولانا البدر رضى الله عنه يذاكر بهذا السؤال وهو عن المذهب وعن تعيين من هو مذهبه جماعة من العلماء العاملين ، مثل والده ، والسيد العلامة الزاهد ، على ابن يحيى لقمان رحمهما الله ، وجماعة من تلاميذه :

منهم المولى العلامة الذكى البليغ ، إسحق بن يوسف ابن المتوكل رحمه الله ، والسيد العلامة الورع يحيى بن محمد الحوثى رحمه الله :

فنظم المولى إسحق السؤال .

وأجاب عنه جماعة، منهم العلامة الحسن بن إسحق ، وشيخ مولانا البدر السيد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش ، والسيد العلامة عبد الله بن على الوزير رحمهم الله.

وأجاب عليهم مولانا البدر بأنها لم تحل الإشكال ، ولا دفعت الاختلال :

وكثرت الجوابات عن السؤال ، وبعضها ممن لم يفهم السؤال وطارت كل مطار، وملأت الأقطار .

وقرئت فى حضرة الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين رحمه الله ، وكثرت

الأذية لمولانا البدر رضى الله عنه من الجهال حتى وصل إليه شيخه السيد صلاح بن الحسين الأخفش رحمه الله يعاتبه على إلقاء السؤال إلى التلاميذ .

فأجاب عليه أن هذا مشكل على فتفضل أفدنى ، فإنه يقول المهدى رحمه الله فى القدمة ، وإنما يقلد مجتهد عدل الخ .

فلم يزد على السكوت . ونظم جواباً على السؤال ، وكل ذلك فى سنة ١١٣٤هـ أربع وثلاثين ومائة وألف . والسؤال هو :

أيها الأعلام من ساداتنا ومصابيح دياجى المشكل
أخبرونا ما الذى تدعونه مذهباً فى القول أو فى العمل
من هو المتبوع سموه لنا عَلّنَا نقفوه نهج السبل
فإذا قلنا ليحيى قيل لا ها هنا الحق لزيد بن على
وإذا قلنا لزيد قلتم بل عن الهادى هنا لم تعدل
وإذا قلنا لهذا ولذا فهما خير جميع الملل
وسواهم من بنى فاطمة أمناء الوَحْىِ بعد الرسل
قرروا المذهب قولا خارجا عن نصوص الآل وابحث وسَلِ
إن يكن قرره مجتهد كان تقليداً له كالأول
أو يكن قرره مَنْ دونه فقد انسدت طريق الجدل
ثم من ناظر أو جادل أو رام كشفاً للذى لم ينْجَلِ
قدحوا فى دينه واتخذوا عرضه مرمى سهام المقصل

* * *

وأجاب الوالد البدر بعد اطلاعه على الجوابات :

قد أتيتم بسؤال مشكل لا أرى إشكاله بالمنجلى
كم سألنا عنه قوماً غيركم من أولى العلم وأهل الجدل

وأجابوا بجوابات لهـــم	كلها في حَلِّه غير جـــلي
ويقـولون هم زيدية	وهُمُ عن نهجـه في معزل
هـــذه كتبهم ناطقة	بالخلافات لزيد بن علي
إن تبعت النص في مسألة	قيل هـذا شافعي حنبلي
وإذا قلت حديث المصطفى	قلتم المذهب أهدى السبل
قصروا الحق على مذهبهم	ثم ذا المذهب لم يظهر لي
ومع تصويبهم كُلاً بلا	مرية فالقصر عين المشكل
فاجعلوا الكل فيه سواء أو	فامنعوا تقليد غير الأفضل
وعلى نظم وقفنا رائق	في جواب لذكي[1] مقول
قـد أزال الهـم عنا لفظه	ما خلا إشكالنا لم يَزُلِ
قال قلِّد كل آل المصطفى	تنجُ قطعاً عن مهاوى الزلل.
قلت هــذا يفتي لكنه	لم يقل ذا أحد يا أملي
أتراني لو رفعت الكف في	حال تكبير وذا رَأْيُ الوَلِي
هل ترى أشياخكم تتركني	أم يقولون أتى بالمعضل
خالف المذهب بالبدعـــة في	رفعــه الكفين فليَنْعَزِلِ
وأنا آمل منكم رشـداً	فبحق الله أوفوا أملي
وجـــواب آخر طالعته	صرت من رقته كالثَّمِـل
قـد حلى لي لفظه لكنه	لا أراه حل عقد المشكل
وأتى فيه بتحقيق لما	في أصول الدين والأمر جلي
إذ هم قـد حرموا تقليدنا	في الأصولين فعنه انعزل

---

(١) المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله .

إنما السائل فيما قاله ... عن سواه تقليده لم يسل
قال ماالمذهب فى قولكمُ ... عن عرى المذهب لاينفصل
وإلى أى فتى نسبتـــه ... من بنى الزهراء أبناء عَلِى
ثم قلتم إنَّ يحيى قوله ... قول زيد بن الولى ابن الولى
وأرى هـذا عجيباً عـلَّه ... قاله ناظمه مع شغــــل
فاتحاد القــول مابينهما ... مثل ما قــد قلته لم يقبل
والخلافات لنا شاهــدة ... كم رواها عنهمُ من رجل
وإذا قلتم كفى فى المدَّعى ... اتفاق منهــمُ فى الجمل
قلت هذا حاصل فى كل مَنْ ... خالف الآل ففتش وسل
فاجعلوا الأقوال قولا واحدا ... لاتقولوا حنفيٌّ حنبـلى
ثم هـذا مقتضى قولـكم ... فى جواب راق مثل السلسل
إن يكن فى عمل فالكل فى ... دفع ما استشكل مثل الأول
فأعيدوا نظراً ثم ارشدوا ... ذلك السائل أهدى السبل

* * *

لما وصل الوالد البدر رحمه الله إلى المدينة المنورة لزيارة سيد المرسلين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام فى شهر محرم سنة ١١٣٣هـ اجتمع هنالك بالشيخ الإمام العلامة الزاهد المحقق أبى الحسن بن عبد الهادى السندى رحمه الله.

وكان عالماً عاملا محققاً له عدة مؤلفات، منها حواشى على الأمهات الست.

فدارت بينه، وبين البدر رضى الله عنه، أبحاث نفيسة فى حكم أطفال المشركين.

ولما اطلع البدر على حاشية الشيخ، على سنن أبى داود المسماة «فتح الودود» وفى غير ذلك من المسائل فى التفسير وغيره، وجمع البدر رحمه الله تلك الفوائد.

فلما وصل إلى صنعا استدعاها منه المولى العلامة محمد بن إسحق بن المهدى رحمه الله وكتب بعد الوقوف عليها مالفظه:

وصل جواب سيدى وصنوى الذى فاضت بحار علمه وكرمه، وطوقت الأعناق جواهر هداياه وكلمه، ذو التحقيقات الأنيقة، والاستنباطات الرشيقة، والإفادات

التى هى بالتنافس فيها خليقة ، عز الإسلام الذى تتبادر صفات الكمال عليه تبادر الحقيقة ، زين الله بوجوده الدنيا والدين ونور بعلومه النافعة قلوب المجتهدين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فى كل حين ؛ متضمنا الشرح بعض أحواله التى تنشرح لها صدور المؤمنين وتلاحظها أبصار المستبصرين ، ومامنحه الله فى سفره المبارك ذهابا وإيابا ، ولذكر ماخصنى به من الدعاء فى المواطن المقدسة ، والمقامات التى هى على خير مؤسسة ، وإبلاغه ماقد ظهر من آثاره . وللتصدير بالهدية النفيسة المتنوعة التى من أسناها وأعلاها ، اطلاعى على تلك الذاكرة وما تعلق بها ، واتصل بها مما يتنافس فى تحصيله المتنافسون ، ويرغب فى ادخاره المحصلون .

فوقفت على ما يستغرق الأفكار بملحه وروائعه ، وتهتز الأعطاف بلطائفه وبدائعه ، وظفرت ببغية النفس ، ومنية القلب ، وتوجه بعد ذلك القيام بواجب الحمد .

فقلت ماذكر اقتضى ذكره مطابقة الغرض ، وإشارة الإشارة معترفا بالقصور متلمسا المسامحة :

لله درك يابن إسماعيلا	لم تتركنّ فتى سواك نبيلا
حُزْتَ الفخار قليله وكثيره	هلا تركت من الفخار قليلا
وسلكت نهج الحق وحدك جاعلا	نور البصيرة لاسواه دليلا
وصرفت عمرك فى العبادة والإفا	دة والإجادة بكرة وأصيلا
كم مشكلٍ أوضحته كم غامض	لولاك لم يجدوا إليه سبيلا
كم طالب أعطيته مطلوبه	وكفيته فى غيرك التأميلا
كم سائل منك استفاد فعاد من	بعد السؤال وذلّه مسئولا
ولقد وقفت على الذى حررته	فى طيبة طابت وطاب مقيلا
ودخلت جنته التى قد ذُلّلتْ	للعارفين قطوفها تذليلا
فوجدت فيه الحق أبلج واضحاً	للمهتدى ورأيت أقوم قيلا
ورأيت إيضاحاً لغامض مشكل	قد رد طرف الناظرين كليلا
وحصلت منه على لطائف لم يزل	فيما علمت بها سواك بخيلا
ورأيت ما استنبطته وجمعته	غرَرًا لما سطرته وحجولا

لـكن تسطير التوقف لم يكن لقصور فهى واضحاً مقبولا

* *

وكتب مالفظه .

لأن تعيين من هو من أطفال المشركين من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار مما لا يمكن أن يذهب إليه ذاهب ، فينبغى التوقف .

اللهم إلا أن يكون نبيًا يوحى إليه بذلك . انتهى .

وكذاك توجيه الضمير فإنه للعـــالمين أظنه مدخولا
إذ لم يكن موسى مريداً عندما قتل الغلام العـالم التبديلا
وكذاك لم يخف للذى قد خافه خضر فأنـكر إذ رأى التنكيلا
والبعد فى جعل الضمير لربنا لم لايزول بمـا يرى مقتولا

* * *

وكتب مالفظه :

ظهر لى أنـكم استبعدتم جعل الضمير لله سبحانه ، إما مطلقا أو مع المشاركة ، بل ربما يظهر من الـكلام عدم صحته . وإن كان جعل الضمير للخضر فى غاية الظهور ، فجعله لله تعالى يشاركه فى مطلقه .

وتلك الوجوه التى كانت مستند الاستبعاد والامتناع لايخفى عليـكم اندفاعها انتهى .

والفاء لم تك فى الجواب وإنه عارٍ عن الفا واقرأ التنزيلا

* * *

قال البدر رضى الله عنه كان فى الأصل أن الفاء فى « فقتله » داخلة فى جواب « إذا لقيا غلاما » وذكرنا هناك نكته ، وقد حولناه بعد هذا التنبيه .

هـذا وقتل النفس ذاك وغيره لم يندفع عندى به ماقيلا
فالحر مـكرها مزيل للحجى من غير نفع يقتضى التحليلا

بخلاف ما فعل النبي فإنه أبدى له وجهاً تراه جميلا
والذبح للأنعام نفع فيه مع عوض لها بالخير قام كفيلا
فانظر إلى هذا المقال وذاما تلقاه فيه بالذهول عليلا
أعطيت عمراً أيها البحر الذى أجرى ينابيع العلوم طويلا

* * *

وأجاب عليه مولانا البدر رحمه الله نثراً ونظما مستفهما عما استشكل من الأبحاث فقال :

المولى الذى هو حجة لكل كمال ، وطوق لجيد الفضل والأفضال ، نور عين الذكا والتحقيق وروح جسم الإفادة والتدقيق ، من لم تزل فوائده كحلا لجفون الأوراق ، وأياديه أطواقا يتجمل بها من الرجال الأعناق .

وأسأل الله الكريم أن يصون ذاته الشريفة ويحميها ، وأن يحفظها من كل مكروه يؤذيها ، وأن يخص حضرته الشريفة بسلام لائق بفضله ، وإنعام قائم بحق مجده ونبله .

وبعد ، فإنه شرفنى وصول مكتوبكم الكريم ، وروض أدبكم من المنثور والمنظوم ، الذى هو عقد نظيم ، فأحيا فؤاداً كانت قد أنحلته يد الأسفار ، وأذهلته عما حوته رياض الأسفار ، مشتملا على ذلك التقريض الذى لاأعد نفسى من مستحقيه ،ولاأرانى أهلا ؛ لأن يقال ذلك فيه ، لكن أبى أفضالك إلا أن يرانى لذلك أهلا ، ويلبسنى به مجداً ونبلا :

فشكراً لأياديك وما أهدت ، وحمداً لمعاليك وما أسدت :

وذكر سيدى حماه الله ، ما انتقده الذهن الشريف ، من تلك الكلمات التى شرفت بإطلاعكم عليها ، ونالت أقصى حظها بكتبكم لها ونظركم إليها .

وتلك الانتقادات تأملتها ، وهى كما ذكرتم فى بادى النظر ، لكنها مندفعة فيما أحسب لمن تأمل وافتكر .

وقد خطر فى البال توجيهها بما ترونه مزبورا ، وعسى يلقى من ذهنكم الوقاد قبولا ، ويكتسى منه نورا :

ولو لم يكن فى ذرى تلك الكلمات المستخرجة فى الرحيل ، والمستمدة من الذهن الذى هو بالغرابة كليل ، إلا استفادة هذه المذاكرة ، واستخراج ذلك الدر من بحور علومكم الزاخرة ، لكفى بها فخرا ، وخلد لها ذكرا .

وقد قلت هذا المرقوم . الذى أطلب له من مكارمكم سترا ، فى مقابلة كلامكم التى هى الدر نظما ونثرا .

قسماً لقد أثقلتنى تبجيلا	وكسوتنى ثوب الثناء طويلا
قلدتنى من در نظمك أنجماً	تهوى السماء لأجلهن نزولا
وتود لو كانت مكان نجومها	إذ لاتخاف على النظام أفولا
لله درك من نجيب لم يزل	طَرْفُ الكمال بفضله مكحولا
طوقت أعناق الرجال أياديا	فغدوا حماماً والثناء هديلا
وعرفت للفضلاء قدراً لم يزل	بين الأنام منكراً مجهولا
عكسوا أساليب المعارف كلها	وجنوا فصار الفاضل المفضولا
لاينصفون مهذباً فى قوله	لو كان يأتى بالشموس دليلا
ويرون أن الفضل كان لمن مضى	وكلام من قدمات أقوم قيلا
والفحل عندهم النجيب هو الذى	أضحى بأقوال الرفاة قؤولا
لايسألن عن الدليل ولا يرى	فى الناس أهلا أن يرى مسؤولا
وإذا أردت نقاشه فى مذهب	قد صار فيه مدندناً مشغولا
يُزْوِرُّ عمارمته ويصيح فى	أضرابه هذا غداً مخبولا
ولكم أبثك أيها البدر الذى	مازال فى أفق الكمال مقيلا
وذكرت فى النظم لدى أهديته	وأعده الذهن الشريف عليلا
منه التوقف فى الأحاديث التى	صدمت بظاهر لفظها التنزيلا
فلذاك قول لم أكن أختاره	حتى يعد لديكم مقبولا
هو قطب تلك الاعتراضات التى	كانت على السندى أثقل قيلا

وكذا ضمير إرادة فى أنه ... للعالمين ظننتــه مدخولا

وسردت تعليلا لما ظننته ... ما أحسن الإيراد والتعليـلا

لو كنت قلت بأنه لهما وما ... فى الذهن أنى قلت ذاك القيلا

ما قلت إلا أنه بضميره ... يهدى الكليم إلى الصواب سبيلا

أو ليس فى التوجيه لفظة ينبغى ... وكفى بتلك على المراد كفيلا

القول فى منع الضمير لربنا ... لِمَ لايزول بما يرى مقبولا

يأباه ما قلناه فى مكتوبنا ... وكفى بذاك مرجحاً مقبولا

واختر لقول الله جل جلاله ... خير النكات وأحسن التأويلا

واجعل سمين القول تفسيراً له ... ودع الضعيف الزائف المهزولا

فمن النهايات التى قد عدها ... من كان[1] صارم ذهنه مسلولا

هذا الذى قلناه فانظر فى بدا ... ئعه تجــده مقرراً معقولا

والفاء لم تلك فى الجواب صدقتم ... ولزوم يكسبه الرحيل ذهولا

لــكن بحمد الله نكتتها التى ... ذكرت تزيد تمكناً وحلولا

وبقى لنا بحث لطيف مودع ... فرقاً يهش له الذكى قبولا

والخمر قلتم ليس فى تحليلها ... نفع فراجع عند ذا التنزيلا

فيها منافع قاله سبحانه ... وكفى بما قال الإله دليــلا

وذكرت للأنعام أعواضاً بها ... أضحى لنا حكم النهى محلولا

فنعم إذا الحيوان يؤلم ذبحه ... فله به عوض يكون جليلا

أما ارتشاف الخمر فى جاماتها ... فمتى يكون مؤلماً معقولا

حتى يقال متى يحل ومالها ... عوض يكون به الجزاء كفيلا

وانظر إلى الــكذب القبيح فإنه ... للنفع أضحى جائزاً مفعولا

والقصد تطبيق القواعد كلها ... ليوافق المعقول ذا المنقولا

---

(١) يعنى ابن القيم الجوزية رحمه الله فى بدائع الفوائد .

فالقلب لا يسطيع رد رواية ... جاءت بها الأخبار جيلا جيلا

وإليك يا عز الكمال وبدره ... صدرت عسى تلقى لديك قبولا

تهوى لتقبيل الأكف وتبتغى ... ستراً وقد بلغت بك المأمولا

لا زلت غيثاً للعلوم فروضها ... مازال مخضراً بكم مطلولا

* * *

هذا وقد تهجم المملوك عفا الله عنه ـ على مولاه فى الإسهاب ، وذلك لما رأيتهمن همتكم العلية فى العلوم ، فأفضلوا بالنظر فى هذا المرقوم :

وكنت سأترك الجواب على مولاى حتى أراجع تلك المكرامة . فإن ما عندى غيرها ، لكنه تدافع الجواب فى ساعة من نهار ، فرأيت البحث به ، وأمعنوا النظر فى مسألة الخبر ، وأقيسوها(١) على مسألة الكذب

وأنا ـ فى تلك المكدلات ـ ما كنت جزمت بذلك ، ولكن هذه المذاكرة أكدت صحة ما قلناه . فإن تم بحمد الله وإلا فإن رد تلك الأحاديث التى ملأت كتب السنن والسير ؛ عملا بتلك القاعدة ، لا أدين الله به ، بل ما صح عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو مقدم على كل قاعدة والسلام .

ولما وقف على هذه الأبحاث وعلى قصيدة سيدى المولى محمد بن إسحق وجوابها ، سيدى المولى العلامة النقاد ، ذو الذهن الوقاد ، الحسن بن إسحق رحمه الله ، كتب أبياتا ذاكراً فيها أبيات أخيه ، وجواب مولانا البدر رضى الله عنه ومستشكلا لأشياء من تلك الأبحاث فقال :

لله درك فارس العلما كم ... أجريت للذهن الشريف خيولا

فسبقت كل مبرز فى فنه ... وركبت صعب المشكلات ذلولا

وكشفت بالتحقيق وجه غموضها ... وغدوت فرداً ما سواك نبيلا

ولقد وقفت على عقود نظمت ... لكم كستنى حيرة وذهولا

ورأيت نظماً معجزاً أنواره ... منها استمار النيران قليلا

راجعتم المولى الذى بوجوده ... هنا استحق زماننا التبجيلا

حاوى الفضائل والفواضل كلها ... أغنى به صنوى أبا إسماعيلا

---

(١) قوله « وأقيسوها » الصواب : « وقيسوها » .

فأردت أن أجري جوادي بعدكم ... في نظم شيء يشبه التذييلا
فتعثرت أفراس فكري عندما ... كلفتها مالا يطاق فضولا
أنا بالقليل في الفهم عندكما وما ... مثلي يجاري في العلوم فحولا
تشبيه حق لم أرد هضماً وإن ... تخبره تقل ما أصدق التمثيلا
لكن أردت تشرفاً وتبركاً ... بكما إذا صادفت منك قبولا
طالعت ما حررتموه بطيبة ... فرأيت قولاً طيباً مقبولا
وأفدتنا فيه فوائد جمة ... أضحت إلى نيل الرشاد سبيلا
أظهرتم نكت اختلاف ضمائر ... خفيت على من فسر التنزيلا
في قصة الخضر الكريم ومن أتى ... من عند رب العالمين رسولا
فعلمت أنك راسخ في العلم إذ ... س سواك حبر يعلم التأويلا
والبحث في أطفال أهل الشرك قد ... طالعته فرأيت أقوم قيلا
ورأيت نقل كلام شارح مسلم ... مع ما تعقبتم به المنقولا
لكن قولكم التوقف في الق ... مبين قول علي فيه ذهولا
وبجزمه عللتموه وليس في الـ ... ـمنقول جزم يقتضي التعليلا
وبقوله وهم من الآباء على الـ ... أحكام في الدنيا غدا محمولا
قلتم فيلزم قوله بعذابهم ... قسماً لقد حملتموه ثقيلا
وأظنه فيما يلوح لمن غدا ... بالسجن صارم ذهنه مغلولا
متوقفاً في القول بالتعذيب أو ... بالترك ليس له سواه مقولا
وكذاك قد سطرت قولا قاله الـ ... سندي ثم نقلته مدخولا
في وجه إفراد الضمير وإنني ... لأراه وجهاً واضحاً مقبولا
من غير تقدير اشتراك في البنا ... لم لا يكون الوجه ذاك جميلا
بل أوجه الوجهين فهماً لاح لي ... إذ ليس يخدش فيه ما قد قيلا
من ظن موسى في الذي بالعلم فضـ ... ـله عليه إلهه تفضيلا

تركاً لهدى الأنبياء وإنه ... بعمارة الدنيا غدا مشغولا

أيظن بالخضر الكليم الميل للد ... نيا ويحسب ما يراه فضولا

مع أن ظاهر فعله حسن وليـ ... ـس كما مضى قد خالف المعقولا

ومنعتم كون الضمير لربنا ... وأقمتم للمنع عنـه دليلا

لله ما أقوى الذى قلتم فإن ... له لدى الفطن الذكى قبولا

لكن قراءة خاف ربك ربما ... كادت تصحح ما تراه عليلا

والسكر قلتم صح فيه أنه ... قد كان شرعاً حكمه التحليلا

ورددتم قول المؤيد لم يحل ... اسليه ديناً لهم وعقولا

من دون نفع ظاهر فيما يرى ... قلتم وهذا القول أضعف قيلا

فالشرع خصص حكم عقل مثلما ... فى الذبح خصص حكمه قبحه المعقولا

والنفع فيه حاصل بالنص فى الـ ... قرآن واقرأ عند ذا التنزيلا

فيها منافع قاله سبحانه ... وكفى بما قال الإله دليلا

لاشك فيما قاله لكنه ... فى الخمر لا فى السكر دمت نبيلا

ولعله قد فر من بعض الذى ... قد قرروا فيما دعوه أصولا

من أن رفع الحكم لا من علة ... خلف فراجع سيدى ما قيلا

ثم الترادف قلتم فى قرية ... ومدينة بالغتم المأمولا

وفهمت من أثناء ما حررتم ... مالا يساعد ذلك التمثيلا

وكذا أبِنْ لى وجه قولك سيدى ... فى البحث دمت مبيناً مسؤولا

موسى أحق بطاعة الرحمن إذ ... صار الضمير لربه مجهولا

هذا وإنى سائل مسترشد ... فأجب وبرد بالجواب غليلا

لازلت يابدر المعارف مرشداً ... مارددت وُرْقُ الغصون هديلا

* * *

فأجاب عليه البدر رضي الله عنه .

زارت فكان لها الفؤاد مقيلا ودنت ففرش خده تبجيلا
والذهن قام معظما لقدومها وتعانقا فأمّها تقبيــلا
والعين نادت أسكنوها أسودى فعسى تكون لحبر ذاك خليلا
ثم اجتلاها الفكر وهو من الحيا فى خجلة قد أورثته نحولا
فغدا يقول وقد تأمل رقمها ورآه قد أهدى له المأمولا
حمداً لمن جمع القلوب ولم يكن نور التعارف للشخوص دليلا
لكن أنوار المعارف والذكا أهدى إلى جمع القلوب سبيلا
كم غائب فى القلب أضحى حاضراً يغدو ويمسى فى الفؤاد نزيلا
ولكمْ ذكيٌّ مات قبل وجودنا وبحبه قلبي غدا مشغولا
ولكمْ أناسٍ قربهم كبعادهم لا بل بعادهم أخف قليلا
وتظنهم بشراً فإن فتشتهم أيقنت أن من الرجال طبولا
أستغفر الله العظيم فإننى لذنوب دهرى قد غدوت مقيلا[1]
إذ جاءنى مكتوب من بصفاته قد كان حبل مودتى موصولا
قد كان يبلغنى كريم صفاته فأظن إيغالا بما قد قيلا
حتى أدار علىَّ كأس بلاغة وسقى المسامع باليراع شمولا
فعلمت صدق محدثى فى وصفه بل لمته إذ قصر المنقولا
تالله لم أسمع بمثلك ماجداً جاد الزمان به وكان بخيلا
وكذاك لم تر مقلتى فيما رأت كالبدر حبراً فى العلوم نبيلا
أخوان كل قد تضلع فى العلى وغدا على هام السماك مقيلا

---

(١) من الإقالة وهو الفسخ والمراد : أطلب من الله المغفرة .

جبلان ينتقدان قولا قاله	ذهن غدا برحيله مغلولا
أخذ اليراع وما لديه مؤلف	فيقرب التأليف والتحصيلا
تالله ما عندى سوى فكر غدا	من دون أهوال الرحيل ضئيلا
فتمص الذهن الكليل قواعداً	ما كنت أحسبها تبل غليلا
وظننت ما حررت يخفى رقه	ولذاك أحقر أن يعد مقولا
فسما إلى بدر المعارف والندى	فقضا عليه ذهنه المسلولا
متأملا لدقيقه وجليله	ثم ارتضاه وزاده تبجيلا
وإلىّ أهدى من جواهر لفظه	عقداً تنظم فى الطروس فصولا
وأدار من كأس النقادة ما يرى	عند المسامع سكراً محلولا
فرشفته بمسامعى وأجبته	بقياس فهمى لم أقل قد قيلا
هذا ووافانى نظامك بعده	فيه انتقاد لا يعد قليلا
أما الذى قد مر فيه جوابنا	فكفى به فى دفع تلك كفيلا
وهب التوقف قد حكى بمقالكم	فبسهم إيرادى يعود قتيلا
إذ فيه تجويز العذاب بعدله	أيوافق التجويز ذا المعقولا
حاشاه من تجويز ظلم عباده	أو ما كفى لا يظلمون فتيلا
أيصح تجويز القبيح لمسلم	إنى أرى تنزيهه مدخولا
تجويزه هذا يدل بأنه	فى عدل من أهدى لنا التنزيلا
متردد وكفى بذلك قادح	فتأملوا بُلّغتمُ المأمولا
هذا فساد كلام شارح مسلم	وله فساد خلته مقبولا
فى حمله لحديث من آبائهم	فى حكم دنياهم أراه عليلا
ما كان سائله[1] لذلك طالباً	وكفى السياق على المراد دليلا
أما أبو الحسن[2] الذى راجعته	فأراه قرر ذلك التأويلا
وذكرت وجهاً قال ذاك موجهاً	لأراد ربك فانظرن قليلا

---

(١) أى النبى .　　(٢) أى السندى .

فلقد وهمتم فيه إذ قلتـ لأفـ ـراد الضمير فراجع المنقولا
وتأملوا فيما ذكرت منكتاً تكرار لفظ الرب والتعليلا
إذ لوجنحنا نحوما قد قاله لرأيت كلا منهما[1] معزولا
وفهمت منه عندما خاطبته أن الحكيم مطالب تعجيلا
ومشارك فى رفعه لجدارهم وكذاك[2] عاد كلامه محلولا
وأردت تأييد الضعيف بمثله فى الضعف يامولاى عشت نبيلا
بقراءة[3] لم ندر كيف طريقها ما كل ما يروى يرى مقبولا
لو كان يقرؤها المصلى عندكم عنفتموه بالفساد طويلا
ولقد ذكرنا فى الجواب[4] نفائساً وفوائداً فى حلها التنزيلا
لو أنصف الذهن الشريف لمدها نوراً به يتتبع التأويلا
ويرد كل رواية ودراية جاءت ومعناها يرى مرذولا
وأطلتم فى الحمر فى أبحاثكم ياما أميلح ذلك التطويلا
ولقد أطلنا قبل ذاك جوابها فتأملوه يفدكم المأمولا
ولعلنى أعطيه بسط عبارة حتى أوضح ذلك المسئولا
هذا ولفظا قرية ومدينة مترادفان تصادقاً ونزولا
وتغاير المفهوم أبرز نكتة التـ ـعبير إذا أضحى عليك[5] دليلا

---

(١) أى كلا من تكرار لفظ الرب ومن التعليل معزولا عن النكتة التى ذكرنا ــ منه .

(٢) يعنى قرأه خاف ربك فى أكثر التفاسير منسوبة لأبى بن كعب ــ منه .

(٣) يعنى فى جواب الابيات الأولى وهى قولنا واختر لقول الله الخ واجمل حسن القول الخ ثم ما ذكرنا فى ضمير أردنا من الوجه الراجح لاينبغى أن يعدل عنه الى المرجوح ــ منه .

(٤) إذ القراءة بالشاذة تفسد الصلاة عند أهل المذهب منه .

(٥) قال المعمر رضى الله عنه أعنى أن الترادف فيهما باعتبارات صدق على ذات واحدة والنزول عليهما وان اختلفا مفهوما والترادف المشهور الذى فى مثل ليث وأسد هو لاتحادهما مفهوما وما صدقاً وكنت أجبت بهذا ، ثم وقفت على كلام لبعض المحققين فى أسماء الله وأسماء النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته وأسماء القرآن .

ثم قال ما لفظه : واختلف الناس هل يسمى هذا النوع ترادفاً بالنظر الى دلالته على المعانى والصفات المتغايرة وهذا ليس بنزاع فى الحقيقة ، بل هو ترادف بالنسبة الى الذات متباين بالنسبة الى الصفات انتهى كلامه وهو عين ما أشرنا اليه ، والحمد لله وهذه فائدة شريفة .

والأجدرية للـكلام لأنه ... لخليله قد أكثر التثقيلا

فأراد إيقاظاً له عن زجره ... والذوق يدرك ذا كم المعقولا

ولعل مولانا الضياء مذاكر ... فيها فيشفى ما تراه عليلا

ولقد أفدتم فى الذى حررتم ... فجزيتم عنى الثناء جميلا

أيقظتم ذهنى بذكر فوائد ... أضحى بها طرف الذكا مكحولا

والله يجمعنا بكم فى نعمة ... ويمجان بخلاصكم تعجيلا

* * *

وقال رحمه الله لما اطلع فى صفر سنة ١١٤٣ هـ سيدى العلامة الضيا إسماعيل بن محمد ابن إسحق رحمه الله على الرسالة التى ألفناها فى الأوقات ، ووسمناها بـ « اليواقيت » استشكل ذهنه أبحاثاً فيها ، فأجبنا عليها وكان فى ألفاظ بعض حدة ، كما هو شأن كثير من الناظرين ، فتجرم إلينا من ذلك ، وذكر أنه ما أراد إلا الاستفهام عما لم يظهر له ، فكتبنا إليه :

عذراً على ما جرى منى من الزلل ... إن كان يقبل عذر العبد فى الخلل

وتوبة من صميم القلب خالصة ... على كلام جرى كالنار مشتعل

جرى على حدة منى على عجل ... وهكذا خلق الإنسان من عجل

وانكلتاه لأقلامى وما رقمت ... كأنها من رماح الدهر تشرع لى

فما جنيت على غيرى بما رقمت ... أناملى وبما أمليت يا أملى

لولا انقطاع كتابى عن منامكم ... لقلت عمداً رماك الله بالشلل

وقلت لا حملت من بعدها قلماً ... كفى ولا حركت يوماً إلى عمل

ومات من عطش ذاك اليراع وما ... سقى هناك بعل الحبر والنهل

وقطعت بسكاكين الدواة يدى ... ولطخت بمدادى بعده حللى

وحرمة الود بل والاتحاد وما ... أدلى به من وداد كان فى الأزل

لمـا تعارفت الأرواح فيه كما ... جاءت[1] أحاديثه عن خاتم الرسل

ما كان قصدى سوى إيقاظ ذهنكم ... إذ نام عن واضح ما فيه من خلل

بلى بلى كما قلتم أصدقه ... وكل بحث رقيق فهو من قبلى

فرد ما شئت من قولى ممزقه ... كما تريد على التفصيل والجمل

أيهدم الودَّ ألفــاظ مزخرفة ... هى الزجاج وذاك الود من جبل

والله إنك بحر لا أساجله ... وهل يساجل عُبَّ البحر بالوشل

أنا الجهول فما لى والعلوم وذا ... وصفى بنص[2] حوى القرآن فيه جلى

والله ما أنا فى ورد ولا صدر ... منها ولا ناقتى فيها ولا جملى

بلى عرفت شعاعاً لا يضىء ولا ... يهدى وردى إن لم أنح بالعمل

طاشت لجهـلى أقلامى ببارقة ... جنت علىّ فآه ليت لم أقل

وقطرة من معين البحث صافية ... جاءت بسيل طمى فى السهل والجبل

وبحر عتب لأمواج التجرم فى ... تيـاره وثبات الفارس البطل

وددت أنى أمّىٌّ فكم جلبت ... أقلام خلى من خبط ومن خطل

فاعذر فدتك نفوس العالمين وما ... تحوى الأقاليم من خيل ومن خول

* * *

وكتب المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمه الله إلى الوالد البدر رضى الله عنه أبياتاً من ذو حسين من برط بعد خروجه من هجرة شاطب فأجاب مولانا البدر رحمه الله بقوله :

سيان من يعذر أو يعذل ... عندى ومن جار ومن يعدل

قد ملك الحب فؤادى فما ... أسمع ما قيل ولا أعقل

---

(١) إشارة إلى الأحاديث الواردة فى خلق الأرواح قبل الأجساد، وأن ما تعارف منها فى ذلك العالم ائتلف وما تناكر منها هنالك ، اختلف هنا ، وهو مشهور ــ منه .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى « إنه كان ظلوماً جهولا » ــ منه .

مثلى وقد ملكتهم مهجتى ‏ يسمع للعاذل ما يقول
على سوى برق الحمى إن سرا ‏ من أفقه قلبى لا يقبل
كم فى وميض البرق من نسكنة ‏ يعقل عنها الصب ما يعقل
يا جيرة حلُّوا بوادى النقا ‏ كم من حديث عنكم يوصل
يسنده البارق فى ومضه ‏ ونسمة الروض له ترسل
وكلما فى السكون قد خلته ‏ محدثاً عنكم بما يقبل
لكن لا أهوى سوى قربكم ‏ ولا سوى لقياكم أسأل
يا ليت شعرى والمنى ضلة ‏ هل موقف منكم لنا يحصل
نشكو أفعال البين فينا ومن ‏ يفعل فينا مثل ما يفعل
يحرق أحشائى بنار الهوى ‏ وأدمعى من مقلتى تسبل
ويخطف النوم فلا مقلة ‏ بنومها من بعدها تكحل
ويلبس الجسم ثياب الضنا ‏ ويسلب اللب بما يذهل
وكلما يحلو بطيب اللقا ‏ بعد اللقا صار هو الحنظل
يا هل تراهم ذكروا صحبتى ‏ بعد النوى أم هم لها أغفلوا
وهل رعوا حرمة ما بيننا ‏ كما رعينا العهد أم أهملوا
هم هم فليصنعوا ما رأوا ‏ بغيرهم ما أنا مستبدل
قد ملكونى ففداءً لهم ‏ روحى من الأسواء أن يقبلوا
مالى وللدهر ويا ليته ‏ يوماً إلى ما أنظمه يعقل
أملى عليه منه ما أشتكى ‏ من جوره فينا عسى أن يعدل
ما باله يكرم قوماً هم ‏ هم خير القوم أم بل أجهل
كم يعطى الجاهل ما يشتهى ‏ ويمنع العالم ما يسأل
أكرم للجهال من حاتم ‏ وللعلى من مادر أبخل
قد كره العلم إلى أهله ‏ وحبب الجهل لمن يجهل

ما لأديب عنده حرمة ... ولا له فى مطلب يقبل

والجاهل الفدم له عنده ... مرتبة من فوق ما يأمل

قد حبب الموت إلى فاضل ... بوجهه الرحمة تستنزل

وكره الدنيا إلى كامل ... لكل ما أمله يكمل

من منصفى منه سوى ماجد ... فى كل مجد باعه الأطول

بحر الندى السامى إلى رتبة ... من دونها الرامح والأعزل

السابق السباق نحو العلى ... هل من فتى فيها له يفضل

إن رمت تفصيلا لأوصافه ... رمت محالا فإذا أجهل

من رام حصراً لنجوم السما ... قيل له قف أيها المقول

وإنه وافى النظام الذى ... يحرس لو يسمعه دعبل

شرفتنى بالمدح يا مفضلا ... وهكذا فليصنع المفضل

وكنت أولى منك أن أبتدى ... لولا أمور ذكرها يشغل

تحسبنى أنساك أو أننى ... بغيركم من بعدكم أشغل

وحرمة الود التى بيننا ... ما عشت عن ودك لا أنقل

مثلى هل ينساك يا من له ... فى قلبى المسكن والمنزل

بالله هل يذكركم ليلة ... بتنا بها فى نعمة نرفل

نفتض أبكار المعانى من الـ ... ـتحقيق أو نجلوا الذى يشكل

كم فى المعانى من بيان لنا ... أهمله المفتاح والأطول

وفى الأصولين ويا حبذا ... ما ألف القوم وما أصلوا

كم مشكل عنه أزلنا الخفا ... منه ذووا التحقيق قد أعولوا

وشبهة كم حولها من فتى ... حام ولم يدر بجسر يقبل

سللت من ذهنى لها صارماً ... ولم يفت صارمى المقتل

وكم رياض قد نزلنا بها ... ساجلنا فى دوحها البلبل

ندير فيها كأس آدابنا ... فالروض من آدابنا يخجل
ورب أبيات بها شيدت ... يخطل لو يسمعها الأخطل
وكم مزجنا عند طيب اللقا ... جد الأحاديث بها يهزل
وكم لنا من موقف بعد ذا ... نحن ومولانا الفتى الأفضل
أكمل من يمشي على ظهرها ... وخير من عنه العلى ينقل
من غاب شخصه عنا لا سوى ... وهو عن المهجة لا يغفل
بحر الندى والعلم خدن العلى ... أناله الرحمن ما يأمل
نافسنا الدهر على جمعنا ... وهو حسود قُلَّبٌ حُوَّلُ
ما زال مشغوفاً بتفريقنا ... يبذل فيه كلما يبذل
كم سره إذ قيل قد شتتوا ... ودمعهم بعد النوى يهمل
صفق مسروراً بما نالنا ... وقال هذا كلما آمل
لكن له عطف على من جفى ... فهو لمن يجفوه لا يهمل
لعله يعطف بعد الجفا ... ويبدل الصد بما يبدل
فثق بهذا إن حسن الرجا ... أروح للقلب الذي يعقل
ودم قرير العين في نعمة ... ما زال في ظهر الفلا يذبل

* * *

وله رحمه الله ولعله وجهها إلى المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

بث سر الهوى عليه النحول ... واصفرار ودهشة وذهول
وجفون مسهدات من الوجـ ... ـد ودمع على الخدود يسيل
كيف يخفى من بعد هذا هواه ... وعليه من كل عضو دليل
ياحلولا بالسفح من شعب نجد ... عقد صبري من بعدكم محلول
أنتم بغيتي وأهل ودادي ... قصروا من جفاكم أو أطيلوا

يا لروحي عيشاً مضى في رباكم   كل ساعاته لديكم أصيل

حين جادت بوصلها ربة الخا   ل وحادت عما يقول العذول

في رياض كسى الربيع رباها   فللأغصانهن ظل ظليل

ولأطيارهن من لحن إسحا   ق معان منها الصخور تميل

ولأنهارها انسياب الأفاعي   وهي في اللون صارم مسلول

ولأغصانها إذا هبت الريـ   ـح اعتناق الأحباب والتقبيل

وعيون الزهور من أثر الطل   كطرف بدمعه مكحول

ولسكانها ارتياح ورَوْحٌ   وسرور بها وشرح يطول

فإذا الهم همّ أن يطرق القلـ   ـب فجيش الأفراح عنه يحول

ليت شعري أعائد ذلك العهـ   ـد ودهري من ذنبه مستقيل

إن يجيبني فقد أعضت بخِلٍّ   ما له في بني الزمان شديل

هو غيث للسائلين مغيث   وعلى المارقين ليث يصول

مغرم بالعلى إذا ما سواه   بالغواني فؤاده مشغول

باسم للوفود طَلْقُ المحيا   وعطاه لمن أتى مبذول

ثابت القلب لا يدانيه رعب   إن دنا حادث وهول يهول

فرع قوم سادوا وشادوا علاهم   فله في الكمال أصل أصيل

هل تراني يوماً ألثم عتبا   ه وفي سوحه الرحيب أقيل

فاشتياقي إليه جل عن الوصـ   ـف فلم أدر فيه ماذا أقول

غير أن الإجمال يكفي إذا ما   أعجز الشرح عنه والتفصيل

ولعلي أمليه يوماً شفاهاً   إن بوصلي جاد الزمان البخيل

وأقيل الزمان عند لقاه   من ذنوب النوى ومثلي يقيل

وتهنَّى بعود عيد حميد   أنت فيه الوشاح والإكليل

وارداً بالسرور في كل حول   في نعيم عن ربعكم لا يحول

دمت فى موكب السعادة والمجـ ـد إماماً بالمكرمات كفيل
وسلام عليك أذكى من المسـ ـك مقيم بربعكم لا يزول

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً لقصيدة وصلت إليه من المولى العلامة إسماعيل بن محمد ابن إسحق رحمه الله فى شهر جمادى الأولى سنة ١١٤٣هـ ثلاث وأربعين ومائة وألف.

لست أدرى ما الذى يا أملى قدر الرحمن فى هذه الأمالى
رقمها قلم الأقدار فى كاغد الأيام من حبر الليالى
فلسان الدهر يمليها على كل من يسمع من غير ملال
جل هذا الأمر حتى ما أرى أبد الرائى منه من محال
سلم الأمر وقف منتظراً فلله سبحانه التدبير لا لى

☆ ☆ ☆

وله رضى الله عنه جواباً على السيد العلامة النبيه أحمد بن الحسن بن إسحق رحمهم الله.

أما آن للقلب أن يعقلا يرى غيره للهوى معقلا
كأن هوى الغيد قصر عليـ ـه فليس سواه له منزلا
سلا كل قلب فنون الهوى وقلبى لفن الهوى ما سلا
يعد الغرام وفقد المنا م ولوم الأنام به أجملا
فدمع يفيض وواش يغيـ ـض وكل الأنام ترى عُذّلا
إلى كم يصيح بقلبى النصيح بقول صحيح فلن يقبلا
أمجنون ليلى به نازل ترى لا سواه له مدخلا
وأهل الغرام بنو عذرة يعدونه للهوى موئلا

فيا ربع ليلى سقتك الدمو ع إذا الغيث عن ربعها أمحلا
فقد كنت مأوى الغوانى التى شموس الجمال بها تجتلى
ملاعب أنس لتلك الظبا فسقيا ورعيا لتلك الملاعب
وقد كان لى منهم ملعب ولى وله بوصال الملاح
فلاح شيبى على عارضى سلوت الحبيب وعنى سلا
سلوت الحبيب وخوف الرقيب وقول العذول إلى كم إلى
فما أحسن الشيب من زائر ومن زاجر عن فنون الخلاعة
ولله أيامه إنها زمان التقى وجمال العلا
هو العمر لا غير عند الذى يفكر فى كل ما قد خلا
يزهد فى كل شىء سوى فنون العلوم ونظم القلائد
كنظم صفى الهدى من غدا هو السحر لكنه لى حلال
كريم السجايا بهذا الزما ن سجاياه أضحت عقود الحلى
ذكى يكاد بنور الذكا يجيبك من قبل أن تسألا
كريم عطاياه مبذولة يسر إذا سائل أقبلا
بخيل بماء وجوه العفا ة فيعطيهم قبل أن يبذلا
فيا بخل من كان لى صاحباً صديقاً حبيباً بعلم الملا
سقى الله مثواه رضوانه ولا زال هطاله مرسلا
على العلم أقبل ودع غيره على العلم عرّج وكن مقبلا
فلا تقبلن على غيره ولانصح كن منى مقبلا

* * *

وله رحمه الله إلى السيد العلامة القاسم بن أحمد العيانى رحمه الله حال عزمه من عنده من المواهب بعد أن أقام لديه مدة .

مولاى ياعلم المعالى كتبت ونحن على ارتحال
من بعد طيب إقامة وألذ حال واتصال
وتنفس فى روض أنـ ـس جل عن ضرب المثال
والله يخلفنـا بأنعا م تزيد بكل حال
ويزيدكم من فضله نعما تدوم بلا انفصال
ويديم عليـاك التى شرفت على كل المعالى
قسما بودك وهو ود قد رسا قِدماً ببالى
إنى أعـدك عُـدَّةً وأراك فخراً للرجال
وأرى الإقامة فى ذرا ك ألذ من شرب الزلال
وأعد قربك بغيتى وأعد وصلك رأس مالى
فقت الرجال مع الفتو ة فى المروءة والكمال
لا زلت ركناً المكا رم والمحامد فى الفعال
وعليك ألف تحيـة تغشى ذراك مدى الليالى

* * *

وله رضوان الله عليه جواباً على المولى الكريم الماجد جمال الدين على بن الحسين ابن على بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم رحمهم الله .

كم أقاسى فى الهوى من شغل هى فى القلب كنار الشعل
عبرة تجرى وسهـد دائم وفؤاد خافق كالوجـل
ورقيب فيه حارت فكرتى وعذول قلبه كالجبـل
كلما حاولت أن يعذرنى إذ رمانى بسهام العُـذَّل
يحسب الصاحى مثل الثمل ويرى أن الشجى مثل الخلى
قال لما أن رأى فاتنى أقبلت فى حليها والحلل

بقوام فيه قامت فتنتي ورمتني بسهام المقلِ
أنت تهوى هذه قلت نعم فدع التعنيف ثم انتقل
سامعًا مستمليًا أوصاف من هو بالتبجيل والوصف ملى
قال من قلت له شمس الضحى وعلى بن الحسين بن على
نسب كالشمس فى إشراقه من وصى وإمام وولى
كرم كالبحر إلا أنه فى مذاق الفم مثل العسل
ونسيم الروض يحكى خلقه ولقد أخطأت فاستغفر لى
ما له حلو لسان مثله أو له أنوار وجه مقبل
مقبل بالبشر إن واجهته باذل ما غيره لم يبذل
أسد مبتسم عند اللقا إن رأى تعبيس وجه البطل
شهد السيف له حال الوغى وروى عنه لسان الأسل
وإذا شاهدته فى موكب راكبًا فى خيله والخول
وإليه كل شخص شاخص قلت هذا قبلة المقل
وإذا ما كان فى منزله فهو من أولاده فى جحفل
طابت آباء وأبناء فيا حبذا فرع الطراز الأول
إن يكن نص العلى فى غيره خافيًا فهو جلى فى على
قد أتانى منه نظم كله رائق فى مدحه والغزل
إنما يعرف ذا الفضل هم أهله فى علمه والعمل
فلقد طوقنى طوق الثنا كاسيًا لى من رفيع الحلل
حلل تبقى على طول المدى ما عليها تختشى من خلل
خذ جواب النظم واستر عيبه إذ أتى من عجل فى خجل
وصلاة الله تغشى المصطفى وكذا الآل هداة السُّبُلِ

* * *

وله رحمه الله تعريف دعوة إلى المولى العلامة عبد الله بن أحمد بن إسحق ابن إبراهيم رحمه الله :

الاجتماع غنيمة إن حارب الدهر الرجالا
وأتى بجيش شواغل هزم التواصل والوصالا
وشعاره في جيشه أن اللقاء غدا محالا
فاجمع جنوداً للقا وأذقه باللقيا نكالا
ضُمَّ الصديق إلى الصدي ق وخل أقوالاً ثقالا
إن الثقيل هو الذى يدعونه داء عضالا
إني بجرت شواغلي وجلودها جملت نعالا
ودعوت وصلا للصفي فأجاب إسعاداً وقالا
أهلا وسهلا باللقا ء فزاده ربي كمالا
فامنن بوصلك طالعاً شمساً علينا لا هلالا
تشرق بنورك أرضنا وتزيد خضرتنا جمالا
صبح الثلاثا فأتنا لا عذر فاحذر أن يقالا
دامت عليك تحيتي وحماك خالقنا تعالى

• • •

لما أخذ على مولانا البدر رحمه الله المنصور بالله الحسين بن القاسم رحمه الله تولى الخطابة فى جامع صنعا فى شهر ذو القعدة سنة ١١٥١هـ كتب إليه السيد الأديب إبراهيم ابن محمد الشرفي رحمه الله أبياتاً فى أول خطبة خطبها مولانا البدر رضى الله عنه فأجاب عليه بقوله :

نظم أرق من الرحيق السلسل وألذّ من وصل الرماح العيطل

وأرق تأمينين من تمويهها وأجلى من نظم البديع وجرول
ياصارم الدين الذى كلماته نزلت بقلب أخيه أشرف منزل
أنت الأخير زمانه ونظامه أربى على أهل الطراز الأول
شرفتنى ومدحت خطبتى التى أرجو النجاة بها لدى الرب العلى
ما كنت أرقى منبراً فيما مضى قد كنت عن هذا الظهور بمعزل
ما مذهبى إلا الخمول كوالدى حياه وسمى الكرامة والولى
ولقد مضى زمن الشباب ولم يكن إلا بزاوية الخمول تَسَرْبُلِى
والآن قد حل المشيب بعارضى ودنا إلى دار القرار ترحُّلى
فأمرت أن أرقى المنابر خاطباً وأقول فى وعظى بما لم أفعل
خطب ألمّ إذا خطبت ولم يكن فعلى يوافق ما أقول بمقولى
والله أسأله الرضا بمحمد ووصيه والسيدين توسُّلى
صلى الإله عليهمُ وعلى التى هى بضعة المختار بالنص الجلى

* * *

وله رحمه الله إجازة للفقيه العارف سعيد بن حسن العنسى رحمه الله وهو من مدينة ذمار .

الحمد لله على كل حال مقدماً قبل جواب السؤال
ثم صلاة الله تترى على خير الورى والآل أهل الكمال
وبعد هـذا يا سعيد فقد أطلت فى المطلوب منى المقال
إجازة تطلب ممن غدا مشتغلا ما بين قيل وقال
حيناً بتأليف وحيناً غدا بدرس الأعيان من فى أزال
وتارة تأتى السؤالات من تهامة أو من رؤوس الجبال
فاعذر إذا أبطا جوابى فما عن كسل أبطا ولا عن ملال
والآن قد شاء إلهى بأن أجيب عن أطراف ذاك السؤال

الطرف الأول تبغى به إجازة منى لما قد يقال
من يروى العلم وما عنده إجازة ما جار هذا محال
إذ الروايات طريق أتى تفصيلها عند فحول الرجال
قد حصرت فى أربع بيفت فى قصب السكر حلو المقال
جعلتها فيها مع غيرها من اصطلاحات لأهل الكمال
فقد أجزناك كما تبتغى فاروِ علوم الآل هم خير آل
واروِ علوم المصطفى أحمد من حاز فى الناس شريف الخلال
الأمهات الست يا حبذا ما قد حوت من نافع فى المقال
أئمـــــة قد ألفوها لقد فازوا بما حازوا على كل حال
أئمـة فى العلم تقواهم كالشمس لا مثل بزوغ الهلال
قد حفظوا للخلق علم الهدى جازاهم الله جزيل النوال
فاحرص على العلم تفز فى غد بالعمل الصالح فوق الرجال
والعلم مقصود به غيره العمل النافع فى الارتحال
إلى لقاء الله سبحانه عند فراق العبد دار الزوال
والطرف الثانى وعظى لكم ومن أنا قل لى بهذا السؤال
الحسن البصرى وأمثاله أو كعلىٍّ ماله من مثال
أعنى أبا السبطين ياحبذا مواعظاً تهتز منها الجبال
ضمنها النهج سقى قبره سحائبُ الرضوان من ذى الجلال
كفى كفى القرآن لى واعظاً قصار آيات به والطوال
فكل قسيس ترى دمعه يفيض إذ يسمع صوتاً اتال
فاتْلُ كتاب الله مستيقظاً فوعظه يهدم شُمَّ الجبال
زَهّدَ فى الدنيا وآفاتها من كل جاه قد حوته ومال
ما هى إلا لعب كلها وكلها لَهوٌ لأهل الضلال

غايتها الموت وكل الذى تراه فيها مِثْلُ فَيْءِ الزوال
أين ملوك قد عرفناهمُ سادوا وشادوا غُرَفًا لا تنال
وفارقوا ذاك إلى حُفْرَةٍ خُطَّتْ لهم بين تراب الرمال
بها لاقوا كل الذى قدموا من حسن أو من قبيح الفعال
وغودروا فيها فرادى وقد نسيهم أهلهم والعيال
وجاءه رسل إله السما ليعرفوا إيمانه بالسؤال
فإن تثبت بالجواب الذى عن ربه عزَّ وما قال
فى أحمد سيد كل الورى بقوله قال صحيح المقال
الله ربى ثم لى أحمد نبى صدق لا أقول المحال
فبعد ذا ينظر فى قبره فى جنة قد دام فيها الظلال
منزله يا حبذا منزل فيه الذى يهواه مما ينال
ما لا تراه العين أو تسمع الأذنان أو يخطر منه ببال
أو لم يُثَبَّتْ نال فى قبره ما تكره النفس بسوء السؤال
فنسأل الله لنا رحمة تغسل أدران قبيح الفعال
وبعد ذا صلِّ على أحمد والآل ماهبت صبا أو شمال
ويا سعد تجازينى بالدعا واسأل لى الغفران من ذى الجلال

* * *

قال السيد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله فى العواصم .

تنكب عن مهاوى الجبر واحذر غوائل مبدعات الاعتزال
وسر وسطا طريقا مستقيما كما سار الإمام أبو المعالى (١)

* * *

---

(١) الجوينى رحمه الله .

فقال مولانا البدر جواباً عنه وأودعه الأنفاس اليمنية في الرد على « الإفاضة المدنية » .

لقد سار الإمام أبو المعالي	طريقاً سارها ذوو الاعتزال
ووافقهم بلا قصد وطالع	حوافل كتبهم بالاحتفال
ووافقه على ما قال قوم	جهابذة من الأمم الخوالي
أبو العباس [1] أوحدهم ذكاء	وتابعهم أولو الهمم العوالي
كإبراهيم [2] تلميذ القشاشي	كذلك شيخه بحر اللآلي
وتابعهم أبو الحسن [3] الذي قد	أطاب بما أطال من المقال
ولكن آل بحثهم جميعاً	إلى ما قاله ذوو الاعتزال
فراجع نص كُتْبِهِمُ تجده	بلا شك مقال أبي المعالي
ومن يجعل له الإنصاف عيناً	رأى التحقيق من قيل وقال
ويجعل كل ذي علم أخاه	حبيباً لا يراه بعين قال
ويرفض من تعصب في مقال	ليسلم وصمة الداء العضال
تعصبه لأقوام أطالوا	مقالا في الخصام وفي الجدال
وأحسن منه رفضك كل قول	أتى بالابتداع من المقال
وخوض الناس في الأفعال شيء	تنزه عنه أرباب الكمال
من الأسلاف أعني خير قرنٍ	صحابة أحمد خير الرجال
فما سألوا عن الأفعال لكن	أتوا في هديهم خير الفعال
وهمهم الجهاد لكل قَدْمٍ	جهول بالصوارم والعوالي

(١) شيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

(٢) الشيخ إبراهيم الكردي الكوراني .

(٣) هو مؤلف « الإفاضة المدنية » الشيخ أبو الحسن بن محمد السندي وهو تلميذ الشيخ أبو الحسن السندي رحمه الله الذي أقبه مولانا البدر رحمه الله في المدينة وجرت بينهما أبحاث قد تقدم ذكرها منه .

تجانب من يخالف ما أتوه ... وإن كان الإمام أبا المعالى
فلو عاش الموفق خلف عام ... ولم يعرف مقالا فى الفعال
وقام بواجبات الشرع حقا ... لفاز غداً بإحسان المـــآل
إذا نزل الثرى وحواه لحـد ... وجاءته المـلائك للسؤال
فما عن كسبه أو خلق فعل ... يسائل عنه فى بطن الرمال
ولا هل كان فيهم أشعرى ... ولا هل كان من ذى الاعتزال

* * *

وله رضى الله عنه فى الحث على هدى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأودعها آخر رسالة مناسك الحج النبوى .

هــذى مناسك أحمد وصفاته ... فى حجــه ورجوعه ورحيله
فإذا أردت سـلامـة وسعادة ... وتقيلَ فى الجنات نحو مقيله
فالزم طريقته وكن متمسكا ... بفعاله وبهـــديه وبقيله[1]
إن النجاة من المهالك كلهـــا ... لم تأت إلا فى سلوك سبيـــله
ليس الهدى فى غير هدى محمد ... هادى الأنام إلى الهدى ودليله
وحذار ثم حذار من قول امرئ ... يأتى بضد النص أو تأويله[2]
لا تتبعن ســـوى النبى محمد ... فبـذا أتاك الله فى تنزيله
ماأرسل الرحمن غـــير محمد ... فينا فيرضيه اتباع رســـوله
لايسأل الملـكان مَنْ حلّ الثرى ... إلا عن المختار بعـد حلوله
لا عن مقال سواه من كل الورى ... وعند[3] اجتهاد المرء فى تحصيله
لاحاصل الرازى هناك محصل ... حقا ولا التحصيل من محصوله
فلقد تلاشى بحث كل محقق ... تعَبُ الذكى يَضيعُ فى تحليله

---

(١) وبقوله.   (٢) وما آتاكم الرسول فخذوه . . . . الآية .
(٣) هكذا فى الأصل وهو كما ترى مخل بالوزن والمعنى . والصواب أن « وعن اجتهاد الخ »

ينجو هنالك كل ذى بله أتى[1]	بالخمسة الأركان فى تعقيله
فاشدد يديك على طريقة أحمد	ليس النجاة غــداً لغير قبيله
واحرص على عـلم الحديث فإنه	عـلم عن المختـار عن جبريله
يامن جميع الرسل تحت لوائه[2]	فى الحشر مثل كليمه وخليله
ياخاتم الرسل الـكرام إغاثة[3]	تُطفِى من القلب التهاب غليله
وشفاعـة فى يوم يبدو كل ما	كسب الفتى بدقيقه وجليله
يوم يَشيبُ الطفلُ من أهواله	ويصير مثل شيوخه وكهوله
دامت عليك من الإله تحيـة	والآل من يَقْفُون نهج سبيله

* * *

وقال رحمه الله لما وقفت على ضريح السيد العلامة إمام العقل والنقل وشامة خد المجد والفضل شرف الآل الحسن بن أحمد الجلال رحمه الله تذكرت محاسنه ق لاتبلى . وفوزه فى العلوم بالقدح المعلى وامتلأت العيون بالعبرات ، سمحت القريحة بهذه الأبيات ، وقبره بأعلى محل الجراف ، قريب من الروضة . ولعل ذلك سنة ١١٣٣ ﻫ ثلاث وثلاثين ومائة بعد الألف .

جادت على قبر الجلال	عينى بدمع ذى انهمال

---

(١) أخرج البزار من حديث أنس مرفوعا « أكثر أهل الجنة البله » .

(٢) أخرج أحمد والترمذى وابن ماجه مرفوعا من حديث أبى سعيد أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائى الحديث منه

(٣) لايجوز طلب الإغاثة والشفاعة من المخلوقين . والصواب الذى لايجوز العدول عنه أن يطلب الداعى الشفاعة من الله بأن يقول : اللهم شفع فى نبيك أو فلان الصالح ولا يلتفت إلى التأويلات الباردة التي فتحت أبواب الشرك على الناس ولايملك أحد من الخلق أن يشفع لأحد ، والشفاعة إنما تكون يوم القيامة بإذن من الله تعالى كما قال عز وجل « ولايشفعون إلا لمن ارتضى » وقال « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » وبين سبحانه أن ليس لأحد من المخلوقين من الشفاعة شىء ، بل اختصها لنفسه فقال « قل لله الشفاعة جميعاً » فتبين مما ذكرناه عدم جواز طلب الشفاعة من المخلوقين فى الدنيا ولـكن الشعراء فى كل واد يهيمون .

وقفت فيه مدلها ... أبكى على فقد المعالى
جبل من التحقيق غيبه العفا تحت الرمال
بحر إذا أخذ اليرا ... ع تدفقت منه اللآلى
فتاح أقفال الدقا ... ئق ما ابن سينا والخيالى
أزرى بسعد الدين فى ... تحقيقه وأبى المعالى
فرد يعز له النظيـر فلا يعرف بالمثال
لم يأت فى مستقبل ... وكذاك فى ماض وحال
أبقى من التدقيق ما ... بهر الفحول من الرجال
متضلع فى كل فـن لا يجارى فى مجال
أبدى لنا ضوء النها ... ر فأشرقت منه الليالى
جمع الأدلة فيه جمـع الدر فى جيد الغزال
بعبارة رقت ورا ... قت فهى كالسحر الحلال
وتصرف بالاجتهـا ... د فلا يهاب ولا يبالى
تأليفـه فى كل فـن جاء فى حلل الكمال
هذى المفاخر لا التفا ... خر بالخيول و بالموالى
أبقت له حسن الثنا ... ء وفاز بالرتب العوالى
وجفاه قوم ما دروا ... كيف السمين من الهزال
وكذاك فاضل كل عصـر عرضة لذوى الضلال
من صار فرداً فى الكما ... ل رموه بالداء العضال
من ذا تراه سالماً ... فى الناس من قيل وقال
وشهوده فى كتبه ... إن كنت تنصف فى المقال
فاطعم ثمار علومه ... واشرب من العذب الزلال
وعلى ضريح قد حوا ... ه تحية من ذى الجلال

أنشد الخطيب الرازى وذكرها له ابن خلكان فى ترجمته له :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم قد رأينا من رجال ودولة ... تفانوا قريباً مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فبادوا والجبال جبال

* * *

فقال مولانا البدر رضى الله عنه مذيلا لها :

ولا جبل يبقى وإن طال مكثه ... وكل له بعد الوجود زوال

ستنسف نسفاً بعد طول قرارها ... تمود الجبال الشم وهى رمال

ولا النيرات الزُّهْر تبقى ولا السما ... ولا فلك عنه الفناء بحـــال

ستفنى جميع الكائنات بأمرها ... مواعيد حق مالهن مطال

تفرد ربى بالبقــــاء فكل ما ... ســـواه بقاه باطل ومحال

وبعد الفنا بعث وحشر وموقف ... تكون نجاة عنده ونكال

وداران دار للنعيم مؤبد ... ودار عذاب ليس عنه زوال

فيارب بالمختار من آل هاشم ... أقل عثرات لاتكاد تقال[1]

فبين الرجا والخوف فى القلب فتنة ... وحرب على مر الزمان سجال

فللخوف جند من ذنوب تعاظمت ... عراض بها صحف المسىء طوال

وجند الرجا عفو ولطف ورحمة ... بها حسناتى فى المعاد ثقال

لقد فاز عبد نال خاتمة الرضا ... وطاب نوال يمدها ومآل

* * *

(١) لا يجوز سؤال الله بالمخلوق مهما عظم شأنه لأن الله تعالى أجل وأعظم من أن يتأثر بالإقسام عليه بمخلوق مهما بلغ من الفضل ما بلغ ، فليحذر كل من يحرص على سلامة إيمانه كل الحذر من الإقدام على هذه التوسلات الباطلة المصادمة للكتاب والسنة .

السيد علي بن عمر القناوي المصري من الصالحين الملازمين لذكر الله تعالى وصل إلى صنعا مرتين الآخرة في شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣ هـ كتب إلى مولانا البدر يخبره بوصوله ، وهو في الروضة . فأجاب عليه . . .

أهلاً بكم صحبتكم كل غادية	من السحائب تروي السهل والجبلا
وصلتم فوصلتم كل ذي مِقَةٍ	يسائل الركب عنكم كلما وصلا
يكاد يجعل نار الشوق مركبه	إلى قناة ويطوي نحوه السبلا
فجاءه غيث وصل بعد جدب نوى	إذ كان مستسقياً للوصل مبتهلا
فالحمد لله معطي العبد بغيته	لازال إفضاله بالوصل متصلا
وسوف أفرد يوماً للقاء لكم	يكون للدهر في طيب اللقا مثلا

* * *

ووصل أيضاً من السيد المذكور مرة ثالثة في شهر رمضان سنة ١١٨٠هـ وعزم في آخره .

ووصل أيضاً مرة رابعة في شهر رجب سنة ١١٨٩هـ ووصل أيضاً مرة خامسة .

قال مولانا البدر رضي الله عنه من حوادث سنة ١١٧٢هـ اثنتين وسبعين ومائة وألف إنها خرجت طائفة كبيرة من جبل برط من ذو محمد وذو حسين . قاصدين نهب الرعايا على عادتهم كل عام ، فإنهم يخرجون مرة أو مرتين من سنة ١١١٣هـ ولم تبق جهة من الجهات اليمنية والتهامية ، إلا هتكوها ونهبوها ، وقتلوا من قاومهم إلى شهر ذي الحجة من السنة المذكورة وخرجوا على عادتهم من طرف خولان .

فاهتم الإمام المهدي العباس بن المنصور بالله أدام الله همته على أعداء الدين والبغاة المفسدين .

فجهز النقيب الماس ، في جيش كثيف ، من خيل وغيرها .

فخرج بعد الظهر ، يوم الثلاثاء سادس وعشرين ذي الحجة ، وغزا المفسدين ، فأوقع بهم في قاع جهران ، وكانوا في قرية يقال لها الخربة ، بعد العصر من يوم الأربعاء آخر أربعاء من السنة ، فقتل منهم قتلا ذريعاً قيل بلغ قريب المائتين وأسر طائفة من كبارهم ، وأرسل إلى صنعا إلى حضرة الإمام مئتين رأسا من رءوس قتلاهم أو زيادة على المئتين ، وصلوا بهم عند خروج الإمام من صلاة الجمعة ، وقد رفعت على الرماح .

وكان يوما مشهوداً اجتمعت الأمة للنظر إلى تلك الرؤوس المعلقة على الرماح ثم علقت على أبواب صنعا أياما ثم دفنت .

وكان عود النقيب الناس يوم الأحد ، رابع محرم سنة ١١٧٣ هـ ودخل صنعا دخولا حسنا في أجناد منصورة والأسرى بين يديه ، والناس قد خرج كبيرهم والصغير ، عظيمهم والحقير ، حتى غلقت الأسواق والحمامات والسماسر ، ولم يبق أحد إلا خرج للنظر إلى دخوله ، وأمنت الرعايا بعد المخافة ، وكل ذلك من فضل الله تعالى ، وحسن نية النقيب الماس ، وخروجه بنية صالحة للدفاع عن العباد ، ونكاية أهل الفساد ، فالحمد لله رب العالمين حمداً ليس له إحصاء ، ولا نفاد .

وكان ذلك نصراً ، لم يتفق مثله في سالف الأعصار ، على هذه القبيلة .

فكتبت تهنئة للإمام لعلمي أن هذا جهاد في سبيل الله ، باتفاق الأنام .

هل أهنيك أم أهنى المعالى ... أم أهنّى أيامنا والليالى

أم أهنى الأكوان فهى جميعاً ... فى سرور ولذة واختيـال

شمس نصر قد أطلع الله فى أفـ ... ـق المعـالى فنورها مُتلألى

للإمام العظيم ذى الأمر والنهـ ... ـى قرين الإسعاد والإقبال

مَنْ بَنَى حصن مجده بسيوف ... وخيول بالرماح العـوالى

وتسامى لنيل ما لم ينله ... غيره قط فى القرون الخوالى

برط ما أتى بها من قتيل ... أو أسـير فى عمرنا المتوالى

حسبوا أن مجدهم سور يأجو ... ج ومأجوج ما له من زوال

فأتاه الإمام بالماس حتى ... خرق السور فهو مثل الرمال

إنما الماس خاتم فى يد المـا ... ـلك وسيف عند التحام القتال

سخر الله للإمام أناساً ... يصدمون الأبطال بالأبطال

وإذا سخر الإله أناساً ... لسعيد ينال أعلى منال

هكذا هكذا السعادة تأتى ... بالذى لا يمر يوماً ببال

من يظن الأسود من يرط يأ — تون أسرى يمشون فى الأغلال
ورؤوس الرؤوس بطن شبيك — حملوها على ظهور الجمال
رفعوها وذلك الرفع خفض — حين عادت أبدانهن الموالى
كم أباحوا من كل ما حرم الله — وكم أيتموا من الأطفال
كم وكم من محارم هتكوها — واستباحوا النفوس بالأموال
ولكم يعبثون بالناس دهراً — بقبيح الأفعال والأقوال
هى عندى ستون عاماً تباعاً — ولهم جمة من الإمهال
هتك الله بعد ذاجنة الإمـ — ـهال عنهم لما طغوا فى الفعال
هكذا عادة الإله على الخلـ — ـق بطول الإمهال لا الإهمال
فإذا لم يكن رجوع إليه — بخضوع وذلة وابتهال
جرعتهم يد المقادير كأساً — من عذاب وذلة ووبال
فأرى الذل قد تولى عليهم[1] — من إلهى ذى العزة المتعال
ولك النصر قد توالى من الله — تعالى فاشكره فى كل حال
فأذقهم كأس المنون وزدهم — ذلة بعد هذه فى نكال
وعلى المصطفى تدوم صلاة — وسلام وآله خير آل

* * *

كتب المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله إلى مولانا البدر رضى الله عنه سؤالا وهو :

يا أيها البدر الذى بعلومه — للناس يفتح كل باب مقفل
وإليه يرجع كل حبر عالم — منهم ويرجوه لحل المشكل

---

(١) فى هامش الأصل : قد تدلى لإليهم .

إنى دعوتك سائلاً مسترشداً ... فأصخ لما أملى عليك واقبل

عن قول ربى كل شيء هالك ... إلا الذى استثناه خالقنا العلى

هل فى العموم كلام ربى داخل ... أم فيه قول إلهنا لم يدخل

يا حسرتا يا حسرتا إن فاتنا الـ ... قرآن فى دار النعيم الأكمل

فلكم لنا من لذة فى درسه ... يحلو بذوق القارىء المتأمل

إن قلت ليس بداخل قلنا هلـ ... ـم مخصصاً وأبن دليلك وانقل

أو قلت يدخل قلت يقدح فيهما ... تروى الثقاة عن النبى المرسل

فى أن سكان الجنان جميعهم ... يتلونه بترنم وترتل

إن قلت ذاك هو المخصص قلت لا ... قرآن وهو لغيره لم يشمل

بقى الكلام عليك فى تصحيحه ... وعلىّ نقل سؤالى المستشكل

منه إلى التوراة والإنجيل مع ... صحف الخليل وكل ذكر أول

فجميع تلك كلامه سبحانه ... والحكم فيها واحد فتأمل

وسل الأولى قالوا بخلق كلامه ... لا من سواهم فهو عنه بمعزل

واعذر وأصلح ما تراه فاسداً ... فيما كتبت إليك واستر واقبل

* * *

فأجاب مولانا البدر رضى الله عنه :

أهلا براح فى الطروس أدرت لى ... صهباء تهزأ بالرحيق السلسل

صهباء تستلب العقول فلا تلم[1] ... فهما لقيد خطابها لم يعقل

هب أن آخر ما فهمت مراده ... نخذ الذى فى ذا السؤال يلوح لى

هو أن لفظ الشيء صار مخصصاً ... بالجسم عندى بالدليل الأكمل

---

(١) بعد هذا البيت أبيات لم أجدها منه .

إذ كان باللغة التى يحظى بها ... ورد الكتاب من العلىّ المنزل
لفظ الهلاك يخص بالأجسام لا ... يدنو إلى عرض بها متنقل
هل جاء فيها ذا كلام هالك ... فسل الصحاح وسل كتاب الجمل
فإذن غدا شىء يراد به هنا ... جسم وذلك ليس بالمستشكل
إن قلت سلمنا فأين محله ... بعد الفنا فاسمع سماع متعقل
قد قال ربى الله جل جلاله ... وإليه يصعد كل قول أفضل
وكلامه أولى الكلام بطيب ... وأحق قول بالصعود إلى العلى
وأتت أحاديث عن المختار فى ... ما قلت بين مصحح ومعلل
من رفعه عن خلقه لكلامه ... فى آخر الزمن الخؤون الأرذل
وبسورة الأعراف قد قسم الذى ... فى الكون فاقرأ ما بها بتأمل
فى الخلق ثم الأمر ثم إليه فى ... هود مرد الأمر أى ذا المنزل[1]
فلعالم الأمر المعظم شأنه ... حكم اللوح انظر متأمل
إن قلت هل هو نازل من بعد ذا ... يتلوه فى الجنات كل مرتل
فأقول يلهمهم إلهك مثلما ... قد جاء فى التسبيح فابحث واسأل
وإلى هنا تم الجواب وبعده ... فاسمع جواباً جاء يرفل فى الحلى
هو أن حُفَّاظ الكتاب إذا هُمُ ... قاموا إلى حشر وأرفع منزل
يحيون والقرآن محفوظ لهم ... كم من دليل فى الذى قلنا تُلِى
منه تذكُّرُهم أحاديث الدُّنا ... كم من آية فى ذا على المزمل
فى الطور والصافات فانظر فيهما ... وانظر أحاديث النبى المرسل
من قول ربى للذى لكلامه ... قد كان يقرؤها اتْلُ ورتل
وإذا هم حفظوا أحاديث الدنا ... فالذكر أولى أن يكون به مَلِى

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « ألا له الخلق والأمر » — « إليه يرجع الأمر كله »

أترى الرسول يقوم ليس بحافظ لاذكر هذا لا يقول به ولى
سيعيد ربك كل إنسان على مامات من علم وجهل أجهل
وكذلك التوراة والإنجيل فى ماقلت يدخل بالدخول الأولى
هذا الذى قامت عليه أدلة بوضوحها حلت عقود المشكل

* * *

ووصل من المولى العلامة عبد الرحمن بن على بن إسحق رحمه الله هذا السؤال :

سؤال نحن فى حيرة من ليل ظلمته ولا يجليه إلا البدر بنور فطنته
أيا أيها البدر المرجى لحل ما له حارت الإفكار فى كل مشكل
فمن ذا سواك اليوم نرجوه فى الورى يجلى صدى الإشكال عنا فينجلى
بنور ذكاء بل وفطنته التى بها خصه الرحمن فى دفع معضل
إليك سؤال عن حديث رواته رجال ثقات ليس ذاك بمرسل
بتعيين أيام الصوم نبيئنا لها كل شهر فى حديث مسلسل
رواه أبو داود عنه معنعناً حديث صحيح ليس ذاك بمعضل
لعائشة قالت مسائلة لها أكان ثلاثا صام من أية سل
فقالت نعم فى كل شهر يصومها نبى الهدى المختار خير مفضل
فقالت لها من فى أية كان صومه من الشهر يروى عنه فى كل محفل
فقالت لها فى أية صام لم يكن يبال وعنه صح ذلك فافعل
يعارض هذا ماروى عنه مسنداً عن الحبر عبد الله عن خير مرسل
روى صومه فى كل شهر لغرة ثلاثة أيام روى عنه فاعقل
فكيف يكون الجمع بينهما نجد بجمع يرى الإشكال عنه بمعزل

* * *

فأجاب مولانا البدر رحمه الله .

سؤالكم وافى لتحقيق مشكل   أتى عن صحابيين عن خير مرسل

فقد اتفقا فى صومه لثلاثة   من الشهر لكن جاء غير مفصل

رواية أم المؤمنين وقد روى   لنا الحبر تعيين الثلاثة فاعقل

بغرته من كل شهر بعارض الـ   ـذى أتى مجملا لما أتى غير مجمل

ويظهر لى أن لاتعارض فيهما   فكل روى ماعاده فيه غير منجلى

فعائشة تروى الذى علمت وما   رواه ابن عباس فليس بمشكل

روى مارأى والشهر ليس بواحد   فكل صدوق فى الحديث المسلسل

وليس زمان الصوم شهراً معينا   فيشكل مايروى به فتأمل

فقد شرطوا عند التناقض وحدة الـ   ـزمان فما استشكلته غير مشكل

تحقق ماحققته لك واثقاً   به لترى الإشكال عنك بمعزل

بقيت لنا تهدى لنا كل طيب   وتفتح بالتساؤل عن كل مقفل

* * *

وله رحمه الله :

أى ظارف نصفه مظروفه   فهو مظروف له فى كل حال

إن حذفت الربع من أحرفه   وأردت النطق منه قلت دال

* * *

وله رضى الله عنه :

ما بال أعمالك لا تنجلى   وما لحسناتك لا تقبل

أفق أفق قبل حلول الثرى   شغلت عمن عندك لا يغفل

أخلص له النية فى كل ما   تقول أو تترك أو تفعل

وجانب الدنيا ولذاتها   فإنها السم الذى يقتل

كم هالك فى حبها تالف   يثنى عليها وهو لا يعقل

جاوزتها خمسين عاماً فما ... ترجوه فى العمر الذى يقبل
إن ذنى أعمالك فيما مضى ... فى كفة الميزان لا يثقل
فما الذى ترجوه من بعد ذا ... ليس سوى من ستره مسبل
ورب البرايا من غدا فضله ... عن كل من أوجده يفضل
يارب فى دار الفنا رحمة ... فهى لمن فيها غدت تشمل

* *

وله رضوان الله عليه فى واقعة :

صبراً على واعف عن ... قوم دهوك بمعضله
لا خير فيهم إنهم ... جحدوا حديث المنزله
لولا اجتهـــــاد محمد ... ما نلت هذى المنزله

* * *

ولما اطلع رحمه الله على كتاب[1] يسمى «الإنسان الكامل للجيلى» كتب عليه :

هـذا كتـاب كلـه جهل ... وخلاف ما جاءت به الرسل
هـذا كتـاب كل داهية ... فيـه فـلا عقل ولا نقل
قد ضل أقوام برؤيته ... فغدوا وليس لدينهم ظل
هذا هو الإنسـان ألفه ... من لا يدانى جهله البغل
مضمونه أن العبـاد هم ... ذات الإله وهكذا الجهل
فالرب ذات العبد عندهم ... فهو الوجود الدق والجل
قد قال سبحانى أوائلهم ... وأنا الإله وكم وكم ضلوا

---

(١) وهذا الكتاب هو الذى أحرقه مولانا البدر رحمه الله ، وصنع له طعاماً على ناره وكان فيه الشفا لإبانته من الإسهال ، وسيأتى ذكر ذلك فى حرف الميم إن شاء الله .

قالوا ومن عبد الحجـارة قد ... أضحى بما يأتى له الفضل
وعبـادة الأوثان مكرمة ... فيهـا يطيب القول والفعل
والسـامرى أصـاب عندهم ... إذ قال إن إلهه العجل
قالوا ومن شرب الخمور ومن ... يأتى الذكور ففعله حل
قد حرفوا الذكر الحكيم وما ... يتضمن الفرقان والنحل
قالوا العذاب عذوبة وكذا ... نار الجحيم لهيبهـا ظل
قد خالفوا دين الإله فما ... فيه لهم وبل ولا طل
وخلاصة التحقيق أنهم ... قوم زنادقة فلا أغلوا
قادوا إلى الإسلام فاقرة ... وعليه سيف خلالهم سُلُّوا
وأتوا بداهية يشيب لها ... من شوم مافاهوا به الطفل
وعلى الذى قد أسسوه بنا ... قوم عليهم خندق الجهل
كم من غبي جاهل خدعت ... ألفاظهم إذ عنده تحلو
لم يدر جهلاً أن باطنها ... أن الشريعة ما لها أصل
يالرجال أتجهلون هدى ... وافى به القرآن والرسل
ودلائلا قامت لدينكم ... نادى بهن العقل والنقل

* * *

وله رضى الله عنه :

أتزعم حب أقوام وتنسى ... مذاهبهم وتجهل ما تقول
وترمى مَنْ سواك بكل داء ... وأنت بما تفوه به جهول

* * *

وله رحمه الله فى الاستدراك :

قال لى خِلِّى لما زارنى ما ترى بالله فى هذى المقل
قلت كالنرجس يا مَنْ حبه أتلف الملوك لكن ما قتل
أنت غصن مائل فى لينه قال لكن ليس للغصن كفل

* * *

وله رضى الله عنه فى إرسال المثل :

خليلى هل من موقف فيه أشتكى هواك فقد أفنيت فكرى آمالا
وهل أنت فيا أبتغيه مراسلى فكم فى الهوى قد أرسلونى أمثالا

* * *

وله رحمه الله فى القول بالموجب :

وشادن قدلامُ من فيـــــــه له التغزل
فقلت دعه إنه يقول مالا يفعل

* * *

وله رضى الله عنه مقتبساً وفيه تسمية النوع :

لما نأوا عن مقلتى ببدرهم وارتحلوا
قلت انظرونا نقتبس من نوركم ثم ارحلوا

* * *

وله قدس الله سره فى القول بالموجب مع المراجعة البعيدة :

أحبتى حين مالوا عن مواصلتى تحيلوا يدعون الذنب من قِبَلى
قالوا تناسدت قلت الروح بعدكم قالوا جفوت فقلت النوم عن مُقلى

وله رحمه الله فى المراجعة :

قلت للمحبوب نومى ليس يدنى لى خيالك
قال لم قلت افتقدى قال من قلت وصالك

* * *

وله رضى الله عنه فى الموازنة :

قال حبيبى لِمْ أطلت الجفا إنك عندى للمحب ملول
فقلت رفقاً إنه لم يزل لى نحوكم فى كل حين وصول
وعاذلى فى كل ذا شاهد فقال لا شاهد إلا العذول

* * *

كتب المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله من السجن إلى مولانا البدر رضى الله عنه ملغزاً مالفظه :

مولاى يا من فاق كل عالم بعلمه وفهمــــه وفضله
ما اسم رباعى مسماه غدا لم تر عين ناظر كمثله
وليس بالداخل فى العالم والا مالم ليس خارجاً عن شكله
وقد جرى الخلاف فى تحليله وإن تقل ياطالباً لحله
لم نلق الذى لنا ألغزته فذا الكلام قد أتى بكله

* * *

فأجاب البدر رحمه الله حالياً للغزه وملغزاً :

يا ماجداً ما زال يهدى نظمه تنائساً ليس ترى لمثله
وقد أتانا ملغزاً فى منطق بمنطق يلهى الفتى عن شغله
وخذ جزءاه اللغز لغزاً ثانيا إن جزاء الشىء مثل أصله

ما اسم ثلاثى تساوى فيه من   يحوى الثرى من عُلْوِهِ أو سُفْلِهِ
وكل شىء منه فيه حصة   حتى السماء ووبله وطله
وإن جعلت صدره مؤخراً   أصبح كل الناس تحت ظله
وإن قلبت لفظه غدا الفتى   من حيرة لا يهتدى لفعله
وإن قطعت رأسه فإنه   سقى الورى طرا كؤوس قتله
وما عليه قود هذا ولا   ذنب ينوء فى غد بحمله
بَيِّنْهُ لى يا من غدا كل فتى   يقصر عن إدراك نيل فضله

* * *

فأجاب رحمه الله وكان فى السجن :

يا بدر دين الله أفديك لقد   حملتنى مالم أطق لحمله
وهل يحل اللغز موثق غداً   يقصد كل أحد لحله
لو كان يدرى ذاك حل نفسه   عن قيد دهر بان سوء فعله
وكلما رجوت منه عدله   أهدى إلىّ راشقات نبله
واللغز إن يصدق حدسى فهو فى   اسم فهل ماقلت فى محله

* * *

وله رضى الله عنه فى إيهام التأكيد :

عجباً بكرت تلوم فتى   أضناه الحب وأذهله
وتقول عسى يسلو رشاء   وله شوق وله وله

* * *

وله رحمه الله :

أتى أن خير الرسل ليس لذاته   ظلال فقل إن صح فيما أتى النقل
هو النور للأكوان من غير مرية   فلا عجب أن لا يكون له ظل

وله رضى الله عنه إلى المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله .

جرى هذا الزمان على ضلاله ... ووافى بالقبائح من فعاله
وأرصد لى الرقيب على طريق ... كأنى جئت مستلباً لماله
وأمكننى بمطلوبى احتيالا ... ليخدعنى ويظفر باحتياله
فلما أن دنوت إلى مرادى ... رمى سهم التفرق من نباله
فنفرنى وروع أهل ودى ... وردف من يروع من رجاله
فصرت كطائر وافى ... فروع قبل رشف من زلاله
رمى الله المفرق بالبلايا ... وألبس جسمه ثوب اعتلاله
ولما أن حُرِمْتُ مراد نفسى ... بأمر لست أقوى لاحتماله
خرجت حليف أفكار وكرب ... ودمع كالغمائم فى انهماله
ولولا أننى خادعت قلبى ... لذاب من التلهف واشتعاله
فيا بدر العلى صبراً جميلا ... فإن الصبر يحمد فى مآله
وإن الأمر مهما زاد عسراً ... فإن اليسر يأتى فى خلاله
سيعلم من إلى ظلم البرايا ... يسارع فى المشيب وفى اكتهاله
عواقب ظلمه وبعض كفا ... وما تجدى الندامة من ضلاله
عليك من التحية منتهاها ... تدوم دوام مجدك فى كماله

* * *

قافية الميم

وله رضى الله عنه فى الحث على التوبة (١) وفيها تضمين من قصيدة لأبى الطيب المتنبى قالها فى أول شهر ربيع الأول سنة ١١٧٣ هـ ثلاثة وسبعين ومائة وألف .

على توبة بالله هل أنت عازم ... وكل الذى أسلفت عندى جرائم

---

(١) وفيها تقسيم العباد فى المعاد وحقيقة التقوى . . .

فشمر بعزم المتاب فإنما | على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وإن عظمت منك الجنايات إنها | ستصغر في عين العظيم العظائم
سيأتيك من مولاك ما هو أهله | وتأتي على قدر الكرام المكارم
ويلقاك بالبشرى وتلقاه بعدها | ووجهك وضاح وثغرك باسم
ونفسك صنها قبل إلقائها الردى | فموج الخطايا حولها متلاطم
أتعرض عنها غير محتفل بها | كأنك في جفن الردى وهو نائم
على أنه مستيقظ لك فانتبه | وفي يده للقطع قطعاً صوارم
فلو كان هذا الموت فعلا مضارعاً | مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
ولكنهـا الآجال لا متأخر | عليها إذا جاءت ولا أنت قادم
ولا بد منها فاستعد لجيشها | بجيش التقى فهو المعين المقاوم
وإن التقى قسمان فعل أوامر | وترك المناهي إن له أنت رائم
هي الحسنات المشرقات وكاتب الـ | يمين لها في صحف فملك راقم
أو السيئات السود يكتبها الذي | بيسراك فانظر ما به أنت سالم
غداً ووجوه الخلق قسمان أبيض | وآخر مثل الليل أسود قاتم
كذا صحف الأعمال قسمان آخذ | بيمناه طوبى إذ أتته المغانم
وآخر يعطى بالشمال كتابه | فيدعو ثبوراً ويله وهو نادم
كذا كم الميزان قسمان كفة | تخف بما فيها وفيها المآثم
ومن ثقلت منه الموازين حسبه | ويا حبذا من سالم وهو غانم
وقسمان أهل الحشر ذلك ظالم | وآخر مظلوم لذاك ملازم
يطالبـه فيما لديه وربه | بما قد جناه عالم وهو حاكم
فيأخذ المظلوم من حسنات من | غدا ظالماً ياويح من هو ظالم
فإن لم تكن ألقى عليه ذنوبه | وألقاه في نار الجزا وهو راغم

وأن دواوين الذنوب ثلاثة   ترى واحداً منها تمحّها المكارم

واثنان مالِلعفو فيهن مدخل   ولا حام منه حول ذلك حائم

وذلك ديوان المظالم إنه   قصاص فتستوفى هناك المظالم

وديوان أهل الشرك فى النار أهله   وليس لهم إلا الخلود بلازم

فيا راحماً المذنبين سواهم   أقِلْ عثرة من عاثر وهو نادم

جنى ما جنى من كل ذنب ولم يزل   ببحر الخطايا والمآثم عائم

وما هو من بعد الإساءة مقبل   فهل قابل لى غافر لى راحم

فهذا مقام المستجير أخ به   مطايا الخطايا تمح عنك المآثم

وصل على المختار والآل بعده   فإن بها حقاً تنال المغانم

* * *

وقال رضى الله عنه لما تطاول بى عارض الإسهال زيادة على سنة ونصف، ولم ينفع فيه دواء وأعيا الأطباء.

جاءنى بعض فقهاء صنعا بكتاب اسمه «الإنسان الكامل» تأليف الجيلى ومعه «المضنون به على غير أهله» منسوب إلى تأليف الغزالى ولا أظنه من مؤلفاته وإنما هو مكذوب عليه إن شاء الله.

فطالعت الكتابين، وكنت أعرف الأول منهما من أيام ثم رأيت فيهما ما هو والله كفر لا يتردد فيه ذو إيمان.

فحرقتهما ثم جعلت أوراقهما فى التنور وخبز لى على نارها خبز فصحيح، وأكلته بنية الشفاء من ذلك الداء، فذهب ـ بحمد الله ـ ذلك الألم وبت الليل أبرأ كثيره، وحمدت الله تعالى على نصرة دينه، وعلى العافية، وقلت أبياتاً وهى:

ألمّ بجسمى عارض طال مكثه   وأعيا الأطبا منه طول سقامى

وأشفق أولادى وأهلى وجيرتى   وظن حبيبى أن فيه حمامى

ومازلت أدعو الله فى كل ساعة   وهل غيره يرجى لكل مرام

فساق إلىَّ الله يوماً تفضلا كتاباً حوى مالم يصفه نظامى
حوى كل كفر ثم حرق كلما أتى فى كلام الله خير كلام
وأبطل مافيه وصير نوره ضلالا وجهلا بحر كل ظلام
وصوب آراء اليهود وكفرهم وقال النصارى فى أجل مقام
وقال عذاب النار عذب لأهله فما سقر إلا كدار سلام
وعُبَّادُ عجل السامرى على هدى وهارون أخطى إذ أتى بملام
وذا قاله الجبلى بتأليفه الذى يقول له إبليس أنت إمامى
يقول ظللنا من قديم ولم أكن لأعرف ذا فى يقظتى ومنامى
ولا كنت أدرى أن فى الكفر مثل ذا وحاشا لمثلى أن يكون مرامى
يفديه إبليس اللعين بنفسه وأولاده من حادث وحمام
يقول لقد أقررت عينى وزدتنى سروراً وقد أسكرتنى بمدام
وصيرتنى بعد الإله لخيـذا مقام به قد قمت خير مقام
فلما تحققت الذى فيه قلت ذا دواء سقامى بغيتى ومرامى
فمزقته من بعد تحقيق ما حوى وأوقدته ناراً لطبخ طعامى
فيا حبذا قرص هنىء أكلته لذيذاً ولم يمزج بحسن أدام
قصدت به نصر الإله فجاءنى بإذهاب داء مسنى وسقام
له الحمد قبل الحمد والحمد بعده أقيد كلا منهما بدوام
وصل على طه الأمين وآله صلاة ترى مقرونة بسلام

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله فى مدح سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم قالها فى رجب سنة ١١٧٤ هـ أربع وسبعين ومائة ألف .

تبين ثغر الفجر لما تبسما فسبحان من فى الذكر بالفجر أقسما

وأطلعه في الشرق كالسيف مصلتا ... به انهزم الليل الذي كان مظلما
وهب على الروض النسيم فأيقظ الـ ... ـغصون وكانت أعين الزهر نوّما
وقام خطيب الوُرْقِ في الروض خاطباً ... بذلك أدى الشكر لما ترنما
ووافى إليه الطل في الليل زائراً ... فقبل أقدام الغصون وسلما
فصل على المبعوث للخلق رحمة ... عسى شملتنا أو نعل وريما
كما شملت آل الرسول وصحبه ... فأكرم بهم آلا وصحباً وأعظماً
أتى بالهدى نوراً إلينا ونعمة ... وقد كان وجه الكون بالشرك مظلما
فجلى بأنوار الهدى كل ظلمة ... وأطلع في الآفاق للدين أنجما
أتى بكتاب أعجز الخلق لفظه ... فكل بليغ عنده صار أبكما
تحدى به أهل البلاغة كلهم ... فلم يفتحوا فيا يعارضه فما
حوى كل برهان على كل مطلب ... ويعرف هذا كل من كان أفهما
وأخبر فيه عن عواقب من عصى ... بأن له بعد الممات جهنما
وعمن أطاع الله أن له غداً ... نعيما به من مشتهى النفس كلما
محمد المبعوث للخلق رحمة ... فصل عليه ما حييت مسلما
وأسرى به نحو السموات ربه ... وأركبه ظهر البراق وأكرما
وقد فتحت أبوابها لصعوده ... فما زال يرقى من سماء إلى سما
ولاقى بها قوماً من الرسل كلهم ... يقول له يا مرحباً حين سلما
إلى أن ترقى موضعاً عز وصفه ... وما أحد يستطيع أن يتكلما
وكان فرض الصلاة وحبذا ... تردده بين الكليم مكلما
وصيرها من بعد خمسين خمسة ... فروضاً وأمر الله قد كان مبرما
وشاهد ملكوت السماء عجائباً ... فم النظام عنها قاصر أن يترجما
وقد قصرت عنه العبارات إنما ... يقال كهذا أو كذا أو لعلما
وعاد إلى بيت أم هانىء مخبراً ... لها بالذي قد كان منه ومعلما

فخافت عليه أن يكذبه الملا ويزداد من فى قلبه مرض عما
فجاء إلى البيت العتيق فأخبر الـ ـعباد فمنهم من بتكذيبه رمى
وكان به الصديق خير مصدق فصدق خير الرسل فى خبر السما
محمد المبعوث للخلق رحمة فصل عليه ما حييت مسلما
وقم حامداً لله فى كل حالة تجد حمده فى يوم حشرك مغنما
وصل على المبعوث للخلق رحمة محمد المختار والآل كلما
شرى البرق من أرجاء مكة أو سرى نسيم على زهر الربى متبسما
ورضٍ على الأصحاب أصحاب أحمد وكن لهم فى كل حين معظما

* * *

وقال رضى الله عنه من الحوادث فى سنة ١١٦٦هـ إنه اتفق أن أول جمعة من جمادى الأولى سنة ١١٦٦هـ خطبنا على القاعدة فى جامع صنعا .

ولنا قاعدة أنه إذا اتفق تطويل فى الخطبة الأولى الوعظية أنا نختصر الخطبة الثانية ، وندعو للخمسة أهل الكسا تفصيلا ، ثم ندعوا للآل جملة ومرت لنا أعوام على هذا الأسلوب ومنها تلك الجمعة .

فألقى الشيطان فى قلوب جماعة من الرعاع وجهال بيت الإمام القاسم أن الخطيب ترك ذكر جدكم الإمام القاسم والدعاء له .

فاجتمعوا وقصدوا جماعة من أعيان بيت الإمام وكبرائهم مثل المولى العلامة محمد ابن إسحق رحمه الله ، ودخلوا عليه وهم جماعة كثيرة وعرفوه بهذا الواقع من الخطيب .

فأجاب عليهم بجواب العلماء وأن هذا الذى تركه ليس بواجب ، ولا يخل بخطبة ولا صلاة ، وهجن عليه ما اجتمعوا له ، ووبخهم .

ومازالوا يمرون على الأعيان حتى انتهوا إلى محمد بن على بن حسين بن المهدى وهو من كبار بيت الإمام سنا ، إلا أنه عار عن حلل العلم والتقوى .

فوافق فى نفسه على خليفة العصر هوى ، فقام بهذا الأمر وتولى كبره ، ودخل على الخليفة .

فعرفه الخليفة أن الأمر سهل ، وأنه يعرف الخطيب أن لا يعود إلى ذلك .

فما أقنعه جواب الخليفة ، ولا أرضاه ، وأصر على اتباع هواه وأنه إذا لم يحبس الخطيب فإنه سيقتله ، وهاجت العامة ، وكثر المدار .

فألهم الله تعالى الخليفة أن طلب محمد بن على والجماعة الذين من رعاع بيت الإمام إلى القصر فاجتمع الخطيب ، ومحمد بن على فى موقف الخليفة ، وذكر الخليفة للخطيب ما أنكره العامة .

فأجاب بأن هذه قاعدة له عند إطالة الخطبة الأولى ، ولا يخل ذلك بخطبة ولا صلاة ، وبمثله أجيب على محمد بن على .

ثم ذكر الخليفة حديث الجمع بين الصلاتين وأنه قال العلماء إنه ضعيف وأنه ذكره الخطيب وأراد به حديث « من جمع بين الصلاتين لغير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر »

فأجاب الخطيب بأنه كما قال العلماء حديث ضعيف ، من رواية حنش الصنعانى ، ولكنه رواه الترمذى ، وذكر تضعيفه ، ثم قال « والعمل عليه عند أهل العلم ، وعليه كان عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه بقى ثلاثاً وعشرين سنة لا يصلى الصلوات إلا توقيتاً ثم هو دليل أهل المذهب القائلين بجواز الجمع لعذر .

ثم إن الخطابة إنما شرعت لحث الناس على أفضل الأعمال .

فقال الخليفة للخطيب : قد رأيت أن تبقى فى دار الأدب فقام الخطيب إلى بيت بعض أمراء الخليفة .

ثم نهض الخليفة من مقامه وأمر بحبس محمد بن على وقبض خيله أربعة عشر حصاناً ، وقبض البلاد التى كانت إقطاعاً له ، وهى ضوران ، وحبيش وبقى فى السجن من تاريخه إلى وفاته فى يوم عرفة يوم الخميس سنة ١١٧٠ هـ سبعين ومائة وألف نسأل الله رضاه ، وحسن الخاتمة .

وأمر بحبس بقية الجماعة الرعاع من آل الإمام ، وهم نحو ثلاثين نفساً .

ثم أمر بتفسير العجمى المسمى بالسيد يوسف وكان رافضى المذهب متظاهراً بذلك .

ثم بقى الخطيب شهرين فى قصر صنعاء مسجوناً فى حال حسن ومنزل مناسب ، ودخول من يحب دخوله إليه .

وكان السبب الحقيقي للجماعة الذين تجمعوا وتحزبوا ، اشتغال الخطيب بعلوم السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتدريس فيها ، والتأليف والدعاء إليها ، ونشرها فوق المنابر وميل أكثر الناس إليها .

حتى اتهموا الخليفة المهدي رحمه الله بأنه من أهل السنة وأنه يميل إلى أهلها والتابعين لها وأكثروا في هذا الشأن الأسمار والهذيان .

وفي أيام البقاء في السجن كتب الله أن النقيب الماس ، وجماعة ممن اتصل بنا ، مالوا إلى تعلم السنة ، واشتغلوا بعد ذلك بها ولما خرجنا وصلوا وقرأوا علينا مؤلفنا « سبل السلام » وصلحوا صلاحاً حسناً وحافظوا على الجماعات في أوقاتها ، وانتشرت السنة انتشاراً حسناً بحمد الله سبحانه .

وكنت قلت أبياتاً إلى إخواننا من أهل مكة المشرفة ، أصف لهم الواقع ، وأستمد دعاءهم وأذكر لهم ما نقم منا أهل جهتنا وهو دعواهم أنا خالفنا أهل البيت في مذهبهم ولهم يرموننا بمخالفتهم منذ أربعين سنة بسبب اشتغالنا بنشر السنة وإعلائها فأوضحت في الأبيات أن مذهبهم هو الذي اتبعناه ، وأرسلناها بعد أن من الله ـ وله الحمد ـ بالخروج من القصر ولنا في نشر السنة النبوية من سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف ولله الحمد ، وقد نشرها تلاميذنا في الجهات والحمد لله كثيراً بكرة وأصيلا والأبيات هي :

لقد صدرت إلى أعلى مقام	لأعلام لأعلام كرام
تجوز مَهامِها وتمر بيداً	وتياراً إلى البلد الحرام
وتهدي من أزال من أسير	لودكم السلام من السلام
سلاماً كالنسيم يهب وهنا	ومثل الروض بُوكِرَ بالغمام
وتلتمس الدعا من كل بر	وبحر زاخر يشفي أوامي
وكل أخ له في الفضل سهم	يعين أخا بإرسال السهام
فيرسل من رواشقه نبالا	من الدعوات تأتي بالمرام
وتخبر كل سام في ذراها	بأنا قد نزلنا قصر سام
به حليت إذ حليت جيدا	لسنة أحمد بدر التمام

بدر يحرس البلغا ونظم ... ألذ لدى النديم من المدام
وما آليت جهداً فى بلاغ ... وتنبيه لأبناء الأنام
وإرشاد لنقاد كرام ... وإيصال إلى سبل السلام
وتطهير اعتقاد عن شريك ... بسهم صائب عرض اللئام
وسيف باتر هام الأعادى ... وتوضيح الحلال من الحرام
وعُدَّتِيَ الدراية منه فضلا ... ومنحته لتنوير الظلام

* * *

تضمنت هذه الأبيات التورية بمؤلفات البدر رضى الله عنه ، وهى « تنبيه الأنباه بعدم شرطية عدالة الإمام فى الصلاة » ! و « إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد » و « سبل السلام شرح بلوغ المرام » و « تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد » و « السهم الصائب فى نحر القول المكذب » و « السيف الباتر فى عين الصابر والشاكر » و « توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار » و « العدة شرح العمدة » و « الدراية حاشية شرح الغاية » و « منحة الغفار حاشية ضوء النهار » و « التنوير شرح الجامع الصغير » نفع الله بعلومه آمين .

وإنى بالقضا راض وإنى ... أعد الحبس فى المنن الجسام
حبيت به لحبى خير حِبٍّ ... حبيب الله والهادى التهامى
شفيع الخلق[1] أولهم وجوداً ... ختامهم فبورك من ختام
ألامُ على محبته وهذ بى ... بسنته وأن بها غرامى
وقد عجنت محبته بلحمى ... وقد خلطت بسنته عظامى
فلست بتارك أبداً حماه ... ولو أنى لقيت به حمامى
وأنكر منهجى قوم حيارى ... رموني بالسهام من الملام

---

(١) حقا هو صلى الله عليه وسلم شفيع الخلق كما فى حديث الشفاعة أما قوله : « وأولهم وجودا » فلا دليل عليه .

أحاط بهم مرادف كل جهل ... فما يمشون إلا في التعامي
ومن لبس الجهالة وارتداها ... رأى منها المناسم كالسنام
يقول الجاهلون هجرت علماً ... لأعلام من الآل الفخام
أما علم الجهول الفدم أني ... من الآل الجحاجحة الكرام
ضخمت أصالة وسقيت فرعاً ... وحزت علوم آباء ضخام
فناظرني لتنظر قدر علمي ... ولا تخل التبجح من مرامي
فإني بالذي قالوه أدرى ... وأدرء نحر جهلك بالحسام
فقد منع الألى تقليد مثلي ... وعدوا ذاك من قسم الحرام
فراجع أول الأزهار لكن ... أرى الأزهار في بطن الكمام
يعز عليكم أن تفهموه ... ونشر الزهر يطوى بالزكام
فقلها يا جهول ولا تلهني ... ولا تخلِ الشوامخ كالأكام
فأما من حباه باجتهاد ... إله العرش ذو المنن العظام
وأعطى فطنة وذكاً وحفظاً ... وتمييز الصحاح من السقام
علوم الاجتهاد بفضل ربي ... لديّ غدت على طرف الثمام
فهذا عند أهل البيت طراً ... بني الزهرا إمام عن إمام
حرام أن تقلدهم وتضحي ... مقوداً كالبهيمة بالزمام
وقد نلنا بحمد الله علماً ... سوانا ما حواه على التمام
فكم ضربت لنا فيه خيام ... خيام هدى سقاها من خيام
فكم في النحو قد أوضحت بحثاً ... تنحى عنه أذكى من عصام
وفي علم المعاني كم حللنا ... عن الأبكار معقود اللثام
وفي علم الأصول سبحت بحراً ... وجاوزت الفصول إلى النظام
وحزت المنتهى درساً وبحثاً ... وغايته وغايات الكلام

وسايرنا مع ابن أبي شريف   مسايرة الذكى ابن الهمام

وفى شرح المواقف كم وقفنا   عليه وقوف صب مستهام

وإن كان الـكلام به كلام   يؤول إلى التجادل والخصام

وعنه الشافعى نهى وأفتى   بتعزير به كلم الـكلام

وفى جمع الجوامع نقل قول   بأن البحث فيه من الحرام

وفى علم الرواية كم وردنا   بحارا ماؤها يروى الطوامى

كفلت الأمهات فأرضعتنى   ولـكن لا سبيل إلى الفطام

وما فن حوى القرطاس إلا   وفرطس فى مراميه سهامى

فإن هاب الجهول جدال مثلى   وولى كالجموح بلا لجام

فيسأل عن مشايخنا يجدهم   سجالا شامخات فى المرامى

بصنعا ثم بالحرمين قوم   بحور هدى تروى كل ظام

ويسأل عن تلاميذى يجدهم   بدوراً فى سماء فى تمـام

كأحمد نجل إسحق ومن ذا   يساوى أحمدا فى قطر شام

وإسمعيل فارس كل فن   فواصله التى شرحت مقامى

وكم من عالم بحر إمام   تتلمذ لى فجلسه أمامى

وقد أمليت ما أمليت قصداً   لإيقاظ الجهول من المنام

وتحديثاً بما ربى حبانى   به فله الثناء على الدوام

سألقى فى غد خير البرايا   وأشكو ما لقيت من الأنام

فإنى فى هواه لقيت منهم   أموراً سوف تبرز فى الخصام

وخصمهم الرسول فقيه أوذى   محمـد ابنه فى كل عام

أروم حياة سنته بجهدى   فراموا أن يذوقونى حمامى

وقد عوديت فيه فما أبالى   بما لاقيت من كرب عظام

لأنى فى حمى خير البرايا وخير مدافـــع عنى وحام
سأهتف فى القيامة عند ربى وعند الحوض فى حال الزحام
بأحمد من دعوت إلى هداه فلا يخلو مقالى عن مقام
نشرت على المنابر ماطووه بلا خوف هناك ولا احتشام
أخاف سوى الإله من البرايا إذا ألصقت آذنى بالرغام
وفى التدريس أدعو كل يوم إلى هَدْيِ الرسول أبى إمامى
وكم لاقيت فيه من هجاء وكم لاقيته من كل رام
وكل سوف يلقى ما جناه إذا ما صار فى بطن الرجام
ترفق ياجهول بأكل لحمى فما أوباه فى يوم القيام
وإنى ناصح لك فاتبعنى فما أنا من شرابك والطعام
سيعطينى غـــدا ما قد حواه كتابك من صلاتك والصيام
فإن فنيت حملت هناك ذنبى وسقت إلى الجحيم مع الطغام
وأسأله الصلاح لكل فرد حوته الأرض من يمن وشام
فإصلاح البرايا كل قصدى وعن إفسادهم أبدا أحامى
كقصد الرسول فى أمم تقضتْ وحسبى أحمد مسك الختام
عليه وآله والصحب أزكى صلاة لا تزول مع السلام

* * *

وقال رضى الله عنه وأرضاه .

بدأ الدين غريباً مثلما قاله خير الأنام الكرما
ولقد عاد كما قال لنـــا وهو الصادق حقاً كَلِماً
قد رأينـــا كلما فاه به أنه أصدق شىء كَلِماً

فاغتربنا بين إخوان لنا ... وقرابات وقوم عظما
فارحم اللهم ما نحن به ... إذ غدونا مثل من في فيه ما
غربة عمت وجاءت بدع ... عمت الكون وزادته عمى
ليت شعري الأماني ضلة ... تنشر السنة يوما علما
ويكون النصر فيه للهدى ... ويولي غيره منهزما
ونطوف البيت سبعا لا نرى ... بدعة فيه ونأتي زمزما
ونصلي فيه خمسا جمعا ... واحد ما فيه تفريق لما
قد نهى الله تعالى عنه في ... سورة الشورى فأين العلما
ما لكم مزقتم الدين أما ... قد نهيتم عنه نهيا محكما
وكذا في كل أرض بدع ... لا أخص اليوم هذا الحرما
إنما هذا مثال فاعتبر ... وعليه قس تجدها ظلما
ظلمة قد عمت الأفق فلا ... تنظر الأنوار إلا حلما

* * *

وقال رحمه الله .

غريب بين أوطاني وأهلي ... وفي وطني وعند أبي وأمي
دعوت إلى طريقة خير هاد ... فهل ناديت في آذان صم
فأوتروا القسي بألسنتهم ... وكان سهامها شتمي وذمي
لبست من التصبر خير درع ... ولقيت السهام مجن حلمي

* * *

وقال رضى الله عنه فى مناصحة الجليس :

لا توردن على سمعى من الكلم ... عند الملاقاة إلا طيب الحكم
أما سؤال لقصد الرشد حرره ... ذو فطنة آخذ للعلم عن علم
ليس المراء ورد الحق مذهبه ... وإنما هو بالتحصيل ذو نهم
أو زبدة من فنون العلم خالصة ... عن التشكك والتخليط والوهم
أو نكتة لذوى الآداب مطربة ... يهتز منها فؤاد الحاذق الفهم
أو سيرة لأناس أصبحوا رمماً ... تحت التراب وكانوا ذوى همم
أو خير قول عن الأحباب تنقله ... ليس اغتياباً ولا هتكا لمنكتم
إياك إياك أعراض الرجال وإن ... راقت بفيك فإن السم فى الدسم
لا تنخمن من لحوم الناس تأكلها ... فرب مخمصة خير من التخم
واعط الرجال من التوقير حقهم ... ولا تعاد امرءاً منهم على التهم
وإن أخذت عن الأحبار علمهم ... فجازهم بجميل الذكر فى الأمم
فللشيوخ حقوق إذ بعلمهم ... خرجت من موحش التغفيل والظلم
وإن رأيت جميلا فافشه كرما ... وإن رأيت قبيحاً كن كذى صمم
هذى النصيحة منى للجليس لما ... فى حق صحبته عندى من الذمم

☆ ☆ ☆

وقال قدس الله روحه وأودعها الأنفاس الروحانية الحمية :

فقد غش فى الأديان من كان عالما ... وصوب من أخطى السلام وسلما
وقد أخذ الرحمن جل جلاله ... على من حوى علم الرسول وعلما
بنصح جميع الخلق فيما ينوبهم ... ولا سيما فيما أحل وحرما
ولا سيما علم العقيدة أنها الأ ... ساس عليه يبنى العبد كلما

فصحح أساساً للبناء فكم ترى ... على جرف هار بناءاً تهدما

وناصح بنى الدنيا بترك ابتداعهم ... فقد صيروا نور الشريعة مظلما

وقد فتحوا باب العداوات بينهم ... على بدع كل بها قد تحكما

فجانب مهاوى الابتداع متابعاً ... لما سنه المختار فيها مسلماً

فما الحق إلا ما أتى عن محمد ... فصلى عليه الله عز وسلما

وصل على الآل الكرام فإنه ... بهم قد أتانا فى الصلاة معلما

كما قد روى الشيخان ذاك وصححا ... فتابع فى هذى البخارى ومسلما

وقد حذفوا فى اللفظ والخط آله ... فهل نسخوا ما فى الصحيحين محكما

* * *

وأرسل إليه الشيخ محمد بن محمد الزبير رحمه الله من بندر المخا بقصيدة للسيد زين بن على المؤيدى رحمه الله فى تفضيل العنب على التمر وعارضه جماعة من أهل تهامة فى تفضيل التمر وطلب من البدر الحكم بينهم فقال :

نظم هو الدر إلا أنه كلم ... أو أنه النور تخفى عنده الظلم

أو كان فى بابل فابتز صاحبها ... هاروت سحراً به قد كان ينقسم

نظم به فضل الكرم اللذيذ على ... طلع النخيل فكاد النخل ينقصم

والباسقات لها طلع نضيد غدت ... غيظا بأغصانها فى الجو تلتطم

* * *

جدال النخل عن نفسه وذكره لمحاسنه .

وقال واعجباً ما كنت أحسبه ... يقال ذا وبه يوما يفوه فم

أبو الرياح[1] على مثلى يفضله ... ذو فطنة إن قدرى صار يهتضم

فى النحل قدمنى ربى وأخرنى ... فى الرعد فقصد الترق آه لو علموا

---

(١) كنية العنب .

قبلى وبعدى أتى فى الذكر فى عبس ... وهكذا عادة الأتباع والخدم

وقد حففت به فى الكهف أستره ... كيلا يراه أخو جوع فينهدم

أنا الذى أشبع الجوعان من سغب ... أنا الذى عجوتى يشفى بها الألم

قد طبت فى طيبة المصطفى وأنا ... له الطعام إذا ما مطعم عدموا

تقول عائشة سقياً لمضجعها ... وجادها وابل الرضوان والديم

مرت لنا أشهر والأسودان لنا ... قوت وليس سواه مطعم لهم

ومن تصبح سبعاً عجوة فبها ... من كل داء من الأدواء يعتصم

نسبت بيضى والجادى ولذته ... مع القلائد فى الأعناق ينتظم

وهل تقلد يوما بالزبيب فتى ... وأى عنق به العنقود منتظم

وسل عن الشامى إن كنت تجهله ... فهو الهدايا لأهل الروم يغتنم

هل قال ربى هزى الكرم من عنب ... أم قال هزى بجذع النخل لو فهموا

وقد علوت على الأشجار لا أحد ... ينالنى منه بالأيدى ويستلم

وأنت تحتاج للأعواد من حطب ... ترقى بها حيث لا ساق ولا قدم

يا كرم يا كرم لا تنزل بساحتنا ... نحن الملوك وأنتم عندنا الخدم

☆ ☆ ☆

جدال العنب عن نفسه :

فأغضب الكرم إذ بالفخر قد هدرت ... شقاشق النخل حتى قام ينتقم

لنفسه قائلا والقلب ملتهب ... واحر قلباه ممن قلبه شبم

وقال هل منصف فى الناس أقصده ... للحكم ما بيننا فالشرع مهتضم

فقلت هل تجد الإنصاف متهماً ... فقال والقلب بالنيران يضطرم

أبا النوى طال منك الفخر لا عجب ... إن الطويل بضعف العقل متهم

أن النوى يا أباه شر مدخر ... وأنت صيرته فى البطن ينكتم

إن النوى وغراب البين فى قرن ... فشوم هذا وهذا فيهما شيم
و الله فى سورة الأنعام أسكننى ا ... جنات فاسمع من الأنعام يانعم

جدال النخل

فقال اسمع أنا فيها المقدم فى ا ... أولى فليت لك القرآن يفتهم
أما النوى فهو اسم والتطير فى ... شرع الرسول له التحريم ملتزم

✡ ✡ ✡

الحكم بين الفريقين وقطع الشجار بين الشجرتين :

فقلت حسبكما لله دركما ... كل أتى بكلام كله حكم
قد كرر الله فى القرآن ذكركما ... فالفضل بينكما فى الذكر منقسم
وفى الأحاديث ذكر التمر أكثر من ... ذكر الزبيب لقرب التمر عندهم
وعندى الحكم فى التفضيل بينكما ... بما يفصله ما حرر القلم
أما الجبال فما بالكرم من عوض ... فيها وليس لها فى نخلهم قسم
أما الرياض وأيام البياض بها ... فكل أرض سوى روضاتها عدم
ما شعب بوان والمعمور من حلب ... وغوطة بدمشق الشام أو إرم
تشابه الروضة الغناء فى صفة ... دامت على روضها الأنواء تنسجم
إن قهقه الرعد أبكى السحب فانسكبت
فالسحب منسجم والروض مبتسم
وقد تراقصت الأغصان إن عبر ... بها النسيم التى تشتاقها النسم
وإن تغنت بها الأطيار قلت غدا ... إسحق فى الدوح والألحان والنغم
فإن أراد الضيا هذا فقد نطقت ... بالحق أبياته لا مسه السقم
أما التهايم والإحسا وطيبة لا ... زالت على سوحها الوفاد تزدحم

والبصرة البصرة المعمور ساحتها ... بالمد والجزر يأتيها وينهزم

فالنخل أفضل من كرم يساحتها ... بلا نزاع فهذا الحكم منبرم

والنخل والكرم قالا قد حكمت بما ... تراه حقاً وصار الكل يبتسم

فأصبحا وهما روحان فى جسد ... وتاب كل وباب التوبة الندم

والله قسم فى الأقطار نعمته ... فكل قطر به من فضله قسم

موزعاً فى جميع الأرض نعمته ... بحكمة عجزت عن وصفها الكلم

أقواتها قدرت فيها على قدر ... وفق الطباع على ما حرر القلم

من قبل إيجاد أهل الأرض قاطبة ... سبحانه وتعالى شأنه الكرم

فاشكر أياديه تزدد به نعماً ... فشكره لمزيد الفضل يغتنم

ثم الصلاة على المختار من مضر ... والآل والصحب خير الخلق كلهم

* * *

قال يزيد بن معاوية لعنهما الله أبياته المعروفة :

أقول لركب ضمت الكأس شملهم ... وداعى صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة ... فكل وإن طال المدى يتصرم

ولا تتركوا يوم السرور إلى غد ... فرب غد يأتى بما لست تعلم

ألا أن أهنى العيش ما سمحت به ... صروف الليالى والحوادث نوم

* * *

فقال مولانا البدر رضى الله عنه :

أقول لركب سائرين إلى البلى ... وداعى المنايا بينهم يترنم

خذوا الزاد إذ فيه النجاة وسارعوا ... فكل وإن طال المدى يتصرم

وإياكم التسويف فيه إلى غد ... فرب غد يأتي بما لست تعلم
ألا أن أهنى العيش كسبك للتقى ... فبادر وعجل والحوادث نوم

* * *

وقال رضوان الله عليه :

لا عذر للزيدي في تركه ... للرفع والضم وإحرامه
مكبراً قبل الدعا إنه ... مذهب زيد عند أعلامه
وقول آمين له مذهب ... قال بذا عارف أحكامه
فاعمل بذا إن كنت من حزبه ... واطَّرِحِ اللوم لِلُوَّامِهِ

* * *

أنشد الشهرستاني في كتابه «نهاية الإقدام» ونسبه ابن خلكان إلى ابن سينا في ترجمته .

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسرحت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

* * *

فقال مولانا البدر رحمه الله مجيباً عليه :

لعلك أهملت الطواف بمعهد الر ... سول ومن والاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد ... ولست تراه قارعاً سن نادم

* * *

وقال رحمه الله : أنشدني والدي رضي الله عنه لنفسه أبياتاً في سنة ١١٣٠ هـ وثلاثين ومائة وألف :

إني أرى العمر قد تقضي ... وقد مضت مدة الإقامه

ما أقرب الموت بعد هذا   وأقرب الحشر والقيامه
يا نفس هلا انتبهتِ يوماً   من نومة تورث الندامه
وأنت في فسحة فتوبي   واستفرغي الوسع في السلامه
فليس بعد الممات إلا الـ   ـجحيم داراً والمقامه

* * *

فقلت مجيزاً لها :

أبشر فإن الإله بر   أعد للوافد الكرامه
سوف ترى عفوه وتلقى   جوداً به تنتفي الندامه
فناداه تلقه مجيباً   قال عبدكم أحسنوا ختامه
إن تعتقوني فليس عتقي   ينقص من ملككم قلامه
قد شاب في رقكم فجودوا   لا تطعموا ناركم عظامه

* * *

وزاد عليها المولى الوالد العلامة إسماعيل بن صلاح الأمير رحمه الله .

يا سيد الرسل لي عليكم   رحامة بلوا[1] الرحامة

* * *

قال الوالد البدر رضى الله عنه لما تم لي أنا ووالدي العلامة التقي ضياء الدين إسماعيل بن صلاح الأمير رحمه الله مطالعة كثير من مؤلفات السيد العلامة شرف الآل ، الحسن بن أحمد الجلال رضى الله عنه ، عجباً من ذهنه الوقاد ، وتنبهه لقواعد الاجتهاد .

فقال والدي رحمه الله لعله سنة ١١٣٢ هـ اثنتين وثلاثين ومائة وألف .

---

(١) إشارة إلى الحديث «بلوا أرحامكم» لكن لا يجوز دعاء غير الله تعالى لا سيما من انقطع عملهم بالموت .

لله در الجلال من علم | يجرى صواب العلوم عن قلمه
كأنـــه فى جميعهـــا ملك | ممكن والفنون من خدمه
كأنمـــا مهدوا قواعدها | له فأضحت فى فهمه وفمه
تدرع العلم فهو مشتمل | عليه من قرنه إلى قدمه
قد حل فى حل كل مشكلة | محل شمس الوجود من ظلمه
إن كنت مسترشداً تريد هدى | تخذ بنور الدليل من كلمه
وانظر بضوء النهار منتقداً | تعرف صحيح الكلام من سقمه
قد غربل العلم فانتقاه فما | لصاحب المنتقى سوى قدمه
وخاض فى البحر لا يهاب له | موجاً ولم يبتئس لملتطمه
فرد ما كان ماحاً وأتى | بالعذب فى حله وفى حرمه
يا كعبة للعلوم يقصدهـــا | من كان فى حله وفى حرمه
وكم وكم قلد القلائد من | أنظاره والغريب من حكمه
وكم له من مؤلف حسن | يدل من علمه على عظمه
فى النحو والفقه والأصول وفى الـ | ـمنطق يشفى العليل من سقمه
إن ينكروا فضله فلا عجب | أن ينكروا حاتماً مع كرمه
أينكروا علمه وقد شهدت | آثاره بالرسوخ من قدمـه
أسكنـــه الله دار رحمتـــه | وخصـــه بالنعيم من نعمـــه

☆ ☆ ☆

فقلت مجيزاً لها لما طلب منى ذلك :

صدقت فيما نظمت من كلم | ما الدر عندى يعد من قيمه
أنصفت والعالم اللبيب يرى | إنصاف أهل الكمال من شيمه
وصفت من فى العلوم قد شحت | أقلامه بالبديع من حكمه

طوداً غدا كل طود معرفة ... عند ذوى الانتقاد من أكمه
بيت من العلم كم أطوف به ... وطالما بِتُّ عند ملتزمه
فلم أجد فى فنائه أحدا ... والدر ملقى به لمغتنمه
كم لى أنادى الفحول إن ذويت ... أذهانكم فافزعوا إلى ديمه
تروى وتروى العجيب بل وترى ... رافلة فى الحلى من كلمه
إن جهل القاصرون رتبته ... فذاك مما يزيد فى عظمه
يا نادر الذهن دع معاتبة ... وداو قلبا نشا على ألمه
أودعه إن كنت لاتريد شفا ... فى زمرة الراتعات من غنمه
لاشك فى العلم أنه قسم ... وللجلال الأجل من قسمه
ينقد قول الرجال عن نظر ... تراه مستخرجاً لمنكتمه
يقظان إن جال فى مقاولة ... أعاد بحث اللبيب من حلمه
يجس جسم الكلام منتقداً ... يعرف منه السمين من ورمه
فكل فن به له كلم ... يرقص ذهن الذكى من نغمه
فهو إمام العلوم أجمعها ... لذاك صار الأمين من خدمه
لازلت تجنى لنا فوائده ... ودمت فى السابغات من نعمه

* * *

وكتب أعلى الله مقامه إلى أخيه الزاهد التقى أحمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله من شهارة فى شهر المحرم سنة ١١٤١هـ يعاتبه على تخلفه عن الوصول إليه إلى شهارة بعد وعده بذلك .

إليكم ياصدق الدين منى ... سلام لايفارقه الدوام
ومن بعد الدعا بكل خير ... لكم يامن بقلبى قد أقاموا
فإنى عاتب عتباً لطيفاً ... وحاشا أن يلم به الملام

وعدتم بالوصول إلى ربانا إذا ما العيد كان له تمام

فما زلنا نعد العيد حتى تقضى والعذير له ختام

وطال لطول شوقى ياشقيق إليك فكل يوم منه عام

فلو مشت الديار لشوق صب لوافتكم تهامة أو شمام

وما زلنا نسائل كل ركب إذا ما جاء عما اختط سام

وتسأل عنكم نسمات صنعا عسى خبر طوى فيها الكرام

ونسأل عنكم البرق اليمانى إذا ما كان للبرق ابتسام

وما عند النسيم له جواب ولا عند البروق لنا كلام

ولكن هكذا طبع المعنى يشجيه إذا ناح الحمام

فأعظم مالقيت من الليالى وكل مصائب الدنيا عظام

صدودك بعد وعدك بالتلاقى وعذرك عن وصولك يا همام

وعذرك ألف مقبول وعندى بأنك فى اعتذارك لا تلام

تحاذر للوشاة مقال سوء وللرقباء عين لا تنام

وإنى أرتجى وصلا سريعاً يطيب به زمانى والمقام

بكم وبوالدى نور المعالى ومن فى كل مكرمة إمام

فلازم بره فى كل أمر بما يهوى وحق لك التزام

ولا تترك طلاب العلم واعلم بأن العلم مجد لا يرام

وخذ عنه العلوم فقد حواها وزينها بزهد لا يرام

تساوى عنده زهداً وحباً لمولاه الجواهر والرغام

متى زمنا قطعناه اجتماعاً بكم وبه وحياه الغمام

وزد لنا الإله زمان أنس يطيب به من العمر الختام

ودوموا واسلموا فى خفض عيش يوافيكم مع الريح السلام

وزار مولانا البدر ووالده رحمهما الله المولى العلامة الزاهد صلاح بن حسين الأخفش رحمه الله فلم يجداه في بيته فكتب إليه الوالد البدر رحمه الله :

وذا ظمئنا من حرارة فقدكم ... وقربكم يطفي لهيب أوامي
وصلنا إليكم للزيارة واللقا ... وتقبيل أعتاب وبذل سلام
والشوق في الأحشاء مالا يفي به ... يراعي إذا حبرته ونظامي
وقفت بباب الدار وقفة سائل ... وأرجعت منهوراً بغير مرامي
وأعظم مايلقى الفتى من زمانه ... فوات كرام عند فرط غرام
على أنكم سكان قلبي وإنه ... يخالط لحمي حبكم وعظامي
سواء علينا زرتم أو هجرتم ... فإن لكم في القلب خير مقام
ولكن حظ العين رؤية من هوت ... وإن منعت جارت بمنع مقام
ولكنه حظي يفوتني المنى ... فلو رمت نيلا ما أتى بظلام
ودهر مشوم لا تعد ذنوبه ... وهيهات أن أحصي الحصى بكلامي
ووالدي البر التقي الذي غدا ... كأيوب في صبر وطول سقام
مشى نحوكم مشي المشوق إلى اللقا ... وعاد ونار الشوق ذات ضرام
ومن زائريك الشيقين كليهما ... على ربعك السامي أتم سلام

* * *

وكتب رضي الله عنه إلى المولى العلامة محمد بن إسحق بن المهدي رحمهم الله من منتزه الروضة يصف له طيبه أبياتاً لم أجد منها غير مارقم .

صدرت لإهداء السلام ... ولخدمة المولى الهمام
غوث الورى غيث الندى ... محيي الشريعة للأنام
من روضة ضربت لنا ... من دوحها خضر الخيام
ونسيمها أهدى لنا ... في طيبه نشر الخزام

ويزين فيها ذكركم ياعين أعيان الأنام
ياليت أنك مشرق بدراً تصدر فى المقام
ومشنف للسامعين لكم بأقراط الكلام

* * *

وكتب رحمه الله أبياتاً إلى المولى العلامة الحسن بن إسحق جواب تعريف فتراخى عن الجواب عنها فكتب إليه :

يامليا من النظام لماذا ماأتانا عن نظمنا منك نظم
أمطلتم وأنتم فى غناء إن مطل الغنى فى الشرع ظلم

* * *

وقال رضى الله عنه لما خرج المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله فى سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف فاراً من صنعا إلى شاطب فى أيام ابن عمه المتوكل قاسم بن حسين رحمه الله ، ودعى هنالك وتكنى بالمؤيد بالله .

وخرج معه ولده العلامة إسماعيل بن محمد رحمه الله وتجهز فى طائفة من حاشد وبكيل ونهبوا الصلبة وكان إسماعيل قد لازم القراءة على نحو سبع سنين فى فنون عديدة وأدرك تلك الفنون ، كتبت إليه أناصحه وأذكر له قبيح ما أتاه .

أمثلك يرضى بارتكاب المظالم ونهب الرعايا وانتهاك المحارم
كأنك لا تخشى ملامة لائم ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم
أيقسم أموال الرعايا تجارياً وأنت بمرأى كل طاغ وظالم
تداولها أيدى الطغاة كأنها تراث أبيهم أحضرت للتقاسم
أبن لى أبن لى أى ذنب لمسلم مصل لرب العالمين وصائم
غدا ماله نهباً وأضحى مروعا وأصبح يذرى دمعه كالغمائم
ترى ماله فى كل كف مفرقاً يبـاع بأدنى سومة لمساوم

وأمواله كانت عليه عزيزة ... معظمة مدخورة للعظائم

وكان غنياً آمناً متنعما ... فأضحى فقيراً خائفاً غير طاعم

تضيق عليه أرضه وسماؤه ... كأن بلاد الله حلقة خاتم

أنهب الرعايا دأب من ينصر الهدى ... وترويعهم شأن الهداة الفواطم

وإخراجهم من أرضهم وديارهم ... وقتل ذوى التقوى وأهل المكارم

ثكلت الهدى إن كان ذا فعل أهله ... وذقت الردى إن كان ذا فعل حازم

ضياء الهدى يخفى على دينك الذى ... سمحت به جوداً ولا جود حاتم

أتنفق ريعان الشبيبة والصبا ... على طلب التحقيق من كل عالم

وأحرزت منها ما تريد ونلته ... وصرت فريداً فى العلى لم تزاحم

ومن بعد ذا أصبحت رأس عصابة ... أباليس أضحى همهم فى المظالم

يرون انتهاب العالمين غنيمة ... وأطيب مغنوم لأخبث غانم

بهذا أردتم نصر شرعة أحمد ... وإنقاذ أهل الأرض من كل ظالم

فصرتم عليهم نقمة عرفتهم ... بأن ولاة الجور رحمة راحم

وحببتم أفعال من كان جائرا ... لقد صار مشغوفا به كل غارم

أتهجر قول الله فيما أتيته ... وتؤثر قول الشاعر المتقادم

ومن عرف الأيام معرفتى بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم

ويا طالما شافهتكم بنصيحتى ... وحث بما تلقونه غير كاتم

وتابعت نصحى بعد أن شطت النوى ... بنثر ونظم معجز كل ناظم

وما مقصدى إلا سلامة دينكم ... وحفظاً له من موبقات الجرائم

ولو كنت أدرى أن فى مثل فعلكم ... زوالا لمن فى الأرض أظلم حاكم

لكنت وحق الله أول ناصر ... وكنت لركن الجور أول هادم

ولكن خبرنا الناس من قبل خبركم ... فما همهم إلا اتباع الدراهم

فلو بيعه الدينار صاروا لأجله ... وصاموا يقالوا أنت رب المواسم

أما آن بعد الذى قد رأيتم ... لكم أن تعودوا عنه عود مسالم

وأن تتركوا ماقد جنيتم وتقبلوا ... على توبة تمحوا عظيم الجرائم

إذا اعتل دين المرء داوته توبة ... فما غيرها للدين أشفى المراهم

ودونكها منى نصيحة مشفق ... حريص عليكم إنه غير آثم

يحب لكم أن تبلغوا كل رتبة ... وأن ترتقوا فوق السها والنعائم

وأن تملكوا الدنيا وتضحوا أئمة ... ترون اتباع الحق ضربة لازم

فقابل نصحى بالقبول فإنه ... سيهديك نهجاً لست فيه بنادم

هدانا إليه خير من وطىء الحصا ... وأفضل هاد للأنام وقائم

فصل عليه ماحييت مسلماً ... كذا آله سادات أبناء هاشم

☆ ☆ ☆

وقال رحمه الله فى جوازه مجيباً على المولى العلامة محمد بن زيد بن المتوكل رحمهم الله سبحانه وتعالى :

ياسعد خذ[1] بأبى وأمى ... ذات اليمين بسفح سلم

قف بالمنازل سائلا ... عن أهلهن سؤال حلم

وابحث بلطف عبارة ... عنهم فهم قصدى وأمى

سل عن سعاد فعندها ... ياسعد إنصافى وظلمى

فى ا وو صالها ... حربى بلا شك وسلمى

جرت ل فدها ... قلبى فهل أحظى بضم

وهو لأسير لثغرها ... من غير ظلم بل بظلم

وسكرت منه ولم أذقـ ... ـه بغير تخييلى ووهمى

---

(١) فى هامش الأصل « جز » وهو الصواب .

فأنا صريع رضابهـــــا　　من غـير عصيان وإثم
فسقى ليـــالى الرقمتيـ　　ـن ولى أجفانى وسمى
أيام ملاك شبيبتى　　يدع الغوانى تحت حكمى
لا أختشى عنـــد الشمو　　س الزاهرات أفول نجم
وإذا عذلن أجبن لا　　عذال هو بأبى وأمى
فمضى الشباب كأنمـــا　　أيامـه أضغاث حـلم
وثبت مقـــــوه كأنها　　وثب الجبـا عقيب هزم
ما كنت أقدر قدره　　قبل الفراق لسوء فهمى
وإذا الشباب هـو الحيا　　ة وبعـــده أخلاط غم
وأتى المشيب وإنه　　خصم وألد وأى خصم
طلعت طليعـــته التى　　قد آذنت بجيوش هم
وسرى إلى ضعف القوى　　فـكأنه عنوان سقم
وثنى الغوانى عن ثنا　　ى مبدلا مدحى بذمى
فشنن غارات التجـ　　ـرم والملام بغير جرم
ودعوننى بعـــد الحبيـ　　ـب بلفظ يا أبتى وعمى
لكن عاد لىّ الشبـــا　　ب ولى بذا برهان لمى
بقـــدوم رق راق لى　　وغدوت منه رق فم
فقصصتـــه فإذا به　　بحران من نثر ونظم
لـــما أتانى مازجت　　ألفاظـه لحمى وعظمى
ويكاد أن يحيى العظا　　م من الرميم بكل جسم
حـد السميع للفظـه　　من كان ذا سمع أصم
نظم لبحر معارف　　وعوارف وهدى وعلم
بحر يصدقه الورى　　إن قال كل الفضل قسمى

نجل الأئمة من بنى الـ   ـمختار ذى الطود الأشم

ملك لذاك قريضه   ملك القريض بكل حكم

مولاى عذراً إن جنيـ   ـت بما أتيت لسوء فهمى

قابلت دُرَّكَ بالحصى   عذراً فقدرك فوق نظمى

ثم الصلاة على الشفيـ   ـع نبينا البدر الأتم

والآل أرباب التقى   والجود والفضل الأعم

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى السيد الأديب الحسن بن عبد الله المكبى رحمه الله عند خروجه من مكة المشرفة إلى اللحية وكان السيد الحسن هناك متعلقاً بعمل للدولة فبالغ فى إكرامه .

يا ماجداً لو قيل إن الوفا   جسم لكنت الروح من جسمه

أو قيل إن النظم عقد لنا   كان سواك السمط من نظمه

أو مثل الألطف لمن لما   مثل إلا بك فى رسمه

يفهم ما فى النفس من قبل أن   يبديا فيا لله من فهمه

أصاب قوس الحدس فيما رمى   بذهنه الصائب فى سهمه

ألست فى الغربة مستوحشاً   جار علىّ الدهر فى حكمه

نصرت جاراً لى من جوره   تذيب ما ألقاه من همه

ما أنت إلا كنسيم الصبا   فى لطفه حاشاك من سقمه

جليت فى مضمار أهل الوفا   ـنا جليت القلب من غمه

ثم سلام نشره طيب   وافى به نظمى فى ختمه

* * *

وقال رحمه الله مجيباً على ولده إبراهيم بن محمد الأمير رحمه الله :

راق نظامك وهو خير نظام ... أأدرته أم دار كأس مدام

سيان نظمك والمدامة إنها ... امتت بذى الأفهام والأحلام

حاشا نظامك أن يقاس بخمرة ... أترى الحلال مشابهاً لحرام

ياقرة العين الذى من فقده ... هجر المنام نواظرى ومقامى

أأروم طيفاً منك يطرق مقلتى ... أيكون لليقظان طيف منام

هذا الخيال كمثل صبرى عندكم ... إن الجميع كطفرة النظام

أترى الفراق بعيد قومى إذ نأى ... ويصير الأعراض كالأجسام[1]

لا حبـــذا يوم الفراق فإنه ... عندى على التحقيق يوم حمامى

لولا رسائلك التى فعلت بنـــا ... فعل المدام ولم تـكن بمدام

فسطورها شرحت صدور مسرتى ... كالنور يذهب وحشة الإظلام

كالروض باكره الحيا فتفتحت ... أزهاره عن باطن الأكمام

وكأنـما القرطاس خـد خريدة ... بخضابه فتنت ذوى الأحلام

أو خد ظبى قد بدا فى خده ... لام العـذار مؤكداً لغرام

فتشت عن ألفاظـه فوجـدته ... دُرَراً أتى فى قعر بحر طام

أخبارها بشتاقهـا أحبـارنا ... إذ خبرت عن كل حبر سامى

وصفت لنا أعيان أهل تهامة ... من عالم ومحقق نظام

ولقيت من أهل الديانة والتُّقَى ... قوما هم الأعلام فى الأعلام

مثل ابن أدهم والفضيل ونجله ... وأبى يزيد ذلك البسطامى

فـكأنمـا رد الإله زمانهم ... فرأيتهم بالعين لا بلسامى[2]

فاستجلب الدعوات منهم جاعلا ... لأبيك منها الشطر فى الاسهام

---

(١) الدمع جسم ، والنوم ، عرض .

(٢) هذا وقوله الأسامى من النقل وهو لغة معروفة وعليه قول أبى الطيب « نحن قوم ملجن » أى من الجن .

وابذل لهم نصحاً حبوتك أصله ... يا فرع أحمد يابن خير إمام
يابن الوصى وابن فاطمـــة التى ... هى بضعة المختار خير الأنام
صـــلى عليه الله ثم عليهما ... والآل والأصحاب والأعلام

☆ ☆ ☆

وقال رفع الله مقامه مكاتباً المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله يحثه على التشمير فى طلب العلم لما رأى من جودة فهمه وكان أخذ عنه فى شرح تلخيص السعير سنة ١١٢٣ هـ .

ترفق بالمُعَنَّى يا غرام ... ودعنى من وصالك ياسقام
ويا دمعى أرح عينى قليلا ... يواصلها إذا شاء المنام
أقمت على الخدود فمن رآنى ... يسائلنى أدمع أم غمام
ويا مايف الأحبة لا عتاب ... عليك إذا جفوت ولا ملام
فإن النوم وهو نزيل جفنى ... جفانى فهو بمدهم حرام
ويا بدراً منازله قلوب ... لها من خوف جفوته ضرام
خطرت فمن رآك يقول غصن ... يحركه نسيم أم قوام
ولحظك فى القلوب له نفوذ ... ولا ندرى ألحظ أو سهام
ملكت الحسن فاعدل فى فؤادى ... إذا ما شئت ينبيك الأنام
فإن الحسن والإحسان جند ... يقود إلى الهوى من لا يرام
ولا تظـــلم قلوباً خافقات ... هى الرايات يحملها الغرام
وما أنهاك إشفاقا لنفسى ... ولو ذابت من الهجر العظام
ولـكن كم رأينا من ظلوم ... تجاذبه الرزايا والحمام
لئن أبقيتنى فى ليل هجر ... تقشع بالضيا ذاك الظلام
ذكى الـمـــعى أزيَّمى ... كريم فاضـــل سمح همام
يقود بذهنه شمس المعانى ... كأن الذهن للمعنى زمام

رآه بالمعـــانى ذا غرام ... فناصحه يراعى والفطام
وقالا كن بكسب المعالى صباً ... فإن العلم للعليا سنام
وما العليا سوى تحقيق بحث ... لأذهان الفحول به ازدحام
وجمع للفوائد والتمـاس ... الشاردة بذهن لا ينام
وإن العلم أنفس كل شىء ... ولكن قوضت عنه الخيام
مغانى العلم دائرة وهـذى ... مغانى اللهو يعمرها اللئام
وقد كنا نرجى فى أناس ... أميتهم عن العلم الحطام
وقد أضحوا ذئاباً فى ثياب ... فرائسهم إذا وثبوا الحرام
نصحتك باضياء أكيد نصحى ... لأن النصح يقبله الكرام
وما نصحى بمبذول لكل ... فكل أخ له عندى مقام
وأبلغ سيدى بدر المعالى ... سلاماً لا يفارقه الدوام

* * *

وله رحمه الله مجيبا على المولى الكريم على بن الحسين بن على بن المتوكل رحمه الله .

ما المنحنى قصده ورامه ... ولا أراد الحمى ورامه
وإن شرى البرق من زرود ... ما باعه فى الهوى منامه
سلا عن الغانيـات قلب ... إن السلو فى الهوى سلامه
إن شئتما تسألان قلبى ... ما باله والسلو سلامه
يخبركما أنه سبـــــاه ... من هو فى رتبة الإمامه
من حاز كل الكمال حقاً ... فهو لوجه الزمان شامه
أعم من فى الوجود جوداً ... على الندى ماله ندامه
صبيح وجه فصيح لفظ ... تملأ أنواره مقامه

إن كان في موقف فكل مستمع منهم كلامه
أو كان في موكب فكل ينظره في الورى علامه
يُبري ويَفري بكل معنى رد بحر علم مع الكرامه
وافى إلى مسمعي نظام حسبت ألفاظه مدامه
يشكو اشتياقا ولي فؤاد بعدك عنه غدا حمامه
فأنت رَوْحٌ له وراح فلا سُلوٌّ ولا سلامه
إلا بلقياك فهو سؤلي ينال قلبي به مرامه
وإنما دهرنا تعدى وسلَّ من بغيه حسامه
أوتر قوس النوى وألقى من شغل بيننا سهامه
ونرتجي من بعد ذا اجتماعاً متصلا كله سلامه
يارب واغفر لنا جميعاً وأحسن من عمرنا ختامه

☆ ☆ ☆

وقال رضي الله عنه مجيباً على المولى العلامة يحيى بن الحسن بن إسحق رحمهم الله في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٧٨ ثمان وسبعين ومائة وألف :

حمام بأغصان الرياض ترنما وعبر عما في فؤادي وترجما
عجبت له من أين يعرف ما الذي بقلبي من فقد الحبيب وما وما
وكيف دري أن المدامع عن دم وظن سواه أن دمعي عندما
يذكرني عهد التصابي والصبا ودهراً مضى ما كان إلا توهما
يطاردني يوم جديد وليلة يمران مر البرق في كبد السما
هما سرقا الأعمار منا لأجل ذا يفران كالسراق في كل مرتمى
كأنهما شخص ثقيل إذا أتى وفارق بالتوديع عاد مسلما
فلا تحسبن البيض والسمر غيرها هما البيض والسمر التي تسفك الدما

فدعني من التشبيب في وصف غادة … بهجرانها والتيه تسقيك علقما

وصف لي زمانا مرّ لي في عصابة … ملائكة كانوا وفي الأصل أنجما

بحور علوم في الفنون كأنما … بهم عاد فينا كل حبر تقدما

فإن تلقهم لاقيت كل محقق … وخضت بهم بحراً من الدر مفعما

بلطف طباع يعجز الوصف عنهم … ومن لطفهم هذا النسيم تعلما

تلامذ أعواماً لهم متردداً … إلى لطفهم حتى غدا متعلما

ترى الشعر والآداب أدنى صفاتهم … فدع وصفهم بالنثر والنظم منهما

فقدتهم فقد الرياض نسيمها … وصرت غريباً للقضاء مسلما

وليس غريب الدار من صار منجداً … ولا من تراه في التهائم مُتْهِماً

ولكن غريب الدار من غاب شكله … وخالفه من بعده وتقدما

سقى الله مثواهم سحائب رحمة … ووابل رضوان عليهم مخيما

ولكنهم والحمد لله خلفوا … لنا منهم نجلا كريماً مكرما

به نتسلى عنهم بعد فقدهم … وما مات من أبقى إماماً معظما

عماد الهدى بحر المعارف والندى … همام على هام السما كان خيما

تسامى إلى نيل المعالي فنالها … فما رتبة إلا عليها تسنما

ذكي إذا ما خاض في بحر مبحث … أتاك بدر من معانيه نظما

ووافى نظام يشهد الذوق أنه … هو الراح إلا أنه لن يحرما

معانيه خمر والحروف كؤوسه … وترشفه الأسماع إذ أعجز الفما

إذا رمت تشبيهاً له فعبارتي … تذوب حياء أن تقول كأنما

أين لي أدرُّ البحر نظما جعلته … بلى إنما تلك الدراري من السما

قفوت بها من كان للنظم مالكا[1] … أباك وقد وافيت فينا متمما

---

(١) لا يخفى لطف قوله مالكا و متمما .

أردت بها عجزى وتعجيز فكرتى ... فها أنا للعجزين صرت مسلما

وكيف يقول الشعر شيخ وكلما ... بنت فكرتى بيت القريض تهدما

وما الشعر إلا كالغوانى يقوده الشباب وإن لاح المشيب تحرما

وكان وقد كان الشبيبة حاتى ... يرى طاعتى فرضاً وقربى مغنما

ويجمع لى جيش المعانى فأصطفى ... بذهنى منها ما أشاء مقدما

ومن شاب منه الفود شاب فؤاده ... وكل فما لى شباب قد عاد أبكما

فخذ هذه الحصبا عن الدر واغتفر ... ومن ذا يكافى بالحجارة أنجما

بقيت بقاء الدهر يا فخر أهله ... ودمت عظيما فى الأنام معظما[1]

وصل على المختار والآل كلما ... حمام بأغصان الرياض ترنما

* * *

وقال رحمه الله ممن هداه الله تعالى إلى السنة بعد مجانبته لها وتقبيحه لطريقها مولاى محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد رحمهم الله، وهو شاعر بليغ، مؤرخ حافظ، اتصل بنا من رمضان سنة ١١٦٨ هـ ثمان وستين ومائة وألف وحضر دروسنا، ونسخ شرحنا «سبل السلام على بلوغ المرام» بخطه، وقرضه بأبيات، وأرسلها إلينا فأجبنا عليه:

أدرت كئوس نظم أم مدام ... أم السحر الحلال من الكلام

أم الدر النفيس أم الدرارى ... أم الشمس المنيرة فى الظلام

مدحت به طريقة خير هاد ... أتى يدعو إلى دار السلام

محمد الرسول أجل داع ... ختام المرسلين إلى الأنام

وسنته هى النور الذى لا ... سواه به النجاة من الظلام

ظلام الابتداع فكم به من ... قتيل صار فى بطن الرغام

---

(١) فى هامش الأصل: منعما.

فسبحان الذى أعطاك نورا   علوت به على البدر التمام
وساق إليك ألطافاً وهذا   أراه يكون من حسن الختام
وشماك قاطع عنق الأعادى   ولا عجب اقطاع من حسام
حسام الدين دمت قرير عين   وعيناً لا يساميه مسامى
عليك تحية من بعد طه   وبعد الآل أعيان الأنام

* * *

وكتب المذكور رحمه الله فى سنة ١١٦٩ هـ إلى والدنا البدر رضى الله عنه أبياتا وضمنها قول أبى نواس :

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم   وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه   وإذا عصارة كل ذاك حرام

* * *

فأجاب عليه مولانا البدر رضى الله عنه :

نظم يجل بأن يقال مدام   فهو الحلال لنا وتلك حرام
بل أن يقال السحر فهو حقيقة   لأدلة شهدت بها الأعلام
من قلبه الأعيان فهو خلاصة الأسحار ليس سواه منه يرام
جاءت لنا الأوراق منه بروضة   غنت على أفنانهن حمام
ما كنت قبل اليوم أحسب روضة   فى رقعة تأتى بها الأقلام
هذا هو السحر الذى من بابل   جاءت به الأوراق والأرقام
لله درك من حسام صادق   ما كل سيف فى السيوف حسام
قطعت أعناق العدى بقصائد   هى فى قلوب الحاسدين سهام

صدرى تراه عالقاً بفم العدى   لكنه بفم المحب مدام
أيقنت أنك محسن وموفق   وكذاك للإنصاف أنت إمام
ولئن نهزت بعد الغواة فبعده استيقظت للحق المبين وناموا
ولبست من حلل الهداية حلة   حات وتلك على الغواة حرام
وسلكت فى سبل الهداية مسلكاً   وسواك فى سبل الظلام قيام
فهم الحيارى فى طرائق شكهم   وقفوا فلا خلفٌ ولا قدام
ولئن رأيت زعازعاً وبوارقاً   فسحاب أفقهم هناك جهام
ولكمْ أفاق من الغواية نائم   غرته قبل لقائى الأحلام
لما أتانا شاهد الحق الذى   ما غيره للمتقين مرام
ما عندنا نَصْبٌ ولا رَفْضٌ ولا   جبر ولا لى بالهوى إلمام
عندى كتاب الله أشرف منزل   والمصطفى حسبى بذين إمام
ولكمْ نشرت على المنابر منهما   وعلى الكراسى ما طوى الأعلام
أبرزت منه على الأنام نفائساً   فكأنها للسالكين زمام
قادت إلى نهج الهداية أمة   فقوى بما أبرزته الإسلام
وأتى إلى الكرسى كل موفق   لهم قعود حوله وقيام
فالحمد للرحمن ليس لغيره   فهو الذى من عنده الإنعام
ثم الصلاة على الرسول وآله   وعليك منى ما حييت سلام

* * *

ولما قتل غيلة السيد العلامة الزاهد الورع النحاة على بن الحسن بن إسماعيل بن سليمان ابن عامر بن عبد الله بن عامر رحمه الله ، فى مدينة زبيد ، حاكماً بها ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وكان قتله وقت الزوال ، قبيل صلاة الجمعة فى سابع وعشرين شهر رجب سنة ١١٨٠هـ ثمانين ومائة وألف فى بيته ، شهيداً ، فرثاه الفقيه العلامة عبد الله بن عمر خليل رحمه الله بأبيات بديعة ، وأر[illegible]

الوالد البدر في آخرها ، والسيد المذكور كان من تلاميذ البدر رضي الله عنه .

فأجاب مولانا البدر رحمه الله بقوله :

ما ضاع ما ضاع ما أهداه لومه   ولا تجاهل وجه الحق معلمه

فبالعتاب وفرط اللوم غاص فتى   بحراً وجاء بدُرّ منه ينظمه

أو قد رق الجو فاصطاد النجوم به   فأشرقت في وجوه الطرس أنجمه

فأفحمت كلمات كل ذي كلم   أضحى بهن كليم القلب مفحمه

إن الخليل كليم والكلام له   رق وفي الرق أعلاه ينظمه

كأنما النظم يسعى تحت طاعته   طوعاً فما شاء منه فهو يخدمه

وقد أتانا نظام فائق حسن   يزري به عالماً كما نعلمه

جمال هذا الورى بالحق قد نطقت   صفاته لم يكن للحق يكتمه

ولا يحابي عظيماً أو يساعده   ولا يخاف ضعيف منه يظلمه

شُلّتْ يدا رجل سل السلاح إلى   كلم امرء كان للباري تكلمه

فقدس الله ذاتاً منه طاهرة   قد صار تحت الثرى في الترب أعظمه

جزيت خيراً على مرثاته فلقد   أحسنت والله بعد الموت يرحمه

ثم انتقلت إلى مدح الإمام ومن   بكل مدح ترى الأقلام تخدمه

فمدحه شرف للنظم ليس له   فقدره جل عن نظم يعظمه

هو العظيم بلا ريب ألست ترى   كلا يقبل كفيه ويلثمه

وبعد هذا مدحت الفحل [1] فاطننا   من يفهم القول منا قبل نفهمه

أخا الذكا وأبا المعروف ليس فتى   يلقاه إلا تراه وهو يكرمه

ما في نظامك عيب غير مدحك لي   ومن أنا لنظـــام في تنظمه

أنا القليل الكثير الذنب مرتجياً   عفواً عسى ربه الرحمن يرحمه

فبالدعا فأمدونا يكون به   حسن الختام لهذا العمر يختمه

---

(١) هو القاضي أحمد بن محمد قاطن رحمه الله .

وقال رضي الله عنه مجيباً عن الفقيه العلامة أحمد بن حسن بركات رحمه الله

صفى الدين قد وافى انتظام ... فلا أدرى أشعر أم مدام

دخلت إلى منازل كل بيت ... فكل فى معانيه إمام

إذا ما كان للأشعار بيت ... يحج فشعرك البيت الحرام

يحج المستطيع من القوافى ... إليه فللنظام به ازدحام

تطوف به القوافى محرمات ... لها بالركن مسح واستلام

وفيها العاكفات من القوافى ... وفيه من جواهرن المقام

تحد بما أردت فلا مجيب ... إذا عن أحمد عجز الأنام

حويت لطافة وذكا وعلماً ... وما كا فى البلاغة لا يرام

وقد أليستنى حللا تناهت ... فيالله ما نسج الكلام

قصائد قد رواها كل راو ... بها غنت على الدوح الحمام

مسير الشمس سارت فى النواحى ... فما عنها خلا يوماً مقام

وقد وثبت إلى الشم الرواسى ... فترويها الرواسى والأكام

ويرويها شيوخ العلم فخراً ... ويستروى عن الشيخ الغلام

هديت لنور خير الرسل طراً ... وغيرك قد تغشاه الظلام

ظلام الابتداع وكل جهل ... فلا يدرى أخلف أم أمام

وكم غمر يريد علا سواها ... وهل يعلو على الشمس الرغام

فناصح بالقصائد كل قوم ... مفتحة عيونهم نيام

جفوا سنن الرسول ومن حواها ... فكم مكر له قعدوا وقاموا

فناصح من أردت من البرايا ... تؤيدك الملائكة الكرام

وجاهد بالنظام جزيت خيراً ... بجيش النظم تنهزم الطغام

انصرت بنظمك السنن اللواتى ... بنور شموسها هُدِىَ الأنام

جزيت عن الرسول وعن بنيه ... مقاماً لا يساويه مقام

وذمت قرير عين فى البرايا تباكرك التحية والسلام

* * *

وله رحمه الله من أبيات وعظية لم أجد منها إلا مارقم هنا :

برح الخفا ما الدار دار مقام فإلى متى تغتر بالأوهام
أزف الرحيل وأنت عنه غافل وتلاحق الأقوام بالأقوام
ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم من غير إقدام ولا إحجام
حل القضاء بهم فحلوا فى الفضا من بعد طول الحل والإبرام
تركوا القصور الشامخات منازلا للبوم أو لفواخت وحمام
نبذوا فرادى بالعراء تراهم واستبدلوا عنها بطون رغام
هم فى انتظارك واقفون ونحوهم تسعى سريعاً لا على الأقدام
يا غافلا عما يراد به أفق ماذا ترجيه من الأيام
وطويت عاماً بعد عام ما الذى ترجوه بعد الطى للأعوام
هل خلدت أبواك أم هل خلدت ذا عزة من سوقة وإمام

* * *

ونظم رضى الله عنه سؤالا وأرسله بيد تلميذه الفقيه يحيى الزبيدى رحمه الله إلى تلميذه العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمهم الله إلى السجن كاتماً أنه لشيخه ولفظه :

أفتنا ما تقول إن قال زيد يا إماماً يسمو على كل سام
كذب ما أقول اليوم هذا ثم ما قال غير هذا الكلام
خبر والإخبار يستلزم الصدق أو الكذب عند جل الأنام
أتراه صدقاً أبن لى أم الكذب يراه الفحول ذوو الأفهام
لا يصحان إن تأملت فيه لفوات الشروط والأحكام

وهو لا بد أن يكون لشيء   منهما عند جلة الأعلام

فتأمل ولا تمل ولا تأ   ل سوى كأس فطنة لا مدام

* * *

فأجاب المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

جاء يهدي نحوي بديع النظام   فشكرنا بدائع النظام

وإلى سائلا بسيال ذهن   لذكاه في العلم أي اضطرام

ونخطى والشيخ بين يديه   نحو تلميذه بذهن عصام

بحر علم ما زال يرتاد في البحـ   ـث لفكري مزالق الأفهام

قائلا : ما تقول إن قال زيد   يا إماماً يسمو على كل سام

كل قول أقوله اليوم هذا   فهو كذب والعذر شأن الكرام

ثم ما قال غير هذا فهل عنـ   ـدك رأي يجلو دجى الإظلام

أتراه بالصدق يوصف أم بالـ   ـكذب المستحق ذم الأنام

فأقول الإشكال يجري على ما   صح قولا لأكثر الأعلام

لم يكن وارداً على مذهب الجا   حظ حقاً ومذهب النظام

وهو عند الجمهور من غير شك   كذب موجب لسوط الملام

حيث قال ما فيه شيئاً وقد جا   ءنا يقتضي وقوع الكلام

وانتفاء الأعم فهو مفيد   لانتفاء الأخص بالالتزام

أتراه لو قال زيد سآتيـ   ـك غداً راكباً أمام الإمام

ثم لم يأت في غد كان هذا   كذب عندهم بلا استفهام

فتأمل ما قلته فهو وجه   مشرق كافل بنيل المرام

ليس فيه نقص وقد لاح منه   لمريد الإنصاف وجه التمام

والنبيل اللبيب يكفيه أدنى   لمحة في التعريف بالإلمام

إن تحقيق الحق يحتاج فيه بعض بسط الكلام للأفهام

وبيان التعريف بين قضايا الشرط للاختلاف في الأحكام

ليس هذا الذي به وقع الإشكال مثل التعليق بالإكرام

وانما أن تقول ذلك إنشاء ولكن في صورة الأعلام

وأراه لا يرتضى إن تأملت ولا يقتضيه حال المقام

غير أن الإشكال يقوى إذا أورد للنقض محكم الإبرام

حيث زيد يقول في ذلك اليوم أتى خالد وفر غلامى

وهو لم يأته يقينا ولا فر عليه الغلام يابن الهمام

أتراه صدقاً فقد طابق الإخبار ما قاله لدى الأعلام

أم تراه مَيْناً فقد خالف الواقع قطعاً في رأى كل إمام

واجتماع الضدين فيه محال فتخلص من ورطة الإلزام

وأرى الإشكال في كلمة التوحيد يجرى فارفع نقاب الظلام

حيث يأتي بها على جهة الإخبار غيظاً لعابدى الأصنام

وهو صعب الورود عنها فهل عندك حل لعقدة الإبهام

أيُّ مُفتٍ يقول بوصف بالمين ويرضى بوصمة الإسلام

هاك منى الجواب وقد ضمن ما ضاق عنه وسع الكلام

فتأمل أطرافه وتفضل بجواب يشفى ويروى أوامى

دافعاً للإشكال يرفع للذهن إذ أضل راية الاعتصام

مهدياً لى مادار في مجلس الدرس على شيخنا رفيع المقام

ناشرا من هداه راية علم حولها للأعلام أى ازدحام

مستحثا حسب اقتراحى وقد طاب مقام اللقا كئوس النظام

حسب مثلى منك التلاقى بوصل وحديث بألسن الأقلام

فأدر لى سلسال نظمك واجعل فيه ذكر البشير مسك الختام

فعليه أزكى الصلاة من الله تعالى مقرونة بسلام
وعلى آله أولى العلم والفضل وأصحابه هداة الأنام

* * *

ولما اطلع البدر على هذا الجواب أجاب بقوله :

الجواب المفيد إن أنت أصغيـ ـت إليه لتظفر بالمرام
إن هذا الكلام قول مفيد خبر ظاهر لكل الأنام
ذو احتمال والكذب للصدق يحال كما قاله فحول الكلام
عند اتصافه بذا أو بهـذا فرع ما بعده لدى الأعلام
وتفاصيله وتحاقيق معنـا ه سيأتي في النثر لا في النظام
فهو أجلى وبالإفادة أولى عند أهل الأفهام في الأفهام
خذه عني وبعد سائل بما شئـ ـت فعندي دواء كلم الكلام

* * *

وقال رضي الله عنه مكتفياً ومورياً ومضمناً عند حصول مطر شديد ورياح عاصفة شمالا في البحر والسفن :

وصاحب مذ ركبنا البحر قلت له والريح تجرى بما لا تشتهيه شمال
واستنزلت مطراً من كل معصرة لا تعجبن فقد تجرى الرياح بما

* * *

وقال رفع الله مقامه في عليين مجيباً على القاضي العلامة يحيي بن صالح السحولي سنة ١١٨٢ هـ رحمه الله عن تهنئة بحدوث ولده الأخ إسماعيل مشتملا على تاريخ الولادة .

حبذا حبذا بديع نظامك وهو راح يدار من أقلامك
سرني ما به بعثت وقبلت كتاباً من بل فض ختامك
ثم سرحت الطرف في روض نظم هو والله آية من كلامك

مثل ما أنعم الإله علينا ... بصبى ومنة من نظامك
داعياً لى مهنئاً بصبى ... إن هذا الدعا من إنعامك
فلله الحمد والثناء على ما ... من والمن من بديع نظامك
فجزاك الإله عنى خيراً ... يا عماداً وزاد فى أيامك
ثم بيت التأريخ أصدق قال ... صادق يا عماد من أحكامك

* * *

وقال رضى الله عنه مناصحاً لأشراف مكة المشرفة وأرسلها بيد ولده الأخ العلامة إبراهيم بن محمد الأمير فى جمادى الآخرة سنة ١١٨٢هـ واثنتين وثمانين ومائة وألف.

إلى الأشراف أعيان الأنام ... وأهل البيت والبلد الحرام
بنو حسن وآل أبى نمى ... وأبنا أحمد خير الأنام
سلام لا يزال على رباكم ... من الرب السلام على الدوام
ولا زلتم حماة البيت ممن ... يحاول فيه أنواع الأثام
أتانا عنكم خبر غريب ... تواتر من عيانى وشامى
بأن عبيدكم أضحوا لصوصاً ... يخيفون الحجيج بكل عام
إذا ظنوا بمال عند شخص ... ببطن الجيب أو تحت الحزام
توائب الجميع ليأخذوه ... ولو فى الحجر كان أو المقام
ولو بالقتل إن عنهم تأبى ... بلا خوف هناك ولا احتشام
وحاشا أنكم ترضون هذا ... فما يرضاه ذو الهمم السوامى
ووفادُ الحجيج لكم ضيوف ... وأنتم صفوة الآل الكرام
وحق الضيف إكرام وعز ... ولا يلقى بهضم واهتضام
كأسلاف لكم كانوا ملوكاً ... لهم مجد يسامى كل سام
إذا ورد الحجيج إلى رباهم ... تلقوهم ببشر وابتسام

فقل لمساعد الملك المفدى   لماذا لا تذب عن الأنام

وأنت عزيز قومك فى أسود   من الأشراف ليس له مسام

أيأمن من يحج بكل فج   ويلقى الخوف فى البلد الحرام

أتوا من كل أرض لم يريدوا   سوى البيت المحرم والمقام

وفارقوا الأحبة فى هواه   وساروا فى المفاوز والآكام

يلاقون الأمان بكل أرض   وفى حرم يلاقون الحرامى(١)

فقل لمساعد المسعود شمر   وذب فأنت مسموع الكلام

فأنت بخير أرض بين قوم   كرام من كرام من كرام

فأمن من أتاها من حجيج   أمان الوُرْقِ فى الحرم الحرام(٢)

وأنت مسود من غير سود   فأنف السود من ذاك المقام

وطهر مكة من كل عبد   قبيح الفعل من أولاد حام

فقد أمر الإله خليله وابـ   ـه حديث فى الآى العظام

فقال وطهرا بيتى وأنتم   بنوه فطهروه من اللئام

فإن الناس قد لاموا سكوتاً   جرى منكم بعام بعد عام

على أشياء تنكرها عقول   لنحرير من العلما وعامى

وأنتم عمدة العظماء طرا   وعين العين فى البيت الحرام

تسنمتم سنام المجد قدماً   فيالله ذلك من سنام

ولكن أفضل التطهير قطعاً   هو التطهير من فعل حرام

ونهى للعصاة عن المعاصى   وحدهم على شرب المدام

ونفى للبغاة مع البغايا   وطردهم إلى مصر وشام

فما البلد الأمين محل عاص   وليس بها لعاص من مقام

---

(١) يسمون فى مكة والحجاز السارق: حرامى .

(٢) يقال فى المثل آمن من حمام الحرم

وكيف ومن يرد فيه بظلم ... يذاق من العذاب على الدوام
ففيها البيت أفضل كل بيت ... بإجماع وأضياف الأنام
حماه الله من فيل وقيل ... بطير من أبابيل ترامى
ودونكم النصيحة من محب ... بلطف قد أحاط به نظامى
وأختم بالصلاة وبالسلام ... على المختار والآل الكرام
محمد الرسول أجل عبد ... ختام الرسل يا لك من ختام

* * *

وقال رضى الله عنه فى المناقضة .

يا جيرة حلوا بوادى منى ... من بعدهم سالت دموعى دما
يقول عذالى أتسلوهم ... ألم تزل فى حبهم مغرما
فقلت أسلوهم إذا جاز أن ... أنام أو ما لم أكن مسلما

* * *

وقال رحمه الله فى الجناس المركب :

أيا حاسياً كأس لذاته ... ولم يدر ما قدر ما قدما
أفق فالحياة كنهر ومن ... به سابح ولكم قدما

* * *

وقال رضى الله عنه مكتفياً فى البيتين ومقتبسا :

قد قلت إذ قال قومى أنت مخبرنا ... ماذا لقيت إذا ماذقت كأس حما م
أن يغفر الله لى ذنبى ويكرمنى ... نا دبت يا ليت قومى يعلمون بما

* * *

وكتب إليه المولى العلامة محمد بن إسحق وأخوه المولى العلامة الحسن بن إسحق ووالده العلامة إسماعيل بن محمد رحمهم الله قصائد يهنئونه بالعود الحميد من البلد الحرام سنة ١٣٣٥هـ فقال رضي الله عنه ولما قلدني أولئك الأفاضل الأعلام بعقود الجواهر من ذلك النظام قلت منشياً عن طريقة المكافأة لا راقياً إلى رتبة المجاراة مخاطباً لهم زادهم الله كمالا بقولي ارتجالا :

يا جيرة في القلب مأواهم ... حازوا المعالي فهم ماهم
رحلت بالجثمان عن دارهم ... مصاحباً قلبي لذكراهم
كم جئت من أرض وكم جيرة ... قد خصني بالقرب أعلاهم
فما ألافي بمديح غيرهم ... إلا وقلبي يتمنساهم
ما الناس عندي غيرهم في الورى ... والأرض ليست غيرهم مغناهم
قد أحرزوا كل كمال فما ... يدرك أهل السبق مسعاهم
مثل الندى والجد والنظام والـ ... ـنثر يجيب كل عرفناهم
والعلم إن تسأله عن أهله ... يجيبك لا أعرف إلا هم
أما الوفا فهو لهم خادم ... كأنه بالطبع يهواهم
وإن سألت الجود عن داره ... يقول ذا مثواي مثواهم
ثلاثة من تلق منهم تقل ... لاقيت أعلاهم وأسناهم
أقسم بالبيت[1] وأستاره ... ومن إليه كان مسراهم
من أشعث الرأس ومن أغبر ... ما غير بيت الله مغزاهم
ما سال دمعي لسوى فقدهم ... ولا أرى قلبي تسلاهم
هواهم أخرجني مكرهاً ... من بين إخوان ألفناهم
في بلدة[2] تم لسكانها ... العلم والدين ودنياهم
وحقها ما كنت مستوطناً ... ما عشت إلا هي لولاهم

---

(١) الكعبة المشرفة .

(٢) مكة المشرفة ولكن لا يجوز القسم بغير الله تعالى .

سُقْياً لها من بلدة حلها　　أقصى بنى الفضل وأدناهم

وكلهم قد آنسوا غربتى　　وأسكنوا ودى سويداهم

كم سألونى وأكرمْ مرة　　فى كل فن قد سألناهم

وكم أداروا من كؤوس على　　سمعى وكم كأسى أرواهم

فارقتهم والدمع يجرى وقد　　أشجانى البين وأشجاهم

تالله مافارقتهم قالياً　　بل قائلا سقياً لمغناهم

لكن لذكرى من بلقياهم　　أحيا ويحيينى محياهم

ومن حبونى التهانى بما　　هنانى الشكل وهناهم

من اتصالى بعد طول النوى　　بهم ومن فوزى بلقياهم

لو أننى انصفت كنت امرءاً　　مهنئاً نفسى برؤياهم

لكن أبى الفضل وإحسانهم　　إلا ابتدائى قبل أبداهم

كم من نظام قلدونى به　　وألبسونى ثوب نعماهم

وكم تحيات لنا أرسلوا　　حياهم الله وبيّاهُمُ

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله :

ما على الصب فى الصبابة وصمه　　ياعذولى فهل بعقلك لمه

قسماً بالبديع من قسمات　　من محياه والمحاسن قسمة

إن تشم برق ثغره لتهتكـ　　ـت ولم يبق فيك للدين شمه

ولشابهت فرقة فى أزال　　تركوا منهج الصلاح ورسمه

شرت الغى بالهداء وباعت　　نور إيمانها بظلم وظلمه

واستباحت ماحرم الله حتى　　ما اتقى مما يريدون حرمه
ومطيل فى حديثه لأناس　　هم على المسلمين عار ووصمه
هم ومن فى الجحود سيان لكن　　ما على سالكى الجحود مذمه
رام منى ترنيم عذر لأحيا　　ء يعلمون فى الحقيقة رمه
أى فضل لذى حياة إذا لم　　يسع فى دفعه لكل ملمه
فإذا لم يقم وينقم الدي　　ن فقم داعياً عليه بنقمه
ماخلا من يقول عذرى أنى　　لم أجد سامعاً لتنفيذ كلمه
كل من فى الوجود لص وإن جا　　ء بسجادة إليك وختمه
ويطيل السجود وهو كمون　　لاصطياد يرجوه من أى ثلمه
نار أطماعه تلهب فى القل　　ب فيأتى ومنه فى الوجه فحمه
وبقوس الأطماع فى كل حين　　رامياً أينما توجه سهمه
إن تراهم بيض الثياب فحاذر　　لاتظنن كل بيضاء شحمه
هات قل لى بهؤلا يرجى　　ستر عيب فى الدين أو كشف غمه
هم قذاة الأعيان كم أعمى　　حين ألقاهم بأنى أكمه
بل عماء فى مقلة الدين يالهـ　　فى عليه إذ أصبح الدين أعمه
ونعم هاهنا فريق يقولو　　ن بأنا أنصار كل الأئمه
قد أتوا فى الفعال كل قبيح　　واستباحوا بجرمهم كل حرمه
حشم المسلمون قد أخذوها　　وسبوها بلا حياء وحشمه
أو خيالات من بقايا الرعايا　　حيارى كل يحصل زعمه
أن يبيت خائفاً من الغرم يوماً　　قال هنا والله أكبر نعمه
ويبيعون العهد بالثمن البخـ　　ـس ولا يرقبون إلاً وذمه
وأين لى من ينصر الحق بالله　　ه أين لى إن كان يوجد ثمه
كيف لى كيف لى ويا ليت شعرى　　أى معنى لما يلقب همه

وأراه العنقاء من غير شك | فهو اسم لايعرف الناس جسمه
لاغيور من الأنام يرجى | بعد هذا تكشف أى مهمه
ليس إلا الإله يأتى بأنصار | كأنصار أحمد خير أمه
باذنين النفيس والنفس للـ | ـه مطيعين فى الأوامر حكمه
فترقب هذا قريباً فالـ | ـله تعالى فى ذا وذلك حكمه
وصلاة مشفوعـــة بسلام | تغشى من أرسل الله رحمه
وعلى الآل من بدور هداهم | أذهب الله كل ظلم وظلمه

* * *

وقال مشبهاً للمصطكى حال طفوه على القهوة مع العابرة ولطف الإشارة إلى ما تعورف .

أرحنى من كأس بفلس متجر | فما قهوتى عنه تناسب إكرامى
تلون عند الارتشاف كأنه | مرقعة الهندى أوجب قشام

* * *

قافية النون

وله رضى الله عنه إلهية وفيها الحث على تدبر كتاب الله :

الواردات علينا كلها منن | من ربنا فله الإحسان والحسن
إنا لدينا كل شىء من مواهبه | مالا تحيط به عين ولا أذن
فشكر بعض أياديه التى شملت | عن شكرها يعجز العلامة اللسن
فإن شكرت فشكرى من مواهبه | يستوجب الشكر حتى ينفد الزمن
يا عالم الغيب لايخفاه خافية | وعلمه يتساوى السر والعلن

أهل البسيطة طرا تحت قبضته   وكلهم بالذى يأتيه مرتهن

بحكمة وبعلم كان مبتدئاً   هذا الوجود الذى حارت له الفطن

دحى البسيطة فرشاً للأنام وقد   علت عليها الجبال الشم والقنن

كيلا تميد بأهليها وأودعها   لهم منافع إن ساروا وإن قطنوا

بنى السماء بأيد فوقها وحوت   عجائباً أعرضوا عنها وما فطنوا

ففى التأمل فى آياتها عبر   لو كان يطلق عن أفكارنا الرسن

وقد حكى الله إعراض العباد فهل   غطى على العين من أفكارنا الوسن

إن التفكر فى آيات خالقنا   عبادة الفكر فيها الخلق قد غبنوا

تزداد بالفكر إيماناً ومعرفة   فلا يفوتك شىء ماله ثمن

ترى تفكرنا فى غير منفعة   إلا لتحصيل ما تحصيله فتن

فلتصرف الفكر فى الذكر الحكيم تجد   فيها العلوم التى لم يحوها الفطن

آياته أعجزت كلاً بلاغتها   وأبلغ الخلق قد أودى به اللسن

منّ الإله علينا بالكتاب فقل   يالمنّة قصرت من دونها المنن

أدلة وأقاصيص وأمثلة   لفظ بليغ ومعنى فائق حسن

غص بحره تلق فيه الدر مبتذلا   وقلب فكرك فى أمواجه السفن

كم حجة قطعت عنق العباد وكم   من نكتة هى روح لفظها البدن

وروضة قطفت أثمارها فزكت   وما درى من رباها الغصن والفنن

من قصة وصفت أخبار من درجوا   من صالح وشقى دينه الوثن

قف بالمثانى ترى آياتها عجباً   أو بالمئين ففيها كلها المنن

أو بالطوال ففيها العلم أجمعه   خزائن هى للأحكام تختزن

وفى المفصل آيات مفصلة   قوارع القلوب ما بها درن

إن الذنوب لأوساخ القلوب فلا   يكن فؤادك بيتاً حشوه الدرن

فَدَاوِ قلبك من قبل الممات فما ... يجدى الدواء بميت بعد مادفنوا
بمرهم التوبة الصدق النصوح فذا ... هو الدواء لذاك الداء لو فطنوا
ونار ذنبك تطفيها الدموع إذا ... أثارها الخوف من مولاك والحزن
بادر بهذا الدوا من قبل ميتته ... فما لسهم القضا من دونه جنن
ورب شخص توفى قلبه وثوى ... فى صدره فهو قبر والحشا كفن
تراه فى الناس يمشى حاملا جدثاً ... فهل بأعجب من هذا أتى الزمن
فأسأل الله توفيقاً يكون به ... حسن الختام ففيه الفوز مرتهن
فنى الصلاة على خير الورى وعلى الـ ... آل الكرام مع التسليم يقترن

* * *

وقال رضى الله عنه فى شهر المحرم سنة ١١٧٣هـ إلاهية وفيها بيان قدرة الله فى خلق الإنسان وبيان إنعامه عليه طفلا ، وشاباً ، وكهلا ، وشيخاً .

قد عجزنا عن شكرنا لامتنانك ... كيف والشكر صار من إحسانك
يا فؤادى علمت هـذا فأطلق ... فى مجال الثنا عنان لسانك
وأجر فيه فوارس المدح تحرز ... قصبات السباق فى ميـدانك
طول المدح كيف شئت وهيهـا ... ت ينال المشار طول بيانك
ولو أن البحار كانت مداداً ... بل جميع المياه فى أكوانك
وجميـع الأشجار تُبرَى أقلا ... ماً وكل الأنام من أعوانك
يكتبون الثنا وكان مضافاً ... كل أزمانهم إلى أزمانك
وأطـالوا وطولوا لم يؤدى ... شكرهم شعرة على أجفانك
أنت تدرى بأن أصلك ماء ... كان فى الصلب مستقر مكانك
ولك البعض فى الترائب نصاً ... جاء هذا فى الذكر من قرآنك

ثم ألقى مابين أصليك ودا ... واجتماعاً به ظهور أوانك
ألقيا نطفة وماء مهيناً ... في مكان ما كان في إمكانك
صار لحماً من بعد هذا وعظماً ... ليكون الأساس من بنيانك
ثم لما أراد أن ينفخ الرو ... ح وبقضى بأربع[1] في شانك
بعث الله عند هذا رسولا ... فقضى ما أراد من أمشاجك[2]
ثم لما خرجت من ظلمات ... كنت فيها إلى فضاء أوطانك
وسع الله مخرجاً كان قدضاً ... ق قديماً عن مثل قدر بنانك
وأدرّ الثديين باللبن الخا ... لص تمتصه بنفس لسانك
ثم ألقى في قلب أصليك ودا ... لك فاسئل عن شأنهم ثم شانك
يسهران المقام إن مسك السو ... ء وإن كان النوم في أجفانك
وحباك العينين تنظر ما شئـ ... ـت وفيها تربدد بفقدانك
ثم بالسمع قد حباك تدرى ... أى صوت يهدى إلى آذانك
ولكم في يديك منه أياد ... لست تحصى شكراً لها بنانك
وتأمل في كل عضو بجسمه ... فاتمنا بالمراد من أركانك
لم يزل يحسن الصنيع إلى أن ... صار برد الشباب من قمصانك
فكساك الشباب أفخر ملبو ... س تراه سقراً على أغصانك
حيث أعضاؤك الغصون وأيا ... مك عيد يعد في أحيانك
وكسا القلب حلة حقها الشكـ ... ـر بسر المقال أو إعلانك
نسجتها أيدى البراهين في الآ ... فاق وهى الصحيح من إيمانك
فطرة الله زادها الرسل والكتـ ... ـب يقيناً فاحرص على إتقانك

---

(١) هي رزقه وأجله وشقي أو سعيد ، كما في حديث ابن مسعود في الصحيح .
(٢) هي آلة الخلقات .

لا تسلط أيدى المعاصى عليها ... لتمزق ثوب الهدى عن جنانك
ثم أعطاك ما تريد كما شا ... ء فأنت العزيز فى سلطانك
فتسربلت غفلة واختيالا ... واجتماعا للهو فى أخدانك
بائعا للنفيس من أطيب العمـ ... ـر بهذا الخسيس من شيطانك
شاربا كأس غفلة مزجت منـ ... ـك بجهل تدار فى أقرانك
لم تزل تتلف الليالى من عنـ ... ـد فلان إلى لقاء فلانك
غافل أنت عنك حقا فلم تـدر ... ر يقينا والله ماقدر شانك
وإذا ما جهلت نفسك قل لى ... أى شىء عرفته فى زمانك
والليالى تبلى شبابك حتى ... صيرته يعد من خلقانك
ثم ألبست للكهولة بردا ... بعد دفن الكثير من إخوانك
وتمتعت فيه بين سرور ... تارة والكثير من أحزانك
وجيوش للضعف تغزوك من كل ... مكان للهدم من بنيانك
ليس عنها بجد سيفك رفع ... واندفاع ولا بحد سنانك
لتمزق برد الكهولة حتى ... لا تجد منه رقعة فى بنانك
فالشيخوخة تسربلت أسما ... لأضعافا ما كن من أثمانك
وعلى ضعفها فأنت حريص ... فى بقاها سترا على جثمانك
عالما أن بعدها لست تاقى ... غير ثوب يعد فى أكفانك
يا إلهى جاوزت سبعين عاما ... فتجاوز ونجّ من نيرانك
واعف عنا وعافنا وأنلنا ... حللا فى الجنان من رضوانك
فى جوار المختار أفضل من جا ... ء بخير المقال من قرآنك
صلوات الإله تترى عليه ... وعلى آله الهداة لشانك

* * *

قال الله تعالى : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) .

فقال مولانا البدر رضي الله عنه :

دعوت إلى دار السلام فجئنا وسعياً على العينين إن كان يجدينا
وقلت وتهدى من تشاء فاهدنا فإنا بهذا قد دعونا والبينا
وعلمتنا ندعو بها فى صلاتنا إذا ماقرأنا الحمد فيها وصلينا
فندعو بها سبعاً وعشراً بيومنا وليلتنا فيما فرضت وأدينا
وحاشاك تدعونا وتأمر بالدعا وتغلق عنا الباب إذ نحن وافينا
دعاؤك إيانا وتعليمنا الدعا دليل على أن الكريم سيعطينا
لك المثل الأعلى فإن بنى الدنا إذا مادعوا أعطوا وفضلك كافينا
ولو لاك فضلا منك لم نعرف الدعا ولا هادياً بالوحى والخير يأتينا
إذا نزل الأبرار جنتك التى وعدت تراهم حامدين ومثنينا
على ماهدى لولاه لم ندر ما الهدى ولا أى دين فى القيامة ينجينا
فلله كل الفضل فى كل حالة ومن فضله إجراؤه الحمد فى فينا
وتعليمنا كيفية الحمد والثنا وإرساله خير النبيين هادينا
محمد الهادى إلى سنن الهدى فصلى عليه الله والآل أهلينا

* * *

وقال رضي الله عنه ــ لما درسنا فى الجامع الكبير فى التفسير على الكرسى تدريساً عاماً ممزوجاً بالوعظ والتذكير من سنة ١١٥٤ هـ وانتشر منه خير كثير من تعليم الشرائع وإشاعة السنة النبوية وكان يحضره أمم من الناس لا يحصون ، من كبير وصغير ، وأقبل الناس على الطاعات ، وعمرت بيوت الله بالصلوات فى أوقاتها والجماعات ، أغاظ إبليس ذلك الخير العام ، فألقى فى قلوب جماعة بأن يسعوا بنا إلى الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم رحمهما الله .

وقالوا له : إنا نحرض على مخالفة مذهب الآل ، ونقلوا إليه رسائل ، فيها

زور وبهتان وجهل وهذيان ، وكاد أن يميل إلى أقاويلهم ، ووقع بيننا وبينه مناظرة ، فعصمة الله تعالى وظهر له الحق ، كما ظهر لكل أحد ، غير من ملئ قلبه بالغل والحسد . ومزق إحدى الرسائل بيده ، وأمرني أن أجيب على الأخرى ، فأجبت عليها برسالة سميتها « السهم الصائب في نحر القول الكاذب » .

وحين دفع الله شرهم ، قلت هذه الأبيات ، حمداً لله تعالى ، على إنعامه وإفضاله وعلى رده كيد الكائدين ، واستمرار انتفاع العباد وقوة أمر الدين .

لك الحمد حمداً بالثنات جميعها محامد صدق تعجز الإنس والجنا
لك الحمد حمداً طيب اللفظ والمعنى لك الحمد حمداً دائماً أبداً منا
لك الحمد حمداً بالعبارات كلها حقائقها ثم المجاز ، وما يكنى
لك الحمد حمداً بالدلالات كلها مطابقة والالتزامات والضمنا
لك الحمد حمداً يعجز الخلق عده ولن يستطيعوا بعد ذلك له وزنا
لك الحمد حمداً يملأ الأرض والسما وما فيهما والبحر والسهل والحزنا
لك الحمد قبل الحمد والحمد بعده لك الحمد حمداً لا يزول ولا يفنى
لك الحمد حمداً يشمل الحمد كله فيستغرق الأقصى من الحمد والأدنى
لك الحمد حمداً بالقبول مقابلي يقال لمن أسداه قد فزت بالحسنى
لك الحمد إذ علمتني الحمد والثنا ولولاك لم أعرفه لفظاً ولا معنى
لك الحمد يا كافي الفتى كل مطلب وموجده من قبل من نطفة تمنى
لك الحمد يا جزل العطايا لخلقه تباركت كم أغنى العباد وكم أقنى
لك الحمد من نسل الرسول جعلتني فصرت له من حيدر وابنه إبنا
لك الحمد كم أمر عظيم دفعته وأبدلتنا من بعد خوف به أمنا
لك الحمد للعلم الشريف هديتني ودليتني من على المقصد الأسنى
هديت إلى بحر من العلم زاخر ينابيعه من قاب قوسين أو أدنى
علوم كتاب الله والسنة التي حوى كل لفظ منهما روضة غنا
لقد لامني في حبها كل جاهل وصار مني من كنت أحسبه خدنا

وبالغ في ضري ومذ كنت واثقاً … بربي مات الباغضون أنفسا غيظا

ألام على حب الرسول وقوله … وهيهات لا أصغي إلى لائمي أذنا

ولولا مني في غيره كنت قابلا … أساعد في سعدى إذا لام أو ابنا

سيقرع عذالي على سنن الهدى … لما قد جنوه من تداعيهم حتفا

ولكنه لا ينفع العلم وحده … وسل سورة الأعراف عن ذلك المعنى

فكن عاملا مهما علمت فإنما … يرجح في الأخرى بأعمالك الوزنا

وليس بشيء من علومك راجحا … وإن كنت قد حققتها الشرح والمتنا

وأسست أقوالا وشدت قواعداً … إذا لم تكن تقوى الإله لها ركنا

إياس غدا يهوى يقيناً بأنه … أويس فما أجدى ذكاه ولا أغنى

كذاك ابن سينا فارع سن نادم … على كل ما أجرى اليراع وما سنا

يرى ما حوى الميزان من كل مبحث … وبالا عليه لا يقيم له وزنا

وتالي كتاب الله صار مقدما … وما عرفت تلك العلوم له ذهنا

يقال له اقرأ وارق ما كنت تاليا … فقد فزت في العقبى من الأجر بالأسنى

خليلي ولى العمر منا ولم نتب … وننوي فعال الصالحين ولكنا

عجبت لمن يلهو بما ليس باقياً … فيهدم ما يبقى ويعمر ما يفنى

فحتى متى نبني بيوتا مشيدة … وأعمارنا منا تهد وما تبنى

إلهي تحقق فيك ظني وإن أكن … مسيئاً فقد أحسنت في جودك الظنا

وأجر علينا الألطاف في كل لحظة … وزدنا هدى إنا إلى ربنا هدنا

أقلني أقلني واغتفر لي ما مضى … ومُنّ بما ترضاه منا وآمنا

ولا تخزني في موقف الحشر واعطني … كتابي فضلا من أياديك باليمنى

قدمت وما قدمت زاداً من التقى … أفوز به اسكننا بك آمنا

وبالرسل الكل الكرام متابعاً … لما فرض المختار فينا وما سنا

فيا سيد الرسل الكرام ومن أتى … بخير كتاب أعجز الإنس والجنا

وأنداهم كفا إذا حضر العطا ... فأعطى وما أكدى ومنّ وما منّا

وأثبتهم جأشاً إذا شهد الوغى ... يفوق الحسام من كفه الضرب والطعنا

وأوسعهم جاهاً إذا طلبوا غدا ... بأن يشفعوا للخلق فاعتذروا منا

فقام مقاما لم يقمه من الورى ... سواه أزال الكرب والهم والحزنا

حملت إساءات فكن لى شافعاً ... لمثل مسيئاً أن يقابل بالحسنى

إذا فتحوا باب الجنان لوفدكم ... وقلت أنا منهم فقل إنه منا

فإنى فى الأنساب منكم لواحد ... وقد قال فى القرآن ربى ألحقنا

عسى وامل الله يلحقنا بهم ... إذا الموت من بعد الحياة لنا أفنى

وأسأله بعد الصلاة مسلماً ... على أحمد والآل خاتمة حسنى

* * *

وقال رضى الله عنه : خرجت إلى جدة سنة ١١٦٥ ﻫ فدخلت الدور المتوكلية التى بناها المتوكل على الله القاسم بن الحسين رحمه الله فوجدت الخراب قد استولى على مبانيها ، وأذهب مرور الزمان غوانيها ومغانيها ، وصارت لمعتبرين عبرة ، وكانت للناظرين قرة .

فجاش الخاطر بهذه الأبيات ، لتكون موعظة من العظات ، فقلت :

طال الوقوف على الأطلال والدِّمَنِ ... فاستروها خبراً عن ذلك السكن

ونادها عن بنيها والبناة لها ... والنازلين بها فى أقرب الزمن

تخبرك ناطقة بالحال صادقة ... بكل ما كان من قبح ومن حسن

نعم نعم أخبرتنا وهى صامتة ... والصمت أبلغ عند الحاذق الفطن

عمن رأيناهم بالعين عن كثب ... لا عن تبع أو كسرى وذى يزن

قوم رأيناهم والدهر يخدمهم ... قد طار ذكرهم فى الشام واليمن

شادوا قصوراً وسادوا من يعاصرهم ... من كل أروع لا يرتاع للفتن

إن المواهب قد شاهدت صاحبها ... وكان في جوده كالعارض الهتن
سفاك كل دم عاداه صاحبه ... مفرق منه بين الروح والبدن
هتاك كل حمى إن لم يطاوعه ... كم من معاقل أخلاها ومن مدن
وحين أدبرت الأقدار عنه أتت ... له المقادير بالآفاق والمحن
ووجهت نحوه الأقدار أسهمها ... وما لسهم القضا في الدفع من جنن
وعاد أعوانه عوناً عليه ولم ... ينفعه أهل ولا مال من المنن
وجاءه الضر ممن كان ينفعه ... ورب قبح أتى من ظاهر حسن
وضاق عيشاً وقد ضاق الفضاء بما ... قد كان يحويه من خيل ومن خدن
وصار فرداً وفي أبنائه عدد ... لكنهم وافقوا في جفوة الزمن
وانضاف كل إلى من صار منتصباً ... للأمر مرتفعاً في أرفع القنن
وانقاد كل أبى تحت طاعته ... وكان ما كان مما قبل لم يكن
وتم للقاسم المسعود ما سمحت ... به المقادير من نجد إلى عدن
وشاد في حدة دوراً مزخرفة ... تزد بما شاده الأملاك في المدن
مرت له سنوات في تنعمه ... كأنها خفقات العين بالوسن
ثم انثنت هذه الدنيا لعادتها ... وبادرته بما يخشى من المحن
وكان أعظم خطب قابلته به ... إن الحسين ابنه لم يأت بالحسن
قاد الجيوش إلى صنعا وحاربه ... فاضطر منه على صلح على دخن
وقد سعيت أنا بالصلح بينهما ... أطفأت ناراً لها الإيقاد بالفتن
ولم يعش غير أيام منغصة ... لم يخرج الحول إلا وهو بالكفن
وبعده الناصر إن الأمر قد طلبا ... محمد وحسين من بني الحسن
وأشعلا نار حرب بينهم سنة ... حتى أضرا بمن قد حل في اليمن
وبعدها لحسين تم مأربه ... ونال كل الذي يهواه في الزمن
وتم عشرين حولاً في تقلبه ... في الملك حتى أتاه سالب الوسن

وراح نحو البلى فى اللحد مرتهناً وأى شخص تراه غير مرتهن
فكن بما شاهدته العين معتبراً فالعين أبلغ إسماعاً من الأذن

* * *

وقال رفع الله مقامه فى عليين كتب إلينا الشيخ أبو الحسن السندى رحمه الله من مكة المشرفة فى شهر ربيع الأول سنة ١١٥٨ هـ هذه الأبيات ونسبها لابن القيم وذلك عند أن بلغه أذية من آذانا لأجل نشر السنة النبوية ودعائنا الناس إليها ، والإعلان بذلك ، لا سيما عند الإقراء فى التفسير فى جامع صنعا الكبير خمس سنين .

ياقوم فرض الهجرتين بحاله والله لم ينسخ إلى ذا الآن
فالهجرة الأولى إلى الرحمن بالإ خلاص فى سر وفى إعلان
حتى يكون القصد وجه الله با لأقوال والأعمال والشكران
ويكون كل الدين للرحمن ما لسواه شىء فيه من إنسان
والله هذا شطر دين الله والتح ـكيم المختار شطر ثانى
أترون هذى هجرة الأبدان لا بل هجرة هى هجرة الإيمان
قطع المسافة بالقلوب إليه فى درك الأصول مع الفروع
أبداً إليه حكمها لا غيره فالحكم ماحكمت به النصان
ياهجرة طالت مسافتها على من خص بالحرمان والخذلان
ياهجرة والعبد فوق فراشه سبق السعاة لمنزل الرضوان

* * *

قال البدر : فقلت مذيلا لها وأرسلتها إلى المدينة المنورة :

ولأهل هذى الهجرتين من الأذى من كل مبتدع وذى شنآن
قسط كقسط السابقين إلى الهدى المظهرين لطاعـــــة الرحمن
أتباع خير الرسل من آذاهم أتباع كل مضلل شيطان

من قال إنى تابع لمحمد ومتابع الآثار والقرآن

قالوا أتيت عظيمة فى ديننا وركبت متن الجهل والخذلان

قلد فلاناً فى الديانة واتبع إما تدين مقـــالة لفلان

قلنا لهم إنا نعيب على الذى قـد قلد الأموات فى الأديان

لكن من عرف الأصول وحقق الـ آثار والتفسـيـر للقرآن

وله نقادة عارف متصرف فى النحو والتصريف والميزان

وإحاطـــة بدقائق ولطائف قد ضمنت وأتى بهـا المعانى

علم الكتاب وسنة المصطفى هو أول وهى المحـل الثانى

أيجوز أن يغدو أسيراً بعدها ويقـــاد بالتقليد كالعميان

ويتابع الآباء فى أديانهـــم هذى مقالة عابدى الأوثان

هـذى عمى بصيرة لا ناظر هـذا انسداد القلب لا الآذان

لا يسأل الملكان من حل الثرى إلا عن المختار من عدنان

لا عن مذهب أحمـــد أو مالك والشـافعى ومذهب النعمان

كلا ولا زيد ولا عمرو فدع كلا وتابع واضح البرهان

هـذا ووال المسلمين جميعهم وقل الجميـــع لأجله إخوانى

واستغفر الله العظيم لـكلهم فبذا أتاك الأمر فى القرآن

وادلل على سنن الهدى أهل النُّهَى صرح بذا فى السر والإعلان

والزم طريقة أحمد فى هـديه تنجو غداً من لافح النيران

* * *

أنشد الإمام العلامة الكبير ، محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله فى أوائل كتابه « إيثار الحق على الخلق » أبيات ابن أبى الحديد التى يقول فيها :

وأسائل الملل التى اختلفت فى الدين حتى عابدى الوثن

وحسبت أني بالغ أمـــلي ... فيما طلبت ومـــبرىء شجني

فإذا الذي استنكرت هو الـ ... جانى على عظائم المحسن

فظللت في تيه بلا علم ... وغرقت في بحر بلا سفن

* * *

فقال مولانا البدر رضي الله عنه ، وأودعها « حاشية الأنوار على الإيثار » ولم تكمل هذه الحاشية ، سبقه الحمام عن التمام .

قد جاءنا برد اليقين من الـ ... مختار في القرآن والسنن

فاقنع به ودع الوقوف على ... أطلال أهل الشرك والدمن

آي الكتاب كفت دلالتها ... صحب الرسول وعابدي الوثن

وانقاد كل بالزمام لهـا ... أهل الذكا والفهم والفطن

لكن طلبت الحق من طرق ... معوجة ليست على سنن

قد كان فيها الجبائي سلفاً ... والأشعري أيضاً أبو الحسن

والجعد قبلهما وجهم لقد ... باعا الهدى جهلا بلا ثمن

أفضت إلى تضايل سالكها ... وإلى التباغض فيه والإحن

فسلكت مسلكهم فخرت كما ... قد قلته في شعرك الحسن

فضللت في تيه بلا علم ... وغرقت في بحر بلا سفن

* * *

أنشد ابن خلكان رحمه الله لبعض من ترجم له :

إني أبثك عن حديـــــــ ... ـــثى والحديث له شجون

غيرت موضع مرقدي ... ليلا ففارقني السكون

قل لي فأول ليلة ... في القبر كيف ترى تكون

* * *

فقال مولانا البدر رحمه الله مجيباً عن استفهامه :

ستكون أطيب ليلة وأنا بما قلت الضمين
وتبيت ضيفاً للكريـ ـم وغيث رحمته هتون
ويريك جوداً عنده كل الخطوب به تهون
ثق بالكريم ولا تقل قل لى فكيف تُرى تكون

* * *

لما خرج المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله فاراً من صنعا سنة ١١٣٦هـ ست وثلاثين ومائة وألف . ومن خرج معه من أعيان الإمام خرج مولانا البدر رضى الله عنه إلى كحلان لئلا ينسب إلى موالاتهم لكثرة الاتصال بينهم .

وقد كان البدر رضى الله عنه أرشدهم إلى عدم الخروج ، فأبت الأقدار إلا ما أراده الله .

فكتب البدر من كحلان إلى المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله ، وكان فى السجن بقصر صنعا .

حدث البارق عن صنعا وعن ما كفيها يا سقى صنعا اليمن
وروى عنهم حديثاً مسنداً مثله يروى لأرباب الفطن
ما تلقاه البخارى ولا مسلم عنه ولا أهل السنن
ليس غيرى عارفاً أسراره إن سر البرق المضنى عنى
لا عجيب فمن السكان لا يعرف الأخبار إلا ابن السكن
يا أحبائى لقد أحسنتم إذ طويتم فيه أخبار الوطن
فلقد أنبأنى عنكم بما هز من قلبى أغصان الشجن
ولقد أذكرنى تلك الربى التى نفرقنى عنها الزمن
كنت فى روضاتها مرتعيا أى غصن أرتضيه وفنن
لا أظن الدهر لى مستيقظاً نافياً عن طرفه طيب الوسن

ستوفاى من نومه منتبهاً ... بضع الاسهم فى قوس الحجن

ورمانى بسهام فرقت ... بين من أهوى وبينى بالظعن

لا أرى لى مستقراً بعدها ... فى قرار الأرض أو أعلى القنن

كل أرض جئتها تلفظنى ... فكأنى فى فم الدنيا درن

شيمة للدهر لا أنكرها ... تخدع المغتر فيها بالهدن

ماله سلم وإن سالم فى ... ظاهر الأمر فالحرب كمن

ولسان الحال منه قائل ... من نجا من فتنتى قل لىَ من

ما نجا منىَّ من صاحبنى ... سل ملوك الشام عنى واليمن

سل بنى مروان عن أملاكهم ... وبنى العباس واسأل ذى يزن

بل سل الأقطاب مثل المرتضى ... وبنيه من حسين وحسن

ما نجا العالم والجاهل والملك ... الفتاك والظبى الأغن

فادرعْ صبراً لسهم البين إن ... هو وافاك فما يجدى الحزن

وَجُبَ الأقطار وانزل حيث لا ... تشتهى وأنف عن العين الوسن

والق قومًا أصلهم من آدم ... سل بما عنهم ولا تسأل بمن

فهم الأحجار إن حادثتهم ... وهم الأموات إن هزوا لمن

ولصوص فاحترس منهم فهم ... يلبسون الميت أثواب الكفن

لا أراهم يشبهون الناس فى ... أى شىء منهم إلا البدن

جيرة قد أنّ قلبى منهم ... لا إليهم أبداً والله حنّ

فسقى الله بصنعا جيرة ... أخذوا قلبىَ من غير ثمن

رحل الجسم برغمى عنهم ... وفؤادى عندهم طوعا قطن

ليت شعرى أبطلوا ودَّ فتى ... قلب الدهر له ظهر المجن

أم تناسوا خلة ماخلتها ... أبداً تنسى إلى بعد الدفن

أتظنون بأنى بعدكم ... أطعم النوم إذا ما الليل جن

بعدكم ما راق لى شىء ولا ... شاهدت عيناى من شىء حسن

إن تغنى بلبل قلت له ... أيها البلبل قف لا تغن

فاذكرونا مثل ذكرانا فما ... عنكم نسهو مدى الدهر وإن

لا تناسوا كم كؤوس شعشعت ... دهرت خمرتها من كل فن

ومذ جئناها بنظم رائق ... قسما بالبيت لو يقرع طن

لا كهذا النظم قد لفقته ... من هزيل القول ما فيه سمن

فاقبلوه وأقيلوا عثرة ... منه إن وافى إليكم واستكن

* * *

وله رضى الله عنه مجيباً أيضاً على المولى العلامة الحسن رحمه الله عن أبيات وصلت منه ، من محبسه بقصر صنعا إلى شهارة ، يسأل عن أحوال البدر رحمه الله :

أجاب الدمع من قبل اللسان ... نظاماً أشرقت منه المعانى

أبن لى هل نظمت الشهب شعرا ... وهل وافى ذراك الفرقدان

تسائل يا حبيب غريب دار ... بعيداً عن ربوعك غير دان

فقير من قرى الأجفان مثر ... من الدمع الغزير إذا عنانى

تقلب فى سواد الليل جفناً ... ولكن فكره ببعض الأمانى

تسائله عسى أحييت علماً ... وهل درّست فى علم البيان

أتحسب فى سمرقند مقامى ... أو أنى قد نزلت بشاهجان

وأنى قد لقيت بها عصاماً ... وسعد الدين وابن الزملكانى

وذاكرت الجوينى والفنارى ... أصول الفقه ثم الأصفهانى

ودارست ابن ماجه والبخارى ... حديث المصطفى والعسقلانى

وقد جاريت جار الله فيما ... أتى من علم تفسير القرآن

ألم تعلم بأنى فى محل ... تكاد الطير فيه لا ترانى

سما فالطير تعجز عن تراه ... وتلبس من تراه الفرقدان

تحوز الريح إن قصدت إليه ... قوادمه فليس له مدان

نعم لاقيت إخوانا كراما ... قليلا مثلهم فى ذا الزمان

لهم خلق حكت نسمات نجد ... وأذهان تسابق للمعانى

هووك وما رأوك لطول وصفى ... فقد عانوا لفقدك ما أعانى

إذا وافى كتابك قبلوه ... وعجوا بالدعاء لكل عانى

جنت أذهانهم من روض ذهنى ... معارف ما جناها قبل جان

ذكرت بهم أزال ونحن فيها ... وأنت على المعارف عاكفان

تحقق فى ذراها كل فن ... كأن أزال بلدة تفتزان

وذهنك صارم يفرى المعانى ... كمقربك للعدا يوم الطعان

وإنك فى الذكاء فريد عصر ... وليس سوى الضيا لك فيه ثانى

جمعتم ما تفرق من كمال ... فأنتم فى العلى فرسا رهان

وقد كنا وكنتم فى اجتماع ... يغاظ به الأعادى والشوانى

فما أدرى أعين قد رمتنا ... ففارقنا المغانى والغوانى

لعل الله يبدى لنا بقرب ... وبعد البعد يأذن بالتدانى

فننزل فى منازلنا اللواتى ... يخال بأنها غرف الجنان

وظنى أن ذا أمر قريب ... على من أنزل السبع المثانى

ترقب صدق قولى فهو حق ... ستنظره قريبا بالعيان

وخذ منى سلاما طاب نشرا ... وضمخ منه أرجاء المكان

* * *

وقال بوأه الله الفردوس وورد على سؤال لفظه : العارف الذى التحف بالمعروف ، وتحلى بالأوصاف السنية فى وجود الموصوف ماذا يقول فيما عناه فى هذين البيتين ، أذلك من مخاطبة العين للعين ، أم الواحد فى حضرة الاثنين وهما :

كنا حروفاً عاليات لم تزل   متعلقات فى ذرى أعلى القلل
أنا أنت فيه ونحن أنت وأنت هو   والكل فى هو هو فسل عمن وصل

* * *

فأجاب بما لفظه :

هذا سؤال أتى من عالم فطن   قد حل منى محل الروح من بدنى
وما الجواب سوى قول الحسين[1] وقد   طارت مقالته فى الشام واليمن
لا كنت إن كنت أدرى كيف كنت ولا   ما كنت إن كنت أدرى كيف لم أكن

* * *

ثم رأيت عدم الاقتصار على هذا المقدار فقلت على طريقة التصريح والإظهار :

إن من أهواه غيرى لا أنا   قال هذا الأذكياء الفطنا[2]

---

(١) يعنى الحسين بن منصور بن الحلاج .

(٢) قال الإمام الشريف السيد أحمد الرفاعى الحسينى فى كتابه (البرهان المؤيد) منكرا على الحلاج وأمثاله :

[إياكم والكذب على الله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يتقولون عن الحلاج أنه قال : « أنا الحق » أخطأ بوهمه ، لو كان على الحق ، ماقال : أنا الحق ، يذكرون له شعراً يوهم الوحدة ، كل ذلك ومثله باطل ، ماأراه رجلا واصلا أبداً ، ماأراه شرب ، ما أراه حضر ، ما أراه سمع إلا رنة أو طنينا ، فأخذه الوهم من حال إلى حال ، من ازداد قرباً ولم يزدد خوفاً فهو ممكور ، إياكم والقول بهذه الأقاويل ، إن هى إلا أباطيل ، درج السلف على الحدود بلا تجاوز ، بالله عليكم ، هل يتجاوز أحد إلا الجاهل ، هل يدوس هوة فى الجب إلا الأعمى .

ما هذا التطاول ، وذاك المتطاول ساقط بالجوع ، ساقط بالعطش ، ساقط بالنوم ، ساقط ⁼⁼⁼

واتحاد الذات بالذات غدا　　منهجاً وعراً ينافى السننا

مال قوم نحوه واتخذوا　　شطحات مثل سبحانى أنا

ليس فى الجبة إلا الله قف　　ما بهذا قال خير الأمنا

خاتم الرسل الذى منهجه　　صار نهجاً مستقيما بيننا

وكذا إخوانه من قبله　　رسل الله وخير القرنا

دَعَوُا الخلق إلى الرب الذى　　جل ذاتاً وصفات وثنا

كل من خالفهم فى نهجهم　　فهو كالعابد يوماً وثنا

إنما الصوفى من أعرض عن　　طلب الجاه وعن حب الثنا

معرضاً عن زهرة الدنيا وعن　　كل شىء قد حوته حسنا

قد أماتت نفسه شهوتها　　حين أحيت فرضها والسننا

فاستمع ما قاله من قبلنا　　يصف الصوفى وصفاً بينا

إن لله عباداً فطنا　　طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا　　أنها ليست لحىٍّ وطنا

= بالوجع ، ساقط بالفاقة ، ساقط بالهرم ، ساقط بالعناء ـ أين هذا التطاول من صدمة صوت (لمن الملك اليوم) .

العبد متى تجاوز حده مع إخوانه ، بعد فى الحضرة ناقصاً ، التجاوز علم نفس ينشر على رأس صاحبه ، يشهد عليه بالدعوى ، يشهد عليه بالغفلة ، يشهد عليه بالزهو ، يشهد عليه بالحجاب .

يتحدث القوم بالنعم ، السكن مع ملاحظة الحدود الشرعية ، الحقوق الإلهية تطالبهم فى كل قول وفعل ، الولاية ليست بفرعونية ، ولا بنمروذية ، قال فرعون (أنا ربكم الأعلى) وقال تائد الأولياء ، وسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم (لست بملك) نزع ثوب التعالى والإمرة والفوقية ، كيف يتجرأ على ذلك العارفون ، والله يقول (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وصف الافتقار إلى الله وصف المؤمنين ، قال تعالى (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) هذا الذى أقوله علم القوم ، تعلموا هذا العلم ، فإن جذبات الرحمن فى هذا الزمان ، قلت ، اصرفوا الشكوى إلى الله فى كل أمر ، العاقل لا يشكو ، لا إلى ملك ولا إلى سلطان العاقل كل أعماله لله . وقال الرفاعى أيضاً فى كتابه (النظام الخاص لأهل الاختصاص) ولا تجمع بين حدوثك وقدم ربك فإنك إن فعلت ذلك انخرطت فى الضالين .

جعلوها جنة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا
خذ جواباً من محب صادق طارق السر لديه الأمانا

* * *

وقال رحمه الله : قال شيخنا العلامة زيد[١] بن محمد الحوثي رحمه الله في واقعة اتفقت له :

ومثقل يدعو إلى بستانه ويظن جنات النعيم هنالكا
ناقضت دعواه وقلت جهنم هذا وقد أصبحت فيه مالكا

* * *

واتفق لي خلاف هذا وقلت :

وأخف خلق الله روحاً جاءني وأراد إتياني إلى بستانه
فدخلته فإذا الجنان بعينها وإذا بمالكه أخو رضوانه

* * *

ولما انتهبت قبائل بكيل بندر اللحية سنة ١١٤٥ هـ وكان زعيم القوم القاضي عبد الرحمن بن محمد العنسي البرطي قال مولانا البدر رضي الله عنه هذه القصيدة وهو في حصن شهارة مناصحاً ومنكراً وأرسلها إلى مدينة حوث إلى تلميذه السيد العلامة يحيى بن محمد الحوثي رحمه الله وأمره أن ينسبها إلى نفسه تخوفاً من البدر على والده من الإمام المنصور حين إذ كان ساكناً بصنعا ولهذا توجد عند كثير من الناس منسوبة إلى السيد يحيى رحمه الله والسبب ما ذكر :

هل في القلوب بيوم الحشر إذعان وهل بما قاله الرحمن إيمان
وهل علمتم بأن الله سائلكم عما قريب وللأعمال ديان

(١) لعله زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم وهو شيخ السيد محمد الأمير.

ياساكنى اسفح من صنعاء هل سفحت   لكم على ما جرى فى الدنيا أجفان

عن الفجيعة هل وافاكم خبر   تفيض منه من الأعيان أعيان

تجمعت نحوها من كل طائفة   طوائف حاشد منها وسفيان

وذو حسين وقاضيها وقائدها   درب الصفا وقشنون وجشمان

أسمـــاء شر وأفعال مقبحة   طوائف مالهم يمن وإيمان

فما يخافون من يوم المعاد ولا   عليهم لذوى السلطان سلطان

فكم أخافوا وما خافوا وكم نهبوا   وأخربوا فلهم فى الأرض نيران

فى دولة الملك المنصور كم هتكت   بنادر ومخاليف وبلدان

فى الشرق والغرب منها والتهائم بل   والبحر قد خافهم فى البحر حيتان

لاتنس قمطبة إن كنت ذاكرها   فقـــد أباح حماها قبل قحطان

كذا المعاقل من دمت ومن جبن   ولحج طاف به للحرب طوفان

والبندر البندر المشهور من عدن   سارت بأخباره فى الأرض ركبان

وهل نسى أحد بيت الفقيه وقد   صكت بأخبار يام فيه آذان

كم من عزيز أذلوه وكم جحفوا   مالا وكم سلبت خود وظبيان

ودع حفاشا وموراً والضحى ولا   تذكر حبوراً وما لم يحص إنسان

فالنظم يعجز عن حصر لما دخلت   من المواطن فى أخبار قد كانوا

فيابنى القاسم المنصور قد سلبت   عليكم الملك أعراب وبدوان

لم يبق من مجدكم إلا القصور لكم   بها جـــوار وديباج وعقيان

أو المزامير تتلى كل آونة   كأنهن وحاشا الذكر قرآن

أو الثياب على الأبدان صار لكم   فى كل حين على الأبدان ألوان

عال كل ضعيف من رعيتكم   فما يقام له فى العدل ميزان

فلا يخاف العدا شراً خيلكم   كأنها غنم والقوم رعيان

ولا يخافون إن طالت رماحكم   كأنها بيد الصبيان قضبان

ما يرهب السيف فى بطن القراب ولو — جرى على متنه در وعقيان

ما هكذا كان آباء لكم سلفوا — شيدت بهم من ربوع الحق أركان

فطالعوا سيرة المنصور جدكم — سقى ثراه من الوسمى هتان

ما كان إلا جهاد الترك همته — وما له مثلكم خيل وفرسان

ما كان منزله إلا معاركهم — وما له غير ظل الرمح ديوان

كانت لسطوته الأتراك فى رهج — وخاف من داره خراسان

كان الجهاد ونشر العلم همته — حتى دعاه إلى الجنات رضوان

وكل أبنائه كانوا على رشد — لهم جهاد ومعروف وعرفان

أجلى المؤيد باقى الترك من يمن — لم يبق منهم بها شخص له شان

وكان إخوانه أنصار دولته — كأنهم لافتراس القوم عقبان

والآن صرتم عدا فى ذات بينكم — كل يرى أنه للناس عنوان

مزقتم شمل هذا القطر بينكم — كل له قطعة قفر وعمران

وكلكم قد رقى فى ظلم قطعته — مراقياً مارقاها قبل خوان

فما الإمام ملام فى رعيته — بل الجميع سواء فيه أعوان

فقدموا العدل والإنصاف فى أمم — قد طال منكم لهم ظلم وعدوان

ثم أصلحوا بعد هذا ذات بينكم — واستنصحوا وانصحوا من خين أو خانوا

تضحوا يداً فرعاياكم مفرقة — أيدى سبا ما لها فى الأرض أوطان

إذا اجتمعتم على نصر الإمام فما — يقوى عليكم من الأحياء إنسان

فناصحوه فإن يسعد فذلكم — أولى فغيكم وفى السادات أعيان

قولوا له قم بنا نحو الجهاد فقد — هدت من الدين والإسلام أركان

وجردوا البيض من أجفانها ولها — يوم اللقا من دماء القوم أجفان

إن الرماح ظماء للدماء فهل — يعود يوماً ومنها الرمح ريان

والخيل قد ملأت صدئما صواهلها — وملها مربط فيها وميدان

هذي النصيحة منى غيرة لكم ... ما فى مقالتها زور وبهتان
إن تقبلوها نخير صفقته لكم ... وإن أبيتم لحرمان وخذلان
أرجو بها عند رب العرش مغفرة ... وأن يرجح لى فى الحشر ميزان
وإن سئلت غداً عن قبح فعلكم ... فإنها لى عند الله برهان
أقول إنى نصحت لكم مقدرتى ... نظماً ونثرا فما دانوا ولا لانوا
فاغفر لنا ولهم ما كان من زلل ... فإننا فيك بالإسلام إخوان
وصل رب على المختار من مضر ... والآل ما دار فى الأفلاك كيوان

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله يشكو إليه من الحمى من حصن شهارة فى شهر جمادى الأولى سنة ١١٤٧ ﻫ سبع وأربعين ومائة وألف .

أشكو إليك من الحمى حميت عن الا ... أسواء ودمت قرير العين جذلانا
وافت إلى الجسم فى استكمال صحته ... تشب فى كل عضو منه نيرانا
حسبت أن عظامى عندها حطب ... واللحم تطبخه للأكل ألوانا
وتأكل اللحم أكلا لست أدركه ... فما رأيت فماً منها وأسنانا
وإنما أرى الحمى لا بقاء له ... من فوق عظمى كما من قبله كانا
أهلا بها إن أتت للذنب ماحية ... فمن أتته حوى عفواً وغفرانا
وإنها من عذاب النار قال لنا ... خير الورى حظ من قد قال إيمانا
فإن جرى من أديمى بعدها عرق ... فإنها غسلت للذنب أدرانا
لا مثل ما قاله ابن الحسين[1] لقد ... أسا وشبه بالغفران عصيانا

* * *

(١) إشارة إلى قول المتنبى :
« إذا ما فارقتنى غسلتنى ... كأنا عاكفان على حرام »

وقال رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق رحمهم الله تعالى وأرسلها إليه من حصن شهارة :

تشابه حالنا فى كل فن ... فكل قد جنى مر التجنى

وأنسى ما لقيت وليس ينسى ... لأعظم منه وهو نواك عنى

وما هان البعاد علىّ يوماً ... وأمرك فى البسيطة فوق ظنى

فكيف وهذه الأيام قادت ... إليك مشوم سجان وسجن

وكنا نشتكى زمناً تقضّى ... ونملك فى الشكاية كل فن

وصح بأنه إنسىّ دهر ... وهذا فى الدهور يعد جنّى

فيادهرى الذى قد غاب عنى ... أتانى فى الذى قد كان منى

شكوتك والنوى لم أدر ماهو ... ولاعرف البكاء طريق جفنى

ولم يدن الفرقدان إلى اجتماع ... وأنت لما يريد الصب تدنى

إذا ماجئت أشكو من جفاه ... يقابلنى بإحسان وحسن

أرى هذا عقوبة ما تقضّى ... من التقصير عن شكر لمن

وإنا تائبون إلى الليالى ... فهل تجدى إنابتنا وتغنى

ويعطف لى على المعنى زمانى ... ولا يخفاه ما معناه أعنى

سيكسونا مطارف كل فضل ... ويكسو الحاسدين ثياب غبن

ترقب صدق قولى يا خليلى ... ولا تحسبه من قسم التمنى

* * *

وقال رضى الله عنه مجيباً على المولى العلامة الضيا أيضاً عن أبيات أرسلها إليه من هجرة شاطب بعد عام الصلح بين والده والمتوكل القاسم بن الحسين رحمهم الله بعد عودة الضيا من جهة حداش وكان الساعى فى الصلح مولانا البدر رضى الله عنه :

إن الهوى العذرى فنى ... فإذا صبوت فلا تلمنى

أنا فى الهوى فرد فلا ... تذكر سواى ولا تثنى

قسما بآيات الهـوى ... لو حدث المجنون عنى

لصحا ووافى آخـذاً ... عنى من العلم الادنى

فأسند أحاديث الغرا ... م مسلسلا إن شئت عنى

وإذا شربت من الهوى ... خمراً فخذ من خمردنى

وإذا جهلت طريقـة ... منه فسلنى وامتحنى

وأظهر غرامك مبرزاً ... ما فى الضمير المستكن

صرح بمـا تهوى وبُحْ ... باسم الحبيب ولا تكنى

قل بعت روحى فى الهوى ... فإذا استقلت فلا تُقِلنى

لا تحسبن بيع الفؤا ... د بهم يسمى بيع غبن

ما الحب إلا لوعـة ... وصبابة تفنى وتضنى

سقياً لدهر قد مضى ... ندماً عليه قرعت سنى

أيام من بمـا أر ... د سماحة من غير من

وسعى بخدمتى الزما ... ن ونلت منه فوق ظنى

ما كنت أعرف ما الصدو ... د ولا جفا الظبى الأغن

قد كنت أسأل ما الصدو ... د وأى معنى للتجنى

فعلى م أيام اللقا ... قلبت لنا ظهر المجن

وتغـيرت عما عهد ... ت وأبدلت سهلا بحزن

يا ليت شعرى والفتى الـ ... ولهـان يولع بالتمنى

هل عندهم عن لوعتى ... خبر وهل علموا بأنى

يا سعد حدث مسرعاً ... عنهم ودع عنك التأنى

لحديثهم من بين أخـ ... ـبار الورى معشوق أذنى

يا دهرى الجافى علا ... م أمات ظل الغصن عنى

مياته من بعـــد ما   قـد كنت أدنيه وتدنى
أبدلتني عن قربه   نظماً ونثراً ليس يغنى
أظننتني أرضى بذا   بدلا فذلك سوء ظن
لا كنت من أبناء آ   دم إن سمحت بنور جفني
أعني الضياء ومن إليـ   ـه عنان هذا النظم أثني
بحر جـواد فاتك   نسخت به أخبار معن[1]
علامة في النحو قد   فاق المبرد وابن جني
بل لا أخص النحو فهـ   ـو محقق في كل فن
وله من الآداب ما   ينسي بأستاذ[2] ابن جني
لا زال في الدنيـا جـما   لاً لأهلي في المجد يبني
ما طنبت أوتادهـــا   فوق الرياض سحاب مزن

* * *

وكتب رضي الله عنه إلى الولي العلامة محمد بن إسحاق رحمه الله إلى هجرة شاطب في سلخ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ بعد تمام الصلح .

هتف القمري في الروض وغنى   والذي يشرح أشواق المعنى
ورقى غصناً وأملى في الهوى   ما شجى قلبي ولم أفهم منه معنى
ذكر الصب بأهل المنحنى   فصبا نحـوهم شوقاً وحنا
لم يكن ذكرى لنسيانهم   كيف أنساهم وحاشا وأنى
سكنوا قلبي فلا أنساهم   كيف ينسى القلب من فيه استكنا
أضرب الأمثال بي في حبهم   وبلى في هواهم يتغنى

---

(١) هو ابن معن زائدة المشهور .
(٢) هو أبو الطيب المتنبي حيث لازم المتنبي كثيراً ونقل ديوانه ومعانيه منه ثم شرحه ، وقد طبع بالهند .

يانسيم الروض قف لى ريثما تحمل الأخبار للأحباب عنا
سلهم هل ذكروا عيشا مضى نلت فيه منهم ما أتمنى
والليالى همها خدمتنا فإذا قلت تأنى تتأنى
خولتنا كل معنى حسن وسقتنا خمرها دنا فدنا
ثم جست طرباً أوتارها وتغنت فى الهوى لحناً فلحنا
وكذا الأقدار تأتى بالذى تطلب الأنفس من ثمة وهنا
لو أنادى الريح لانفزع من أعين الأزهار فى الأغصان جفنا
مر فى الروض ولم تشعر به وسرى سراً وما أيقظ وسنا
واستفاقت تنفض الطل وقد سألت أين نسيم الروض منا
ماله ماأسقط الطل ولا حرك الأغصان حتى تتثنى
أى أيام لنا قد سلفت جمعت وصفين إحسانا وحسناً
لم نزل فى عيشة راضية فلماذا الدهر بعد الجود ضنا
طاوع العاذل فيما رامه وعلينا قد غدا عيناً وأذنا
ورياح البين فينا عصفت فأطارتنا وقد كنا وكنا
فرقتنا همة عالية للذى بان وعنه نحن بنا
فارق الأوطان والإخوان فى طلب العليا والعيش المهنا
هكذا المجد لمن يرتاده لاينال المجد شخص يتمنى
ملك يمنن بالمال فقد ألف المن ولا يعرف منا
كم أفادت يده من هبة ولكم من سائل أغنى وأقنى
وحليم لو درى الجانى بما يجتنى من حلمه كان تجنى
طاب آباء وأبناء ويا حبذا من طاب آباء وابنا
وهو فى العلم إمام فاستفد ما تشا من علمه فناً ففنا
ليس يعيى ذهنه بحث وإن كان قد أعيا أولى العلم وأعنى

فهو بحر العلم والجود فردٌ بحره مغترفاً من أي معنى
وإمام ليس يدني قدره إن طلبنا منه أن لا يتكنى
فالكنى مبتدعات لم يكن سيد الأشراف في الإسلام يكنى
إنما إسمك يكفيك الكنى فهو من كل الكنى أعلى وأسنى
وإليك النظم وافى قائلا إنهم إن يقرعوني لن أطنا

✡ ✡ ✡

وقال رحمه الله مجيبا على المولى العلامة عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن المهدى أحمد بن الحسن رحمهم الله عن أبيات يستدعى فيها « سبل السلام شرح بلوغ المرام » مؤلف والدنا البدر رضى الله عنه :

جئت بالمعجزات من تبيانك تتحدى من ليس من أقرانك
الدراري قل لي نظمت أم الد رأم عقود النحور من عقيانك
أم أبيحت لك الجنان عياناً فنظمت الزهور في بستانك
أنت أنت الإمام في العلم والنظـ م ونحن الأجناد في سلطانك
لا أجاريك إنما أتجارى أيراعي مقاوم لسنانك
أنت في ثروة من النظم والنثر ونحن الجميع من خزانك
كل معنى نحوم حول تعاطيـ ه وجدناه في فصيح لسانك
وطلبتم « سبل السلام » فأهلا ببلوغ المرام من إحسانك
كيف لي كيف لي بنشر علومي وبتقريرها بحسن بيانك
قد بذلنا ما قد رزقنا من العلـ م لأهل الذكاء من إخوانك
ورجونا فيه الثواب فصلنا بدعاء سراً وفي إعلانك

✡ ✡ ✡

وكتب رحمه الله إلى المولى عبد الله رحمه الله يعتذر إليه عن الاستمرار فى تدريسه ورفيقه السيد العلامة محسن بن إسماعيل الشامى رحمه الله فى شرح العمدة لابن دقيق العيد لـما أ كثر التخلف لعله فى سنة ١١٦٧هـ سبع وستين ومائة وألف :

مولاى يافخر العـلى والدين ... وإمام كل محقق وقرين
عذراً لشيخك من نسى ما قد حوى ... لما ارتدى بملابس السبعين
فغدوت طفلا فى العلوم وقبل ذا ... ما كنت من أقران سعد الدين
مذ صرت شيخاً عدت طفل معارف ... وغدوت مفتقراً إلى التلقين
شيب الخدود سرى إلى خد الذكا ... فاجتاح ما فيـه من التحسين
والشيب فى الأذهان أعظم موقعاً ... وأضر فى التدريس والتدوين
إن شاب فود المرء شاب فؤاده ... وجفته حور معارف كالعين
نفرت عن الأذهان ثم تحجبت ... ببياض أوراق وسود متون
وأرى المعانى كالغوانى راعها ... شيبى فَرُحْتُ بصفقة المغبون
ما للشيوخ وللظباء وهل ترى ... ظبى الفلاة مواصلا للنون
فاعذر فؤادك أولو الذكا وبقيت للتـ ... ـدريس والتـأليف والتبيين
والعذر منك ومن حسام الدين من ... قد فاق فى التحقيق كل فطين
وبقيت بحر معارف وعوارف ... يغشاك طلاب الدنا والدين

* * *

وكتب رضى الله عنه إلى السيد العلامة القاسم بن أحمد العيانى رحمه الله من صنعا إلى المواهب وقد كان البدر بقى عنده فى المواهب أياماً :

حتى مَ ذا الدهر بالتشتيت يرمينا ... وكم بكاسات هذا البين يسقينا
مالفراق ومالى لايفارقنى ... إن الفراق غريم للمحبينـــا
فارقتكم وفؤادى لايفارقكم ... فإن رحلت فإنى فى المقيمينا

أستودع الله قلباً فى دياركم ... بحبكم صار مرهوناً ومفتونا

أنخمت عن كل شىء غير ذكركم ... ونفر النوم دمع من أماقينا

فما رويت سوى أخبار فضلكم ... ولا تلوت سوى قول ابن زيدونا

إن الزمان الذى قد كان يضحكنا ... أنساً بقربكم قد عاد يبكينا

حالت لبعدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغص فقال الدهر آمينا

عسى عسى أن يقيل الدهر عثرتنا ... فكم أقال فتى قد صار مفتونا

سقى وحيا الحيا أيام قربكم ... فهى الحياة سواها ليس يحيينا

لله ذاتك ما أصفى خلائقها ... كأنها صدف بالدر مشحونا

ما أنت إلا جمال للوجود فلا ... زالت معاليك للعلياء تزيينا

ولا برحت قرير العين فى دعة[1] ... وزادك الله تبجيلا وتمكينا

ما لذ لى بعدكم شخص أصادقه ... ففى زوايا خمولى صرت مدفونا

أقمت عندك فى ربع السرور على ... نعماء تنسى بنعما آل حمدونا

عليك منى سلام غير منقطع ... يهدى إلى سوحك الميمون ميمونا

* * *

وقال رضى الله عنه مجيباً على الفقيه العارف محمد بن إسماعيل المدنى رحمه الله :

بشرى فقد عطف العاتى على العانى ... وكان بالبين قد ألقانى العانى

فكم جنى بتجنيه الجفا وإلى ... ما كنت أكره قد ألجأنى الجانى

يبيت فى نومه الهانى وأمسى فى ... أسر السهاد وقد أهانى الهانى

ويلاه من خده القانى وفتنته ... ففى تلهبه ألقانى القانى

---

(١) قوله : فى « دعة » وفى نسخة « فى سعة » .

لئن أطال النوى عنى وأعرض عن ... وصلى بلا مرية ألفانى الفانى

يا حبذا ليلة وافى على حذر ... بغير وعد لحيانى لحيانى

وجاد لى بمدام من لمسا ومن ... خمر بخديه أدنانى وأدنانى

وقال اكتم شانى من مواصلتى ... عن الرقيب وكل الشأن فى الشانى

سقى مغانى الغوانى كل آونة ... إذا جفت سوحها الأعيان أعيانى

إن لم تجد مقلتى بعد البعاد فما ... أشد بخلى بأجفانى وأجفانى

إذا سرى البرق من صنعا بعث كرى ... عينى وذكر أشجانى أشجانى

فى سوحها جيرة جاروا وما عدلوا ... ولا رعوا عهد أيمانى وإيمانى

خانوا وما خنت لا والله عهدهم ... حاشاي لست لإخوانى بخوان

رحلت عنهم وفى قلبى[1] منازلهم ... فقد غدا كل إنسان بإنسان

واعتضت بالبدر من فى القلب منزله ... فاعجب له إذ غدا القاصى هو الدانى

بحل الضيا من علاً قدر السماك عُلاً ... وحل فى المجد برجاً فوق كيوان

يا بدر نظمك وافانى فأسكرنى ... أظنه خمرة من كرم رحبان[2]

حاشاه حاشاه عن خمر محرمة ... هذا حلال بِدَرِّ المدح حلانى

وصفت شوقاً إلى من أنت بغيته ... صدقت قلبى على ماقلت برهانى

والقلب شاهد عدل قد حكمت به ... مافيه قدح سوى قدح بهجران

ياعين أهل الذكا بل نور مقلته ... ويابن مقـــلة فى خط وتبيان

فتحت للنظم باباً كان منغلقاً ... ذكرتنا أدب الفتح بن خاقان

ورمت منى جواباً والفؤاد به ... جوى لفقدى أوطارى وأوطانى

نخذ جواباً أتى عفواً وَجُدْ كرماً ... عفواً لما فيه من عيب ونقصان

واحرص على العلم لاتعلل دراسته ... إن شئت تصبح فرداً ماله ثانى

---

(١) وفى نسخة « عينى » بدل « قلبى » .

(٢) كرم رحبان هو متنزه مدينة صعدة باليمن.

واتبع أباك وخذ عنه العلوم وقل هــذا أبي هو رَبَّانِي ورَبَّانِي
وأبلغه عنا سلاماً واستمدّ لنا منــه الدعاء بتوفيق وغفران
بقيتما في نعيم لا نفاد له ماغنت الوُرْقُ أفناناً بأفنان

* * *

وقال رضي الله عنه . الشيخ العلامة ناصر بن الحسين الحبشي رحمه الله :

قرأ علينا في شبام سبع سنين في عدة فنون وأدرك مع تقوى وورع وحسن حال ، ثم دخل صنعا لعله في رجب سنة ١١٩٩هـ وتولى بها القضاء فكرهت له ذلك لما علمناه من أحوال قضاة عصرنا وكان حاله قبل ذلك ، حال المعرضين عن الولايات والاتصال بالملوك فكتبت إليه وقد بلغ سن الستين .

ذبحت نفسك لكن لابسكين كما رويناه عن طه وياسين
ذبحت نفسك والستون قد وردت عليك ماذا ترجي بعد ستين
ذبحت نفسك بالحق عليك لقد كنا نعدك للتقوى والدين
أي الثلاثة تغدو في غداة غد إذ يجمع الله أهل الدين والدون
فواحد في جنان الخلد مسكنه واثنان في النار دار الخزي والهون
يأتي القيامة قد غلت يداه فكن يوم التغابن فيه غير مغبون
وإن يكن عادلاً فكت وإن يكن الا أخرى ففي النار من أقران قارون
فإن تقل أكرموا كان ذا كذباً فنحن نعرف أحوال السلاطين
وإن تقل حاجة مست فربتما فأين صبرك من حين الى حين
والله وصى به في الذكر في سور كم في الحواميم منه والطواسين
قد شد خير الورى في بطنه حجراً ولو أراد أتاه كل مخزون
ماما ت والله جوعاً عالم أبداً سل التواريخ عنه والدواوين
ليس القضا مكسبا للرزق نعرفه كما عرفناه في أهل الدكاكين

إلا لمن للرشا كفاه قد بسطت   بسط اللصوص شبا كفًّا للأثماين

سل الهدى والغنى ممن خزائنه   سبحانه بين حرف الكاف والنون

وحيث قد صرت مذبوحاً فخذ نبذاً   للنصح ما بين تخشين وتليين

إياك إياك كتّاباً تحـــالهم   إنساً وهم مثل إخوان الشياطين

واحذر حجاباً وحُجّاباً مع خدم   فهمهم أكل أموال المساكين

وجانب الرشوة الملعون قابضها   نصاً فسحقاً لإخوان الملاعين

وفي الرشا خفيات ويعرفهـــا   من كان ذاهمة في الحفظ للدين

واحذر قريناً تقل بئس القرين غدا   كم حاكم بقرين السوء مقرون

ولا تقل ذا أمين الشرع أرسله   فكم وجدنا أميناً غير مأمون

ولا تنفذ أحكاماً ومستند ال   أحكام رجم بتبخيت وتخمين

لا تجعلن بيوت الله محكمة   ولا تحلق من خلف الأساطين

لتنفرن بين أقوام صراخهم   صراخ ثكلى ولكن غير محزون

لا يستطيع المصلي من صراخهم   يأتي بفرض ولا يأتي بمسنون

واحذر وكيلا يريك الحق باطله   بزفه بين تنميق وتحسين

وثمة أشياء ما بينتها لك في   نظمي وتعرفها من غير تبيين

إن عشت سوف ترى منها عجائبها   إن كان قلبك حياً غير مفتون

ومن يمت قلبـــه لا يهتدي أبداً   لو جئته بصحيح البراهين

هذي النصائح إن كان القبول لها   مهراً ظفرت غداً بالخُرَّدِ العين

مالم ظفرت أنا بالفوز منفرداً   بأجر نصحي يقيناً غير مظنون

ثم الصلاة على المختار من مضر   وآله السادة الغر الميامين

* * *

وقال رضى الله عنه فى تفسير ما أشير إليه من الأحاديث مالفظه

حديث « من جعل قاضياً فقد ذبح نفسه بغير سكين » . أخرجه الخمسة إلا النسائى من حديث أبى هريرة مرفوعاً .

حديث « القضاة ثلاثة ، اثنان فى النار ، وقاض فى الجنة . رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار » . أخرجه أهل السنن الأربع ، والحاكم مرفوعاً من حديث بريدة ، وإليه أشرنا بقولنا « أى الثلاثة تعدو الخ » .

حديث « ما من أمير عشرة إلا جىء به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يطلقه الحق أو يوبقه » . أخرجه أحمد وغيره .

حديث « ما من حاكم يحكم بين الناس إلا يحشر يوم القيامة ، وملك يأخذ بقفاه حتى يوقفه على جهنم ثم يرفع رأسه إلى الله تعالى ، فإن قال الله ألقه ألقاه فى مهوى يهوى أربعين خريفاً » أخرجه أحمد فى مسنده ، والبيهقى من حديث ابن مسعود مرفوعاً .

قولنا « واحذر حجاباً الخ » . أخرجه أحمد والترمذى مرفوعاً من حديث عمرو ابن مرة « ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته » .

وقولنا « وجانب الرشوة الخ » . أخرجه أبو داود والترمذى عن أبى هريرة مرفوعاً « إن لعنة الله على الراشى والمرتشى فى الحكم » . وأخرجه أئمة من المحدثين عن جماعة من الصحابة .

قولنا « ولا تقل ذا أمين الشرع الخ » . أخرجه أحمد من حديث أبى هريرة مرفوعاً « ويل للأمناء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بين السماء والأرض ، ولم يكونوا عملوا على شىء » .

قولنا « واحذر وكيلا الخ » . أخرج أبو داود من حديث عمر رضى الله عنه مرفوعاً « من خاصم فى باطل وهو يعلمه ، لم يزل فى سخط الله حتى ينزع » .

وفى لفظ « من أعان على خصومة بظلم ، فقد باء بغضب الله » انتهى .

* * *

وقال رضي الله عنه : رأيت ليلة خامس وعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١١٤٤هـ أربع وأربعين ومائة وألف شيخنا العلامة زيد بن محمد بن الحسن رحمه الله تقرأ عليه في تفسير أبي السعود وكانت النسخ كأنها غير صحيحة ، فجيء بصندوق فيه نسخة صحيحة فتعسر على الحاضرين فتحه ، فأخذه شيخنا رحمه الله وفتحه .

فقلت مرتجلا في المنام وأصبح البدر حافظاً ذاكراً لها :

كيف لا تفتح صندوقا وقد — طالما فتحت أبكار المعاني

كل بحث مغلق تفتحه — بعد ما يعجز عنه الثقلان

* * *

وقال رضي الله عنه ولا أعلم من وجهت إليه :

أهلا بها فلقد وافت على ظَمَإٍ — تروي أحاديث من نهوى فترويها

لقد أعادت لنا عصر الشباب وقد — شبت لهيب غرام في نواحينا

وأذكرتنا ولا والله ما نسيت — قلوبنا طول وصل للمحبينا

إذا الشباب شفيع لا يُرَدُّ يُرى — عند الغواني له حكما وتمكينا

فوصل من شئت منها غير ممتنع — ومورد اللهو صاف من تصافينا

ماليلة الحسن زارتني وقد غفلت — عين الرقيب ونامت عين واشينا

وخالفت عذل عذالي وما تبعت — عند الملامة أقوالا لقالينا

ياليلة الوصل هلا عدت ثانية — سقى زمانك دمع من مآقينا

فما وفى غير دمعي بعد بُعْدِكُمُ — ولا شفى غير أماني تمنينا

بأن عصر التلاقي قد دنا ولقد — نادى ببشرى تلاقينا مناديها

وأنشدتنا لسان البشر قائلة — أضحى التداني بديلا من تنائينا

ياحبذا تلكم البشرى فقد عكست — عند البشارة ما قال ابن زيدونا

لا تنقضوا عهد ود بعد بُعْدِ فتى — ولا تظنوا بأن البين ينسينا

لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم — رأيا ولم نتقلد غيره دينا

هل تذكرونا مثل ذكرانا لكم فهي — الذكرى تقرب دارا للمحبينا

والبين ذا أذهل الألباب دائمه فالله بالوصل يشفيكم ويشفينا
والله يقطع عنق البين عن كثب بطيب وصل فقل بالله آمينا

* * *

وكتب رحمه الله إلى والده الضيا ، رضى الله عنه من « شهارة » فى شهر ربيع الأول سنة ١١٤٤ هـ أربع وأربعين ومائة وألف .

من فلق البحر للكليم ومن ألهم نوحاً لصنعة السفن
ونار نمروذ حين أججها حتى غدت قنة من القنن
تدرك طير السما فتصرعه فهو يراد منه من الدمن
على خليل الإله قد جعلت برداً سلاماً بقوله فكن
وضر أيوب إذ دعاه وقد أصيب منه بأعظم المحن
أجابه ربه وأبدله بأهله مثلهم من السكن
وحبذا حبذا إجابتـــه ليونس فهو منة المنن
من ظلمات البحار أخرجه من بطن حوت من خالدة الدجن
ويوسف من تراه كلاه وقد ألقى فى الجب عارى البدن
وبيع بيع الرقيق مبتذلا شراه قوم بأبخس الثمن
وكيد حتى غدا يسجنهم مرتهنا برهة من الزمن
وصار من بعد ذا وذا ملكا تهدى إليه البرود من عدن
ومن من اليم أخرج الكليم وقد ألقى طفلا لم يغذ باللبن
عاد إلى حجر أمه فغدت قريرة لا تراع بالحزن
رباه من كان قبل يطلبه مبدلا للقبيح بالحسن
وللمسيح اليهود حين غدت تشب نار الفساد والإحن
وأجمعوا قتله فخلصه إلى السما ذو الجلال والمنن
وخاتم الرسل كم أراد به كل النكايات عابدو الوثن

وقاه ما كان من غوائلهم ... لا بسيوف الصباد والختن

برغمهم تم ما أراد به ... من نشره للفروض والسنن

وفتية الكهف حين ألجأهم ... إليه خوف الضلال والفتن

كفاهم كيدهم وخلصهم ... بما حباهم به من الوسن

ياواحداً هذى إغاثته ... أغث غريب الدار والوطن

ناء عن الأهل والصديق وما ... يروق من مسكن ومن سكن

فى شاهق قد علا على زحل ... ينطح أفق السما بالذقن

قد طال فيه الثوى ومل به ... طول ملاقاة منزلى بدنى

جسمى تراه المقيم فى دعة ... وفكرتى فى الرحيل والظعن

أهم فيه بكل آونة ... برحلتى نحو نقطة اليمن

أزال دارى التى نشأت بها ... مصاحبا كل عالم فطن

حيا الحيا ربعها ولا برحت ... يزورها كل هاطل هتن

يا جيرة فى أزال قد نزلوا ... عنكم سؤالى وفيكم شجنى

مازال حسن الرجا يوعدنى ... بقربكم والزمان يمطلنى

أقسم لولا حديث كتبكم ... تلقيه أقلامكم إلى أذنى

ما كان لى بعد بعدكم وطن ... إلا حلول اللحود والكفن

وحسن ظنى مازال يخبرنى ... أنى ملاق بعد النوى وطنى

ويصفو العيش بعد كدرته ... بما جناه البعاد من درن

هذا رجائى إذ أفوز به ... علمت أن الزمان يسعدنى

وقلت عفوا عما أسأت به ... حتى علا الشيب إذ علا ذقنى

أستغفر الله والسلام على ... من فقدهم قد يكاد يفقدنى

مالاح برق الدجا وما صدحت ... ورقاء فى روضها على فنن

* * *

وقال رضي الله عنه ، لما أراد العزم إلى بيت الله الحرام سنة ١١٣١ هـ فعرضت موانع فلما دنت أيام العيد ، تذكر وفود الحجيج إلى البيت وما ينالونه من التفضلات الرحمانية الواسعة ، فقال :

علام يلام القلب إن ظل حيرانا … وفيم يلام الدمع إن سال ألوانا

وقد فارقت عيني قريباً فراقهم … يفرق أفراحاً ويجمع أحزانا

أيا راحلا أفنى فراقك راحتي … وأضرم ما بين الجوانح نيرانا

ألم تعلموا أن الجفا يورث الضنا … وأن الضنا قد يلبس المرء أكفانا

أحباى أما الدمع فهو مواصل … وأما مناي مذ غبتم قد بانا

أما ونسيم قد سرت من دياركم … يلم بقلبي فهو يحييه أحيانا

ويلقى إليه أن ربع ودادكم … لصبكم شيدتم منه أركانا

وأن له ذكراً لديكم مكرراً … وأنكم لم تحدثوا عنه نسيانا

هنيئاً له إن صح ما حدثت به … وإلا فقد سر الحديث ولو مانا

لأنتم إلى قلبي ألذ من المنى … ومذ غبتم ما ذق والله سلوانا

ألم تعلموا أني علقت بحبكم … رضيعاً ومن ثدى الهوى ذقت ألوانا

فقد نبتت في القلب منكم محبة … كما أنبت الغيث الربيعي أغصانا

فاسقوا غصون الحب منكم بزورة … فإن انقطاع الغيث يهلك أفنانا

وقد أينعت أثمار حبي وإنها … ستحصد من نظمي ثناء وإحسانا

فهل ناظر في ينعه متدبر … ليزداد في صدق المحبة إيمانا

ولا تحسبوا أكناف نجد وحاجر … أثارت بقلب الصب وجداً وأشجانا

ولكنه شوق تمبث بالحشا … إلى طيبة طابت مكانا وسكانا

يقود هواها نحوها فلكم سرت … إلى ربعها قوم مشاة وركبانا

وكم مترف في أهله متنعم … يفارق غادات وربعاً وإخوانا

وكم من فقير قد تزود شوقه … وكابد من حر الهوى فيه نيرانا

وكم من عزيز ذل قبل قدومه | إليها فألقى التاج طوعا وإذعانا
وكم من بخيل جاد حباً لقربها | فأنفق أموالا وقرب قربانا
وكم من رفيع القدر عفر خده | بتربتها يجرى مع العيس أحيانا
وكم من ثغور لثمها غير ممكن | تحاول من لثم الجدارات إمكانا
وكم طائف حول الفنا متخشع | يقبل أحجاراً ويلمس أركانا
ومن فاته منها الدنو فإنه | يولى إليها وجهه حيثما كانا
وكم من فتى أمسى يكابد شوقه | إليها ولم يطرق له النوم أجفانا
وكم بت أشكو حر شوق بأضلعى | كمن بات يشكو فى المضاجع سهرانا
أواعد نفسى كل عام بقربها | وأطمعها فى ذاك سراً وإعلانا
ولكن ذنوبى أحرمتنى ورودها | وكنت إلى تلك المواقف ظمآنا
وقلب غدا من جهله وغروره | وغفلته من عاجل الأمر ملآنا
عجيب له كيف ادعى الحب كاذباً | وأبرز فى ضد الذى قال برهانا
ولو كان فيما يدعيه مبرهنـــا | لفارق أحباباً كراماً وأوطانا
هنيئاً لِسَفْرٍ قد أناخوا بسوحهـــا | أراحوا قلوباً للقاء وأبدانا
ووافوا إليها خالعين ثيـــابهم | لكى يغسلوا من موجب الذنب أدرانا
وقد قاموا شعثاً وغبراً ليكرموا | فإن انكسار القلب يعقب سلوانا
وطوبى لهم إذ فى مِنًى أدركوا المنى | وفى الخَيْفِ قد نالوا أماناً ورضوانا
وفى عرفات نالوا الشرف الذى | به أضحت الدنيا تزاحم كيوانا
يباهى بهم رب السماء جنوده | فأعظم به فخراً وأكرم به شانا
ألاهل إلى أكنافها لى عودة | ليصحو قلب من معاصيه سكرانا
وتبدل أثواب المعاصى بضدهـا | فتخلع أدراناً وتلبس أردانا
وتشرق أنوار الهداية عنده | فيمسى مجبوراً هنالك جذلانا

فيا راكباً أنضى إليها ركابه   وأضنى رفاقاً فى سراه وأعوانا
إذا ما حططت الرحل فى عرصاتها   وأقراك رب البيت عفواً وغفرانا
فعرض بذكرى عند ذاك وقل لهم   أسير الخطايا أطلقوه وإن خانا
ومنوا عليه بالرضا وتجاوزوا   وإن ملأ الدنيا ذنوباً وعصيانا
فإحسانكم عم الأنام بأسرهم   ولولاكم ما كان فى الكون ما كانا
ووصف نداكم يخرس اللسن الذى   يزاحم فى نظم الدقائق حسانا
ووصفكم قد أدهش اللب شأوه   ولو كنت فى باب البلاغة سحبانا
لقد آن أن يثنى يراعى عنانه   قصوراً عن الشأو الرفيع اقدآنا

* * *

وقال رضى الله عنه :

لله لا غير جميع الثنا   وكل حمد يستطيع اللسان
أبلغنى سن الثمانين من   عمرى ولم يحوج إلى ترجمان
ولا إلى مبصرة عند أن   أقرأ دقيق الخط فى أى آن
فى ظلمة الليل وشمس الضحى   سيان هذا بكل الأوان
أخاف من تقصير شكرى لما   أولاه فضلاً فالأمان الأمان

* * *

وقال تغمده الله برحمته مقتبسا :

وخليل رأى من الناس جمعا   لا يزالون فى الهوى خائضينا
قال هلا نبهتهم عن هواهم   قلت ذرهم فى خوضهم يلعبونا

* * *

وله رضي الله عنه مقتبساً :

أقول لمن طال شكواهم ومن جور عمالهم يصرخونا
دعوا ما أراه ولا تجزعوا فعما قريب ترون اليقينا
فما ظلموكم بمـــا نالـكم ولـكن أنفسهم يظلمونا

* * *

وقال رفع الله مقامه :

إن ناب خطب أوعرا حادث فثم قريباً غير محزون
وناد مولاك الذي أمره يكون بين الـكاف والنون
هل غير رب العرش سبحانه أخرج ذا النون من النون

* * *

وقال بل الله بوابل الرحمة ثراه مكاتباً للمولى العلامة السيد المحقق الفهامة هاشم ابن يحيى الشامي رحمه الله إلى بعض متنزهات صنعا في أيام الخريف :

غنت الورق فوق غصن البان فأثارت أشجان صب عاني
طوقت جيدها وخضبت الكـ ف بقلبي ودمع عيني القاني
ونسيم الصبا تلاعب في الرو ض فمنها تلاعب الأغصان
وترى الزهر ضاحكا بنظر السحـ ب فيبكي عليه بالأمزان
فكأن السحاب تبكي أليفاً قد تناءى وزاد في الهجران
فهي غضبى على زمان جفاها فلهذا تسل سيفاً يماني
عجباً للزمان ما زال يسعى بارتكاب الضلال والعدوان
كم سعى بالتفريق بين الأحبا ء ويبقى وبين فخر الزمان
هاشم من غدا هو الفرد حقاً في بني هاشم فهل من ثاني

يا فريد الأوان قد طال شوقى ... فلهذا عاينت فيك المعانى
سكن القلب فهو مأواك إن كنـ ... ـت تراعى له ذمام المكان
بجواب يطوى الجوى عن جنانى ... لتنالوا به رفيع الجنان
لك فضل على الأنام بعلم ... وذكاء تدعى إياس الزمان
تخرس السعد إن نطقت ولا ينـ ... ـطق عن علمك الجرجانى
ونظام به امحى ذكر أبى الطيـ ... ـب أبى الحسين والأرجانى
وسلام عليك ما أسقط الريـ ... ـح إذا هب أدمع الأغصان

* * *

وطلب رحمه الله من السيد العلامة الزاهد يوسف بن الحسين بن أحمد زباره رحمه الله عارية سنن أبى دواد فأرسل إليه بالجزء الأول منه وملكه إياه وذكر أنه لم يكن فى ملكه سواه فكتب إليه البدر رضى الله عنه :

أثقلتنى يا ضياء الدين بالمنن ... وجدت فى سنن المعروف بالسنن
جاوزت فى الجود حداً لم نجد أحداً ... قد جاز ما جزته فى سالف الزمن
طلبت عارية منكم فجدت بها ... ملكا فمن ملكت الروح بالبدن
ما هكذا قد عرفنا قبلكم أحداً ... ممن عرفناهم فى الشام واليمن
والجود فى العبد فضل الله يرزقه ... من شاءه فله التفضيل بالمنن
دامت عليك تحياتى مكررة ... تدوم مثل دوام الفرض والسنن

* * *

ووقع بين العلامة المولى الحسن بن إسحق والمولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق ووالده وإخوانهم رحمهم الله المراجعة بكؤوس النظام في المفاضلة بين ريحانات أهديت مطيبة ممسكة وحكم في المفاضلة بينها أعلامهم وطال النزاع ورفع ذلك إلى حضرة نور حدقة الوجود مولانا البدر رضى الله عنه وهو في حصن شهارة فما وقف على تلك الرياض الزاهرة واستجلى بدور تلك المفاخرة قال :

قد رأينا ما دار في الريحان　　من نظام حكى عقود الجمان

وسمعنا منه المثانى وما سر　　ت بسمعى من قبلها والمثانى

واعتصرنا منه الحميا وما خلـ　　ت الحميا قد عتقت من معانى

وأرى حبره أديف بمسك　　ويراع التحبير من ريحان

فلقد فاح منه نشر أريج　　منه قد ضمخت ربوع المغانى

ضاع إذ ضاع نشره ما عرفنا　　لبديع الزمان والأرجانى

وحمدنا زماننا إذ أرانا　　من ذممنا من بعده الهمدانى

وقرأنا السؤال ثم جواباً　　وجواباً على الجواب الثانى

كل شخص قد صير الدر شعراً　　ما علمنا دراً يعود معانى

كان قلب الأعيان معنى محالا　　مايرى داخلا إلى الإمكان

أخصصتم بما أرى أم لديكم　　جاز قلب الأعيان للأعيان

غير أن الحكام يأنبت الله　　قواهم عن سرعة العجلان

فوتوا للأحكام شرطاً وقالوا　　صح ذا عندنا بغير توان

ماأراكم عن غائب قد نصبتم　　وهو شرط بواضح البرهان

وقبلتم شهادة الغصن والطيـ　　ـب وفى الغصن عندنا قادحان

إنه لايزال يرقص فى الرو　　ض اشتياقاً إلى خدود الغوانى

وإذا صار للخدود ضجيعاً　　مـدفاه إلى ثغور الجمان

وإننا فى شهادة الطيب قدح　　قد كفينا بالقدح فى الأغصان

وعلى كل حالة فأرى الحكـ   ـم عليـه مدعثر الأركان

واعتلال الأحكام مافيه عيب   فالخطا جائز على الإنسان

قد حكى الله ماجرى لسليما   ن وداوود فى فصيح المثانى

وعن المصطفى عفا الله قدقا   ل تعالى فى محكم القرآن

فأصلحوا ذات بينكم ودعونا   من خصام كمضرم النيران

أو أعيدوا الشجار ثم أعدوا   جيد الطيب جيد الريحان

وابعثوا نحونا بهذا وبهذا   وأمهلونا حينا من الأحيان

ربما تجمع المزكين للأغـ   ـصان من كل جانب ومكان

ثم يأتى حكم صحيح اليكم   قد أقرت بحكمه الثقلان

وصله قاطع لكل شجار   نفذته الحكام فى الديوان

وعليه تجرى خطوط الأساطيـ   ـن ويزهو بسنية السلطان

* * *

وكان قد كتب رحمه الله عند وقوفه على نظام أولئك الأعيان فى النزاع فى المفاضلة بين الريحان ما لفظه :

وصلت الورقة الوريقة ومافيها ، فأدارت على كؤوس معانيها ، فلم أدر ما أقول ، غير أنه كتب قلم الفضول .

وقفت على ريحان القريض ، واستنشقت أريج ما فيه من التقريض ، فرأيت على أوراقه ورق المعانى ، وسمعت منها بلابل ألفاظه معربة عن ألحان المثالث والمثانى ،

فما هو إلا كلام مفرد قد جمع الأساليب ، وقول جزل قد ركب متون الأعاجيب ،

قد أقسم الريحان أنه قد فضل بذلك المنظوم ، على المنثور والياسمين . وأنها ما احمرت خدود الورد إلا حياء من زهور البساتين .

وأنها ما ابيضت أوراق الزنبق إلا طمعاً أن تكون كاغداً لرقم تلك الأشعار ، ولا اسود لون المسك إلا رجاء أن يكون حبراً لما حبرته الأحبار .

ولاشابه ساق النرجس الأقلام ، إلا تعرضا منه أن يكون لرقه من جملة الأقلام في يد الأعلام .

وأنه لو عرف النعمان عرف تلك الرقائق ، لحمى الريحان عوضاً عن الشقائق .

وأنها ما أطرقت عيون النرجس إلا غيرة من ذلك ، لا لما توهمه القائل :

* * *

خليل ما للنرجس الغض قد أغضا أأطرق سهواً أم لفرط الحيا غضا

فإنه قد فاته ماذكرناه من الوجه الصبيح ، ولعمر الأزهار ، لقد مررت بالناغية وهي محزونة ، وهي المسماة أم الأفراح ، وقد ابتسمت منها في الرياض ثغور الأقاح .

ومن هنا علمت أن ما ازرق لون البنفسج إلا غيظا من لبس تلك الأغصان الريحانية ، لتلك الحلل العبقرية ، والبرود الخسروانية .

ولقد رأيت مقل الأزهار بالدموع مبلولة ، ويظن الجاهل أنها من بقية رذاذ الليل مطلولة .

وما تعانقت الأغصان في البساتين ، بعضها على بعض إلا لما قيل في الرياحين ، قائلة : لقد برمن قال قسماً بالبيت لو يقرع طن ، وأنه أقسم على يقين ، لا على شك ، ولا على ظن .

ولقد فهم من هديل الحمام أنها ما غنت إلا بمديح ذلك النظام ، جاعلة للختام في النشيد ، ما هو للأشعار بيت القصيد :

إن النظام وحسن جودته لمواهب من مالك الملك

* * *

قافية الهاء

كتب المولى العلامة الحسن بن إسحق رحمهما الله إلى الوالد البدر رضي الله عنه سائلا بقوله :

لو شاء أبو الحسنين أن لا يقتلوا　　عثمان ذو النورين ما قتلوه

لكن عليٌّ لم يشأ عدم الذي　　من غير إذن منه قد فعلوه

إن قلتم هل شاء قتلهم له　　أم لا أقل لا علم لي فسلوه

إن قيل قولك أولا لو شاء ما　　قتلوه مظلوماً ولا هتكوه

أضحت نتيجته لكن شاء ما　　فعلوا فنالوا منه ما قصدوه

فجوابه هذا مغالطة فما　　في مثل ذلك يحسن التمويه

فلأنت مستثن لعين مقدم　　مستنتج لنقيض ما يتلوه

والخلف في ذا ظاهر واسأل به　　علماء ميزان لنا وضعوه

والحق ما أنصفت ما أمليه من　　تقريرهم فأصخ لما نقلوه

مدلول «لو» نفي الثبوت وعكسه　　لغة وسل عنه الألى حفظوه

والبيت إن أجريته يوماً على　　قانون منطقهم فلا تعدوه

فارفع تال منه كن مستثنيا　　ينتج نقيض مقدم نقلوه

ومثاله لكنهم قتلوه فإن　　تنفت المشيئة هكذا ذكروه

من أين دلت «لو» على ما تدعي　　من أنه قد شاء ما فعلوه

إن قلت دلت بالقرائن قلت لا　　أنفي ولكن غير ما طلبوه

ويؤيد القول الذي قلنا به　　خبر لصنو المصطفى نقلوه

ما إن رضيت ولا كرهت وإنه　　قطعاً بغير الحق ليس يقوه

إن كنت قد سلمت واستسلمت إذ　　فقد قام الدليل لك ما رجوه

أو قلت لا فاختر إماماً عالماً　　أهل العلوم بمصرنا تفقوه

واسأله عما خلته مستشكلا　　فلعل نور علومه يجليه

هاك السؤال أمامنا فأحط به علماً وراجع كلّما وضعوه
من علم نحو والبيان ومنطق وأصول فقه نلت ماترجوه

* * *

فأجاب الوالد البدر رضى الله عنه :

لافض من رب القوافى فوه وأناله مولاه مايرجوه
فلقد أتانا منه نظم رائق فى قوله لو شاء ماقتلوه
لله درك لم تزل مترقياً فى العلم كل محقق تعلوه
لكن أراك إلى التعصب مائلا إن التعصب فى الهدى مكروه
لاغرو هذا دأب أبناء الورى إن جئتهم بالحق ماقبلوه
عجبت حين فرضت فى عثمان أن لو شاء أبو الحسنين ماقتلوه
إن كان هذا منك شيئاً قلته فالفرض فى الألفاظ قد دفعوه
أو كان هذا عن علىٍّ قلته فأبِن لنا سند الذى نقلوه
مالوصى هناك قط مشيئة فى ذا الذى فعلوه أو تركوه
بل شاء أن لايقتلوه لو درى قطعاً بأن سيوفهم تعلوه
هو قاعد فى ينبع متبتل كلف بقول إلهه يتلوه
إن قلت هذا منه خذلان له قلنا الصحابة مثله خذلوه
إن قلت هذا مشكل من مثلهم قلنا لعل مناصراً فقدوه
فالنصر لايأتى بغير مناصر وبغيره فى الشرع قد منعوه
مع أنه قد أرسل الحسن الرضى لدفاعهم فبجهلهم دفعوه
طالع إذا أحببت صدق مقالتى ماقاله الذهبى ومايقفوه
هذا وأما قولكم إن قيل قو لك أولا لوشاء ماقتلوه
وإلى انتهاء مقالة نمقتموه أعنى ولكن غير ماطلبوه
فلقد سكتت على دلو مقالهم وأنا أوهمهم متى عرفوه

أبعثت لى نظماً عمرت بيوته وملأتهن بعين ما موهوه
وجعلته حقاً إذ أنا منصف وأمرتنى بأصخ لما نقلوه
عجباً لمثلك أن يرد مقالتى بعقالهم تبعاً لما خبطـوه
ونقلت المولى الوصى مقالة فى مثلها يتعذر التوجيه
ما إن رضيت ولا كرهت وإنه لتناقض أقبلت ما قالوه
والحال أن العقل يكذب قولهم حاشا الوصى بمثل ذاك يفوه
أرضيت ينسب للوصى بأنه لم يكره الأمر الذى فعلوه
أجهلتم أن الموالاة التى وجبت ترد صريح ما قالوه
أم عندكم عثمان أضحى قتله شيئاً مباحاً إن ذا تمويه
راجع فدتك النفس ما لفقته واحـــذر مجازفة لما يرموه
فالعفو يفتقه اللبيب بسرعة ويعود بالخلل الذى رتقوه
وطلبتم منى اختيار محقق أهل العلوم بعصرنا تفقوه
من ذا إليه يشار بينه لنا هيهات أهل العلم قد دفنوه
ما غـير مولانا الذى بذكائه إن حل مظلم مشكل يجلوه
فهو المراد لـكل بحث مشكل فإذا جهلتم مشـكلاً فسلوه
هو بحر تحقيق فإن أظما كم بحث فقوموا نحوه وردوه
لا زلتما تحرى ندى ومعارف منكم ينال المرء ما يرجوه

٭ ٭ ٭

وقال رضى الله عنه فى أسرار كلمة التقوى:

العلم فى قول لا إله إلا الله فأخلص وقل لا إله إلا الله
تظفر بما شئت إن نطقت بها فالخير فى قول لا إله إلا الله
كل من الأنبياء مطلبه من قومه لا إله إلا الله
يحقن دم الـكافرين قولهم إن وفقوا لا إله إلا الله

ويعصم المال والبنين معاً | بقولهم لا إله إلا الله
يفتح باب السماء إذا صعدت | من قائل لا إله إلا الله
تهدم كل الذنوب إن رفعت | لقائل لا إله إلا الله
يغسل ما في القلوب من درن | بقولنا لا إله إلا الله
وتطمئن القلوب إن ذكرت | من قائل لا إله إلا الله
طهرة ألسننا إذا لغوت بها | بقولنا لا إله إلا الله
دواء داء الذنوب أجمعها | في قولنا لا إله إلا الله
ما يجلو الهموم والكروب سوى | مقالنا لا إله إلا الله
حصن الإله المنيع ليس سوى | مقالنا لا إله إلا الله
طاشت سجلات كل معصية | إن قابلت لا إله إلا الله
يأمن من كل آفة أبداً | من كان في حصن لا إله إلا الله
بطاقة قد أتت محررة | في طيها لا إله إلا الله
ومن يكن آخر المقال له | في هذه الدار لا إله إلا الله
يدخل دار السلام يوم غد | بقوله لا إله إلا الله
ولقنوا من إلى الممات غدا | مرتحلاً لا إله إلا الله
بكل هذا أتى الحديث لنا | في فضل من قال لا إله إلا الله
يا رب واختم لنا مقالتنا | بقولنا لا إله إلا الله
واجعل ختام المقال عند ختا | م العمر إخلاص لا إله إلا الله
ثم على من دعى الأنام إلى | مقالهم لا إله إلا الله
أزكى صلاة مع السلام فكن | مصلياً بعد لا إله إلا الله
والآل والصحب من سيوفهم | قد أثمرت لا إله إلا الله
لولا سيوف الألى ما سُمعت | من كافر لا إله إلا الله

وقال رحمه الله هذه نفثة مصدور ، وكلمة صادرة عن قلب من ضياع الشريعة محرور وفيها تفاؤل بمن يقوم بالدين ، ويحيي شريعة سيد المرسلين ، وفيها إيقاظ للهمم لو كانت نائمة ، ولكنها ميتة ، لا ترجى لها قائمة ، والجهاد باللسان أحد الأقسام ، نسأل الله قبول الأعمال وحسن الختام .

شكت بلسان الحال طول جفاها ... ونادت ولكن من يجيب نداها

مشردة يلهو بها غير كفوها ... ويمنعها عن أهلها وحماها

وينكحها لا عن وليّ وشاهد ... على أنه كره بغير رضاها

لقد ظلمت إذ صار يلثم ظلمها[1] ... فتى ليس أهلاً أن يريد هواها

وكم من خطير كان أهلاً لوصلها ... وكان جديراً أن يقبل فاها

يُصَدُّ لها مذ شب خير صداقها ... ويمنع عينيه لذيذ كراها

فيا غادة قد نالها من يسوؤها ... وطال عليها كربها وعداها

إذا أفلتت من كف مختلس لها ... تلقفها لص يطيل جفاها

سينقذها من بعد ذلك ماجد ... تسامى إلى نيل العلى فسماها

همام سيجلو عارها بحسامه ... ويلبسها من بعد ذاك حلاها

فتى همه التقوى وهمة نفسه ... أناخت على مريخها وسماها

فتى قد جنى من كل فن ثماره ... وحاز من العليا رفيع ذراها

قريب إلى أهل الشريعة والتقى ... بعيد لمن يهدى بغير هداها

عفيف عن الأموال إلا بحقها ... يرى زهرة الدنيا تطير هباها

يحف به قوم على كل سابح ... تعد المنايا في الحروب مناها

إذا الأرض من نقع المعارك أظلمت ... تراهم وقد أبدوا نجوم دجاها

ولا جمعوا مالاً ولا كسبوا لهم ... قصوراً ولا باهوا برفع بناها

وما ادخروا إلا حساماً وذابلاً ... ومهراً يبارى الريح عند سراها

وما قصدوا من سفكهم لدم العِدَى ... وتطويقهم بالسيف بيض طلاها

---

(١) قوله : ظلمها ، هكذا في الأصل ولعل الصواب « خدها » أو « فمها » .

سوى أنهم يحبون شرعة أحمد ... وينفون عنها داءها بدوائها

سيغسل عنها السيف أدران بدعة ... فيشرق في الآفاق نور سناها

وتنفذ في الطاغي سهام قِسيّها ... فويل لمن يهدى بغير هداها

فيا من لهم في الدين أقصر همة ... ثكلتكم كم بالمنى تلاها

نرى كل يوم منكرات فظيعة ... فنعرض لا ننهى ولا نتناها

وما المرء إلا من على كل ظالم ... أدار من الحرب الضروس رحاها

وأوردهم حوض المنون بسيفه ... وضيق عنهم أرضها وسماها

تعالوا بنا نحيي رياضاً من العلى ... ذوت إن أحييتم لذيذ جناها

وهبوا فقد طال المنام عن العلى ... وقد سخنت عين تطيل كراها

وفكوا عن الأفكار قياد شغلها ... لتسبح في عمرانها وفلاها

نرى عبراً في طي كل دقيقة ... تزهدها عن شغلها بهواها

كفانا بأحوال المواهب عبرة ... ألم نر فيها بؤسها ورخاها

ألم نرها مملوءة بملوكها ... يضيق بهم منها رحيب فضاها

فما هي قفر ما بها غير بومها ... يجاوبها إن صاح صوت صداها

خليلي إن لم تأخذا بروايتي ... فعوجا على أرجائها وسلاها[1]

تخبركما عمن بني غرفاتها ... وفارقها من بعده وسلاها

وما مات حتى ذاق سوء صنيعه ... وأصلى من نار الحروب لظاها

ووصف الذي قد كان تحصيل حاصل ... فكل رآها جهرة ورواها

سيلحقه من يقتدي بفعاله ... فعما قريب فهو من قتلاها

فما الله عما تعملون بغافل ... ولكن قضى أن الأمور مداها

ففي الذكر أخبار بسوء مآلهم ... وقد ضمنت طس[2] منه وطه[3]

---

(١) من السؤال .

(٢) وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

(٣) وقد خاب من حمل ظلما .

بعيشكما رُدَّا سلامي على امرئٍ　　على شرعة المختار رد رواها

＊ ＊ ＊

وكتب رضي الله عنه إلى والده رحمه الله من شهارة سنة ١١٤٣ هـ وأرسلها إلى صنعا

منعت عن مقلة الصب كراها　　غربة لم ماذا انتهـــاها

كلما قلنا عساها تنتهي　　قالت الأيام هـذا ابتداها

ساعدتني وأجادت مقلتي　　بالبـكا دهراً فلم يغن بكاها

ثم أثنى دمعها طول النوى　　وهـــو بحر زاخر لا يتناها

ياخليلي فهل عنـــدكما　　مقلة تبكي ومن عيني شجاها

أي عين بالبـكا تسعدني　　وتواسي أحسن الله جزاها

يارفاقا بـ «أزال» سكنوا　　هل أراكم بعد هذا وأراها

أنا يعقوب وأنتم يوسف　　وهي مصر فمتى تدنو حماها

يالهـــا من بلدة طيبة　　ولكم طاب إلى قلبي هواها

مابتلك الدار قلبي مغرم　　أو بمن حل من القيد رباها

مالنفسي أرب في غيركم　　قربكم طول المدى أقصى مناها

قسما لولا ضياء الدين ما　　خطرت يوماً على قلبي ذراها

فهو روحي عجبا مني وقد　　غبت ماالموجب للنفس بقاها

ليس إلا حسن ظني أنه　　سوف يجلو الوصل من عيني غشاها

وأرى غرته في نعمـــة　　أملأ الأجفان من نور سناها

أي عين بيننا قد فرقت　　عجل الله تعـــالى بعماها

ياضياء الدين هل من دعوة　　تكشف الكرب إذا الكرب تناها

كم لكم من دعـــوة نافعة　　كشفت عن كل نفس ماعراها

ولها تفتح أبواب السما　　وبقول الرب سمعاً لنداها

وأرى جسم الهدى قد حله ... علة قـــد أعجز الخلق دواها
عمت الأبدان حتى لاأرى ... أحداً إلا ويشكو من أذاها
آه منها كل شخص قائل ... آه لو يغنى عن العلة آها
إن تطل لاقدر الله فما ... بعده إلا توارى فى ثراها
مالها غير طبيب واحد ... منه لامن غيره كشف بلاها
وبجاه المصطفى من هاشم ... أعظم العالم عند الله جاها
صلوات الله تغشاه بلا ... غاية تبلغ مقدار مداها
وعلى الآل مصابيح الهدى ... آل يس من الخلق وطه

* * *

ولما اطلع عليها القاضى العلامة إسماعيل بن محمد العبدى رحمه الله كتب إلى الوالد البدر أبياتا على وزنها فأجاب البدر رضى الله عنه .

كلمات منكم طيب شذاها ... عطر عطر من دارى رباها
ليت شعرى أنظام رائق ... أم مدام كان من رق أتاها
أم هو الزهر أم الزهر أفد ... أم رياض قد دنا وقت جناها
قسما ياغاية السول بها ... ما الفصول اللؤلؤيات سواها
قد أجازت بالدرارى كلما ... وأجادت أحسن الله جزاها
حبذاها كلمات بشرت ... بلقا أحباب قلبى حبذاها
وأتت صادقة فى فالها ... باجتماع لايغض الله فاها
كيف لايصدق فال من فتى ... صار فى أفق العلى بدر سماها
بحر آداب وعلم فلقد ... حاز من عين المعانى منتهاها
وتقى زين زهداً فى الدنا ... ووداد كامل فى آل طه

* * *

وكتب رضي الله عنه إلى الشيخ العلامة زين العابدين بن سعيد المنوفي رحمه الله وإلى أعيان من الإخوان في مكة المشرفة والمدينة المنورة وأرسلها من شبارة في شهر شوال سنة ١١٤٣ هجرية ثلاث وأربعين ومائة بعد الألف.

مهجة طول التنائي قد براها ... ترتجي ما تبتغي ممن براها

وتناديه تعالى إنه ... كرمًا قد طالما لبى نداها

كل خير منه لا من غيره ... فسواه لا يرجى لسواها

لست أرجو غيره يبلغني ... طيبة الفيحاء إذ طاب فناها

بالرسول المصطفى من هاشم ... أرفع العالم عند الله جاها

صلوات الله تغشاه بلا ... غاية تبلغ فيها منتهاها

وعلى الآل مصابيح الدجى ... وعلى الأصحاب أعلام هداها

وإلى الإخوان من سكانها ... من أقاموا بين أحد وقباها

من سلامي ما إليهم ينتهي ... وعليهم دائمًا لا يتناهى

من بهم هوج المطايا وخدت ... وطوت للبيد منشور فضاها

بأبي روحي تلكم العيس التي ... كم بدا سدت إلى الركب يداها

لم تزل تطوي الفيافي وإلى ... عرفات منتهى من قد طواها

حبذاها بقصد طيبة ... يلتقي الوفاد فيها حبذاها

وبهم شدت وغير وبهم ... ربنا سبحانه الأملاك باها

وأفاضوا بعد أن قضوا بها ... واجبات ربنا كان قضاها

وإلى جمع[1] سرى جمعهم ... وبها جمع الصلاتين عشاها

وعلى المشعر مروا ودعوا ... وبلبيك وسعديك دعاها

وغدوا بالسفح من شعب منى ... وبه الأنفس قد نالت مناها

بأبي روحي ذاك السفح الذي ... سفحت فيه من البدن دماها

حلقوا فاقصروا في رميهم ... جمرات قد أصيبت بحصاها

---

(١) أي: المزدلفة.

وإلى مكة شدوا رحلهم　　بلدة لا تختلى منها خلاها
بلد لا يفزع الطير بها　　ويطير القلب شوقاً للقاها
عظم الله تعالى شأنها　　ودعى الخلق إلى قصد رباها
فهى مغناطيس ألباب الورى　　جذبت كل فؤاد بهواها
فسعيد من على أحداقه　　كان ممشاه إلى عالى ذراها
ليت شعرى ماالذى خلفنى　　عن رفاق نحوها طاب سراها
كتب الله تعالى أجرها　　ومحا عنها الخطايا بخطاها
ما اكتحلت النوم من بعدهم　　ليتنى كحلت عينى بثراها
عاقنى ذنب هو الداء وما　　فى سوى مكة للنفس دواها
فعسى الإخوان من سكانها　　أن يمدوا بالدعا حول فناها
أى كف بالدعا تسعدنى　　وتواسى أحسن الله جزاها
فاذكرونا مثل ذكرانا لكم　　إن ذكراكم إلى النفس غذاها
وأخص الزين من زان العلى　　قرة الأجفان بل نور ضياها
فهو مقصود قصيدى وإلى　　قصده مدت إلى الشام مداها
من له فى مهجتى منزلة　　غيره ماحام من حول حماها
حاز آدابا وعلماً وله　　خلق ماالروض مازهر رباها
جامع كل صفات للعلى　　فهو فى جيد العلى عقد حلاها
لم يزل فى كل حين يرتقى　　رتب المجد فقد نال علاها
وكفاه أنه فى حرم　　حله أشرف خلق الله طه
فى جوار القبر والروضة فى　　مهبط الذكرى وأنوار بهاها
دام فيها رافلا فى نعم　　ناشراً للخلق أعلام هداها
وإليكم كلماً من فكرة　　أضعف البين من النظم قواها
كنت أرجو أن نفسى تستشق　　بأحاديث اللقا منك شفاها

وأرى الأقدار لم تسعدنى ... وعسى تسعدنى بعد عساها
وأجز نظمى بنظم إن فى ... نظمك العذب لنفسى مشتهاها
وتحيات على سوحكم ... تعبق الألوان من طيب شذاها

* * *

وكتب رضى الله عنه عند وقوفه على ترجمة وله :

هذى الطريقة ليت شعرى ماهى ... فلقد أتت بنفائس ودواهى
حيناً بوعظ للقلوب مذكر ... فيه الدوا لداء قلب ساهى
أتلوه أحياناً بذكر تراجم ... لجماعة ليسوا من الأشباه
من ثوى فى الصالحية أو ثوى ... فى طيبة ياحبذا هى ماهى
وجماعة حلوا ببلدتنا التى ... هى مجمع الأضداد والأشباه
وترائه من كل فن نتفة ... لاتروى الظمآن والمتناهى
فن التصوف نتفة مقطوعة ... ليست تفيــد فما لها من جاه
وترى من التفسير والتأويل والتشريح ما لايرتضيه الناهى
وبه مسائل ليس مرسمها هنا ... قد شبهت فى تلك بالتوراه
هذى مرقعة علينا رقعت ... فالآن ألبسها بلا أشبــاه
إذ وضعها فى الأصل ترجمتى وما ... ألفت من كتب بفضل إلهى
لكن تجاوز ما أراد وجاءنا ... بمباحث بلهو بين الملاهى
فتضيع ترجمتى وما ألفته ... كضياع عمري فى ارتكاب مناهى
آه على عمرى الذى ضيعتــه ... وأتيت فى أيامه بدواهى
أبنىّ إنى ناصح لكن لاتكن ... كأبيك عن أخراه كالمتلاهى
مالى والدنيا فإن نعيمها ... فان وإن زمانها متناهى
يارب عفواً فالذنوب عظيمة ... والخطب أعظم فى القلوب سواهى
فاغفر ولاطف وارحم العبد الذى ... مازال يرجو من عظيم الجاه

خير الأنام شفاعة لمحمد — من لم يكن لهواه يوماً ناهى
ثم الصلاة على الرسول وآله — ما دارت الألفاظ فى الأفواه

* * *

وقال رضى الله عنه مجيباً على الوالد العلامة القاسم بن يحي الأمير رحمه الله فى جمادى الأول سنة ١١٨١ هـ :

أهلا بها بنت فكر طال مسراها — إلى الرياض فأحياها محياها
وافت ونار اشتياقى تلهبهـا — إلى لقاها فيابشرى بلقياها
ما كنت أحسب أن الدهر يسعدنى — بقربها ويساعدنى بمرآها
ياحبذا روضة غناء من أدب — نهر البلاغة أسقاها وأرواها
ولم يزل يتمشى فى حوائطها — فالفظها طيب فيه ومعناها
لقد أغاضت رياض الكرم حين أتت — وقد سقتها سماء اللطف أمواها
وإنما الكرم للأشياخ فاكهة — وهذه الروح للأرواح أقواها
أدر كؤوس نظام كله نخب — كادت تمد له الأرواح أفواها
شنف بها كل سمع واتمكن حذرا — من أن تعربد سكراً من حمياها
بجل العباد أتانا منك نظم على — علا على ذروة العلياء أعلاها
نظم تجل عن التشبيه رتبته — وبكو شعر رأينا منه أشباها
شابهت أسلافك الذين رقوا — من الفضائل أعلاها وأسناها
لازلت ياعلم الأعلام قادتهم — فى منهج الحق تقفو المصطفى طه
فدع وودع سوى أقوال قدوتنا — أعلى العباد لدى خلاقهم جاها
صلى الإله عليه كل آونة — والآل أعيان أدناها وأقصاها

* * *

وقال رحمه الله مجيباً على الفقيه الصالح محسن بن نصر الجرمي رحمه الله بعد وصول كتاب منه من مدينة حلب :

سلام على تلك الديار وأهلها ... ديار بعين القلب صرت أراها
لئن بعدت عنا وشط بها النوى ... فما شط عن قلب المحب هواها
فما لذ لي شيء سوى ذكرها ولا ... تلاك قلبي المستهام سواها
سقى حلب الشهباء كل سحابة ... تحل على الروض الأريض مياها
سقى ساكنيها من أولى العلم والهدى ... وكل تقى حل فى سوح فناها
سحائب تسليمى وأشتى تحيتى ... إلى سوحهم تنحى ولا تتناها
ففيهم زكى صادق الود والإخا ... إذا نسبوا العليا كان أباها
فيا محسن أحسنت فيما قصدته ... وبلغت منك النفس فوق مناها
عن اليمن الميمون سافرت قاصداً ... لنيل المعالى بعد نلت علاها
ولم ترض مصر المقام بسوحها ... وعرجت عنها طالباً لسواها
ولاقيت كل العارفين بسفحها ... وكل كريم ساكن برباها
فما الناس إلا أهلها لا سواهم ... وما الأرض إلا أرضهم وثراها
فأبلغهم عنى سلاماً مضاعفاً ... سرى من ربى صنعا بطيب شذاها
تزورهم فى كل يوم وليلة ... وتشرق منها أرضها وسماها
وتزهو بها الشهبا على كل بلدة ... ويظهر منه نورها وسناها

* * *

وقال أنزله الله الفردوس آمين :

قيل إن الذباب لم يقرب الخـ ... ـثار يوماً كلا ولا داناه
وعجيب هذا وذوو الذوق قالوا ... كل حلو فى الكون دون حلاه

* * *

وكتب رضي الله عنه إلى والده العلامة الزاهد إسماعيل بن صلاح الأمير قدس الله روحه من حصن الظفير في سفره إلى بيت الله الحرام سنة ١١٣٢ هـ اثنين وثلاثين ومائة وألف :

أبثك أنى ما وجدت مشقة ... ولم أرق الأسفار ما كنت أخشاه
ومن ركب الأشواق لم يرتشقه ... وإن عطبت في كل نجد مطاياه
ومن كان ذكر الله زاد رحيله ... كفاه عن الزاد الحجازي وأغناه
ومن كان بيت الله غاية همه ... فطوبى له إن نال ما يتمناه
فياليت شعرى هل أنادي محرماً ... بلبيك رباً ليس يغفر إلا هو
وهل لى إلى البيت العتيق وركنه ... طواف وتقبيل ومسح محياه
وفي عرفات هل أرانى واقفاً ... كذى صخرات فاز من كان مأواه
وهل يقبل الرحمن حجى قائلا ... سمحنا عن العبد المسيء خطاياه
فجودوا علينا بالدعاء تفضلا ... وقولوا أسير الشوق في حفظ مولاه

* * *

وقال رضي الله عنه في ختم إجازة للشيخ العلامة ناصر بن الحسين المحشي وأخيه العلامة إبراهيم بن الحسين رحمهم الله ثم ختم بها عدة إجازات :

أجزتكما يا أهل ودى روايتى ... لما أنا من علم الحديث أرويه
على ذلك الشرط الذى بين أهله ... وفي شرحنا التوضيح تنقيح ما فيه
فأسند إلينا بالإجازة راوياً ... الخبر الذى منى سمعت سترويه
وإن تروِ عنى ما سمعت فاروه ... بـ «حدثنا» الشيخ المشافه من فيه
كذاك أجزنا مالنا من مؤلف ... إذا كنت تقريه وعنى ترويه
ألا واعلما والعلم أشرف مكسب ... وقد صرتما شمسين في أفق أهليه
بأن أساس العلم تصحيح نية ... وإخلاص ماتخفيه منه وتبديه
وبذلكما منه لما قد عرفتما ... وحققتما من لفظه ومعانيه
مع الصبر في تفهيم من ليس فاهما ... فكم طالب عد الجلى كخافيه

وأوصيكما بالصبر والبر والتقى … فهذا الذى بين الأنام تواصيه

به أمرتنا سورة العصر فاشكروا … لمولاكما ماجاكما من أياديه

وأن تلزما فى الاعتقاد طريقة … لأسلافنا من غير جبر وتشبيه

فمضوا عليها بالنواجذ واصبروا … فقد فرق الناس الكلام بما فيه

ففيه الدواهى القاتلات لأهلها … وكم فيه من داء يعز مداويه

فكم مقصد تحوى المقاصد مظلم … وكم موقف تحوى المواقف تخزيه

كذلك الغايات غايات بحثها … شكوك بلا شك ومن غير تمويه

فياحبذا القرآن كم من أدلة … حواها لتوحيد وعدل وتنزيه

فما كان فى عهد الرسول وصحبه … سواه دليلا قاهراً لأعاديه

فلا تأخـــذا إلا مقالته التى … تنادى إلى دار النعيم دواعيه

عسانا نلبى من دعانا إلى الهدى … ننل غداً من ربنا ما نرجيه

وما خالفاه مشكلا متشابهاً … فقولا وكلناه إلى علم باريه

وقف عند لفظ الله والراسخون قل … هو المبتدا ما بعده خبر فيه

وعندى فى ذا فوق عشرين حجة … ولا يستطيع النظم حصر معانيه

فقد ضل بالتأويل قوم جهالة … ويعرف ذا النقاد من غير تنبيه

فعطل أقوام وجسم فرقة … وفاز امرؤ ماحام حول مبانيه

أتى كل ما فيه من الأمر تاركا … ومجتنباً إتيانه لنواهيه

وقد صير الكشاف جل كلامه … مباحث تنفى كل داء وتشفيه

وفيه وبالله دَرُّ كلامه … تعالى مجازاً فاحذر من دواهيه

خذا وأحكامنه وكل مؤلف … كذلك فيه ما يروج وما فيه

وليس سوى الرحمن يجذب عبده … الى كل ما يرضيه منه ويهديه

أقيما على باب الإله وداوما … على قرعه فهو المجيب لداعيه

ودونكما نصحا أتى فى إجازة … ودأبى نشر العلم مع نصح أهليه

ولا تنسيانى من دعائكما عسى　　عسى دعوة تشفى الفؤاد وتحييه

وتهدى إلى حسن الختام فإنه　　مُنائى[1] الذى أدعو به وأرجيه

وأحمد ربى كل حمد مصليا　　على أحمد والآل أقمار ناديه

ورضٍ على أصحاب أحمد متبعا　　لتابعه أهل الحديث وراويه

* * *

قافية الياء

وقال رضى الله عنه مادحا أمير المؤمنين وسيد المتقين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسماها « التحفة العلوية » وشرحها بشرح نفيس سماه « الروضة الندية »

تحفة تهدى لمن يهوى عليا　　من رقى شأوا من المجد عليا

وتحيى كل حى صادق　　قلبه ممزى بمن حل العزيا

وتنادى كل ناد حافل　　بلسان تنشر المسك ذكيا

لمن يكن من مسك دارين وقد　　ملأ الدارين عرفا معنويا

ضمخوا أسماعكم من نشره　　وارشفوا كأساً من النظم رويا

يا إماماً سبق الخلق إلى　　طاعة المختار مذ كان صبياً

باذلا للنفس فيما يرتضى　　سيد الرسل صباحاً وعشياً

فرقى فى مكة أكتافه　　فغدت أصنامهم منه جثياً

كاد أن يلمس أفلاك السما　　ويلاقى كفه كف الثريا

وفداه ليلة همت به　　فتية تابعت الشيخ الغويا

بات فى مضجعه حين سرى　　يا بروحى سارياً كان سريا

خاب ما راموا وهب المرتضى　　ونجى المختار يطوى البيد طيا

والأمانات إلى أربابها　　عنه أداها ووافاه جريا

كان سهما نافذا حين مضى　　وعلى الأعداء سيفاً مشرفيا

---

(١) قوله : منائى كذا فى الأصل وفى نسخة « مرادى » .

من بـ« بدر » فلق الهام وقد | هام في الشقوة من كان شقيا
وبـ« أُحُدٍ » حين شبت نارها | فتية كانت أولى بها صليا
وابن ودٍّ من ترى قطّره | وهو ليث كان في الحرب جريا
وانشر الأخبار عن « خيبر » يا | حبذا فتح بها كان سنيا[1]
وأبو السبطين يشكو جفنه | وبريق المصطفى عاد بريا
ثم أعطاه بها رايتـــه | بعد أن بشر بالفتح عشيا
ذاكرا أوصاف من يحملها | فتمنى الكل لو كان عليا
فدحى الباب وأردى مُرْحِباً | بعد أن صارع فيها قسوريا
ثم كان الفتح والفوز بها | واصطفى المختار من ثمّ صفيا
وبـ« حنيناً » سل بهـا أبطالها | كم بها أردى من الكفر كميـا
وسل الناكث والقاسط والـ | مارق الأخذ بالأضغان غيـا
وقضـايا فتكه لو رمتهـا | رمت ما يعجزني لو دمت حيا
وهي في شهرتها شمس الضحى | هل ترى يجهل للشمس محيّا
وكذا ما خصـه الله به | من خصال حصرها لا يتهيا
من سواه كان صِنْوَ المصطفى | أو سواه بعده كان وصيا
وأخي قال له خـير الورى | وهو أمر ظاهر ليس خفيا
وكـ« هارون » غـدا في شأنه | منه إلا أنه ليس نبيـا
وبـ« عيسى » صح فيـه مَثَلٌ | فسعيداً عد منهم وشقيا
وعداة الطير من شاركه | فيه إذ جاء له الطير شويا
وعليه الشمس ردت فبـدا | أفقها من بعد إظلام مضيـا
وبـ« خم » قام فيهم خاطبـاً | تحت أشجار بها كان تقيـا
قائـلا من كنت مولاه فقـد | صار مولاه كما كنت عليا

---

(١) وفي نسخة « بهيا » بدل : سنيا .

والذي زكى بما في كفه   راكعاً أكرم به براً زكيا

ونفاقاً بغضه صح كما   حبه عنوان من كان تقيا

باب علم المصطفى إن تأته   فهنيئاً لك بالعلم مريا

فهو بحر عنه فاضت أبحر   فاغترف منه إذا كنت ذكيا

كم قضايا حار صحب المصطفى   عندها أبدى لها حكماً جليا

وَلَكَمْ ظمآن وافى بحره   فغدا من بحره العذب رويا

كل علم فإليه مسند   سنداً عند ذوي العلم عليا

من سواه وضع النحو وقد   راعه لحن بمن قد حاز عيا

* * *

ولما اطلع على هذا المقدار والده الولي العلامة الزاهد إسماعيل بن صلاح الأمير رضي الله عنه ، قال مذيلا لها :

وبدور الحق معه حينما   دار فافهمه حديثاً نبويا

واختصاص الله بالزهرا له   لسواه مثله لم يتهيا

فغدت عترته من أجلها   عترة المختار نصاً أحمديا

وغدا السبطان والآل إذا   نسبوهم نبويا علويا

وبه باهل طه إذ أتى   وفد نجران إذا كنت غبيا

وإذن سماه طه نفسه   يا له مجداً به خص سميا

* * *

إلى هنا من الذيل وقال الوالد البدر رضي الله عنه :

معرض عن هذه الدنيا يرى   مقبلا إن كان أمراً أخرويا

ما ارتضى الدنيا ولا زهرتها   وأثاثاً حسناً فيه ورئيا

قائلاً أنت ثلاثاً طالق   قالياً وشياً عليها وحليا

والبلاغات إليه تنتهي   نهجه فيها يرى النهج السويا

إن رقى المنبر يوماً خاطبا ... عاد سحبان لديه باقليا
حِكَمُ اليونان والفرس معاً ... ماتدانى منه لفظاً علويا
لازم المحراب والحرب إلى ... أن أتى أشقى الورى الأمر الفريا
ومضى نحو جوار المصطفى ... حبذا دار وجار قد تهيا
قائلات حورها حين أتى ... مرحباً أهلا بذا الروح وحيا
ومضى الأشقى إلى قعر لظى ... يتصلاها غدواً وعشيا
عاقر الناقة فيها جاره ... ليس جار الأشقيا إلا شقيا

* * *

ثم قال والده الضيا رحمه الله مذيلا :

ثم قل من يسقى الخلق إذا ... وردوا فى الحشر ماء كوثريا
ولواء الحمد من يحمله ... غيره أكرم به فخراً عليا
قل من المدح بما شئت فلم ... تأت فيما قلت شيئاً فريا
كل من رام يدانى شأوه ... فى العلى قاعده ورما أشعبيا
كتمت أعداؤه من فضله ... ما هو الشمس فما يخفون شيئا
زعموا أن يطفئوا أنواره ... وهو نور الله ما انفك مضيا
كلما للصحب من مكرمة ... فله السبق تراه الأوليا
جمعت فيه وفيهم فرقت ... فلهذا فوقهم صار عليا
نال ما قد نال كل منهم ... والذى سابقه عاد بطيا
وكفـــاه كونه للمصطفى ... ثانياً فى كل ذكر وصفيا
صلوات الله تترى لهما ... وعلى الآل صباحاً وعشيا

* * *

وله رحمه الله تعالى :

قال لى من نال من ذى سطوة　　خطوة زاد بها كبراً وغيا
هو مثل البحر أو ماذا ترى　　قلت لكن استقى أدرك شيئا

* * *

وقال تغشاه الله برحمته مجيباً على المولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله عن أبيات تهنئة بالعود من مكة المشرفة عارض بها تهنئة للبدر من شيخه العلامة الزاهد صلاح بن حسين الأخفش رحمه الله :

أشموس من المعانى مضيه　　أم فصول منظومة لؤلؤيه
أم رياض كسى الربيع رباها　　فتغنت أطيارها البلبليه
أم عيون النرجس الغض تسرى　　بالعيون الكحيلة البابليه
أم هو السحر سالباً لعقول　　لم تكن عندها العصى الموسويه
قسما لو رأته يوماً زليخا　　لتناست محاسنا يوسفيه
أو رأته نسـاؤه تقطعـ　　ـن أكفا من دهشة شمريه
ولقالت حاشا الإله فما هـ　　ـذا نظام بل ذا شموس مضيه
بل مدام من النظام أديرت　　فى كؤوس البلاغة العربيه
أضياء العلى بعثت بنظم　　صغته من كواكب دريه
وأتانا عقداً تتيه به الدنـ　　ـيا وتغدوا بسمطه محليه
وتسامى السماء بذاك افتخاراً　　وتهنى ديارنا اليمنيه
إن تقدر أن المعالى جسم　　كنت روحاً لذاتها الجوهريه
فلعمرى ما قد رأيت نجيباً　　من نجيب من عصبته ملكيه
مثل نجل العزى تنظر إنسا　　ناً ولكن صفاته ملكيه
حاملا راية الذكاء تراه　　ناشراً للمباحث المطويه

ناطقاً عن فصاحة وبيان كاشفاً للدقائق الفلسفيه
طاهر الذيل ما تصابى لهو إنما لهوه العلوم العليه
نال منها مع حداثة سن رتبة القطب شارح الشمسيه
وسواه قد شيب الفود منه وهو فى رتبة القصور الدنيه
لك فى مركز المعارف ملك زلت فيه المباحث السعدية
وترقيت رتبة لابن سينا حاز فيها القواعد المنطقيه
والعلم الخليل صرت خليلا مرشداً بالفوائد النحويه
ولروض النظام أنت هزار تترقى تلك الغصون النديه
تجتنى طيب المعانى منها ثم تحيى بها العقول الزكيه
ولحسن الأخلاق والجود أصبحـ ـت إماماً مقدماً فى البريه
دمت فى نعمة وأطيب حال فائزاً بالمباحث العضديه
غائصاً فى البحار تستخرج الد ر وتأتى بها إلينا هديه
إن أحلى هديتى عند مثلى نكتة فى العلوم تأتى سريه
وسلام على مسالك منى ما تغنت فى روضها قمريه

* * *

وقال أسكنه الله بحبوحة جنته ولم أعثر إلى من وجهها :

سرى طيفها ليلاً وما كان ساريا ووافى وقد ألقى الظلام المراسيا
وقد عميت عنه العيون فلم يخف عذولاً ولم يحذر هنالك واشيا
رثى لى لطول الاغتراب ورق لى وما كان لى قبل التباعد رائيا
طوى لوصالى كل أرض وبلدة وسهلاً وحزناً بيننا وفيافيا
وبات نديماً لى وبت أبثه حديث النوى حتى بكى لاغترابيا

فلم أر طيفاً قبله كان باكياً ... ولم أر مثلى فى المحبين شاكيا
سقى ليلة قد زارنى ليت أنها ... تدوم وأن الصبح ما كان آتيا
وأن سواد القلب والعين زاد فى ... سواد الدجى فيها وأبلى سنائيا
ولكنه داعى الصباح كأنه ... كتاب نفخر الدين قد جاء شافيا
شفى قلب صب كان من طول هجره ... عليلاً وقد أعيا الطبيب المداويا
كتاب شفى قلبى وآنس غربتى ... وجدد أنساً كان بالبعد باليا
يذكرنى أيام وصل تصرمت ... أفخر الهدى ذكرت من ليس ناسيا
بروحى أفديه زماناً مضى لنا ... ونحن على حال تغيظ الأعاديا
وهيهات لا أنسى إخاك وخلقك الـ ... ـذى تملك منى مهجتى وفؤاديا
وأبلغ أخى عز الكمال ومن له ... بقلبى محل لا يرى عنه خاليا
سلاماً إلى أن يجمع الله بيننا ... ويدنى لنا بعد البعاد التلاقيا
وحق إخاء لست أنسى وداده ... وحاشا لمثلى أن يرى عنه ساليا
بقيتم لنا فى نعمة وسعادة ... وعز وإقبال يغيظ الأعاديا
ويخدمكم منى السلام مؤبداً ... يوافى إذا هب النسيم اليمانيا

☆ ☆ ☆

وقال رضى الله عنه فى شبيه المصطكى عند طفوه على القهوة :

شبهت ما دارت به ... من قهوة فى الصينيه
والمصطكى من فوقها ... مثل الفلوس المطليه
سلاسل من ذهب ... على جبين تركيه

انتهى ما جمع على الحروف ويتلوه منظومات ومنثورات أدبية .

☆ ☆ ☆

اتفق تواعد مولانا البدر رضى الله عنه والولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق وأعمامه رحمهم الله للخروج إلى بئر العزب فى يوم الخميس .

فخرج مولانا البدر إلى مفرج الشيخ سعيد بن محمد المتوفى رحمه الله يوم الأربعاء والخميس وتخلف الجماعة .

فكتب إلى المولى إسماعيل بن محمد رحمه الله :

مولاى قد أحسنتم فيما له فعلتم
من عدم الخروج إلى رُبَى المروج
فهل لقول هادى مسلسل الإسناد
قد كان ترك المولى يا ليت شعرى أم لا
أما المحب الصادق والصاحب الموافق
فهو لضعف السند ما زال فى تردد
فى الأربعاء قد خرج وفى الخميس قد ولج
إلى رياض نضره تحسبها معطره
من أرج الأزهار كالغادة المعطار
إن تسألوا يا سيدى عن وجه ضعف السند
ومن من الرواة ليس من الثقات
فاستمعوا من أدبى نقداً كنقد الذهب
ليس سوى الخميس خصصوه للنفوس
لقصد روح النفس من طول كد الدرس
فمفرج الكحلانى من جملة الجنان
إن قسته بالماضى بحكم فى ذا القاضى
عَلِيٌّ الأديب وشيخنا الأريب
من فر نحو الخيمه من كرب تلك الدميه
باب ومنه يخرج يوصف فيه مفرج

سيده سعيد العالم المفيد
على الطراز المحكى فالجنان يحكى
فليس له نظير قال به الجمهور
لما به نزلنا لكربنا أزلنا
وزهره منوع والطير فيه تسجع
نهاره أصيل وظله ظليل
وكم أمور عدة تغار منها حدة
والنهر فيه جارى ينساب فى المجارى
ما فاتنا فيها سوى حضور مولانا الضيا
مدير كأس الأدب فهو قصارى أربى
لا يكمل الأنس لنا بغيركم ولا المنى
إن فاتنا لقياكم جالسنا ذكراكم
لذاك قد نظمنا هذا الذى رقمنا
قصداً إلى الإتحاف لسيد الأشراف
وكل هذا ذاهب وهو خيال كاذب
طوبى لمن مرماه فى أمره أخراه
أستغفر الله لما أجريت فيه القلما
من كلم لا ينفع وعمل لا يرفع
وأبلغ السلاما الملك الهماما
والحكم عز الهدى وصنوه سُمُّ العدا
وسائر الأعمام السادة الكرام
ثم الصلاة ما سرى برق على أم القرى
على النبى المصطفى وآله أولى الصفا

وقال رضى الله عنه أيام خطابته بجامع صنعا واعظاً انشده ، على وزن أبيات للعاملى ذكرها له ابن معصوم فى سلافة العصر :

محمد كم وعظت وما اتعظنـــا ... وكم أسمعت لكن ما سمعنـــا
تقوم على المنابر كل وعــد ... تذكر بالوعيد وكل وعد
وأنت بمعزل عن ذا وهذا ... فقل لى ما اتخذت لذاك الملاذا
وقلبك غافل عما تقـــول ... جموح فى وساوسه يجـــول
فكم نبهت طرفاً كان نائم ... وكم أيقظت قلباً كان هائم
وطرفك فى مهاوى اللهو راقد ... وقلبك فى مقام السهو قاعـد
إلى كم ذا التمادى والتغابى ... إلى كم ذا التصبى والتصابى
وقد نادى المشيب على الرؤوس ... بجهال الرحيل إلى الرموس
محمد كم خليـــل قـــد دفنا ... وكم حبر عليم قـــد فقدنا
وتضحك ملء فيك بلا احتشام ... وهمك فى شراب أو طعـــام
أراك وأنت فى سن الكهوله ... كما قد كنت أيام الطفوله
وودعت الشباب وقــد تولى ... وسلطان المشيب عليك ولى
أبن لى ما تقول إذا وقفنـــا ... وقد أحصى كتابك ما فعلنــا
أبن لى أين إخوان كرام ... تقضى بعــدهم عام فعــام

انتهى الموجود منها هنا .

☆ ☆ ☆

ووصل إليه سؤال من المولى العلامة إسماعيل بن إسحق رحمه الله أرسله إلى شهارة وهو معتقل بقصر صنعا . ولفظه :

وبعد حمد الله الذى له الأسماء الحسنى ، والصلاة والسلام على من ندب إلى محاسن الأخلاق . وله منها المقام الأسنى .

فهذا سؤال يفتح من الأبحاث الأدبية ما هو أرق وأعذب من الماء السلسال ، ويجتنى به من فواكه الآداب مايستحلى ويستملح إذا تأمل المسئول أطراف السؤال ؛ والتطلف فى دفع الأكدار .

فتقول : ماذا يقول من جمع محاسن الآداب ، ورق من المفاخر ما تقصر عنه رتبة الشمس والبدر والشهاب ، فى رجل رماه الدهر بالخطوب فما أخطاه وياقة ما أصاب ، وقابل إحسانه بالإساءة إليه وأين حلاوة الشهد من مرارة الصاب ، وقد تسلى فى بعض أوقاته بنظم رقائق الأشعار ، ويتلاها عند تذكر الأحباب . وأوطانه التى مضى بها شبابه الغض وتقضت فيها الأوطار ، فنظم أبياتاً قد ضربت مع الإبداع بكل سهم ، واشتملت على رقائق المعانى ، فأخذت بمجامع القلوب من أهل الذكاء والفهم ، كقوله فى صفة من يهواه . وهو أعدل شاهد على صدق دعواه .

هيفـــاء كل الوصف عنـ ـد جمالها تحصيــل حاصل
كملت محاسنها فمــا وجدت مجالات لقائل
لولا أرى الغزل الرقيـ ـق يروق فى الظبى المغازل
ما قلت حرفاً فالجمــا ل بوصفهما كافٍ وكافل

* * *

وكقوله وقد أبدع فيما يسميه أهل البديع بنوع التفريق ، وأنه مما يسلم له وعليه البدر ويستعبد له البديع إذا دخل إلى سوق الرقيق ، عند التغزل بطلعة المحبوب الذى لا ترضى محاسنه أن يقال كأنه البدر ، وفى قده ، الذى لا يليق أن يشبه بالغصن النضير ، فرشاقة ذلك القد ، أرفع من ذلك القدر ، وفى فرعه الذى لا أصل لقياسه بالليل فى سواده ، وأين ما تضرب الأمثال بوحشته من ذلك السواد الذى هو لكل إنسان غاية مراده ، وأنس فؤاده ، وهو :

إن قلت طلعتها كمثـ ـل البدر يبدو وهو كامل
قالت محاسنهــا فأيـ ـن الطرف يروى سحر بابل
أو قلت كالغصن النضـ ـير الرطب أو ظبى الخمائل
قالت لنا منهــا الحلى هل يستوى حالٍ وعاطل
أين القلائد والمنــا طق والملاطف والخلاخل
أو قلت سود فروعها كالليــل لم أظفر بطائل
فالليــل لم ينشر على ردمح من الياقوت ذابل

وكقوله واصفاً ما يقع عند مفارقة الحبيب مع الوصال من الدل ، ولأنه لا يدل أحلى فى الغوانى من ذلك وأنه على الجمال لأقوى شاهد وأدل .

لا عيب فى مر الدلا ل يكون فى حلو الشمائل
إن الدلال على الجمـا ل أراه من أقوى الدلائل

* * *

ثم إنه بعد أن نظم هذه القصيدة التى شرح بعض أبياتها ، أرسلها إلى بعض الأفاضل ، وأراد أن يعرضها عليه ليزداد شرفها بمقامه الذى هو محط ركاب الفضائل ، فما أقبلت إلا وقابلها بالتمزيق ، ولا وصلت إلا وأصلى وصلها فى النيران ، وحسبك بذلك التجرى فى عذاب الحريق ، وما رعى حق مرسلها وماله من ود صادق ولا ولا ، ولا أشفق عليها من شماتة الحساد ، فنعوذ بالله من شماتة الحساد ، وجهد البلا .

هذا بعض ما شرحه السائل مما اتفق ، وقطعه مما تقطع من أكباد القصائد مع التلهف والقرق .

فأفتونا مأجورين ، ماذا يلزم فى شرعة الآداب عن هذه الجناية ؟

ولله الحمد والشكر والثنا على كل حال ، فى البداية والنهاية ، والصلاة والسلام على محمد المصطفى وآله الأعلام ، أهل المروة والصفا .

فأجاب الوالد البدر رضى الله عنه :

الحمد لله المؤدب بأحسن الآداب ، والصلاة والسلام على من قال : « إنه لا يعذب بالنار إلا رب الأرباب » ، وعلى آله الذين آدابهم ألطف من نسمة السحر فى الروضة الندية ، ومفاكهتهم ألذ من الحدائق الوردية .

وبعد : فإنه ورد إلينا سؤال دامع العين ، لاطماً للخدود ، قائلا إن يتيمة الدهر قد أوردت النار وبئس الورد المورود ، طالبا للجواب فيما يلزم من ارتكب هذه العظيمة ، وما جزاء من عذب بالنار تلك اليتيمة .

فأقول : إن صح ما قاله من تحريق تلك العذراء التى من الحور العين ، ومن إلقائها فى النار كأنها من قرناء الشياطين ، فأقسم بدمية القصر ، مقلدة بقلائد العقيان وسلافة العصر ، بدرها الفتح بن خاقان ، لقد أذوى ريحانة الأدب وروضة المشتاق ،

بما ارتكبه من عظيم التمزيق والتحريق والإحراق ، وأقلعت سحب الغيث الذى انسجم ، وصاح ديوان الأدب : يالله للمسلمين ، أيهان فيما بينكم الأدب ويهتضم .

يا للرجال أما للنظم منتصر   يهان عند ذوى الآداب منصبه

وأنها لما سمعت كتب الأدب هذا السؤال ، اقشعرت جلودها ، وعلمت أنها بعد ذلك فى النار يطول خلودها :

إذا كان هذا فى العذارى فعالكم   فكيف بمن خط المشيب برأسه

قالت ولو صدر هذا من غير أهل الآداب ، لكان للصبر مجال ، وقلنا لا ننكر تعذيب الأدب من الجهال .

ولما سمع بذلك الإسعاف ، وهو من أولى الحلم والإنصاف ، أكثر التلهف ، وأطال فى عض أنامله التأسف ، وأنشد :

ولو شئت أن أبكى دماً لبكيته   عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

ثم إنه نظر إلى « معاهد التنصيص » وقال له إن وقوع هذا فى هذه الديار من أعظم التنغيص ، فهل عندك من رأى يستحد ، أو نظر عليه يعتمد ؟

فقال : أتسألنى وأنت بطريق مجد أدرى ، ومنك يستمد الكشاف والبيضاوى فأنت أرفع منى قدراً .

فقال : أرى أن نهتف فى الدواوين والمقامات ، ونعلن فيها المقالات ، بأن نجتمع الأسفار ، ونتأهب للأسفار من هذه الديار .

إذا صديق نكرت جانبه   لم تعينى فى فراقه الحيل

فى سعة الخافقين مضطرب   وفى بلاد عن أختها بدل

ونرحل من الجن ونارها ، ونبادر قبل أن نحرقنا بشرارها .

فإن جفوتم فأرض الله واسعة   لا الناس أنتم ولا الدنيا خراسان

فقال له : أقسم بسقط الزند ، ومعجز أحمد ، لقد جئت بالرأى الأسد ، الذى ليس سواه يحمد .

إنما بمثناك تأتى القول عن كثب ... فجئت بالبدر لياحا من الأفق

وما أراه كان الإيمان يمان ، إلا فى زمن سيد ولد عدنان ، ولا قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنى لأجد نفس الرحمن من اليمن » إلا فى ذلك الزمن ، ولقد شغفنا بسكناه إذ كان داراً للأدب ، وأما الآن ، فقد عادت جنات أدبه ناراً ذات لهب .

كنت شغوفا بكم إذ كنتم ... شجراً لا يبلغ الطير ذراها

فتراخى الأمر حتى أصبحت ... هملا يطمع فيها من رآها

لا تظنوا لى إليكم عودة ... كشف التجريب عن عينى عماها

ثم هيئت السفن لركوب البحار ، وشدت الركائب للأسفار .

ولما رأت ذلك الكتب النحوية ، قالت : ما هذا الاجتماع مع الكتب الأدبية .

فقال بعض كتب الأدب ، منشداً لها ، وقد أصابه كرب من اغترب .

غداً يكثر الباكون منا ومنكم ... وتزداد دارى عن دياركم بعدا

فهتفت الفوائد الضيائية بلسانها الثنى ، مهتدية بالنجم مستنصرة بالمغنى ، قائلة للعجب ، ولما اجتمعت عليه كتب الأدب : ألستم لنا بشواهد ، وبكم تزف إلى الأذهان خرائد الفوائد ، وعليكم شيدت شامخات القواعد ، فما هذا الرحيل ، والتعطيل لنا عن الدليل والشاهد .

فأجاب ديوان الصبابة ، وقد كان شهيراً بالإصابة : بلى إن لها منها عاير الشواهد ، فهل منكم لنا من مساعد ؟ فإن كتب الأدب قد أهين قدرها ، وحرق — بعد التمزيق — إهابها .

فقالت : نعم ، نحن لكم القصد فى بلوغ الغاية ، ونيلكم من الانتصاف النهاية ، ونستدعى منكم منثوراً ومنظوما ، ونعمل بالحديث « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » .

فقالت شواهد العينى : يا كتب النحو أى نفع لكم فى هؤلاء الشهود ، وقد فعل بهم ما فعله بالمؤمنين أصحاب الأخدود ، وأى جرح أعظم من إصلائها النار ذات الوقود ؟

فعند ذلك قالت عمدة ابن رشيق ، وكانت جديرة بالتوفيق ، عليكم بالأناة وترك الاستعجال ، والنظر فيما يجاب به السؤال ، فقد قال من قال :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

* * *

فقد بلغنا أن عند الحبيب فى ذلك تفصيلا ، فعساه يشفى به عليلا ، ويروى غليلا .

فقالوا : هات مالديه من تشنيف المسامع ، ولنابذلك بالله من جمع الجوامع .

فقالت : إنه يقول إن كان هذا الممزق المحرق ، ولتلهب نيران الأوراق بفعله القلق ، ممن شارك السائل فى الإصابة بسهام الأقدار ، وأدار عليه الدهر ما أداره على السائل فى الإيراد والإصدار ، ولزمه من حضور الواقعة ملازمة سورة الحديد ، وقرأ التغابن بعد الحشر ، فلا أقسم أنه ليس عليه لوم ولاتفنيد ، وهل أتى على الإنسان أنه يذكر بالغاشيات وهو فى النازعات من شدة التنكيد ؟

فما فعله من التحريق فهو الصواب ، لأنه خاف أن يفتح عليه أسباب الغرام من كل باب .

فما إرسال هذه الأبيات إلا من العاديات عليه ، والموريات قدحاً لزناد غرامه الذى لديه ، وما هو إلا كما فعله ذو النورين ، لما رأى من الاضطراب فى المصاحف ، وأن يتفرق الناس فى كتاب الله بين موافق ومخالف ، ملاحظة للمصلحة ، فلا تثريب عليه ولا لوم ، ولا يرسل بشىء من رقائق الأشعار بعد اليوم .

فقال — عند ذلك — مصارع العشاق ، إن كان هذا الجواب على قواعد الأدب ، فليس بمقبول بالاتفاق ، فإنه لا يلهيهم عن ذكر الأحباب ، شىء من شدائد العذاب ، بل يجعلون ذكرهم عند شدة الحال ، دليلا على الوفا بحق ذات الدلال ، أما سمعت عنتراً حيث قال — والرماح دونه فى نهل وانحلال . .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل الرماح لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

أو ما شنف سامعك قول الطغرائى وهو فى سياق الحمام ، وقد أشرعت إلى نحره ما ضيات السهام :

ولقد أقول لمن يسدد سهمه   نحوى وأطراف الأسنة تشرع

بالله فتش عن فؤادى هل تجد   فيه لغير هوى الأحبة موضع

أو لم تنظر ما في الدواوين ، من شعر بعض الوفاة المحبوبين .

وحقهما إنهما جفون تسل من لحظها المنون
لا صبر عنها ولا عليها الموت من دونها يهون
لأركبن الهوى إليها يكون في ذاك ما يكون

فقال له: دعنا عنك ، فأنت مشهور بالتهتك ، ولذا لقبت بالصارع ، وأنا لا أنظر في الفتوى إلى كلام أهل الغرام بل إلى قواعد الشارع .

فقال ديوان بني عذرة : قد أبديت في هذا الطرف لمثير هذه الفتنة عذره ، فهات الطرف الثاني من التفصيل ، وأرحنا من طول القال والقيل .

قال نعم ، أما الطرف الأخير ، فأنصت إلى هذا التحرير ، فأقول: إن كان المقابل لتلك الأبيات ، بقبيح تلك الجنايات ، ممن لم يشارك قائلها في حوادث الزمن ، وكان قرير العين بلذيذ الوسن ، فهاهنا تنسكب عبرات الأدب ، ويطول من الثقلين في هذه الجناية العجب ، ويقول الكل : إن هذه الجناية ، تقصر عن جواب السائل عنها علماء الرواية والدراية ، وإنه لجدير بأن تسفك فيها دماء المحابر وتراق ، وأن تقوم الحرب بين ذوي الآداب منها على ساق .

فليفصل السائل القال ، وليوضح من أي الطرفين وقع السؤال ، بعد أن يصلي ويسلم على محمد وآله خير آل .

وصدرت وقد اجتمع من فنون الأدب كل كتاب ، وصارت أرجل الجميع على الركاب ، إلا أنهما توقفت لانتظار تفصيل الكلام ، ولتدل نظر أولى الألباب ، وعنايتهم فيما يكون منه حسن الختام ...

وكتب رضي الله عنه إلى القاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن رحمه الله إلى مدينة ثلا واصفاً حادثة العجمي المسمى بالسيد يوسف وشرح حاله وقد ذكر البدر رحمه الله القصة مستوفاة ، فأذكر ما ذكره قبل الكتاب المذكور قال :

فاقرة في الدين ، قاصمة لظهور المتقين ، ومصيبة في الإسلام لم يطمع في وقوعها إبليس اللعين ، ومكيدة في الإسلام ، أسمعت بآراء جماعة من الأفدام[1]

وهي ظهور الرفض وسب العشرة المشهود لهم بالجنة على لسان الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ، حاشا علياً أمير المؤمنين ، فإنه مصان عن ألسن الطاعنين .

---

(١) جمع «فدم» قال في المصباح : فدم ، بين الفدامة والفدومة ، أي بعد الفهم غير فطن .

وسببه أنه وصل رجل من العجم إلى صنعا اليمن ، فارا – على زعمه – من طهما سب يتسمى بالسيد يوسف . وفد إلى صنعا فى أوائل سنة ١١٦٠ هـ ومائة وألف ستين ، على مضى أربعة أشهر منها ، وله معرفة فى علم الميزان ، على ما خبرناه كمعرفة غيره ممن مارس ذلك الفن من أبناء الزمان ، وادعى أن له فى علم الهيئة معرفة ، وهو علم لا نعرفه فلا نصدقه ولا نكذبه ، وهو من العلم الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم : علم لا ينفع ، وجهل لا يضر . وله فى النحو والبيان ، مثل أى من له فى هذين الفنين معرفة من الأعيان .

فاتفق له قبول عند بعض من يتصل بالخليفة المنصور ، فصور له أن هذا من العلماء فى المعقول والمأثور .

وهذا العجمى لا يدعى لنفسه معرفة سنة ولا كتاب ، بل لا يقيم سورة من القرآن بلسانه .

ولكن هذا الذى صور للخليفة رجل من أهل التقصير ، لا يعرف من العلوم قبيلاً من دبير .

فأمره الخليفة أن يملى نهج البلاغة وشرحه لابن أبى الحديد على الكرسى فى الجامع الكبير ، وأمر له بالشمع تسرج ، وبالشوش من أصحاب الدولة يحضرون بحضوره ، وحضر من غوغاء الناس وجهلتهم أمم كثيرة ، فأملى من ذلك شيئاً يصحف بعض ألفاظه .

وكان همه إلقاء مذهب الرافضة إلى الأذهان ، ودس شيئاً من كفريات الفلاسفة وسرد كذبات على الصحابة من أكاذيب الرافضة فيما جرى على أهل البيت ، على وفاطمة عليهم السلام منهم .

وما زال كل ليلة يسرد من هذا ، حتى ذكر أنه حرف القرآن بعض الصحابة . فسب الصحابة العامة من الناس ، ولعنوا أعيان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مثل العشرة المشهود لهم بالجنة ، إلا علياً عليه السلام وغيرهم ، وأتى بكل قبيح من قوله إنه غلط جبريل عليه السلام بالرسالة ، وأنها كانت إلى على بن أبى طالب عليه السلام .

وحاصله أنه لم يبق مذهب من مذاهب العجم إلا دسه فى ذلك .

وأنكر العلماء من الزيدية ذلك ، وعرفوا به الخليفة ، وأخبروه بحقائق مذهب

الرافضة ، وأن فيها أنهم يرونه هو وأهل مذهبه كفاراً ، وأنهم ينكرون أن للحسن بن علي عليه السلام ذرية.

فقال يقرأ النهج بحضرته ، وبحضر العلماء ، فكان ذلك زيادة في عظمة ذلك الرافضي عند العامة ، وكان يقرأ النهج بحضرة الخليفة المنصور وبحضر العلماء ، ولكنه استعمل بعض التقية في ذلك المقام ، وإن دس فيه من الطوام . كقوله : إن السموات تسع لا سبع ، وإن آدم عليه السلام ما عصى ربه ، وإن قوله تعالى « فعصى آدم ربه » . معناه : فعصى بنوه . وأشياء يطول تعدادها . والله أعلم ما يأتي بعد هذا ، فإن هذا رقم في رمضان في اليوم الخامس منه ، وهو مستمر على الإملاء على الكرسي ، وأما قراءة حضرة الخليفة فإنها تركت في رمضان .

وعند الانتهاء إلى كتب هذا ، وصلت ورقة من الولد إبراهيم بن محمد الأمير -أصلحه الله تعالى- أنه رأى في صبيحة هذا اليوم أن جده أبو أمه السيد العلامة الزاهد التقي هاشم بن يحيى الشامي رحمه الله وصل إلى عنده إلى بيتنا . فقال له الولد إبراهيم: من أين هذه الجيئة؟ فقال: من عند سيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فقلت له : هل سمعتم هذه المصيبة في الإسلام ؟ قال : فتنهد وقال : كيف لا نسمع ؟ والله إن عندنا من الحزن أكثر منكم .

قال : فقلت له : هل عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك معكم أم لا ؟ قال : بل والله عرف قلت : فما قال ؟ قال : قال وقلنا معه « إنا لله وإنا إليه راجعون » وقال : « كيفما تكونوا يولى عليكم » .

قال : قلت له : العلماء مسئولون ؟

قال: نعم إلا والدك فبشره أنه لا يحاسب .

قال : قلت له مطلقاً ؟ قال: الله أعلم . قال: قلت له السيد أحمد بن عبد الرحمن الشامي قد برأ عذره عند الله ولم يكتب له ثواب على فعله . ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » الآية - إلى قوله « جميعاً » . وقال : اكتم هذا الخبر أصلحك الله . وقال : خاطركم ، فقلت له : « لعمر أبيك إلا الفرقدان » .

اجلسوا عندنا ، فقال : « وكل أخ مفارق أخوه إلخ » انتهت .

وهي رؤيا حق أعرف صدق رائيها . فنقول كما قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

ثم طبقت على هذه الورقة من رمضان عام ستين إلى غرة رجب سنة ١١٦٣ ثلاثة وستين ومائة ألف .

فأذكرني ما حضرني مما انتهى إليه حال ذلك المبتدع ، وهو أنها اتفقت أمور قدرية رفعت تلك البدعة بالكلية وهى أن الخليفة المنصور عرضت له أمراض ، منها ضعف البصر ثم ضعف القوى ، ثم الوفاة .

وقام بالأمر بعده ، ولده المهدى أحيا الله به معالم الدين ، وقطع به دابر المعتدين ، فانقطعت تلك البدعة ، ورفع الكرسى ، وبقى ذلك المبتدع يطيب العامة ، ويدرس إلى حين تأريخها والله تعالى يأتى بكل خير .

وكنت كتبت إلى بعض الأعلام ممن كان بسفح صنعا أقام ، ثم رحل عنها وهو من تلاميذنا من الحكام . فأخبرته بلسان اليراع ، ما جرى بعد فراقه لتلك البقاع ، من بحور الابتداع .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد إهداء شريف التحيات ، واستهداء صالح الدعوات . فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو على جزيل نعماه . وأصلى وأسلم على رسوله سيدنا محمد وآله سفن النجاة ، وأنهى إلى المقام الساطعة أنواره . الطالعة شموس سعده وأقماره . أن البلدة التى قوض عنها رحله . ورفع عن سكناها ، وابله وطله . صار لها بعد بعده شأن . وعادت كأنها حافة من حافات أصبهان . أو كورة من كور خراسان . لا تسمع فيها إلا مادحاً عليا . وذاماً صحابياً بدريا . أو ذاكراً أخبار السقيفة أو منشداً :

لهفى لبنت محمد ماتت بغصتها لهيفه

أو متوجعاً من غمط الوصى ، ودق عضد البتول وتمزيق الصحيفة ، أو متعجباً من جمع الحطب حول بيتها لتحريقه ، أو متمثلا بقول القائل : وقد غص بريقه .

وقادوا عليا فى حمائل سيفه وعمار دقوا ضلعه وتهجموا

على بيت بنت المصطفى ووصيه ينادى ألا فى بيتها النار فاضرموا

أو قاصا لمثالب عثمان ، وما حرق من كلام الرحمن فى القرآن . وأن الوحى « إنما أنت منذر وعلى هاد » .

حرفت الآية فى مصاحف أهل الأغوار والأنجاد ، وأنه حرف خمس عشرة آية نزلت فى مدح الوصى ، وحفظت قبل إحراقه لها وتليت ، أو راوياً أنه لما أسرى بالمصطفى ، وجد عليا قد سبقه إلى سدرة المنتهى ، وأن الرب العلى خاطب محمداً رسوله

بلسان علي ، فقال : أعلي يخاطبني ؟ فقال الرب سبحانه . بل خاطبناك بلسان أحب الخلق إليك .

وكم وكم ـ يا ابن ودي ـ أتلو من هذه الأقاصيص عليك ، هي نوق لاخطام لها ولازمام ، ولو يقال من أخرجها ، أوفاه أحد بذلك رماه بالنصب الأنام ، فإنه اتفق أنه سأله سائل عن حديث قدسي ، رفعه المنصوب على الكرسي . افظه أنه قال المختار حاكياً عن الرب الواحد القهار : « لو أن أهل الأرض أحبوا علياً كما أحبه أهل السماء ، لما خلقت النار » .

فسأله رجل من أهل المدينة النبوية ، عمن أخرج هذه الرواية القدسية ، فاقشعر جلد ذلك المقام ، ورماه بالنصب بعض الحكام ، وكاد أن يفضي الحال إلى طرده من البلد ، وأن ينهى عن أن يجالسه أحد ، مع أنه سأله في موقف خاص ، ولو كان سؤاله في الموقف العام ، لما كان له عن الحمام خلاص .

ولو سمعت أذناك أحاديث يوم الجمل ، وسرد وقائعه على التفصيل والجمل ، وأخبار أيام صفين ، والرماح تغرز في الكلا ، والسيوف تغمد في الطلا ، لسمعت لعن اللاعنين لأهل الشام ، من كل لسان حاضر ذلك المقام ، حتى يرتج الجامع الكبير ، بلعن كل صغير من أولئك ، وكبير .

دع عنك أهل الشام ، لو طرق سمعك لعن الشيخين ، وسعد بن أبي وقاص ، الذي فداه الرسول بأبويه يوم حنين ، وغيرهم من العشرة . الذين أودعت مناقبهم الرياض النضرة لقلت :

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

خل عنك أقواماً أقسم القلم على نفسه أن لا يجري بذكرها ، واستحيا من الله تعالى أن لاقاه برقم سطرها من أدناها ، ما جرى به وهو يعرق جبينه حياء من الله تعالى جل جلاله ، وهو أنه غلط جبريل عليه السلام بالرسالة وحاصله أنه التعطيل فلا إطالة ، ولعلها قد طارت الأخبار بما يورده في مقام الخلاف ، وقد أدر فيه من ثدي جهالته أخلافه كإيراده على قوله تعالى « الله الذي خلق سبع سموات » بأنها تسع ثامنها الكرسي ، وتاسعها العرش .

وعلى قوله : « فعصى آدم ربه فغوى » بأن آدم لم يعص ، وأنه لابد من تقدير يصح به الكلام وهو « فعصى بنو آدم » .

وبالجملة فكما قال بعض أئمة التحقيق ، إن قوله : العرش والكرسي سماءان نظير من يقرأ ، قوله تعالى : « فخر عليهم السقف من تحتهم » فيقال له : لا عقل ولا قرآن ، وكقوله : إن الآل جميعا معصومون ، فقال له قائل : ومن الآل ؟

قال : من حرمت عليهم الزكاة .

فصار العلوية والعباسية والعقيلية والجعفرية ، معصومين ، إلى يوم الدين .

ولكنه ليس إلى إيراد البحث عليه سبيل ، بل كما فاه به ، فهو حق لا يتطرق إليه التبديل ، بل كما قيل .

حكموا بباطلا وانتضوا صارما ... وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وبالجملة :

تغيرت الأحوال حتى خلتها ... ستطلع هذه الشمس من حيث تغرب

فهذه قطرة مما عندنا ، والله أعلم بما وراء ذلك .

وليس يعلم ما يأتي الزمان به ... سوى قديم عظيم الشأن مقتدر

وهنيئا لسكان الثرى ، وللحراثين في البوادي والقرى ، ولا تنسونا من الأدعية في هذه الخراتم ، فهي للاجابة مواسم ، « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

وكتب قدس الله روحه إجازة لبعض الطلبة :

الحمد لله عظيم الشأن ... من أرسل المختار من عدنان

يدعو الورى طراً إلى الجنان[1] ... بالسنة الغراء والقرآن

صلى عليه الله ماهب الصبا ... وآله وصحبه ذوي التقى

وبعد فاعلم أن علم السنة ... طريق من يرجو دخول الجنة

وكيف لا وهي مقال أحمد ... والفعل والتقرير للمسترشد

وقد أتى تلميذنا حسين ... وهو بما ينقله أمين

وقال لي قد طلب الجمالي ... على سعد الدين ذي الأفضال

إجازة مني فيما أملي[2] ... عن كل حبر متقن ذي فضل

---

(١) وضعت كلمة «الرحمن» بدل «الجنان» في هامش الأصل . (٢) في نسخة : فيما أروي

تبركاً منه بما أرويه عنى بما أجيزه أهديه

إلى طريق سنة المختار أحمد خير صفوة للبارى

من جاء بالسنة والقرآن يهدى الورى طراً إلى الرحمن

وكل من تابعه سعيد ومن هدى بهديه رشيد

وكل من خالفه فهو الشقى وفى غد نار الجحيم يصطلى

فأولا أوصيك بالتقاء والذكر فى الصباح والمساء

بما أتى عن الرسول لا سوى فكل من خالفه فقد غوى

وذلك الحصن الحصين قد أتى ياحبذاه ماروى وماحوى

واحرص هديت للرشاد ياعلى على كتاب الله ربك العلى

فكن على الدرس له محافظاً وكن له غيباً هديت حافظا

فكل خير فى كتاب ربى حسبى به فى كل أمر حسبى

واعمل بما علمت إن عندنا يزدك ربى منه ما أملنا

وثانياً فإننى أجزتكا بما أنا أرويه قد ميزتكا

فلترو عنى ما أنا أرويه عن كل حبر فاضل نبيه

فارو البخارى وصحيح مسلم وغير هذين بهذا فاعلم

من كتب السنة والتفسير كجامع الأصول والتيسير

والبغوى وجامع البيان لكن مع التحقيق والإتقان

وارو الذى تراه من تصنيفى وما تراه صح من تأليفى

نظماً ونثراً وكذا رسائلى وما أتاك من جوابى سائلى

من غير تحريف ولا تصحيف وابدأ بعلم النحو والتصريف

فبهما باب علوم الأثر ثم أصول الفقه علم نظرى

فمن لما ذكرته قد أتقنا نال من العليا مقاماً حسنا

وصار عيناً فى بنى الزمان بينهم لطاعة الرحمن

فما سوى طاعته من مطلب   فاحرص عليها فهى خير مكسب
والأصل إخلاص الفتى للنية   بقصده لوجه رب العزة
فكل من أخلص فى أعماله   نال الذى يرجوه فى مآله
ينزل حقاً فى جوار المصطفى   وحسبنا الله بهذا وكفى
صلى عليه الله كل ساعة   ولا حرمنا الفوز بالشفاعة
وآله ورض ماعشت على   أصحابه ذوى التقى والنبلا
واسأل لنا فى كل حين ياعلى   حسن الختام فهو خير العمل

* * *

وكتب رضى الله عنه عاقداً خطبة كتاب توصل المسجون إلى النبي المأمون شرح بديعة ابن معصوم للمولى العلامة الحسن بن إسحق رحمه الله مشتملة على جميع أنواع البديع موريا بها مرتباً لها على ترتيب الأصل :

أحسن مايبدى به الكلام   وما به يفتتح النظام
وأبرع استهلال قول القائل   عند ابتداء التحبير للرسائل
حمد الذى ليس له مجانس   فى مطلق الكمال أو مقايس
ولا بليغ مشبه بفضله   مركباً ومفرداً من قوله
غايته تلفيق مالا يملق   بذيلها فهو بها لايلحق
تفردت بغاية التمام   ياعجباً من ذا لها يسامى
كم من بليغ كامل مفوف   عض بنان كفه المطرف
معترفاً بأنه مصحف   فى كل ما يقول محرف
وقائلا لكل ما أفاضا   بأنه قد جالس الألفاظا
إنك مغلوب الفؤاد يافتى   متى متى تبلغ ذا أنت متى
جناس معناها البديع ما أحد   فإنه مستطرد وما قصد

لو استعار من جميع البلغا | واستخدم الصاحب ثم النبغا

وافتن فى خدمة كل فاضل | وألف ما ينشر فى الرسائل

ما التفت السامع إلا استدركا | يقول قد أبهم ذا فيما حكى

وانطبقت فى مقته العبارة | ونحوه كل يشن الغارة

يرسل فى الذم له أمثالا | محبراً فى هجوه المقالا

منزهاً عن الهجا مقاله | بفاحش الذم بكل حاله

يهزل حيناً ويريد الجدا | والقول بالموجب حيناً يبدا

فلا يرى مقتبساً من خله | غير خبيث قوله وفعله

يوارب الواصف بالتفويف | معبراً به عن التأفيف

يقول ذا هو الكلام الجامع | لكل ما تمجه المسامع

فراجعوا وعارضوا كلامه | وغايروا وناقضوا إبرامه

وذيلوا مشتبه الأطراف | فى الضعف لا فى جودة الأوصاف

ووشحوا ماشئتم من نظم | ونحوه قودوا جيوش الذم

متممين الذم للمجهول | فى معرض المدح بحسن القول

ودفع صدر قوله بالعجز | عسى يتوب عن عراض المعجز

واحذر من استئنافك الهجاء | مراعياً نظيره حياء

موجهاً أنك ابن أمه | رفقاً عليه من عتاب نفسه

تالله لا يترك حتى يقسما | بأنه قد تاب عما أجرما

محسناً تخليصه من ذنبه | مصليا على النبى وحزبه

من فى ثناه اطرد المديح | وانعكس الجهل به الصريح

وآله الذين من تردد | فى فضلهم فهو الشقى الأنكد

ما حاز إلا النسبة اللفظية | من اتباع سيد البرية

وصحبه الغر الذين اجتمعوا | ودفعوا عن دينه ورفعوا

فانسجمت صفاتهم للسامع — فهات ضمخ بالثنا مسامعى
كم تابعوا فى دفع كل جاحد — وفرقوا جمع امرىء معاند
وصرحوا ولحوا بالزجر — لكل من ناوأهم والهجر
وبعد فالتسهيم المطارف — من الكلام عند كل عارف
بوشى ما من البديع ينسج — فالبلغا عما عداه عرجوا
لأنه عنوان حسن الشعر — كم شرعوا منهجه فى الذكر
كم مذهب من الكلام ذهبوا — وكم به ديباج نظم ذهبوا
لا يرجعون عن بنا المعانى — فيه إذا توارت المعانى
أو إنه تجاهل العارف به — أو باعتراض فى أتى فى دأبه
أو حصرت بلاغة الكلام — على أناس سالفى الأعوام
فإنهم عند أهيل الفضل — جزئى قوم ألحقوا بالكلى
قد دونوا التهذيب والتأديبا — وللأخير تركوا نصيبا
فالاتفاق بعد هذا قد وقع — بأنه كم من أخير قد جمع
مغترفاً من رائق الآداب — فما بلى الأعيان فى الخطاب
موشحا كلامه بالدرر — مكملا ما قاله من غرر
بمدح من يلبس برد الدين — مشبه شىء منه أو شيئين
وإنه ألف بحر المنظوم — علىٌّ الشهير بابن معصوم
قصيدة فى مدح سيد الورى — خلف فيها سابقيه الورى
مسميا لها بتقديم على — منوها بالاسم قدرها العلى
أورد فيها كل نوع يذكر — مع اسمه عند المثال يسطر
طالعت ما فيها من الكناية — وذقت ما فيها من العناية
والدهر قد أوجب لى ضراه — مستلبا منى ما أهواه

فليس لى فى السجن من مشاكل ... إذ ما إلىّ من صديق داخل

أرجو من الرحمن يستحيل ... بالانعكاس سجنى الطويل

فكم أقاسى فيه من هموم ... وكم ألاقى فيه من غموم

تقسم الأفكار والمطامع ... قلبى ولا تشفينى المدامع

فأوقع الله لى الإشارة ... أن أقتفى من نظمه آثاره

مرتباً شرحاً لما أملاه ... مشاركاً فى مقصدى معزاه

أشبهاً بخادم الرسول ... وليس لى إغراقه فى القول

سميته توصل المسجون ... منه إلى نبينا المأمون

من لا يزال فى غلو قلبه ... انقده لكل من يحبه

وفقده الأشعار والفرائد ... وجمع ما يقيمه شواهد

قد صرعتنى أسهم الفراق ... وصدعت قلبى بالاشتياق

وولدت لى فكراً لا ترضى ... وأبدعت فى كل مالا أرضى

وأوغلت فى جمع كل نادره ... ونازعت فى محنتى مبادره

لذاك ماطرزت شرح الشعر ... بغير ما طالعته فى قصرى

ولم أكرر فيه ما أمليه ... ولا بتشكيت أتيت فيه

محسناً للاتباع فيما ... ألفه أهل الله كما قديما

قوم لهم قد قيدت القوافى ... طائعة وأظهرت خلافى

حين عصت فمالها انبساط ... عندى ولا لطيرها انحطاط

لذاك ما أوعبت فيها أنقل ... ولا توسعت بها بطول

ولم أدبّج ذا ولم أسجع ... ولم أعدد قول كل مبدع

إلا إذا عفو هنالك اتفق ... لأننى ملاحظ حسن النسق

وجملة تصدى حبى التعال ... بما إلى خير الأنام يوصل

لعـــله يرحم بالتعطف عبداً يخاف من حلول التلف
عساه يستتبع هذا الفلا يمكنني الخلوص بعد الأملا
من منزل يمدح في الأقوال في معرض الذم بكل حال
فليت شعري هل لمثلي تنفتح ألغاز هذا الدهر ثم تتضح
و يذهب التوهيم عن أفكاري مؤتلفـاً بأهلى الأخيـار
كالوزن والمعنى إذا ما ائتلفا واللفظ مع لفظ يرى مؤتلفا
فعند هذا أوجز الشكاه من زمني وأطنب الثنـاء
مسبحاً لفظ الثنا والشكر ببذله التسهيل بعد العسر
ومـدمجاً الاحتراس حتماً مهما جرى مني لشيء ذما
ومحسناً بيـان ما أولاه وعاقداً نظمي في ثنـاه
مسطراً عند استوا كلامي براعة المطلب في نظامي
حسن ختامي بعد أن أصلي على النبي والآل مهما أملي

عدد أبياتها تسعون بيتا .

* * *

وقال تغمده الله برحمته مكاتباً للمولى العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحق رحمه الله ومناصحاً له في الاهتمام بطلب العلم الشريف :

هات اسق الذهن من خمر العلوم أكـؤس التحقيق
وأدرها عند ذهني كالنجوم أيهـــا الصـــديق
واسقني التحقيق لا بنت الكروم واترك التلفيـــق
لا أرى الكاسات تبلغ ما أروم فـاملأ الإبريق

كم يبيت الذهن سهران العيون كالفتى الوهـــان
كاد يدعى في الملاقيس الفنون مذ غـــدا حيران

ولكم أجرى من العين العيون	وجفـــا	الســلوان
هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

●●●●●●●●

وامش فى روض المعانى والبيان	واقطف	الأمثــال
تلق فيها كل مايهوى الجنان	ذهنك	السيــال
وتراه شارباً تلك الدنان	شربة	الجــريال
هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

●●●●●●●●

وإذا زفت من النحو إلى	خيمة	الأفكار
نكتة حلت بأذهان الأولى	فهى	كالدينـــار
فاجتليها قبل أرباب الذكا	إجتلا	الأبكار
هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

●●●●●●●●

وإلى علم ابن سيناء فارتحل	واركب	الأهــوال
وبطيب النوم احذر تكتحل	واتقد	الأقــوال
وإذا أحرزته فلتنتقل	هاجراً	رطـال
هات اسق الذهن من خمر العلوم	أكؤس	التحقيق

●●●●●●●●

واقصد المعمور من ربع الأصول	تلق		ما تهــوى
فهو بحر غرقت فيه الفحول	من	ذرى	الأهــوى
لا تقل قال العضد قال الفصول	وانظر		الأقــوى

هات اسق الذهن من خمر العلوم أكؤس التحقيق.

❂❂❂❂❂❂❂❂

أنا لا أرضى بتقليد الرجال فهــــــو لا ينجى
كم مشى لخل به فى الاعتدال دونــه الأحجــى
داؤه عندى هو الداء العضال ذكره يشجى
هات اسق الذهن من خمر العلوم أكؤس التحقيق

❂❂❂❂❂❂❂❂

ثم حث السير إن رمت الهدى واطرح الأثقــــال
عند أبواب حديث المصطفى واكثر التســآل
ناد خلاق السموات العلى يفتـــح الأقفــال
هات اسق الذهن من خمر العلوم أكؤس التحقيق

❂❂❂❂❂❂❂❂

فهو يهدى عبده نهج الصواب وبه تنجـــــو
وتأمل سر آيات الكتاب عنـــد ماتتلـــو
ولعمرى إنه البحر العباب فذكه العقـــل
هات اسق الذهن من خمر العلوم أكؤس التحقيق

❂❂❂❂❂❂❂❂

واحسن النية واجهد فى الطلب أيهـــا الإنسان
واكتب المسموع من أهل الرتب وذوى الإتقـــان
ليس يخشى المرء فيما قد كتب آفــة النسيان
هات اسق الذهن من خمر العلوم أكؤس التحقيق

❂❂❂❂❂❂❂❂

والحيا راق عند الأدبا   فـــله مقـــدار
فاشهدا قـد نظمنا شهبا   دونها الأقمـــار
قال ارتشفها يامليك النجبا   واحـــذر الإسكار
هات اسق الذهن من خمر العلوم   أكؤس التحقيق

***

وعلى حضرتكم أسنى السلام   أيهـــا الأمجـــاد
بعد طه المصطفى خير الأنام   منتهى الإسنـــاد
وعلى الآل الميامين الكرام   ســـادة الزهـــاد
هات اسق الذهن من خمر العلوم   أكؤس التحقيق

***

كلما هب على الروض الصبا   يا ســنا الأغصـــان
أو سرا برق على سفح قبا   غيثـه هتـــان
أو خليل الخليل كتبا   كلمـــا فتـــان
هات اسق الذهن من خمر العلوم   أكؤس التحقيق

* * *

وقال المولى العلامة محمد بن إسحق رحمه الله :

يا حمامة خففي سجعك قليل   قد تزيدي من شجوني
واسمعي شكواي قد طال العويل   والبكا جرح جفـــوني
قل صبري والهوى حمله ثقيل   مالهـــم لا يرحمـــوني
ما عليهم لو شفوا قلبي العليل   باللقـــا أو بشروني

***

يا حمامة ليس مثلي في الغرام   من تأخر أو تقـــدم

من يكن مثلى فهم سجع الحمام ثم غرد به مترجـــم
لو خفى عنى سجوعك بالظلام ما مزجت الدمع بالدم
حين قلت ليس فى الدنيا مثيل لا ولا فى السجن دونى

اصبرى فالصبر مفتاح الفرج إن بعــد العسر يسرين
كم أسير مسجون من سجنه خرج بعــد ما قد كان بقيدين
ورقى من بعد ذلك أعلى درج صــدق هــذا القول الأمين
لو بدت لك غاية الصبر الجميل قلت يا ناس احبسونى

كم لقى قلبى من أحبابى عذاب من جفــاهم والتجنى
لو رويت ماليس يحصر فى حساب طــال مايرويه عنى
قدرنى لى من حضر عندى وغاب وسمــع عنى ومنى
آخ ماقاسى الذى قاسيت جميل من هـــوى من تيمونى

شردوا عن ناظرى طيب الهجود آه للنـــوم المشرد
عذبوا قلبى المتيم بالصدود ونسوا عهــدى المؤكد
ليتهم لما جفوا صانوا العهود مثل حفظى العهد سرمــد
لم أخن والله على ما أقول وكيل عهــد من قــد ضيعونى

يافؤاد اصبر على أحبابك عسى يذكروك بعــد التناسى
ويلينوا بعــد ماطال القسا فــيروا مابين أقاسى
كم فتى أحسن بعد قد كان أسا وذكر من كان ناسى

كم عدو أمسى فأصبح لك خليل　　عكس ماقـد عذبونى

* * *

وعارضها الوالد البدر رضى الله عنه وأرسلها إلى قائل الأصل :

الحمامة إن أثارت بالهديل　　شجو قلبى فهو دونى
هى على الأغصان فى الظل الظليل　　وأنا مالت غصونى
قد أمالتهم رياح من قال وقيل　　لعـواذل يحسدونى
ليتهم إن لم يرقوا لى قليل　　من هـواهم خلصونى

كم أعانى فى هواهم من ملام　　ما أحـد فى الناس يرحم
بمدمعى قد فارقت عينى المنام　　وغـدا نومى محرم
حين خطر بالتيه خطار القوام　　وإلى وجهى تبسم
صحت فى سجن الهوى طال المقيل　　فاطلقـونى أطلقـونى

ما على المضنى إذا باح من حرج　　وجرى دمعه من العين
فالفتى الفتان سلاب المهج　　قـد أعاض الوصل بالبين
ليت شعرى هل إلى سمعه ولج　　قول عاذل يزرع المين
ما بقى فى الناس من يزرع جميل　　نحـو بابه يجمعونى

قسمى بالقرب يسمع لى خطاب　　أو يقـال أدنوه منى
أو يبلغ لى حتى ولو كتاب　　أكتبه من نور عينى
كم عتبنا ولو رد الجواب　　ونفـوكه كانه تمنى
إن دم نفسى على خدى تسيل　　بعـد ما زالت جفونى

قد أذابت مهجتى نار الخدود فهى فى الأحشا توقد
والعذار لما بدا زاد الوقود وغرامى فيـــه تأكد
لام تأكيد صح لا لام جحود وانفاره مفتوح فى الخـد
شاهجره ياناس فقدطال الطويل وامتدح فى ذا الحمينى

❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الفتى الماجد سليل أهل الكسا من لبحر العــلم حاسى
يشترى بالنقد مجده لا النسا ماالذى ينقـــد كناسى
قد تسربل بالمحامد واكتسى واحتجب بين الكراسى
أفردوه حين مارأوا له من مثيل هـل لهـم قال افردونى

* * *

انتهى الديوان الفائق الرائق ، والحمد لله المالك الخالق ، والصلاة والسلام على سيد الخلائق ، وعلى آله وصحبه الجامعين الحقائق والرقائق

كان الفراغ من رقم هذا الديوان الحافل بعون الله فى يوم الأربعاء ٤ شعبان سنة ١٣٧٣هـ ثلاثة وسبعين ومائة وألف بعناية المولى العلامة المؤرخ الوالد عز الإسلام محمد بن محمد زباره حفظهم الله وكتبه خادم العلم الشريف محمد بن قاسم بن يحيى الشامى .

والآن . . . وقد فرغنا من طبع كتاب « ديوان الأمير الصنعانى » الذى بذلنا فيه قصارى الجهد ، حتى يطلع على قارئه وقد استكمل كل مايراد له من روعة الإخراج .

نسأل الله . . . أن يفتح بين أيدينا الطريق ، كى نحقق للقارئ العربى غايات العلم والمعرفة ، وكى نسير به إلى ما نرجوه من ثقافة ووعى . .

ومطبعة المدنى — التى شجعها القارىء العربى ، . تؤكد العهد وتجدده ، أن تظل عند حسن ظنه — عاملة على أن تعطيه أحسن شىء . . وأقرب شىء من منهج رسول الله . . وطريقة السلف الصالح . . .

وفق الله . . . كل العاملين . . من أجل تمكين « الثقافة المسلمة » . . فى أرض الله . . .

مدير المؤسسة

محمد علي صبيح المدني

فهرس

كتاب «ديوان الأمير الصنعانى»